

العلماء

في محاسن الشعر ، وآدابه ، ونقده

المجلد الأول

تأليف

أبي علي الحسن بن رَشِيقٍ ، القَيَّوَانِي ، الْأَزْدِيُّ

٣٩٠ - ٤٥٦ من الهجرة

حققه ، وفصله ، وعلق حواشيه

مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ

عما الله تعالى عنه !

دار الجيل

لبنان - بيروت - شارع النور - الطبعة

الطبعة الأولى : ١٩٨٠

٨٧٢٧ ص. ب.

الطبعة الخامسة
١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م

جميع الحقوق محفوظة

يطلب هذا الكتاب من « دار الجيل » بناية صالحة وصمدي
- الطابق الثالث - شارع سوريا - ص.ب ٨٧٣٧ - تلفون ٢٥٨٦٣٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي دل على وُجُوده بِجُوده ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد
مَنَارِ الحقِّ وعُجُوده ، وعلى آلِهِ وصحبِهِ القَائِمِينَ بِالْحَقِّ مِنْ بَعْدِهِ .

أما بعد ، فهذا كتاب « العمدة » ، في محاسن الشعر وآدابه « تصنيف أبي
على الحسن بن رشيقي ، الأزدي : المولود في عام ٣٩٠ من الهجرة (٩٩٩ م)
والمُتَوَفَّى في ليلة السبت غرة ذى القعدة من عام ٤٥٦ من الهجرة ^(١) (١٠٦٤ م) وهو
الكتاب الذي « جَمَعَ أَحْسَنَ مَا قَالَهُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ صَنَفٍ فِي مَعَانِي الشَّعْرِ
ومَحَاسِنِهِ وآدَابِهِ ، وَعُقُولَ مُؤَلِّفِهِ فِيهِ عَلَى قَرِيحَةٍ نَفْسِهِ ، وَنَتِيجَةَ خَاطِرِهِ ؛ خَوْفَ
التَّكْرَارِ ، وَرَجَاءِ الْإِخْتِصَارِ ، إِلَّا مَا تَعَلَّقَ بِالْخَبَرِ ، وَضَبَطَتَهُ الرِّوَايَةُ ؛ فَإِنَّهُ لَمْ يَغْيِرْ
شَيْئًا مِنْ لَفْظِهِ وَلَا مَعْنَاهُ ؛ لِيُؤْتِيَ بِالْأَمْرِ عَلَى وَجْهِهِ » ^(٢) .

وقد صنّفه كمادة أكثر العلماء لأبي الحسن على بن أبي الرجال الكاتب
« زعيم الكرم ، وواحد القُتُبِ ، الذي نال الرياسة ، وحاز السياسة ، وافرد
بالبَسْطِ والقَبْضِ ، واتعد في الإبرام والنقض . . . إلخ » ^(٣) وأبو الحسن هذا
رجل في نظر ابن رشيقي قد جمع هذه الخلال ، وزاد عليها « سلامة طبع واندفاعه ،
وقُرْبَ لَفْظِهِ واتساعه ، ورَقَّةَ مَعَانِيهِ وإرهاقها ، وظهورها مع ذلك وانكشافها ،
مع لطيف مواقعها من القلوب ، وسرعة تأثيرها في النفوس » ^(٤) ؛ فهو أديب

(١) احتفب العلماء في تاريخ وفاة ابن رشيقي ، حكى ابن حليكان ثلاثة أقوال ،
وبعضهم يافوت على هذا الذي ذكرناه ، وعبارته تدل على غريبه وقصده
إلى التتدقيق .

(٢) انظر (ص ٤) من الجزء الأول من هذا الكتاب ، والأرقام التي تذكرها
في هذه الإحالات ووجه عام هي أرقام الطبعة الأولى بتحقيقنا

(٣) انظر (ص ٢٢٨ ج ٢) من هذا الكتاب .

وشاعر عظيم ، وابن رشيق مَقْتُون به وبأدبه ، وقلما خلا بابٌ من أبواب كتابه من غير أن يختار من شعره ما يناسب هذا الباب [انظر شاهد ذلك ص ١١٢ و ١١٣ من الجزء الأول ، وص ١٠٦ و ١٠٧ من الجزء الثانى] .

والذى يظهر أن هذا الكتاب لقي - منذُ ظهر للناس بعضه - إقبالا وذيوعا جعل بعضَ خُصُوم المؤلف يَحْقِدُون عليه وينقصون من قيمته : تارة بالتخطئة ، وأخرى بادعاء الانتحال والسرقة ، حتى اضطر المؤلف إلى أن يَبَهْتِمَهُمْ ، وَيُزْرِى عليهم ، وينال من أعراضهم ، ويدعوهم إلى الإتيان بمثله ، أو ببعضه ؛ فهو يقول ^(١) « وكَم في بلدنا هذا من الحَفَاثِ ^(٢) قد صاروا ثَمَاعِينَ ، ومن البَغَاثِ قد صاروا شَوَاهِينَ ، إن البغاث في أرضنا يستنسر ، ولولا أن يُعْرِفُوا بعد اليوم بتخليد ذكركم في هذا الكتاب ، ويدخلوا في جملة من يُعَدُّ خَطْلُهُ ، ويُحْصَى زَلُّهُ ؛ لذكرت من لحن كل واحد منهم ، وتصحيفه ، وفساد معانيه ، وركاكة لفظه ؛ ما يدلُّك على مرتبته من هذه الصناعة التى ادَّعَوْهَا باطلا ، وانتسبوا إليها انتحالا . وقد بلغنى أن بعض من لا يتورع ^(٣) عن كذب ، ولا يستحي من فضيحة ، زعم أنى أَخَذْتُ عنه مسائل من هذا الكتاب لو سئل عنها الآن ما علمها ، والامتحان يُقطع الدَّعْوَى ، كما قال بعض الشعراء :

مَنْ تَحَلَّى بِغَيْرِ مَا هُوَ فِيهِ فَضَحَ الْإِمْتِحَانُ مَا يَدَّعِيهِ
وكفت غَنِيًّا عن تهجين هذا الكتاب بالإشارة إلى مَنْ أشرت إليه ، أنفًا من ذكره ، وعزُّوفاً بهمتى عن الانحطاط إلى مُسَاوَاتِهِ ، ولكنى رأيت السُّكُوت عنه عَجْزاً وتقصيراً . »

(١) انظر (ص ٢٢٨ ج ٢) من هذا الكتاب .

(٢) الحَفَاث - بوزن الغراب - حية تنفخ ولا تؤذى ، قاله الجوهري .

(٣) لعله يريد ابن شرف القيروانى ؛ فهو قريعه ؛ وكانت بينهما ملاحاة ومحادة على

ما ستعرف فى ترجمته .

وأنت إذا قرأت هذا الكتاب استدللت على فضل الرجل ، وسعة اطلاعه ، وحسن تخريجه ، وإن كان يتقيد برأى قدامى العلماء : لا يخرج عنهم ، ولا يرضى بتقدمهم وإن ظهر له وجه النقد ؛ فهو يجري في بحثه على قاعدة « كلام العقلاء مَصُون عن الخطأ » وهو - في هذا الكتاب - رجل هادى النفس ، وادِعُ الخلق ، طويل الأناة : يعرض له الرأى يخالف فيه رأى المتقدمين بتخطئة ماصوروا أو تصويب ماخطأوا أو بيان وجه من التأويل فيه غاب عن أذهانهم فيجأوه لك في أسلوب لا تسكاد تقرأه حتى تلمس رزائنه وهدوء طبعه ، وهو - بعد ذلك كله - صاحب آراء لو شاء أن يدعى أنه منشئها وأبو عُذْرَتِها ، ثم يباهى بأهلها شأنًا وأهونها خطراً كدأب أكثر الأدباء في عصرنا ودأب كثير من أدباء عصره ؛ لما أعوزته الحجة ، ولا غاب عنه البرهان . انظر إليه وهو يقول^(١) : « وقد نصَّ ابنُ الرومي في بعض تسطيراته على محمد بن أبي حكيم الشاعر حين غاب عليه قوله في الفرس من قصيدة رثى بها عبد الله بن طاهر * فله شهامة . . . البيت * وذكر قول حبيب [أبي تمام] :

يَحْوَاهُ خُفْرٌ وَصُلْبٌ صُلْبٌ

فحفل به ، واعتذر له ، وخرَّجَ التخارجَ الحسان ، وذكر أن الحافر الوأب والحافر المقعب ونحوهما أشرف في اللفظ من الحافر الأحفر ، إلا أن الطائي عنده كان يطلب المعنى ولا يبالى باللفظ ، حتى لو تم له المعنى بلفظة نبطية لآتى بها ، والذي أراه أن ابن الرومي أبصر بحبيب وغيره منا ، وأن التسليم له والرجوع إليه أحزم ؛ غير أنني لو شئت أن أقول - ولست راداً عليه ، ولا معترضاً بين يديه - إن المعنى الذى أراد وأشار إليه من جهة الطائي إنما هو معنى الصنعة

(١) انظر (ج ١ ص ١١١) من هذه المطبوعة .

كالتطبيق والتجسس وما أشبههما لا معنى للكلام الذى هو رُوحُه ، وإن اللفظ الذى ذكر أنه لا يبالي به إنما هو فصيح الكلام ومستعمله ، ويدلك على صحة ما ادعيت به على ابن الرومى قوله : إن الحافر الوأب والمقعب أشرف فى اللفظ من الحافر الأحفر ؛ فكلامه راجع إلى ما قلته فى الطائى ، غير مخالف له ، وإن كان فى الظاهر على خلافه ؛ لينساغ ، إلا أن أكثر الناس على ما قال ، وإنما هذا معرض للكلام ، لا مخالفة ، اهـ ومثل ذلك فى أضعاف الكتاب كثير لا أحب أن أقفك على جميعه ، ولكنى أنبهك فى هذه الكلمة إلى قوله « ولست راداً عليه ، ولا معترضاً بين يديه » وقوله فى آخرها « وإنما هذا معرض للكلام ، لا مخالفة » بعد قوله « إلا أن أكثر الناس على ما قال » ثم أدعك بعد ذلك تستنبط من هذا الكلام ما تشاء .

ولقد طبع كتابه هذا كاملاً مرتين فى مصر ، وطبع نصفه فى تونس ، وكل هذه الطبعات قليل الغناء عديم الجدوى ؛ فإن التصحيف والتحريف ليفشوان فيها ، وإن نظام وضعها وتلاحق مباحث الكتاب — مع تشعبها وكثرة فنونها — ليباعد بينك وبين الإفادة منه ، وهذه العيوب فاشية فى مطبوعاتنا العربية ، ولما يخلو منها — مع الأسف الذى يقطع نياط قلوبنا — كتاب من كتب هذه اللغة المسكينة ، وبخاصة كتب أسلافنا المتقدمين ، وليس من علة لانصراف الناشئة العربية — فيما نعتقد — عن هذا التراث الثمين إلا هذا التشويه الغريب الذى يُظهرُ الناشرون عليه كتب آبائنا الذين لم يُقَصِّرُوا فى توريثنا أعظم تراث علمى ، ولم يألوا جهداً فى تَبْرِئَةِ أنفسهم مما جعل الله فى أعناقهم من ميثاق العلم أن يبنوه للناس ولا يكتُمُوهُ ، ونحن نعتقد عقيدة لا تدخلنا فيها خلجة شك أن الحرف الصغير والورق الأصفر وحِرْصَ التجار على ظهور الكتاب فى أقرب وقت وفى أقل ما يمكن من عدد الصفحات ،

كل أولئك أكتبُ الفوارق بين الكتب المصرية الشيقة الأسلوب المتسلطة على قلوب النشء ، وبين كتب العصر القديم ، والآيات على ذلك كثيرة ، والشواهد أكثر من أن يحيط بها العد .

وقد خلق الله في نفسى حب السلف ، والتفانى في الدفاع عن علومهم وأفكارهم ، والحرص على إذاعة فضلهم وعظيم مننتهم علينا وعلى من يأتى بعدهم الأجيال المتلاحقة ، ولست أدري سر ذلك كله ، غير أنى لا أشك في أن بين يدينا ثروة يحس بها المستشرقون أكثر مما نحس بها نحن أبناء هؤلاء المورثين ، وأنا نضيع هذه الثروة بأحد سببين لا ثالث لهما : أولهما : الانصراف عنها إلى الافتتان بالغرب وعلوم الغرب ، ورد كل نبوغ وفوق إلى نبوغ الغرب وفوقه ، وثانيهما : الاقتناع من باعة الكتب بأن يظهروا لنا كتب أسلافنا على صور مشوهة ممسوخة لا تسد نهمة ولا تبلى أواما ، ولو أننا أرغمناهم على أن يظهروها موافقة لروح العصر الحديث لاستطعنا أن نفيد ، وأن نجد في ميراثنا النفع والغناء .

لهذا كله حرصت كل الحرص على مراجعة هذا الكتاب على أصوله التى أمكن الوقوف عليها ، ثم معاودة هذه المراجعة ، حتى أخرجته لك من بين قرث ودم لبناً خالصاً سائفا للشاربين .

في دار الكتب المصرية بالقاهرة نسختان خطيتان كاملتان من الكتاب إحداهما مكتوبة بقلم النسخ ، كتبها محمد بن أحمد الخوذة ، فرغ من كتابتها في عشرين يوم الأحد الثانى عشر من شهر ربيع الآخر سنة ١٢٩٨ من الهجرة ، والثانية : مخطوطة بقلم معتاد بخط السيد أحمد بن محمد بن عبده . . . الديروطى فرغ من كتابتها ومقابلتها في يوم الجمعة الثامن والعشرين من شهر ذى القعدة سنة

١٢٩٨ من الهجرة ، وهذه النسخة الثانية مكتوبة ومقابلة على النسخة الأولى ، ولم يُصلح كاتبها ومقابلها أغلوطاً واحدة من الأغاليط الكثيرة في سابقتها . وفي الخزانة التيمورية نسخة خطية كاملة أقدم من هاتين عهداً ، وأسبق منهما تاريخاً ، كتبت بخط معتاد ، وفرغ من كتابتها في يوم الأربعاء الخامس والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ٩٩٣ من الهجرة ، وهي أقل من نسختي الدار خطأ ، فلم يكن لي بد من مراجعة هذه المطبوعة على هذه النسخ الثلاث ، وعلى النسختين المطبوعتين بمصر ، ومراجعة النصف الأول — مع ذلك — على مطبوعة تونس ، وم وجدت في هذه النسخ جميعها من أغاليط كانت تضطرنني في أكثر الأحيان إلى مراجعة الأمهات والأصول التي تـلـ عنها المؤلف ، وإلى مراجعة دواوين الشعراء الكثيرة بنوع خاص ، ولو أنني أردت أن أحدثك عن المراجع التي استخلصت لك الصواب من بينها لَمَا لَكَ الأمر ، وخرج الحال في نظرك عن حد المستساغ المقبول ، ولكنها على أية حال الحقيقة التي لا غُلُوَّ فيها ولا إغراق ، وستقف بنفسك حين تقرأ في الكتاب بعد هذا آثار ما كابدتُ من العناء والمشقة ، وم كنت أحب أن أذكر لك عند كل تصويبة أصلاً في خطأ أصول الكتاب وكيف أصابحت ومصدر إصلاحها ، ولكنني اكتفيت بالتنبيه على بعض ذلك ، وتركتُ بعضه لعلمي أن ذلك لا يعنى به غير نفر قليل من القراء ، وهؤلاء يكتبون باللمعة ، ويجهزون بالخبر .

وكان لا بد أن أجد في بعض النسخ زيادة عما في بعضها الآخر ، أو أعثر على سقطة في كلام نقله المؤلف عن كتاب آخر بعد مراجعة هذا النقل ؛ فاهتممتُ لذلك ، ووضعت الزائد بين قوسين على هذه الصورة [] ثم قد أنبه على موطن الزيادة ، وقد أترك التنبيه مكتفياً بعلم القارئ ذلك من سياقة الكلام .

ولست أدعى — مع هذا كله — العِصْمَةَ من كل خطأ ، والبراءة من كل زَلَل ؛ فالله وحده الذى تفرد بالكمال ، ولو لم يكن فى عملى إلا أنى أصلحت أكثر من أربعمائة أغلوطه وقعت فى الطبعتين السابقتين لهذا الكتاب لكان ذلك عملاً جديراً بأن أفخر به .

والله المسئول أن يثيبنى عليه ، ويغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ؟

كتبه

محمد عيسى الدين عبد المجيد

ربيع الثانى ١٣٥٣

أغسطس ١٩٣٤

ترجمة المؤلف

(١)

قال صاحب الحلل السندسية في كلامه على القَيْرَوَان :

ومن بلغاء القيروان وأبنائها الحسن بن رَشِيق ، أَحَدُ البلغاء الأفاضل ، الشعراء ، ولد بالمَسِيلَة ، وتأدَّب بها قليلا ، ثم ارتحل إلى القَيْرَوَان سنة سِتِّ وأربعمائة . كذا قال ابن بسام ، وقال غيره : ولد بالمحمدية سنة تسعين وثلاثمائة ، وأبوه مملوك رومي من مَوَالِي الأَزْدِ ، وتوفي سنة ثلاث وستين وأربعمائة^(١) ، وكانت صنعة أبيه في بلده الحمدية الصِّيَاغة ، فعلمه أبوه صنعته ، وقرأ الأدب بالمحمدية ، وقال الشعر ، وتآقت نفسه إلى التزَيُّدِ منه وملاقة أهل الأدب ، فرحل إلى القَيْرَوَان ، واشتهر بها ، ومدح صاحبها [المعز بن باديس بن المنصور] ولم يزل بها إلى أن هَجَمَ العربُ عليها وقتلوا أهلها وخرَّبوها ، فانتقل إلى صقلية وأقام بمازر إلى أن مات ، ومازر : قرية بجزيرة صقلية منها المازري رحمه الله ، واختلف في تاريخ وفاته . قال ابن خلكان : رأيت بخط بعض الفضلاء أنه توفي سنة ثلاث وستين وأربعمائة ، قال : وقيل : إنه توفي ليلة السبت غرة ذي القعدة سنة ست وخمسين^(١) . ومن شعره :
يَا رَبِّ لَا أَقْوَى عَلَى دَفْعِ الْأَذَى وَبِكَ اسْتَعْنْتُ عَلَى الضَّعِيفِ الْمُوَذَى
مَالِي بَمَثَلِ أَلْفِ بَعُوضَةٍ وَبَعَثْتَ وَاحِدَةً إِلَى نَمْرُودِ

وكان بينه وبين أبي عبد الله محمد بن أبي سعيد بن أحمد المعروف بابن شرف القيرواني مناقضات ومُهاجاة ، وصنف عدة رسائل في الرد عليه ، منها :

(١) الأكثرون على أن مولده في سنة ٣٩٠ ، وقد حكى ابن خلكان (١/٣٦٦

بتحقيقنا) في وفاته هذا القول ، وحكى قولين آخرين : أحدهما أنه توفي في سنة ٤٥٦ بمازر ، وثانيهما أنه توفي في ليلة السبت غرة ذي القعدة من سنة ٤٥٦ والفرق بين القولين أن الأول لم يحدد يوم الوفاة ولا الشهر ، وذكر ياقوت القول بأنه توفي في سنة ٤٥٦ .

رسالة سماها ساجور الكلب ، ورسالة نبح الطلب ، ورسالة قطع الأنفاس ، ورسالة :
نقض الرسالة الشعوزية ، والقصيد الدعية ، والرسالة المنقوضة ، ورسالة رفع
الإشكال ودفع الحمال ، وله كتاب أمودج الشعراء شعراء القيروان ، ورسالة
قراضة الذهب ، والعمدة في معرفة صناعة الشعر ونقده وعيوبه ، وهو كتاب جيد ،
وغير ذلك .

(٢)

وقال صاحب الوافي ما نصه :

وقد وقفت على هذه المصنفات والرسائل المذكورة جميعها ، فوجدتها تدل على
تبخُّره في الأدب ، وإطلاعه على كلام الناس ، ونقله لمواد هذا الفن ، وتبحره في
النقد ، وله كتاب في شذوذ اللغة ، يذكر فيه كل كلمة جاءت شاذة في بابها .

ومن شعره :

أَحِبُّ أَخِي وَإِنْ أَعْرَضْتُ عَنْهُ	وَقَلَّ عَلَى مَسَامِعِهِ كَلَامِي
وَلِي فِي وَجْهِهِ تَقْطِيبٌ رَاضٍ	كَأَقْطَبَتَ فِي وَجْهِهِ الْمَدَامُ
وَرُبَّ تَقْطِيبٍ مِنْ غَيْرِ بَغْضٍ	وَبَغْضٍ كَأَمِنْ تَحْتَ ابْتِسَامِ

ومنه :

إِذَا مَا خَفَفْتُ أَمْعِدَ الصَّبَا	أَبَتْ ذَلِكَ الْخَمْسُ وَالْأَرْبَعُونَ
وَمَا ثَقُلْتُ كِبَرًا وَطَأْتِي	وَلَكِنْ أَجْرٌ وَرَأَى السَّنِينَا

ومنه :

وَقَائِلَةٌ: مَاذَا الشُّحُوبُ وَذِ الضَّنَى؟	فَقُلْتُ لَهَا قَوْلَ الْمَشُوقِ الْمَتِيمِ :
هَوَاكَ أَتَانِي ، وَهُوَ ضَيْفٌ أَعِزُّهُ ،	فَأَطْعَمْتَهُ لَحْمِي ، وَأَسْقَيْتُهُ دَمِي

ومنه :

ذَمْتُ لَعِينِكَ أَعَيْنَ الْغَزْلَانِ	قَمَرٌ أَقَرَّ لِحَسَنِهِ الْقَمَرَانِ
--	--

وَمَشَتْ فَلَا وَاللَّهِ مَا حَقَفُ النَّقَا
وَمِنْ الْمَلَاةِ غَيْرُ أَنْ دِيَانِي
مِمَّا أَرْتَكَ وَلَا قَضِيبُ الْبَانِ
تَأْبَى عَلَى عِبَادَةِ الْأَوْتَانِ
ومنه في المديح :

يَا بَنَ الْأَعِزَّةِ مِنْ أَكْبَرِ خَيْرِ
مَنْ كُلِّ أْبْلَجٍ أَمْرٍ بِلِسَانِهِ
وَسُلَالَةَ الْأَمْلَاكِ مِنْ قَحْطَانِ
يَضَعُ السِّیُوفَ مَوَاضِعَ التَّيْجَانِ
ومنه :

فِي النَّاسِ مَنْ لَا يُرْتَجَى نَفْعُهُ
كَالْعُودِ لَا يَطْمَعُ فِي طِيبِهِ
إِلَّا إِذَا مُسَّ بِأَضْرَارِ
إِلَّا إِذَا أَحْرِقَ بِالنَّارِ
ومنه :

أَقُولُ كَالْمَأْسُورِ فِي لَيْلَةٍ
يَا لَيْلَةَ الْهَجْرِ الَّتِي لَيْلُهَا
أَلْقَيْتُ عَلَى الْآفَاقِ كَذَلِكَا
قَطَعَ سَيْفُ الْهَجْرِ أَوْصَالَهَا
مَا أَحْسَنْتَ هَنْدًا، وَلَا أَجَلْتَ
مُجَلَّ، وَلَيْسَ الْحَسَنُ إِلَّا لَهَا
ومنه :

وَمِنْ حَسَنَاتِ الدَّهْرِ غَنْدَى لَيْلَةٍ
خَلَوْنَا بِهَا نَفْنَى الْقَدَى عَنْ عِيُونِنَا
مِنْ الْعُمْرِ لَمْ تَتْرِكْ لِأَيَّامِهَا ذَنْبًا
بِلَوْلُؤَةٍ مَمْلُوءَةٍ ذَهَبًا سَكَبًا
وَمِلْنَا لَتَقْبِيلِ الثَّغُورِ وَلَشْمِهَا
كَثَلِ جُنُوحِ الطَّيْرِ يَلْتَقِطُ الْحَبَا
قَالَ الْأَبْيُورْدِيُّ : وَمَا هَذَا بِأَحْسَنَ مِنْ قَوْلِ ابْنِ الْمُعْتَزِ :

كَمْ مِنْ عِنَاقٍ لَنَا وَمِنْ قَبْلِ
نَقَرِ الْعَصَافِيرِ، وَهِيَ خَائِفَةٌ
مُخْتَلَسَاتٍ حِذَارَ مَرَّةٍ تَقْبِ
مِنْ النُّوَاطِيرِ، يَأْنَعُ الرُّطَبِ

قَالَ فِي الْوَاقِ : قُلْتُ : مَقَامُ ابْنِ الْمُعْتَزِ غَيْرُ مَقَامِ ابْنِ رَشِيقٍ ؛ لِأَنَّ ابْنَ
رَشِيقٍ ذَكَرَ أَنَّهُ فِي لَيْلَةِ أَمْنٍ ، وَهِيَ عِنْدَهُ مِنْ حَسَنَاتِ الدَّهْرِ ؛ فَلِهَذَا حَسَنَ
تَشْبِيهِهِ التَّقْبِيلَ مَعَ الْأَمْنِ بِالتَّقَاطِطِ الطَّيْرِ الْحَبِّ ؛ لِأَنَّهُ يَتَوَالَى دَفْعَةً بَعْدَ دَفْعَةٍ ،

وأما ابن المعتز فإنه كان خائفاً يَخْتَلِسُ التَّجْبِيلَ وَيَسْرِقُهُ ، كما يفعل العصفور في
نقر الرطب اليانع ؛ لأنه يقدم جازعاً خائفاً من الناطور ، فلا يطمئن فيما يلمسه ،
ألا ترى الآخر كيف قال فأحسن :

أقبله على جَزَعِي كَشْرَبِ الطَّائِرِ الْفَزَعِ
رأى ماءً فواقعه وخاف عواقبَ الطمع

ومن شعر ابن رشيق :

قد أحكمت مني التجا ربُّ كلِّ شيءٍ غير جودي
أبدأ أقول : لئن كسبت لأقبضنَّ يَدَيَّ شديداً
حتى إذا أثريت عُدُّ ت إلى السباحة من جديد
إن المقام بمثل حال لا يتم مع القعود
لا بُدَّ لي من رحلة تدني من الأمل البعيد

ومنه :

مُعْتَقَةٌ يعلو الحَبَابُ متونها فتحسبُ فيها نَظِيرَ جُحَانٍ
رأت من لجين راحة لمديرها فطافت له من عسجد بينان

وذكر له في المعجب (ص ٧٠) بيتين مشهورين ، وترى كثيراً من شعر
ابن رشيق في تضاعيف هذا الكتاب ، وفي عامة فنون القول ، نرشدك في ذلك
إلى (ج ٢ ص ١٥٢ و ١٥٤) .

(٣)

وله سوى ما ذكر هؤلاء المترجمون له من الكتب كتاب نادر في باب
يصفه لنا في كتاب العمدة (ج ٢ ص ٢٢٩) فيقول : « على أن المحدثين قد
شاركوا القدماء في كل ما ذكرته أيضاً ، إلا أن أولئك أولى به ، وأحقُّ بالتقدمة
فيه ، كما خالطوهم في صفات النجوم ومواقعها ، والسحب وما فيها من البروق
والرعود ، والغيث وما ينبت عنه ، وبكاء الحمام ، وكثير مما لا يتسع له هذا الباب ،

ولكننى أفردله كتاباً قائماً بنفسه ، أذكر فيه ما انفرد به المحدثون ، وما شاركهم فيه المتقدمون » ويذكره مرة أخرى فيقول (ج ٢ ص ٢٩٢) « وأنا أقول : إن أكثر الشعراء اختراعاً ابن الرومي ، وسيأتي برهان ذلك في الكتاب الذي شرطتُ تأليفه ، إن شاء الله تعالى » فهل عاقته الصروف عن تأليفه ؟ أو ألقه كما شرط ولكنه ضاع فيما ضاع من كتب المتقدمين ؟ علم ذلك عند الله تعالى !

وأخذ ابن رشيق الأدب عن أبي عبد الله محمد بن جعفر القزاز القيرواني النحوي من أهل القيروان ، وعن الأديب أبي محمد عبد الكريم بن إبراهيم النهشلي ، وله في كتاب العمدة نقول كثيرة عنهما وعن غيرها من أدباء عصره وعلمائه ، رحمهم الله تعالى .

(٤)

وإذا أحببت للزيد في ترجمة ابن رشيق - وما نحسبك تجد إلا تكراراً لهذا الكلام أو بعضه - فارجع إلى المصادر الآتية :

- (١) بغية الوعاة للسيوطي ٢٢٠ .
- (٢) الحلل السندسية ١٠٠
- (٣) شذرات الذهب لابن العماد ٢٩٧/٣
- (٤) معجم الأدباء لياقوت الرومي ١١٠/٨
- (٥) كشف الظنون لحاجي خليفة ١٨٥ و ٣١٠ و ٩٧٣ و ١٠٢٩ و ١١٦٩ و ١٩٠٧ و ١٩١٨
- (٦) الإنباه للقفطي ٢٩٨/١
- (٧) وفيات الأعيان لابن خلكان ٣٦٦/١ بتحقيقنا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم
الحمد لله أهل الحمد ومستحقه ، وصلاته على صفوته من خلقه : محمد خيرته ،
وعلى أبرار عترته ، وسلم تسليماً .

أما بعد ، فإن أحقَّ مَنْ جَنَى ثمر الألباب ، واقتطف زهر الآداب ، متنزهاً
في عقول الحكماء ، متفكهاً في أقاويل العلماء ، بالغاً بهيمته أعلى المراتب ، خاطباً
لنفسه أسنى المطالب ، مستقراً في أرفع ذروة ، متمسكاً بأوثق عروة ، مَنْ عَرَفَ
للعلم حقه وفضله ، وسلك به طريقه وسبله ، وأكرم في الله مثواه ونزله ، وخص
بالقرب ذويه وأهله ؛ فاستوجب من جميل الذكر ، وجزيل الذخر ؛ ما هو أزين
في الدنيا ، وأبقى في الأخرى : كالسيد الأجد ، والقذ الأوح ، حسنة الدنيا ،
وعلم العليا ، وباني المكارم ، وآبي المظالم^(١) ، رجل الخطب ، وفارس الكتب :
أبي الحسن علي بن أبي الرجال الكاتب ، زعيم الكرم ، وواحد الفهم ، الذي نال
الرياسة ، وحاز السياسة ، وانفرد بالبط والقبض ، واتحد في الإبرام والنقض ،
عن سعي مشكور ، وفضل مشهور ، وعلم بالموارد والمصادر ، ونظر في الأوائل
والأواخر ، وتبع لآثار مَنْ سلف ، من أهل القدر^(٢) والشرف ؛ وتقلب في
مجالس الحكم ، بين ذوى الأقدار والهمم ؛ إلى أن صار نسيجَ وَحْدِهِ ، وقريعَ
دَهْرِهِ ؛ غير مُدَافِعٍ عن ذلك ، ولا منازع فيه .

فالحمد لله الذي اختصه بالجلالة ، واستخلصه لشرف الحالة ، وقدمه على

(١) آبي المظالم : أى الممتنع عن قبولها ، وفي نسخة « ودارى المظالم »

أى : دافعها .

(٢) فى نسخة « الأخطار » وهو جمع خطر بفتحتين .

المتقدمين في الرتب ، وأقام به سوق العلم والأدب ، وجعل ذكره باقياً ، وجَدَّه سامياً ، وأيده من النصر والتوفيق ، بما فيه رضا الخالق والمخلوق ، فضلاً من الله ونعمة ، والله عليم حكيم .

وأنا — أطلال الله بقاء السيد محروس النعمة ، مَرْهُوبَ النعمة ، مَوْقٍ في دنياه ودينه ، منتفعاً بظنه وبقينه ، قليل الأنداد ، كثير الحساد — وإن لم أعلق من العلم إلا بحاشية ، ولا أخذت منه إلا في ناحية ؛ لسوء المكان ، وقلة الإمكان ، وَزَمَانَةُ الزمان ، وحدوث الحداث ، قبل أن أعلق بحبل عنايته ، وأحفظ وأصير في حرم حمايته ، فقد وجدت الشعر أكبر علوم العرب ، وأوفر حفظ للأدب ، وأحرى أن تُقبل شهادته ، وتمثّل إرادته ؛ لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن من الشعر ^(١) حُكْمًا » وروى « الحكمة » وقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه « نعم ما تعلمته العربُ الأبياتُ من الشعر يُقدِّمُها الرجلُ أمام حاجته : فيستنزل بها الكريم ، ويستعطف بها اللئيم ^(٢) » . مع ما للشعر من عظيم المزية ، وشرف الآية ، وعز الأنفة ، وسلطان القدرة ، ووجدت الناس مختلفين فيه ، متخلفين عن كثير منه : يقدمون ويؤخرون ، ويقولون ويكثرون ، قد بوبوه أبواباً مبهمه ، ولقبوه ألقاباً متهمه ، وكل واحد منهم قد ضرب في جهة ، وانتحل مذهبا هو فيه إمام نفسه ، وشاهد دَعْوَاهُ ، فجمعت أحسن ما قاله كل واحدٍ منهم في كتابه ؛ ليكون (العمدة ، في محاسن الشعر وآدابه) ، إن شاء الله تعالى .

(١) قال ابن الأثير : « أى : إن من الشعر كلاماً نافعاً يمنع من الجهل والسمه وينبى عنهما ، قيل : أراد بها المواعظ والأمثال التي ينتفع بها الناس ، والحكم : العلم ، والفقه ، والقضاء بالعدل ، وهو مصدر حكم بحكم ، ويروى : إن من الشعر الحكمة ، وهى بمعنى الحكم » اهـ ، وانظر ص ٢٧ من هذا الجزء فقد فسر المؤلف .
(٢) في التونسية « فيستنزل بها اللئيم ، ويستعطف بها الكريم » .

وعولت في أكثره على قريحة نفسى ، ونتيجة خاطرى ؛ خَوَفَ التكرار ،
ورجاء الاختصار ، إلا ما تعلق بالخبر ، وَضَبَطَتْهُ الرواية ، فإنه لا سبيل إلى تغيير
شيء من لفظه ولا معناه ؛ ليؤتى بالأمر على وجهه ، فكل ما لم أُسْنِدْهُ إلى رجل
معروف باسمه ، ولا أَحَلَمْتُ فيه على كتاب بعينه ؛ فهو من ذلك ، إلا أن
يكون متداولاً بين العلماء ، لا يختص به واحد منهم دون الآخر ، وربما
نحلت أحد العرب ، وبعض أهل الأدب ، تستراً بينهم ، ووقوعاً دونهم ، بعد أن
قرنت كل شكل بشكله ، ورددت كل فرع إلى أصله ، وبينت للناشئ المبتدىء
وجه الصواب فيه ، وكشفت عنه لبس الارتياب به ، حتى أعرف باطله من
حقه ، وأميز كذبه من صدقه ، ولم أُسِمِ كتابى هذا باسم السيد — زاده الله
تعالى سُموّاً — لأكون كجالب التمر إلى هَجَرٍ^(١) ، ومهدى الوشى إلى عَدَنٍ^(٢) .
ولكن تزينا باسمه الشريف ، وذكره الطيب ، واستسلاماً بين يدى علمه الطائل
وأدبه الكامل :

إِنْ قَصَّرْتَ عَنْ غَرَضِ رَمِيَّةٍ أَوْ زَلَّ فِكْرُ أَوْبَا خَاطِرٍ
لَأَسْنِي فِيهِ عَلَى نِيَّةٍ يُخْبِرُ عَنْ بَاطِنِهَا الظَّاهِرُ

(١) هجر — بفتح الهاء والجيم جميعاً — بلدة باليمن ، ولفظه مذكر مصروف ،
وقد يؤنث ويمنع ، وقد يطلق هذا الاسم على جميع أرض البحرين ، وقال ابن
الأثير : بلد معروف بالبحرين ، وقال غيره : هى قصبة بلاد البحرين ، والمثل الذى
ذكره المؤلف مشهور ، وقد ذكره الجوهري بلفظ « كبضع التمر إلى هجر » ونحوه
فى المعنى قولهم « كجالب الدر إلى البحر » .

(٢) عدن : مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن ، وهى بلدة
تجارة ، وهى مرفأً مراكب الهند ، وهى أقدم أسواق العرب ، وإلى اليمن عامة
تنسب برود وحبر وأنواع من الوشى .

ولما عدلت بي الحال عن حضور مجلسه الباهر ، ومنعني الإجلال من
مناسبة خلقه الزاهر ، وطال اشتياقي إلى تلك الطلعة الكريمة ، واشتد حرصي
على تلك المشاهد العظيمة ، وعلمت أن لا بد لي منه ، ولا غنى لي عنه ، إلا ما
حجز دونه آفًا من خدمة مولانا — خلد الله ملكه — لما غمرني من فضله ،
وقيدني من إحسانه :

وَمَنْ وَجَدَ الْإِحْسَانَ قَيْدًا تَقَيَّدًا^(١)

نفضت جِرَابَ صدرى ، وانتقدت كنز معرفتى ، وأيقنت أن صورة
الإنسان ، فضلةٌ عن القلب واللسان^(٢) ، وأن استحقاقه للفضل ، إنما هو من
جهة النطق والعقل ، فثقلت له نفسى ، وأهديتها إليه ، ومثلت بها حقيقة بين
يديه ؛ إذ كانت الأنفاس منوطة بالأنفس ، والمرء لولاهما مَوَاتٌ مُلْتَقًى لا خير
فيه ، ولا نفع عنده ، وأيضاً فإن النفس تفوت الحس ، وإنما تُدْرَكُ بالبصائر
لا بالأبصار ، والسيد — أدام الله عزه — أعلم بمعذرتى ، وأقومُ بحجتي ،
من أن أعرض خزفي على جوهره ، أو أقيسَ وشلي بأبحره ، بل أستقيله
وأسترشده ، وأستغفبه وأستنجده ، ثم إنى لا أظهر حرفاً من كتابي هذا
إلا عن أمره وبعد إذنه ؛ لأكون به أقوى ثقة ، وله أشد مِقةً^(٣) ، فإن

(١) هذا عجز بيت لأبي الطيب المتنبي ، من قصيدة يمدح فيها سيف الدولة بن
حمدان ، وصدره :

* وَقَيَّدْتُ نَفْسِي فِي ذَرَاكَ مَحَبَّةً *

(٢) يشير بهذه العبارة إلى قول الشاعر :

لِسَانُ الْفَتَى نِصْفٌ ، وَنِصْفٌ فُؤَادُهُ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا صُورَةُ اللَّخِيمِ وَالْدَّمِ
(٣) المقة : الحب ، وفعله ومقه يمه بوزن وعده يعمده .

وقع منه بموقع ، وحل من قبوله في موضع ؛ بلغت الإرادات ، ورجوت الزيادات :

وَأَزْرَقُ الْفَجْرِ يَبْدُو قَبْلَ أَبْيَضِهِ وَأَوَّلُ الْغَيْثِ قَطْرُهُ ثُمَّ يَنْسَكِبُ

وإلا سترته سَتَرُ العورة ، وطرحته طرح القلامة ، لعل الله يحدث بعد ذلك .
أمراً ، أسأله حسن التوفيق والهداية ، وأرغب إليه في العصمة والكفاية ، بمنه وقدرته ، ولطفه ورحمته .

(١) - باب في فضل الشعر

العرب أفضل الأمم ، وحكمتها أشرف الحكم ؛ لفضل اللسان على اليد ، والبعد عن امتهان الجسد ؛ إذ خروج الحكمة عن الذات ، بمشاركة الآلات ؛ إذ لا بد للإنسان من أن يكون تَوَلَّى ذلك بنفسه ، أو احتاج فيه إلى آلة أو معين من جنسه .

وكلام العرب نوعان : منظوم له ومنثور . ولكل منهما ثلاث طبقات : جيدة ، ومتوسطة ، ورديئة ، فإذا اتفق الطبقتان في القدر، وتساوتا في القيمة، ولم يكن لإحدهما فضل على الأخرى - كان الحكم للشعر ظاهراً في التسمية ؛ لأن كل منظوم أحسن من كل منثور من جنسه في معترف العادة ، ألا ترى أن الدر - وهو أخو اللفظ ونسيبه ، وإليه يقاس ، وبه يُشَبَّه - إذا كان منشوراً لم يؤمن عليه ، ولم يُذْتَفَع به في الباب الذي له كسب ، ومن أجله انتخب ؛ وإن كان أعلى قدراً وأعلى ثمناً ، فإذا نظم كان أضْوَنَ له من الابتذال ، وأظهر لحسنه مع كثرة الاستعمال ، وكذلك اللفظ إذا كان منشوراً تبدد في الأسماع ، وتدحرج عن الطباع ، ولم تستقر منه إلا المفرطة في اللفظ وإن كانت ^(١) أجمله ، والواحدة من الألف ، وعسى أن لا تكون أفضله ، فإن كانت هي اليتيمة المعروفة ، والفريدة

(١) لعل الصواب « إن كانت أجمله » بدون واو .

الموصوفة ؛ فكم في سَقَط الشعر من أمثالها ونظرائها لا يُعْبَأُ به ، ولا يُنْظَرُ إليه ، فإذا أخذه سلك الوزن ، وعقد القافية ؛ تألفت أشتاتة ، وازدوجت فرائده وبناته ، واتخذته اللابس جمالا ، والمدخر مالا ، فصار قِرَاطَةَ الآذان ، وقلائد الأعناق ، وأمانى النفوس ، وأكاليل الرؤوس ، يقلب بالأسن ، ويُخْبَأُ في القلوب ، مصوناً باللب ، ممنوعاً من السرقة والفصب .

وقد اجتمع الناس على أن المنشور في كلامهم أكثر ، وأقل جيداً محفوظاً ، وأن الشعر أقل ، وأكثر جيداً محفوظاً ؛ لأن في أدناه من زينة الوزن والقافية ما يقارب به جيد المنشور

وكان الكلام كله منشوراً فاحتاجت العرب إلى الغناء بمكارم أخلاقها ، وطيب أغراضها ، وذكر أيامها الصالحة ، وأوطانها النازحة ، وفرسانها الأتجاد ، وسمحاتها الأجواد ؛ لتمز أنفسها إلى الكرم ، وتدل أبنائها على حسن الشيم فتوهوا أعاريض جعلوها موازين الكلام ، فلما تم لهم وزنه سموه شعراً ؛ لأهم شعروا به ، أى : فطنوا .

وقيل : ما تكلمت به العرب من جيد المنشور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون ؛ فلم يحفظ من المنشور عُشره ، ولا ضاع من الموزون عُشره .

ولعل بعض الكتاب المنتصرين للنثر ، الطاعنين على الشعر ، يحتج بأن القرآن كلام الله تعالى منشور ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم غير شاعر ؛ لقول الله تعالى : (وما علمناه الشعر ، وما ينبغي له) ويرى أنه قد أبلغ في الحاجة ، وبلغ في الحاجة ، والذي عليه في ذلك أكثر مما له ؛ لأن الله تعالى إنما بعث رسوله أمياً غير شاعر إلى قوم يعلمون منه حقيقة ذلك ، حين استوت الفصاحة ، واشتهرت البلاغة ؛ آيةً للنبوة ، وحجة على الخلق ، وإعجازاً للمتساطين ، وجعله منشوراً ليسكون أظهر برهاناً لفضله على الشعر الذي من عادة صاحبه أن يكون

قادراً على ما يحبه من الكلام ، وتحدّى جميع الناس من شاعر وغيره بعمل مثله فأعجزهم ذلك ، كما قال الله تعالى : (قل لئن اجتمعت الأنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً) فكما أن القرآن أعجز الشعراء وليس بشعر ، كذلك أعجز الخطباء وليس بخطبة ، والمترسلين وليس بترسل ، وإعجازه الشعراء أشدُّ برهاناً ، ألا ترى كيف نسبوا النبي صلى الله عليه وسلم إلى الشعر لما غلبوا وتبين عجزهم ؟ فقالوا : هو شاعر ، لما في قلوبهم من هيبة الشعر وفخامته ، وأنه يقع منه مالا يُدعى ، والمنثور ليس كذلك ، فمن ههنا قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَمَا عَلَّمَاهُ الشَّعْرَ ، وَمَا يَنْبَغِي لَهُ ﴾ أى : لتقوم عليكم الحجة ، ويصح قبلكم الدليل ، ويشهد لذلك رواية يونس عن الزهرى أنه قال : معناه ما الذى علمناه شعراً ، وما ينبغى له أن يبلغ عنا شعراً . وقال غيره : أراد وما ينبغى له أن يبلغ عنا ما لم نعلمه ، أى : ليس هو ممن يفعل ذلك ؛ لأمانته ومشهور صدقه . ولو أن كونَ النبي صلى الله عليه وسلم غيرَ شاعرٍ غَضَّ من الشعر لكانت أميته غَضاً من الكتابة ، وهذا أظهر من أن يخفى على أحد .

واحتج بعضهم بأن الشعراء أبدأ يخدمون الكتاب ، ولا تجد^(١) كاتباً يخدم شاعراً ، وقد عُيِّنَ عليهم الأنبياء ، وإنما ذلك لأنَّ الشاعر واثق بنفسه ، مُدِلٌّ بما عنده على الكاتب والمالك ؛ فهو يطلب ما فى أيديهما ويأخذه ، والكاتب بأى آية يُفْضَلُ^(٢) الشاعر فيرجو ما فى يده ؟ وإنما صناعته فضلة عن صناعته ، على أن يكون كاتب بلاغة ، فأما كاتب الخدمة فى القانون وما شاكله فصانع

(١) فى نسخة « يخدمون » .

(٢) فى نسخة « يقصد » .

مستأجرٌ ، مع أنه قد كان لأبي تمام والبحترى قهّارمة^(١) وكتاب ، وكان من
عميان الشعراء كتاب أزمة كبشار^(٢) وأبي على البصير ، وكان ابن الرومي من
أكبر كتاب الدواوين ، فغلب عليه الشعر ؛ لأنه غلاب . وكما تجد من يمدح السوق
في الشعراء فكذلك تجد للسوق كتاباً ، وللتجار الباعة ، في زمننا هذا وقبله .
ولم أهجم بهذا الرد ، وأورد هذه الحجة ، لولا أن السيد - أبقاه الله - قد
جمع النوعين ، وحاز الفضيلتين ، فهما نقطتان من بحره ، ونوّرأتان^(٣) من
زهرة ، وسيرد في أضعاف هذا الكتاب من أشعاره ما يكون دليلاً على صدق
ما قلته ، إن شاء الله تعالى .

ومن فضل الشعر أن الشاعر يخاطب الملك باسمه ، وينسبه إلى أمه ، ويخاطبه
بالكاف كما يخاطب أقلّ السوق ؛ فلا ينكر ذلك عليه ، بل يراه أوكد في
المدح ، وأعظم اشتهاً للممدوح ، كل ذلك حرص على الشعر ، ورغبة فيه ، ولبقائه
على مرّ الدهور واختلاف العصور ، والكاتب لا يفعل ذلك إلا أن يفعله منظوماً
غير منشور ، وهذه مزية ظاهرة وفضل بيّن

ومن فضائله أن الكذب - الذي اجتمع الناس على قبحه - حسن فيه ،
وحسبك ما حسن الكذب ، واغتفر له قبحه ، فقد أوعد رسول الله صلى الله
عليه وسلم كعب بن زهير لما أرسل إلى أخيه بجَيْرٍ ينهيه عن الإسلام ، وذكر
النبي صلى الله عليه وسلم بما أحفظه ، فأرسل إليه أخوه « ويحك ! إن النبي صلى الله

(١) قهّارمة : جمع قهرمان - بفتح القاف وسكون الهاء وفتح الراء - قال
في اللسان : هو كالحازن والوكيل الحافظ لما تحت يده والقائم بأموال الرجل ،
بلغه الفرس .

(٢) قال الجاحظ : « كان بشار خطيباً صاحب منشور ، ومزدوج ، وسجع ،
ورسائل ، وهو من المطبوعين ، أصحاب الإبداع والاختراع ، المتفنيين في الشعر ،
القائلين في أكثر أجناسه وضروبه » اهـ

(٣) واحدهما نواره - بضم النون ، وتشديد الواو - والجمع نوار مثل رمان

عليه وسلم أوعذك لما بلغه عنك ، وقد كان أوعد رجالاً بمكة من كان يهجوهم ويؤذيه فقتلهم - يعني ابن خَطَلٍ^(١) وابن حُبَابَةَ^(٢) - وإنَّ من بقي من شعراء قريش كابن الزُّبَيْرِ وهبيرة بن أبي وهب قد هربوا في كل وجه ، فإن كانت لك في نفسك حاجة فطِرْ^(٣) إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فإنه لا يقتل من جاء تائباً ، وإلا فأنجِ إلى نجاتك ؛ فإنه والله قاتلك ، فضاعت به الأرض ، فأنتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم متنكراً ، فلما صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الفجر وضع كعب يده في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : يا رسول الله ، إن كعب بن زهير قد أتى مستأمناً تائباً ، أفتؤمنه فأنتيك به ؟ قال : هو آمن ، فحسّر كعب عن وجهه وقال : بأبي أنت وأمي يا رسول الله [هذا] مكانُ العائذِ بك ، أنا كعب بن زهير ، فأمنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنشد كعب قصيدته التي أولها :

(١) ابن خطل - بفتح كل من الحاء والطاء - قيل : اسمه عبد الله بن خطل وقال الزبير بن بكار : اسمه آدم ، القرشي الأدمي ، وهو من ولد تميم بن غالب ، وقد كان النبی صلى الله عليه وسلم أهدر دمه لارتداده مشركاً ، وأنه كان بأمر قينتين له بأن تغنيا بهجاء الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد قتله أبو برزة الأسلمي يوم الفتح وهو متعلق بأستار الكعبة .

(٢) ابن حبابه - بضم الحاء المهملة - وكان في الأصول بضاد معجمة ، وفي سيرة ابن هشام بصاد مهملة ، والصواب ما أثبتناه ، وهو مقيس - بزنة منبر - أحد بني كلب بن عوف من الدليل ، وقد قتله نائلة بن عبد الله - وهو رجل من قومه - يوم فتح مكة ؛ لأنه كان قد قتل رجلاً من المسلمين ثم ارتد مشركاً ، فأهدر النبی دمه .

(٣) في نسخة « فصر » وهي رواية شرح قصيدة كعب لابن هشام ، ورواية السيرة كما أثبتنا :

بَانتُ سَعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتَّبِعُ مُتَمِّمٌ لِمَ يُفَدُّ مَكْبُولُ
يقول فيها بعد تغزله وذكر شدة خوفه ووجله :

أُنَبِّتُ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُولُ
مَهْلًا هَذَا الَّذِي أَعْطَاكَ نَافِلَةَ الْقُرْآنِ فِيهِ مَوَاعِظٌ وَتَفْصِيلُ
لَا تَأْخُذْنِي بِأَقْوَالِ الْوَشَاةِ فَلَمْ أَذْنِبْ ، وَلَوْ كَثُرَتْ فِي الْأَقَاوِيلِ
فَلَمْ يَنْكُرْ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْلَهُ ، وَمَا كَانَ لِيُوعِدَهُ عَلَى بَاطِلٍ ،
بَلْ تَجَاوَزَ عَنْهُ وَوَهَبَ لَهُ بُرْدَتَهُ ، فَاشْتَرَاهَا مِنْهُ مَعَاوِيَةُ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ . وَقَالَ
الْقَتَيْبِيُّ ^(١) بَعَشْرِينَ أَلْفًا ، وَهِيَ الَّتِي يَتَوَارَثُهَا الْخُلَفَاءُ يَلْبَسُونَهَا فِي الْجُمُعِ وَالْأَعْيَادِ
تَبَرُّكًا بِهَا .

وذكر جماعة - منهم عبد الكريم بن إبراهيم النهشلي الشاعر - أنه أعطاه
مع البردة مائة من الإبل ، قال : وقال الأحموص يَذْكُرُ عمر بن عبد العزيز عطية
رسول الله صلى الله عليه وسلم كعباً ، وقد توقف في عطاء الشعراء :
وَقَبْلَكَ مَا أُعْطِيَ هُنَيْدَةَ ^(٢) جَلَّةً عَلَى الشَّعْرِ كَعْبًا مِنْ سَدِيسٍ وَبَازِلِ
رَسُولِ الْإِلَهِ الْمُسْتَضَاءِ بِنُورِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالضُّحَى وَالْأَصَائِلِ
وَاعْتَذَرَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ مِنْ قَوْلِهِ فِي الْإِفْكَ بِقَوْلِهِ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي
أَيَّاتٍ مَدَحَهَا بِهَا :

حَصَّانُ رَزَانٌ مَا تُزَنُّ بِرَبِيبَةٍ وَتُصْبِحُ غَرَّتِي مِنْ لُحُومِ الْغَوَافِلِ
يقول فيها :

فَإِنْ كُنْتُ قَدْ قُلْتُ الَّذِي قَدْ زَعَمْتُ فَلَا رَفَعَتْ سَوْطِي إِلَى أَنَامِلِي
ثم يقول :

(١) في نسخة « القتيبي » .

(٢) هُنَيْدَةُ : اسم للمائة من الإبل ، ويقال « سديس » للناقة إذا كانت في
السنة الثامنة ، والبازل : فوق السديس .

فإن الذي قد قيل ليس بلائط^(١) ولكنه قول امرئ بن ماحل
فاعتذر كما تراه مغالطاً في شيء نفذ فيه حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالحدّ ، وزعم أن ذلك قول امرئ ماحل ، أي : مُكَايِد ، فلم يعاقب لما يرون
من استخفاف كذب الشاعر ، وأنه يحتج به ولا يحتج عليه .

وسئل أحد المتقدمين عن الشعراء فقال : ما ظنك بقوم الاقتصاد محمود إلا
منهم ، والكذب مدموم إلا فيهم .

حكى أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين النيسابوري أن كعب الأحبار قال له
عمر بن الخطاب وقد ذكر الشعر : يا كعب ، هل تجد للشعراء ذكراً في التوراة ؟
فقال كعب : أجد في التوراة قوماً من ولد إسماعيل ، أناجيلهم في صدورهم ينطقون
بالحكمة ، ويضربون الأمثال ، لا نعلمهم إلا العرب .

وقيل : ليس لأحد من الناس أن يُطرى نفسه ويمدحها ، في غير منافرة ،
إلا أن يكون شاعراً ، فإن ذلك جائز له في الشعر ، غير معيب عليه .

وقال بعضهم — وأظنه أبا العباس الناشئ — العلم عند الفلاسفة ثلاث
طبقات : أعلى ، وهو علم ما غاب عن الحواس فأدرك بالعقل أو القياس ، وأوسط ،
وهو علم الآداب النفيسة التي أظهرها العقل من الأشياء الطبيعية كالأعداد
والمساحات وصناعة التنجيم وصناعة اللحون ، وأسفل ، وهو العلم بالأشياء الجزئية
والأشخاص الجسمية ، فوجب — إذا كانت العلوم أفضلها ما لم تشارك فيه
الجسوم — أن يكون أفضل الصناعات ما لم تشارك فيه الآلات ، وإذا كانت

(١) في نسخة : ليس بمقولى ، وما أثبتناه هو رواية الديوان ، وقوله « ليس
بلائط » معناه : ليس بلازم ولا لاصق ، وتقول : هذا المقال لا يلوّط بهلان ، بمعنى
لا يلصق به ، والماحل : الذي يمشى بالنخيمة ويسعى إلى السلطان ، وتفسير المؤلف له
قريب من هذا .

اللحون عند الفلاسفة أعظم أركان العمل الذى هو أحد قسمى الفلسفة وجدنا الشعر أقدم من لحنه لا محالة ، فكان أعظم من الذى هو أعظم أركان الفلسفة ، والفلسفة عندهم علم وعمل . هذا معنى الكلام المنقول عنه مختصراً وليس نصاً .

فإن قيل فى الشعر : إنه سبب التكفف ، وأخذ الأعراض ، وما أشبه ذلك ؛ لم يلحقه من ذلك إلا ما يلحق المنشور .

ومن فضائله أن اليونانيين إنما كانت أشعارهم تقييد العلوم والأشياء النفيسة والطبيعية التى يخشى ذهابها ، فكيف ظنك بالعرب الذى هو فخرها العظيم وقسطاسها المستقيم ؟

وزعم صاحب الموسيقى أن ألد الملاذ كلها اللحن ، ونحن نعلم أن الأوزان قواعد الألحان ، والأشعار معايير الأوتار لا محالة ، مع أن صنعة صاحب الألحان واضحة من قدره ، مستخدمة له ، نازلة به ، مُسْقِطة لمروءته ، ورتبة الشاعر لا مهانة فيها عليه ، بل تكسبه مهابة العلم ، وتكسوه جلالة الحكمة .

فأما قيامه^(١) وجلس صاحب اللحن فلأن هذا متشوّف إليه ، يحب إسماع من بحضرته أجمعين ، بغير آلة ولا مُعِين ، ولا يمكنه ذلك إلا قائماً أو مشرفاً ، وليدل على نفسه ، ويُعلم أنه المتكلم دون غيره ، وكذلك الخطيب ، وصاحب اللحن لا يمكنه القيام لما فى حجره كرامة منه^(٢) على القوم ، على أن منهم من كان يقوم بالدف والمزهر .

(١) يريد أن الشاعر ينشد شعره وهو قائم ، وصاحب الألحان يطرب وهو جالس .

(٢) هكذا فى الأصول كلها ، ونعتقد أن الصواب « لا كرامة به على القوم » .

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن من البيان لسحراً ، وإن من الشعر لحكماً » وقيل « الحكمة » : فقرن البيان بالسحر فصاحبه منه صلى الله عليه وسلم ، وجعل من الشعر حُكماً ؛ لأن السحر يخيل للإنسان ما لم يكن للطافته وحيلة صاحبه ، وكذلك البيان يتصور فيه الحق بصورة الباطل ، والباطل بصورة الحق ؛ لرقعة معناه ، ولطف موقعه ، وأبلغ البيّانَيْن عند العلماء الشعر بلا مدافعة ، وقال^(١) رؤبة :

لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ تَكُونَ سَاحِرًا رَاوِيَةً مَرًّا وَمَرًّا شَاعِرًا
فقرن الشعر أيضاً بالسحر لتلك العلة ، ويروى أيضاً * لقد حسّنت * بسين
مضمومة غير معجمة ، ونون ، والتاء مفتوحة .

(٢) - باب في الرد على من يكره الشعر

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إنما الشعر كلامٌ مؤلفٌ فما وافق الحقّ منه^(٢) فهو حسن ، وما لم يوافق الحقّ منه فلا خير فيه » ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « إنما الشعر كلامٌ ، فمن الكلام خبيث وطيب » ، وقالت عائشة رضي الله عنها : الشعر فيه كلام حسن وقبيح ، فخذ الحسن واترك القبيح ، ويروى عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم بنى لحسان بن ثابت في المسجد منبراً ينشد عليه الشعر ، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أعلم منه ، وقال

(١) في ديوان أراجيز رؤبة أرجوزة طويلة على هذه القافية ليس فيها هذا البيت .

(٢) في المصريتين « عنه » وليس بشيء .

على بن أبي طالب رضى الله عنه : الشعر ميزان القول ، ورواه بعضهم : الشعر ميزان القوم .

وروى ابن عائشة يرفعه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الشعر كلام من كلام العرب جَزَلٌ ، تتكلم به في بواديها ، وتسُلُّ به الضغائن من بينها » وأنشد ابن عائشة قول أعشى بنى قيس بن ثعلبة :

قَلَّدْتُكَ الشُّعْرَ يَا سَلَامَةً ذَا فَايَشَ ، وَالشَّيْءُ حَيْثُ مَا جُعِلَ (١)
وَالشُّعْرُ يَسْتَنْزِلُ الْكَرِيمَ كَمَا يُنْزِلُ رَعْدُ السَّحَابَةِ السَّيْلَا

ويروى عن أسماء بنت أبي بكر رضى الله عنهما قالت : مرَّ الزبير بن العوام رضى الله عنه بمجلس لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، وحسان ينشدهم ، وهم غير آذنين (٢) لما يسمعون من شعره ، فقال : ما لي أراكم غير آذنين لما تسمعون من شعر ابن الفريعة ؟ لقد كان ينشد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحسن استماعه ، ويجزل عليه ثوابه ، ولا يشتغل عنه إذا أنشده .

ويروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه مر بحسان وهو ينشد الشعر في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : أرغلا كرغاء البكر ؟ فقال حسان : دعني عنك يا عمر ، فوالله إنك لتعلم لقد كنت أنشد في هذا المسجد مَنْ هو خير منك فما يغير على ذلك ، فقال عمر : صدقت .

وكتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى أبي موسى الأشعري : مَرَّ مِنْ قِبَلِكَ بتعلم الشعر ؛ فإنه يدل على معالى الأخلاق ، وصواب الرأى ، ومعرفة الأنساب .

(١) البيتان في ديوان الأعشى (ص ١٧٥) ويروى في البيت الأول « يا سلامة ذا الفضال » ويروى « يا سلامة ذا التقصار » وهى القلائد ، ويروى في الثانى « كما استنزل رعد » والسبل — بفتحيتين — المطربين السحاب والأرض .
(٢) غير آذنين : أى غير منصتين .

وقال معاوية رحمه الله : يجب على الرجل تأديب ولده ، والشعر أعلى مراتب الأدب .

وقال : اجعلوا الشعر أكبر همكم ، وأكثر دأبكم ، فلقد رأيتني ليلة الهريز بصفين — وقد أتيت بفرس أغرٍّ مُحَجَّلٍ بعيد البطن من الأرض ، وأنا أريد الهرب لشدة البلوى — فما حملني على الإقامة إلا أبيات عمرو بن الإطنابة :

أَبْتُ لِي هِمَّتِي وَأَبَى بِلَاؤِي وَأَخَذِي الْحَمْدَ بِالْثَمَنِ الرِّيحِ
وإِقْحَامِي عَلَى الْمَكْرُوهِ نَفْسِي وَصَرَبِي هَامَةَ الْبَطْلِ الْمَشِيحِ
وَقَوْلِي كَلِمَا جَسَّاتٌ وَجَاشَتْ : مَكَانَكَ تُحَمَّدِي أَوْ تَسْتَرْجِي
لَأُدْفَعَ عَنْ مَآثِرَ صَالِحَاتٍ وَأُخَيِّ بَعْدُ عَنْ عِرْضٍ صَحِيحِ

ويروى أن أعرابياً وقف على علي بن أبي طالب رضى الله عنه فقال : إن لي إليك حاجة رمتها إلى الله قبل أن أرفعها إليك ، فإن أنت قضيتها حمدتُ الله تعالى وشكرتك ، وإن لم تقضها حمدت الله تعالى وعذرتك ، فقال له عليٌّ : خُطُّ حاجتك في الأرض ، فإني أرى الضر عليك ، فكتب الأعرابي على الأرض « إني فقير » فقال علي : يا قنبر ؛ ادفع إليه حلتى الملاينة ، فلما أخذها مثل بين يديه فقال :

كسوتني حُلَّةً تَبْلَى مُحَاسِنُهَا فَسَوْفَ أَكْسُوكَ مِنْ حَسَنِ الثَّنَاحِلَا
إِنْ الثَّنَاءُ لِيَحْيِي ذَكَرَ صَاحِبِهِ كَالغَيْثِ يُحْيِي نَدَاهُ السَّهْلَ وَالْجَبَلَا
لَا تَزْهَدْ الدَّهْرَ فِي عُرْفٍ بَدَأَتْ بِهِ فَكُلُّ عَبْدٍ سَيُجْزَى بِالَّذِي فَعَلَا

فقال علي : يا قنبر ، أعطه خمسين ديناراً ، أما الحلة فله سألتك ، وأما الدنانير فلا أدبك ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أنزلوا الناس منازلهم »

وقيل لسعيد بن المسيب : إن قوماً بالعراق يكرهون الشعر ، فقال : نسكوا نسكاً أعجمياً

سعيد بن المسيب
يعيب من يكره
الشعر

رأى
ابن سيرين
في الشعر
وقال ابن سيرين : الشعر كلام عقد بالقوافي ، فما حسن في الكلام حسن
في الشعر ، وكذلك ما قبح منه .
وسئل في المسجد عن رواية الشعر في شهر رمضان - وقد قال قوم : إنها
تنقص الوضوء - فقال :

نُبِّئْتُ أَنْ فَتَاةً كُنْتُ أَخْطِبُهَا عُرُ قُوبُهَا مِثْلُ شَهْرِ الصَّوْمِ فِي الطَّوْلِ
ثُمَّ قَامَ فَأَمَّ النَّاسَ ، وَقِيلَ : بَلْ أَنْشُدْ :
لَقَدْ أَصْبَحَتْ عِرْسُ^(١) الْفَرَزْدَقِ نَاشِزًا

وَلَوْ رَضِيَتْ رُمَحَ أَسْتَه لَا سَمَقَتْ

العمرى يحض
على رواية
الشعر
وقال الزبير بن بكار : سمعت العمرى يقول : رَوْوَا أَوْلَادَكُمْ الشَّعْرَ ؛ فَإِنَّهُ
يَحُلُّ عُقْدَةَ اللِّسَانِ ، وَيَشْجَعُ قَلْبَ الْجَبَانِ ، وَيَطْلُقُ يَدَ الْبَخِيلِ ، وَيَحْضُ عَلَى
الْخَلْقِ الْجَمِيلِ .

ابن عباس
يسخر بمن
يكبره الشعر
وسئل ابن عباس : هل الشعر من رفث القول ؟ فأشدد :
وَهُنَّ يَمْشِينَ بِنَا كَهَيْسَا إِنْ تَصْدُقِ الطَّيْرُ نَنْكِتُ لَيْسَا
وقال : إنما الرفث عند النساء ، ثم أحرم للصلاة .

وكان ابن عباس يقول : إذا قرأتم شيئا من كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه
في أشعار العرب ؛ فإن الشعر ديوان العرب . وكان إذا سئل عن شيء من القرآن
أشد فيه شعرا .

عائشة
كثيرة الرواية
للشعر
وكانت عائشة رضي الله عنها كثيرة الرواية للشعر . يقال : إنها كانت
تروى جميع شعر لبيد .

ودروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا تدع العرب الشعر حتى
تدع الأبل الحنين » .

(١) عرس الرجل - بكسر العين وسكون الراء - زوجه .

وكان أبو السائب الخزومي - على شرفه ، وجلالته ، وفضله في الدين والعلم - أبو السائب الخزومي وجهه يقول : أما والله لو كان الشعر مُحَرَّمًا لوردنا الرحبة كل يوم مراراً . والرحبة : الشعر الموضع الذي تقام فيه الحدود ، يريد أنه لا يستطيع الصبر عنه فيُحَدِّد في كل يوم مراراً ولا يتركه .

فأما احتجاج مَنْ لا يفهم وجه الكلام بقوله تعالى : (والشعراء يتبعهم الغاؤون ، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون مالا يفعلون) فهو غلط ، وسوءُ تأول ؛ لأن المقصودين بهذا النص شعراءُ المشركين الذين تناولوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجاء ، ومُسُوهُ بالأذى ، فأما مَنْ سواهم من المؤمنين فغير داخل في شيء من ذلك ، ألا تسمع كيف استثناهم الله عز وجل ونبيه عليهم فقال : (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا) يريد شعراء النبي صلى الله عليه وسلم الذين ينتصرون له ، ويجيبون المشركين عنه ، كحسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رَوَاحَة . وقد قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم : « هؤلاء النفر أشد على قريش من نَضْحِ^(١) النبل » ، وقال لحسان بن ثابت « أَهْجُهُمْ - يعني قريشا - فوالله لهجأوك عليهم أشد من وقع السهام ، في غَلَسِ الظلام ، أَهْجُهُمْ ومعك جبريل روح القدس ، وألق أبا بكر يعلمك تلك أهْجَات » فلو أن الشعر حرام أو مكروه ما اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم شعراء يثيبهم على الشعر ، ويأمرهم بعمله ، ويسمعه منهم .

وأما قوله عليه الصلاة والسلام : « لأن يمتلىء جَوْفُ أَحَدِكُمْ قَتِيحاً^(٢) حتى

(١) نضح النبل : الرمي بها .

(٢) القتيح : المدة ، وقد قاحت القرحة ، وتقيحت . وقال الجوهري : وري القتيح جوفه يريه ، أكله ، وقال قوم : معناه أصاب رئته ، وأنكره آخرون ؛ لأن الرئة مهموزة فإذا بنيت منها فعلا قلت : رآه .

يَرِيَهُ خَيْرَ لَهُ مِنْ أَنْ يَمْتَلِئَ شِعْرًا « فَإِنَّمَا هُوَ مَنْ غَلِبَ الشَّعْرُ عَلَى قَلْبِهِ ، وَمَلَكَ نَفْسَهُ حَتَّى شَغَلَهُ عَنْ دِينِهِ وَإِقَامَةِ فَرُوضِهِ ، وَمَنْعَهُ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ ، وَالشَّعْرِ وَغَيْرِهِ - بِمَا جَرَى فِي هَذِهِ الْمَجْرَى مِنْ شَطَرِنَجٍ وَغَيْرِهِ - سَوَاءٌ . وَأَمَّا غَيْرُ ذَلِكَ مِمَّنْ يَتَّخِذُ الشَّعْرَ أَدَبًا وَفِكَاهَةً وَإِقَامَةً مَرُوءَةً فَلَا جَنَاحَ عَلَيْهِ وَقَدْ قَالَ الشَّعْرُ كَثِيرٌ مِنَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ ، وَالْجُلَّةِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ ، وَالْفُقَهَاءِ الْمَشْهُورِينَ ، وَسَاءَ ذَكَرَ مِنْ ذَلِكَ طَرَفًا يَقْتَدِي بِهِ فِي هَذَا الْبَابِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(٣) - باب في أشعار الخلفاء والقضاة والفقهاء

من ذلك قول أبي بكر الصديق^(١) رضى الله عنه - قالوا : واسمه عبد الله ابن عثمان ، ويقال : عتيق لقب له - قال في غزوة عبيدة بن الحارث ، رواه ابن إسحاق وغيره :

شعر ينسب
لأبي بكر
الصديق

أَمِنْ طَيْفٍ سَلِمَى بِالْبَطَاحِ الدَّمَائِثِ أَرَقْتُ ، أَوْ أَمْرٍ فِي الْعَشِيرَةِ حَادِثٍ ؟؟
تَرَى مِنْ لَوْى فِرْقَةٍ لَا يَصُدُّهَا عَنْ الْكُفْرِ تَذَكِيرٌ وَلَا بَعَثُ بَاعَثَ
رَسُولٌ أَتَاهُمْ صَادِقٌ فَتَكْذُبُوا عَلَيْهِ ، وَقَالُوا : لَسْتَ فِينَا بِمَآكٍ
إِذَا مَا دَعَوْنَاهُمْ إِلَى الْحَقِّ أَدْبَرُوا وَهَرُّوا هَرِيرَ الْمُجَنَّرَاتِ^(٢) اللَّوَاهِثِ

(١) قال ابن هشام : « وَأَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالشَّعْرِ يَنْكُرُ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ لِأَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ » اهـ وقال السهيلي : « وَيَشْهَدُ لَصِحَّةِ مَنْ أَنْكَرَ أَنْ تَكُونَ لَهُ مَارَوْى عَبْدِ الرَّزَاقِ عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : كَذَبَ مَنْ أَخْبَرَكَمُ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ قَالَ بَيْتَ شَعْرٍ فِي الْإِسْلَامِ » اهـ

(٢) كان في الأصول المطبوعة « المجنرات » بتقديم المهملة ، والتصويب عن سيرة ابن هشام (ج ٢ ص ٣ بولاق) وعن الروض الأنف (ج ٢ ص ٥٥)

فَكَمْ قَدْ مَتَّعْنَا^(١) فِيهِمْ بِقِرَابَةٍ
فَإِنْ يَرْجِعُوا عَنْ كُفْرِهِمْ وَعَقُوقِهِمْ
وَأِنْ يَرْكَبُوا طُغْيَانَهُمْ وَضَلَالَهُمْ
وَنَحْنُ أَهْلُ أَنْاسٍ مِنْ ذُؤَابَةٍ غَالِبٍ
فَأُولَى بَرِّ الرَّاغِصَاتِ عَشِيَّةً
كَأَدَمِ ظِلَاءٍ حَوْلَ مَكَّةَ عُكْفٍ
لَنْ لَمْ يَفِيقُوا عَاجِلًا مِنْ ضَلَالِهِمْ
لَتَبْتَدِرْ رَنَّهُمْ غَارَةٌ ذَاتُ مُصَدِّقٍ
تَغَادِرُ قَتْلَى تَعْصِبُ الطَّيْرُ حَوْلَهُمْ
فَأَبْلَغُ بَنِي سَهْمٍ لَدَيْكَ رِسَالَةٌ
فَإِنْ تَشْعُو أَرْضِي عَلَى سُوءِ رَأْيِهِمْ
وَتَرْكُ التَّقَى شَيْءٌ لَمْ غَيْرُ كَارِثٍ
فَمَا طَيِّبَاتُ الْحُلِّ مِثْلَ الْخَبَائِثِ
فَلَيْسَ عَذَابُ اللَّهِ عَنْهُمْ بِلَا بَثٍ
لَنَا الْعَزُّ مِنْهَا فِي الْفُرُوعِ الْأَثَائِثِ^(٢)
حَرَّاجِيحٍ تَخْدِي فِي السَّرِيحِ الرِّثَائِثِ
يَرْدُنَ حِيَاضَ الْبَثْرِ ذَاتِ النَّبَائِثِ
وَلَسْتُ إِذَا آلَيْتُ قَوْلًا بِجَانِثٍ
تُحَرِّمُ أَطْهَارَ النِّسَاءِ الطَّوَامِثِ
وَلَا يَرَأْفُ الْكِمَارُ أَفْ بِنِ حَارِثٍ
وَكُلُّ كُفُورٍ يَبْتَغِي الشَّرَّ بَاحِثٍ^(٣)
فَإِنِّي مِنْ أَعْرَاضِهِمْ غَيْرُ شَاعِثٍ^(٤)

ومن شعر عمر بن الخطاب رضي الله عنه - وكان من أنقذ أهل رمانه للشعر
وأفذههم فيه معرفة - ويروى للأعور الشنّي :

هُوَ عَلَىكَ فَإِنَّ الْأُمُورَ بِكَفِّ الْإِلَهِ مُقَادِيرُهَا
فَلَيْسَ بِأَنْيَسَ مِنْهَا وَلَا قَاصِرٌ عَنْكَ مَأْمُورُهَا

ومن شعره أيضا - وقد لبس برداً جديداً فنظر الناس إليه - وقد روى
لورقة بن نوفل في أبيات :

(١) في المطبوعتين « مثاناً » وهو خطأ ، والتصويب عن السيرة في المكان السابق

(٢) في المطبوعتين « اللثائث » وهو خطأ .

(٣) في المطبوعتين « ماجث » ،

(٤) رواية هذا البيت في السيرة :

فإن تشعشعوا عرضي على سوء رأيكم فإنني من أعراضكم غير شاعث

(٣ - الممددة ١)

لا شيء مما ترى تبقى بشاشته
لم تغن عن هُرمز يوماً خزائنه
ولا سليمان ؛ إذ تجرى الرياح له
حوض هنالك مورودٌ بلا كذبٍ
ومن شعره أيضاً رضى الله عنه :

توعّدني كعبٌ ثلاثاً بمسدها
وما بيّ خوف الموت ؛ إني لميتٌ
ولا شك أن القول ماقال لي كعبٌ
ولكن خوف الذنب يتبعه الذنبُ

ومن شعر عثمان بن عفان رضى الله عنه :

غنى النفس يغنى النفس حتى يكفها
وما عُسرة - فاصبر لها إن لقيتها -
وإن عَضَّها حتى يضربها الفقرُ
بكائنة إلا سيتبعها يُسرُ

ومن شعر علي بن أبي طالب رضى الله عنه - وكان مجوداً - ماقاله يوم صفين

يذكر همدان ونصرهم إياه :

ولما رأيتُ الخيلَ ترجمُ بالقنا
وأعرضَ نفعُ في السماء كأنه
ونادى ابنُ هند في الكلاع وحير
تيممت همدان الذين همُّ همُّ
فجاوبني من خيل همدان عصبه
فخاضوا لظآها واستطاروا شرارها
فلو كنت بواباً على باب جنةٍ
وهو القاتل بصفين أيضاً :

لمن راية حمراء^(١) يخفق ظلها
إذا قلتُ قدّمها حُصَيْنُ تقدما

من شعر ينسب
لعثمان بن عفان

من شعر
علي بن أبي طالب

فيوردها في الصف حتى يَرِدَ بها حياض المنايا تقطر الموت والدماء
فهؤلاء الخلفاء الأربعة رضوان الله عليهم : مامنهم إلا من قال الشر ،
من شعر
للحسن بن علي وخامسهم الحسن بن علي رحمه الله ، وهو القائل - وقد خرج على أصحابه مختضباً -
رواه المبرد :

نسودّ أعلاها ، وتأبى أصولها ، فليت الذي يسودّ منها هو الأصل^(١)
ومن شعر معاوية بن أبي سفيان رحمة الله عليه ما رواه ابن السكبي عن من شعر لمعاوية
عبد الرحمن المدني ، قال : لما حضرت معاوية الوفاة جمل يقول :
إن تناقش يكن نقاشك يار ب عذاباً ، لا طوق لي بالعذاب^(٢)
أو تجاوز فانت رب روف عن مسمى ذنوبه كالثراب
وروى في غير موضع واحد :

فقدت سفاقتي ، وأرخت غيبي وفي على تحلمي اغراض
على أن أجيب إذا دعتني إلى حاجاتها الخلق المراض
ومن قوله أيضاً ، وهو لائق به ، دال على صحة ناقله :

إذا لم أجذب بالحلم مني عليكم فمن ذا الذي بعدى يؤمل بالحلم ؟
خذيها هنيئاً واذكري فعل ماجد حباك على حرب العداوة بالسلم
وأما يزيد بن معاوية فمن بعده فبكثير شعرهم مشهور .

ومن شعر الحسين بن علي رضي الله عنهما ، وقد عاتبه أخوه الحسن رحمه الله
من شعر الحسين بن علي في امرأته :

لعمرك إنني لأحب داراً تحل بها سكينة والرباب

(١) يريد أنه يسود أطراف شعره والظاهر منه بالختاب ، ولكن جنود الشعر
تأبى إلا البقاء على الشيب ١١ .
(٢) لا طوق لي : أي لا طاقة لي ، يريد أنه لا يحتمله .

أخيهما وأبذل جلّ مالى وليس للأنمى عندى عتاب

وليس من بنى عبد المطلب رجالا ونساء من لم يقل الشعر ، حاشا النبي صلى الله عليه وسلم : فن ذلك قول حمزة بن عبد المطلب رحمه الله يذكر لقاءه أبا جهل وأصحابه فى قصيدة تركت أكثرها اختصاراً :

عشية صاروا جاشدين وكلنا	مراجله من غيظ أصحابه تغلي	من شعر حمزة ابن عبدالمطلب
فما تراءينا أناخوا فقلوا	مطايا وعقلنا مدى غرض النبل	
وقلنا لهم: حبل الإله نصيرنا	وما لكم إلا الضلالة من حبل	
فتار أبوجهل هنالك باغياً	فخاب ، وردّ الله كيد أبى جهل	
وما نحن إلا فى ثلاثين راكباً	وهم مائتان بعد واحدة فضل	

وأما العباس فكان شاعراً مقلداً حسن التّهدى : من ذلك قوله رحمه الله
يوم حنين يفتخر بثبوته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم :
من شعر
العباس بن
عبد المطلب

ألا هل أتى عرسى مكرّى وموقنى	بوادى حنين والأسنة تُشرع
وقولى إذا ما النفس جاشت لهاقدى	وهام تدهدى والسواعد تقطع
وكيف رددت الخيل وهى مغيرة	بزوراء تعطى باليدى وتمنع
نصرنا رسول الله فى الحرب سبعة ^(١)	وقد فرّ من قد فر عنه فأقشعوا

ومن شعر عبد الله بن عباس رضى الله عنه :

(١) أثبت التاريخ أن المسلمين فى غزوة حنين لما انهزموا أمام هوازن وثقيف ومن لف لفهم من الأعراب ، بقى مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثمانية رجال ، هم : أبوبكر ، وعمر ، وعلى ، والعباس ، والفضل بن العباس ، وأبوسفيان ابن الحارث ، وأخوه ربيعة بن الحارث ، ومعتب بن أبى لهب ، وكان رسول الله أركبه بغلته ، والعباس أخذ بلجامها ؛ وأبوسفيان أخذ بالركاب .

من شعر
عبد الله
ابن العباس

إذا طارقات الهم ضاجعتِ الفتى وأعمل فسكر الليل والليل عاكر
وباكرني في حاجة لم يجد بها سوى ولا من نكبة الدهر ناصر
فرجبتُ بمالي همة من مقامه وزايله هم طروق مسامر
وكان له فضل على بظنه بى الخير؛ إني للذى ظن شاكر

ومن شعر جعفر بن أبي طالب ذى الجناحين رضى الله عنه قوله يوم مؤتة وفيه
بن أبي طالب قتل رحمة الله عليه :

يا حبذا الجنة واقتربها طيبة وبارد شرابها

والروم روم قد دنا عذابها على إذ لا قيتها ضرابها

وشعر أبي سفيان بن الحارث مشهور في الجاهلية والإسلام . فأما أبو طالب

ومن شاكره فلم أذكر لهم شيئاً ، خلا بيتين لعبد الله بن عبد المطلب أنشدهما من شعر عبد الله
بن عبد المطلب القاضي أبو الفضل ، وهما :

وأحور مخضوب البنان محجب دعاني فلم أعرف إلى ما دعا وجهاً^(١)

بخلت بنفسى عن مقام يشينها فلست مريداً ذاك طوعاً ولا كرهاً

وكانت فاطمة رضى الله عنها تقول الشعر ، رويت لها أشياء كثيرة .

ثم نرجع إلى الخلفاء المرضيين : قال عمر بن عبد العزيز ، رواه الأوزاعي عن من شعر عمر
بن عبد العزيز محمد بن كعب :

أيقظان أنت اليوم أم أنت حالم؟ وكيف يطيق النوم حيران هائم؟

فلو كنت يقظان الغداة لحرقت جفونا لعينيك الدموع السواجم

نهارك يامرور سهو وغفلة وليك نوم ، والردى لك لازم

وتشغل فيما سوف تكره عتبه كذلك في الدنيا تعيش البهائم

ومما أثبتته حماد الراوية من شعره :

(١) الأحور : الذى فى عينه الحور ، وهو شدة بياض بياض العين مع شدة

سواد سوادها ، وأراد امرأة ، ولكنه ذكر لكونه قصد شخصاً .

إِنَّهُ الْقَوَادُ عَنِ الصَّبَا وَعَنِ اتَّقِيَادِكَ لِلْهُوَى^(١)
 فَلَعَمْرُرَبِّكَ إِنَّ فِي شَيْبِ الْمَفَارِقِ وَالْجَلَا
 لَكَ وَاعْظَاكَ لَوْ كُنْتَ تَتَّعِظُ اتَعَظَ ذَوَى النَّهْيِ
 حَتَّى مَتَى لَا تَرْعَوِي ؟ وَإِلَى مَتَى ؟ وَإِلَى مَتَى ؟
 بَلَى الشَّبَابُ وَأَنْتِ إِنْ عُمِّرْتَ رَهْنٌ لِلْبَلَى
 وَكَفَى بِذَلِكَ زَاجِرًا لِلْعُرَى عَنِ غَيٍّ ، كَفَى

ومن شعره أيضاً أنشده ابن داود القياسي في كتابه :

وَلَوْلَا النَّهْيُ ثُمَّ التَّقَى خَشِيَةَ الرَّدَى لَعَاصَيْتُ فِي حُبِّ الصَّبَا كُلَّ زَاجِرٍ
 صَبَاً مَا صَبَاً فِيمَا مَضَى ثُمَّ لَا تُرَى لَهُ صَبَوَةٌ أُخْرَى اللَّيَالِي الْغَوَابِرِ

ومن قول عبد الله بن الزبير قوله - وقد ولي الحرمين مدة ، ودعى بأمر
 المؤمنين ما شاء الله حتى قتل ، رحمة الله عليه - وقد روى لعبد الله بن الزبير -
 بفتح الزاي وكسر الباء - :

من شعر
عبد الله
ابن الزبير

لَا أَحْسَبُ الشَّرَّ جَارًا لَا يَفَارِقُنِي وَلَا أَحْزُ عَلَى مَا فَاتَنِي الْوَدَجَا
 وَمَا لَقِيتُ مِنَ الْمَكْرُوهِ مَنْزِلَةً إِلَّا وَثِقْتُ بِأَنْ أَلْقَى لَهَا فَرَجَا
 ومن قوله المشهور عنه :

وَكَمْ مِنْ عَدُوٍّ قَدْ أَرَادَ مَسَاءَتِي بَغِيْبٍ ، وَلَوْ لَاقَيْتُهُ لَتَنَدَمَا
 كَثِيرٍ أَلْحَنَّا حَتَّى إِذَا مَا لَقَيْتُهُ أَصْرًا عَلَى إِيْمٍ وَإِنْ كَانَ أَقْسَمَا

وحسبك من القضاة شريح بن الحارث : كان شاعراً مجوداً ، وقد استقضاة
 عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، كتب إلى مؤدب ولده - وقد وجده وقت

(١) في المطبوعتين «وعن اتقياده» ويلزمه سكون الهاء - وهي ضمير الغائب -
 في غير وقف ، وليس بشيء ، والأفضل ما أثبتناه .

الصلاة يلعب بجرو كلب ، وأودع الأبيات رقمةً وأنفذها مع ولده مختومة
إلى المؤدب - :
من شعر
القاضي شريح

ترك الصلاة لأكلبٍ يسعى بها طلب الهراش مع الفؤاة الرّجس
فليأتينك غدوةً بصـحيفة كتبت له كصـحيفة المتلمس
فإذا هممت بضربه فبـذرّة وإذا بلغت به ثلاثاً فاحبس
واعلم بأنك ما أتيت فنفسه مع ما يُجرّ عني - أعزُّ الأنفس

فهذا شريح ، وهلم جرا إلى حيث شئت ، ومن الفقهاء عبيد الله بن عبد الله
ابن عتبة بن مسعود ، قال في امرأة من هذيل قدمت المدينة ففتن بها الناس
ورغبوا فيها خاطبين :
من شعر
الفقيه العتيبي

أحبك حباً لو علمت ببعضه لجدت ولم يصعب عليك شديد
وحبك يا أمّ الوليد مؤلّهي شهيدى أبو بكر فنعم شهيد
ويعلم وجدى قاسم بن محمد وعروة ما أخفى بكم وسعيد
ويعلم ما ألقى سليمان علمه وخارجة يبدى بنا ويعيد
متى تسألى عما أقول تخبرى فله عندى طارف وتليد

هؤلاء الستة الذين ذكرهم : أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ،
وقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، وعروة بن الزبير بن العوام ، وسعيد بن
المسيب ، وسليمان بن يسار ، وخارجة بن زيد بن ثابت ، وعبيد الله صاحب
هذا الشعر هو سابعهم ، وهم فقهاء المدينة ، وأصحاب الراى الذين هم
عليهم المدار .

وقد كان جماعة من أصحاب مالك بن أنس يرون الغناء بغير آلة جائزاً ،
وهو مذهب جماعة من أهل مكة والمدينة ، والغناء حلة الشعر إن لم يلبسها طويّت ،
ومحال أن يحرم الشعر من يجل الغناء به .

من شعر الإمام الشافعي
وأما محمد بن إدريس الشافعي فكان من أحسن الناس افتناناً في الشعر ،
وهو القائل :

ومُتَعَبِ العيس مرتاحاً إلى بلدٍ والموتُ يطلبُهُ في ذلك البلدِ
وضاحكٍ والمنايا فوقَ مفرقه لو كان يعلم غيباً مات من كمدِ
من كان لم يؤتَ علماً في بقاء غدٍ ماذا تَفَكَّرُهُ في رزقٍ بعد غدٍ

ومن قوله أيضاً في غير هذا المعنى :

الجدُّ يدني كلَّ شيءٍ شاسعٍ والجدُّ يفتح كلَّ بابٍ مغلقٍ
فإذا سمعتَ بأن مجدوداً حوى عُوداً فأورقَ في يديه فصَدَّقِ
وإذا سمعتَ بأن محروماً أتى ماءً ليشربه فجفَّ فحقَّقِ
وأحقُّ خلق الله بالهمِّ امرؤ ذوهمةٌ يُنبئُ برزقٍ ضيقِ
ولربما عَرَضَتْ لِنَفْسِي فِكْرَةٌ فأودُّ منهم — أأنى لم أخلقِ

وهذا باب لو تقصيته لاحتل كتاباً مفرداً ، ولكني طبقت الفصل ، وذكرت
بعض المشاهير من الناس .

(٤) — باب من رفعه الشعر ، ومن وضعه

الشعر يرفع ويضع
إنما قيل في الشعر « إنه يرفع من قدر الوضع الجاهل ، مثل ما يضع من قدر
الشريف الكامل ، وإنه أسنى مروءة الدني ، وأدنى مروءة السرى » لأمر
ظاهر غاب عن بعض الناس فتأوله أشد التأويل ، وظنه مثلبة وهو منقبة ،
وذلك أن الشعر لجلالته يرفع من قدر الخامل إذا مدح به ، مثل ما يضع من
قدر الشريف إذا اتخذه مكسباً ، كالذي يؤثرُ من سقوط النابغة الذبياني
بامتداحه النعمان بن المنذر ، وتكسبه عنده بالشعر ، وقد كان أشرف بني ذبيان ،

هذا ، وإنما امتدح قاهر العرب ، وصاحب البؤس والنعيم^(١) .. وكاشتهار عرابة الأوسى بشعر الشماخ بن ضرار ، وقد بذل له في سنة شديدة وشق بغير تمرأ ، فقال :

رَأَيْتُ عَرَابَةَ الْأَوْسِيِّ يَسْمُو إِلَى الْخَيْرَاتِ مَنْقَطَحَ الْقَرِينِ
إِذَا مَارَايَةَ رَفَعْتَ لِمَجْدٍ تَلَقَّاهَا عَرَابَةٌ بِالْيَمِينِ

حتى صار ذلك مثلاً سائراً ، وأُتِرَ باقياً ، لا تَبْلَى جِدَّتُهُ ، ولا تتغير بهجته ، وقدح ذلك في مروءة الشماخ ، وحط من قدره ؛ لسقوط همته عن درجة مثله من أهل البيوتات وذوى الأقدار .

فأما من صنع الشعر فصاحةً وَلَسْنَا ، وافتخاراً بنفسه وحسبه ، وتخليداً لما أثر قومه ، ولم يصنعه رغبة ولا رهبة ، ولا مدحاً ولا هجاءً ، كما قال واحدٌ دهرنا وسيد كتاب عصرنا أبو الحسن أحسن الله إليه وإلينا فيه :

وَجَدْتُ طَرِيقَ الْبَأْسِ أَسْهَلَ مَسْلَكاً وَأُخْرَى بَنْجَحَ مِنْ طَرِيقِ الْمَطَامِعِ
فَلَسْتُ بِمُطَرٍّ مَا حَيَّتْ أَخَا نَدَى وَلَا أَنَا فِي عَرْضِ الْبُخَيْلِ بِوَاقِعِ
فَلَا نَقْصَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ ، بَلْ هُوَ زَائِدٌ فِي أدبه ، وشهادةً بفضله ، كما أنه نباهة في ذكر الخامل ، ورفع لقدر الساقط ، وإنما فضل امرؤ القيس - وهو مَنْ هو - لما صنع بطبعه ، وعلا بسجيته ، عن غير طمع ولا جزع .

حكى عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال : لو أن الشعراء المتقدمين رأى لعلى فى امرئ القيس ضمهم زمان واحد ونصبت لهم راية فجزوا معاً علمنا من السابق منهم ، وإذ لم

(١) فى ظاهر العبارة أن المؤلف يعتبر ممدوح النابغة صاحب يومى البؤس والنعيم ، وهذا باطل ؛ فإن ممدوح النابغة هو النعمان بن المنذر ؛ وصاحب اليومين هو المنذر بن ماء السماء .

يكن فالذى لم يقل لرغبة ولا لرهبة ، فقيل : ومن هو ؟ فقال : الكندي ، قيل : ولم ؟ قال : لأنى رأيتهم أحسنهم نادرة ، وأسبقهم بادرة .

وقال على بن الجهم فى مدح المتوكل :

وما الشعرُ مما أسْتَظَلُّ بظله ولا زادنى قدراً ، ولا حطَّ من قدرى
ثم قال :

على بن الجهم
يصف ما دعاه
لقول الشعر

ولكن "إحسان الخليفة جعفر" دعانى إلى ما قلتُ فيه من الشعر
فذكر أنه لا يستظل بظل الشعر ، أى : لا يتكسب به ، وأنه لم يزدده قدراً
لأنه كان نايبة الذكر قبل عمل الشعر ، ثم قال * ولا حط من قدرى *
فأحسن الاعتذار لنفسه وللشعر ، يقول : ليس الشعر ضعة فى نفسه ، ولا
صنعتة فيمن دون الخليفة ، وما كفاه ذلك حتى جعل نفسه بإزاء الخليفة ، بل
مكافئاً له بشعره على إحسان بدأه الخليفة به ، ولم يرض أن يجعل نفسه راغباً
ولا مجتدياً .

أبو تمام يقول : وقال الطائي^(١) فى هذا المعنى لمحمد بن عبد الملك الزيات ، على ما كان فيه
فى المعنى من السكبر والإعجاب ، وهو حينئذ الوزير الأكبر :

لقد زدت أوضاحى امتداداً ، ولم أكن بهيماً ولا أرضى من الأرض بجَهْلًا
ولكن أياي صَادَفْتَنِي جِسَامُهَا أَغْرَ قَوَّافَتِي^(٢) أَغْرَ مَحْجَلًا
فطمح بنفسه إلى حيث ترى ، وجعل الغرة من كسبه - وهى فى الوجه
مشهورة - والتحجيل من زيادات المدوح ، وهو فى القوائم .

وقد سبق إلى هذا المعنى أبو نخيلة السعدي فقال يمدح مسleme بن
عبد الملك :

أبو نخيلة
السابق إلى
ذلك

(١) هراوى تمام حبيب بن أوس ، وانظر ديوانه (ص ٢٥٢)

(٢) فى الأصل « فوفت فى » وهو خطأ ، وفى الديوان « فألفت بي » .

وأحييت من ذكرى ، وما كان خاملاً ولكن بعض الذكر أنبّه من بعض
وقد حكى أن امرأ القيس نفّاه أبوه لما قال الشعر ، وغفل أكثر الناس عن
السبب ، وذلك أنه كان خليعاً ، متهتكاً ، شَبَّ بنساء أبيه ، وبدأ بهذا الشر
العظيم ، واشتغل بالخر والزنا عن الملك والرياسة ، فكان إليه من أبيه ما كان ، ليس
من جهة الشعر ، لكن من جهة الفى والبطالة ؛ فهذه العلة ، وقد جازت كثيراً
من الناس ومرت عليهم صَفْحاً^(١) .

وأما تفسير القول الآخر فى السرى والذى ؛ فإنه إذا بلغت بالذى نفسه ،
وطمحت به همته إلى أن يصنع الشعر - الذى هو أخو الأدب ، وتجارة العرب ،
تُكَافَأُ به الأيادى ، ويُحَلُّ به صدر النادى ، ويرفع صوته على من فوقه ، ويزيده
فى القدر على ما استحقه - فقد صار سرياً ، على أنه القائل ، فإن كان القول له
فذلك أعظم مزية ، وأشرف خطة ومنزلة ، وإذا انحطت بالسرى همته ، وقصرت
مروءته ، إلى أن يصنع الشعر ليتكسب به المال ويكافئ به الأيادى دون غيره -
وهو يعلم أنه أبقى من المال ، وأنفس ذخائر الرجال ، وأنه إن خاطب به من فوقه
فقد رضى بالضراعة ، وإن خاطب به كفأه ونظيره فقد نزل عن المساواة ، وإن
خاطب به من دونه سقط جملة - ذلك على أن يكون شعره مَزْحاً^(٢) أو عتاباً ، وأما
أن يكون هجاء فأبقى لخزيه وأضل لسعيه .

وسأذكر من رفعه أو ممن وضعه ما قال أو قيل فيه من الشعر بعض من ذكر
الناس ؛ لئلا أخلى الكتاب من ذلك ، وإن كنت حريصاً على الإيجاز والاختصار .
فمن رفعه ما قال من القدماء الحارث بن حِزْزَةَ اليشكرى ، وكان أبرص ،
فأنشد الملك عمرو بن هند قصيدته :

* آذَنْتُنَا بِبَيْنِهَا أَسْمَاء *

(١) فى المطبوعتين « صلحا » وهو خطأ كما ترى .

(٢) ربما قرئت هذه الكلمة « مدحا » .

و بينه وبينه سبعة حُجُب ؛ فما زال يرفعها حجاباً لحجاباً لحسن ما يسمع من شعره حتى لم يبق بينهما حجاب ، ثم أدناه وقر به ، وأمثاله كثير .
ومن المخضرمين حسان بن ثابت رحمه الله ، لم تكن له مائة ولا سابقة في الجاهلية والإسلام إلا شعره ، وقد بلغ من رضا الله عز وجل ورضا نبيه عليه الصلاة والسلام ما أورثه الجنة .

ومن الفحول المتأخرين الأخطل - واسمه غياث بن غوث ، وكان نصرانياً من تغلب - بلغت به الحال في الشعر إلى أن نادى عبد الملك بن مروان ، وأركبه ظهر جرير بن عطية بن الحطّاف ، وهو تقي مسلم ، وقيل : أمره بذلك بسبب شعر فاخره^(٢) فيه بين يديه وطوّّل لسانه ، حتى قال مجاهراً^(١) : لعنة الله عليه ، لا يستتر في العطن على الدين والاستخفاف بالمسلمين :

ولستُ بصائمٍ رمضان طَوْعاً ولستُ بآكلٍ لحم الأضاحي
ولستُ بزاجرٍ عَنْساً بكوراً إلى بطحاء مكة للنجاح
ولستُ منادياً أبداً بليلاً كمثل العير «حَيَّ على الفلاح»
ولكني سأشربها شَمُولاً وأسجد قبل منبلج الصباح

وهذه غاية عظيمة ومنزلة غريبة حملت من المساحة في الدين على مثل مانسمع والملوك ملوك بزعمهم . وهجا الأنصار ليزيد بن معاوية ، لما شبَّ عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بعمته فاطمة بنت أبي سفيان - قيل : بل بأخته هند بنت معاوية - قيل : ولولا شعره لقتل دون أقل من ذلك .. وقد ردّ على جرير أقبح رد ، وتناول من أعراض المسلمين وأشرفهم ، ما لا ينجو مع مثله علوى ، فضلاً عن نصراني . ومن المحدثين أبو نؤاس ، كان نديماً للأمين محمد بن زُبَيْدَة طول خلافته ..

(١) في المطبوعتين « خايره » وهو غير مؤد إلى معنى

(٢) في نسخة « مجاهد »

ومسلم بن الوليد صريح الغواني ، اتصل بذي الرياستين^(١) ومات على جرجان
وكان تولاها على يديه . . . والبحتري ، وكان نديما للتوكل لا يكاد يفارقه ،
وبمحضره قتل المتوكل . وكثير ممن أكتفى بهؤلاء عن ذكره .

المتنبي وكافور

وقد خطب أبو الطيب هذه الرتبة إلى كافور الإخشيدي ، فوعده بها وأجابه
إليها ، ثم خافه لما رأى من تحامله وكبره ، واقتضاه أبو الطيب مراراً ، وعاتبه فما وجد
عنده راحة . . . فن ذلك قوله^(٢) يقتضيه :

وهبت على مقدار كفى زماننا ونفسي على مقدار كفئك تغالب
إذا لم تنط لي ضيقة أو ولاية فجودك يكسوني وشغلك يسلب
وقوله^(٣) يقتضيه أيضاً وعاتبه من قصيدة مشهورة :

ولي عند هذا الدهر حق يلطه وقد قل إعتاب وطال عتاب^(٤)
ثم قال بعد أبيات :

أرى لي بقربي منك عينا قريرة وإن كن قربا بالبعد يشاب
وهل ناصي أن ترفع الخجب بيننا ودون الذي أملت منك حجاب
أقول سلامي حب ما خف عنكم وأسكت كما لا يكون جواب
وفي النفس حاجات وفيك فطانة سكوتي بيان عندها وخطاب

(١) هو الفضل بن سهل ، وكان السبب في توليته أن مسلماً دخل على الفضل
... ثم را ، فقال : أيها السكهل إني أجلك عن الشعر فسل حاجتك ، فقال : بل
... من أمد سدي بأن تسمع . . . ثم أنشده ، فقال له الفضل : إني أحلك عن
الشعر . ول : فذهب . . . أخرجت من عملاق ، فولاه الأمير بحرطان .

(٢) انظر الديوان (ج ١ ص ١٢٧)

(٣) انظر الديوان (ج ١ ص ١٣٧)

(٤) نصه : شجده . وسكره ، ويتطله ، وقوله « قل إعتاب » معناه أنه لم يرضها

وما أنا بالباغي على الحب رشوة ضعيف هوى يُبغى عليه ثوابُ
وما شئتُ إلا أن أدلّ عواذلي على أن رأيي في هواك صوابُ
وأعلم قوما خالفوني فشرّ قوا وغرّبتُ أنى قد ظفّرتُ وخابوا
فهمؤلاء رفعهم ما قالوه من الشعر ؛ فقالوا الرتب ، واتصلوا بالملوك ، وليس
ذلك ببدع للشاعر ولا عجيب منه . وقد كنت صنعت بين يدي سيدنا عن
أمره العالى زاده الله علواً :

الشعر شيء حسنٌ ليس به من حرج
أقل ما فيه ذها ب المهم عن نفس الشجي
يُحكّم في لطافة حلّ عقود الحبج
كم نظرة حسنّها في وجه عذر سمج
وحرقة برّدها عن قلب صب منضج
ورحمة أوقعها في قلب قاسٍ حرج
وحاجة يسرها عند غزال غنج
وشاعر مطرح مطلق باب الفرج
قرّبه لسانه من ملك متوج
فعلموا أولادكم عقار طّب المهج

وطائفة أخرى نطقوا في الشعر بألفاظ صارت لهم شهرة يلبسونها ، وألقاباً
يُدعون بها فلا ينكرونها^(١) : منهم عائذ الكلب ، واسمه عبد الله بن مصعب ،
كان والياً على المدينة للرشيد ، أقب بذلك لقوله :

مالى مرضتُ فلم يعُدني عائذٌ منكم ، ويمرضُ كلّكم فأعود؟!

(١) ومنهم الأسعر بن أبي حمران الجعفي ، وسيتعرض له المؤلف في باب
« المقلين من الشعراء » وسنبين لك هناك اسمه والشعر الذي من أجله جرى عليه
لقب الأسعر .

بعض الذين
لقبوا بشيء
من الشعر قالوه

والمزقي ، واسمه شاس بن نهار ، لقب بقوله لعمر بن هند :
فإن كنت ما كولا فكن أنت آكلي وإلا فأدركني ولما أمزقي
وقد تمثل بهذا البيت عثمان بن عفان رضي الله عنه في رسالة كتب بها إلى
علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

ولقب مسكين الدارمي - واسمه ربيعة ، من ولد عمرو بن^(١) عمرو بن عدس
ابن زيد بن عبد الله بن دارم - بقوله :

أنا مسكين لمن أبصرني ولمن حاورني^(٢) جد نطق
فلما سمي مسكيناً قال :

وسميت مسكيناً وكانت لجانة وإني لمسكين إلى الله راغب
وإني امرؤ لا أسأل الناس مالهم بشعري ، ولا تعني على المكاسب
وإنما هذا المكان الشعر من قلوب العرب ، وسرعة ولوجه في آذانهم ،
وتعلقه بأنفسهم .

ومنهم من سمي بلفظة من شعره لشناعتها ، مثل النابغة الذبياني - واسمه زياد
ابن عمرو - وسمي نابغة لقوله :

* فَقَدْ نَبَغَتْ لَنَا مِنْهُمْ شُئُونُ *

(١) في جميع الأصول « من ولد عمر بن عمر » بدون واو ، والتصويب عن
الأغاني ، وبدل لصحته قول مسكين يخاطب الفرزدق :

فجئني بعم مثل عمي أو أب كمثل أبي ، أو خال صدق تكاليا
كعمرو بن عمرو أو زرارة ذي الندى أو البشر ، من كل فرعت الروايا

(٢) يروي « ولمن يعرفني جد نطق » وبعد هذا البيت قوله :

لا أبيع الناس عرضي إنني لو أبيع الناس عرضي لنفق

وأما الجعدي - واسمه قيس بن عبد الله - فأما بلغ بالشعر بعد أربعين سنة
فسمى نابغة لذلك .

وجِرَّانُ العَوْدِ، سمي بذلك لقوله :

عمدت لعود فالتحيت جِرَّانَهُ وَلَلْكَيْسُ خَيْرٌ فِي الْأُمُورِ وَأَنْجَحُ
خُذَا حَذْرًا يَا خُلَّتَى^(١) فَإِنِّي رأيت جران العود قد كَادَ يَصْلَحُ
يخاطب امرأته ، وقد تركتاه ونَشَرَتَا عليه ؛ فلزمه هذا الاسم وذهب
اسمه كرها .

وكذلك أبو العيال ، لا يعرف له اسم غير هذا ؛ لقوله :

ومن يك مثلي ذا عيال ومقترأ - من المال ؛ يَطْرَحُ نفسه كلَّ مَطْرَحٍ
ليبلغ عذرا أو يصيب رغبة ومُبلغ نفسٍ عُدْرَهَا مثلُ مُنْجَحٍ
وأمثالهم ممن ذكره المؤلفون لا يحصون كثرة ، وليسوا من هذا الباب في
شيء ؛ لأن غلبة هذه الأسماء عليهم ليست شرفا لهم ولا ضعة ، وإنما هي من
جهة الشناعة فقط، ولكن الكلام [ذو] شجون .

ومن ههنا عظم الشعر ، وتهيب أهله ، خوفاً من بيت سائر تُحْدَى به الإبل ،
أو لفظة شاردة يضرب بها المثل ، ورجاء في مثل ذلك ؛ فقد رفع كثيراً من الناس
ما قيل فيهم من الشعر بعد التحول والاطراح ، حتى افتخروا بما كانوا يعيرون به
ووضع جماعة من أهل السوابق والأقدار الشريفة حتى عَيَّرُوا بما كانوا يفتخرون به .
فمن رفعه ما قيل فيه من الشعر بعد التحول المحلق ، وذلك أن الأعشى قدم
مكة وتسامع الناس به ، وكانت للمحلق امرأة عاقلة - وقيل : بل أم - فقالت له :
إن الأعشى قدم ، وهو رجل مُفَوَّهٌ ، محدود في الشعر ، ما مدح أحداً إلا رفعه ،

الأعشى
والمحلق

(١) في إحدى روايات الديوان «يا جارتى» تنثنية جارة .

ولا هجأ أحداً إلا وضعه ، وأنت رجل كما علمت فقير خامل الذكر ذو بنات ،
وعندنا لَقَحَّةٌ نعيشُ بها ، فلو سبقتَ الناسَ إليه فدعوتهُ إلى الضيافة، ونمرتَ له ،
واحتلتُ لك فيما تشتري به شراباً يتعاطاه ؛ لَرَجَوْتُ لك حسن العاقبة ، فسبق
إليه المخلق ، فأنزله ونجر له ، ووجد المرأة قد خبزت خبزاً وأخرجت نخباً فيه سمن
وجاءت بوَظْب لبن ، فلما أكل الأعشى وأصحابه ، وكان في عصاة قيسية ،
قدم إليه الشراب ، واشتوى له من كبِد الناقة ، وأطعمه من أطايبها ، فلما جرى
فيه الشرابُ وأخذت منه الكأس سألَه عن حاله وعياله فعرف البؤس في كلامه ،
وذكر البنات ، فقال الأعشى : كفيت أمرهن ، وأصبح بمكاذ ينشد قصيدته :
أرقتُ وما هـذا السهاد للمؤرَّقُ وما بئى^(١) من سُقمٍ وما بئى مَمَشَقُ
ورأى المخلق اجتماع الناس ، فوقف يستمع ، وهو لا يدرى أين يريد الأعشى
بقوله ، إلى أن سمع :

نفى الظم عن آل المخلق جَفَنَةً كجاية الشيخ العراقي تفهق^(٢)
تبرى القوم فيها شارعين ، وبينهم مع القوم ولدان من النسل دَرَدَقُ
لعمري لقد لاحت عيون كثيرة إلى ضوء نارٍ باليفاج تمحرقُ
تُسَبِّ بمقرورين يصطليانها وبات على النار الندى والمخلق
رَضِيعَى لباب ندى أم تحالفا بأسمع داج عَوْضُ لا تنفرقُ
ترى الجود يجرى ظاهراً فوق وجهه كما زان متن الهندواى زَوْنَقُ

فما أتم القصيدة إلاً والناس ينسلون إلى المخلق يهنئونهُ ، والأشراف من كل
قبيلة يتسابقون إليه جرياً يخطبون بناته ؛ لمكان شعر الأعشى ، فلم تُنَمَسِ منهم
واحدة إلا في عصمة رجل أفضل من أبيها ألف ضعف .

(١) يروى « أرقت » على الخطاب ، « وما بك » فى الموضعين ، وما أثبتناه

(٢) يروى « كجاية »

رواية الديوان .

الحطيفة
وبنو أنف
الناقة

وكذلك بنو أنف الناقة ، كانوا يفرقون من هذا الاسم ، حتى إن الرجل منهم يسأل : ممن هو ؟ فيقول : من بني قريع ، فيتجاوز جعفرأ أنف الناقة بن قريع بن عوف بن مالك ويلغى ذكره فراراً من هذا اللقب ، إلى أن نقل الحطيفة - واسمه جرؤل بن أوس - أبحدهم وهو بغيض بن عامر بن لؤي بن شماس بن جعفر أنف الناقة من ضيافة الزبرقان بن بدر إلى ضيافته وأحسن إليه فقال :

سيرى أماناً فإن الأكرمين حصاً والأكرمين إذا ما يُسببون أبا
قومهم الأنف ، والأذباب غيرهم ومن يساوي بأنف الناقة الذئباً ؟
فصاروا يتناولون بهذا النسب ويمدون به أصواتهم في جهارة .

وإنما سمي جعفر أنف الناقة لأن أباها قسم ناقة جزوراً ونسيه ، فبعثته أمه ولم يبق إلا رأس الناقة ، فقال له أبوه : شأنك بهذا ، فأدخل أصابعه في أنف الناقة وأقبل يحمره ، فسمى بذلك .

ومثل هانين القصتين قصة عرابة الأوسى مع الشماخ ، وقد تقدم ذكرها .
ومن وضعه ما قيل فيه من الشعر حتى انكسر نسبه ، وسقط عن رتبته ، وعيب بفضيلته - بنو نمير ، وكانوا تجرة من جحرات العرب ، إذا سئل أحدهم : ممن الرجل ؟ فخم لفظه ومدّ صوته وقال : من بني نمير ، إلى أن صنع جرير قصيدته التي هجا بها عبّيد بن حصّين الراعي ، فسهر لها ، وطالت ليلته إلى أن قال :

جرير
وبنو نمير

فغصّ الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلاباً

فأطفاً سراجهم ونام ، وقال : قد والله أخزيتهم آخر الدهر ، فلم يرفعوا رأساً بعدها إلا نكس بهذا البيت ، حتى إن مولياً لباهلة كان يرد سوق البصرة ممتاراً فيصيح به بنو نمير : يا جوادِيب^(١) باهلة ، فقصّ الخبر على مواليه وقد ضجر من ذلك ، فقالوا له : إذا نبزوك فقل لهم :

فغصّ الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلاباً

(١) الجواذب : شجع العمل ، وكان في الأصول « يا جوداب » تحريف .

وسر بهم بعد ذلك فنبزوه ، وأراد البيت نفسه ، فقال : غَمَضَ وإلا جاءك ما تكره ، فكفوا عنه ولم يعرضوا له بعدها .

وسرت امرأة ببعض مجالس بنى نعيم فأداموا النظر إليها ، فقالت : قبحكم الله يا بنى نعيم ما قبلتم قول الله عز وجل : (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) ولا قول الشاعر :
فغض الطرف إنك من نعيم فلا كعباً بلغت ولا كلاباً

وهذه القصيدة تسميها العرب الفاضحة ، وقيل : سماها جرير الدماغه ، تركت بنى نعيم ينتسبون بالبصرة إلى عامر بن صعصعة ، ويتجاوزون أباهم نعيماً إلى أبيه ، هرباً من ذكر نعيم ، وفراراً مما وُسم به من الفضيحة والوصمة .

والربيع بن زياد ، كان من ندماء النعمان بن المنذر ، وكان فحاشاً عياباً بذياً سباباً لا يسلم منه أحد ممن يقف على النعمان ، فرمى بلبيد وهو غلام مراهق فنافسه وقد وضع الطعام بين يدي النعمان ، وتقدم الربيع وحده لياً كل معه على عادته ، فقام لبيد فقال مرتجلاً :

يا رَبَّ هَيْجَاهِي خَيْرٌ مِنْ دَعَا نَحْنُ بَنَى أُمَّ الْبَنِينَ الْأَرْبَعِ
وَنَحْنُ خَيْرٌ عَامِرُ بْنُ صَعَصَعَةَ الطَّعْمُونَ الْجَفَنَةُ الْمُدْعَدَةُ
وَالضَّارِبُونَ الْهَامَ تَحْتَ الْخَيْضَةِ مَهْلًا أَيْتَ الْهَمَّ لَا تَأْكُلْ مَعَهُ

فقال النعمان : وله ؟ فقال :

* إِنَّ أَسْتَه مِنْ بَرَصٍ مُلَمَّعَةٍ *

فقال النعمان : وما علينا من ذلك ؟ فقال :

* وَإِنَّهُ يُولِجُ فِيهَا إِصْبَعَهُ *

يولجها حتى يوارى أشجعته كأنما يطلب شيئاً أو دعة

ويروى « أطمعه » ^(١) فرفع النعمان يده عن الطعام ، وقال : ما تقول يا ربيع ؟ فقال : أَيْتَ الْهَمَّ كَذَبَ الْغَلَامُ ، فقال لبيد : مره فليجب ، فقال النعمان : أجبه

(١) ويروى « ضيعه » .

ياربيع ، فقال : والله لما نسومنى أنت من الحسنة أشد على مماء صهني به الغلام ،
فحببه بعد ذلك ، وسقطت منزلته ، وأراد الاعتذار ، فقال النعمان :
قد قيل ما قيل إن حقاً وإن كذباً فما اعتذارك من قول إذا قيلاً ؟

وبنو العجلان ، كانوا يفخرون بهذا الاسم لقصة كانت لصاحبه في تعجيل
قرى الأضياف ، إلى أن هجاهم به النجاشي فضجروا منه ، وسبوا به ، واستعدوا
[عليه] عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فقالوا : يا أمير المؤمنين هجانا ، فقال :
وما قال ؟ فأنشدوه :

النجاشي
وبنو العجلان

إذا الله عادى أهل لؤم ورقة فعادى بنى عجلان رهط ابن مُقْبِلِ
فقال عمر بن الخطاب : إنما دعا عليكم ولعله لا يجاب ، فقالوا : إنه قال :
قُبَيْلَةٌ لَا يَغْدِرُونَ بِذِمَّةٍ وَلَا يَظْلُمُونَ النَّاسَ حَبَّةَ خَرْدَلٍ
فقال عمر رضى الله عنه : ليتنى من هؤلاء ، أو قال : ليت آل الخطاب كذلك ،
أو كلاماً يشبه هذا ، قالوا : فإنه قال :

وَلَا يَرِدُونَ الْمَاءَ إِلَّا عَشِيَةً إِذَا صَدَرَ الْوُرَادُ عَنْ كُلِّ مَنْهَلٍ
فقال عمر : ذلك أقل للسكك ، يعنى الزحام ، قالوا : فإنه قال :
تَعَافُ الْكِلَابُ الضَّارِيَاتُ لِحَوْمِهِمْ وَتَأْكُلُ مِنْ كَعْبِ بْنِ عَوْفٍ وَنَهْشَلٍ
فقال عمر : كفى ضياعاً من تأكل الكلاب لحمه ، قالوا : فإنه قال :
وما سمي العجلان إلا لقولهم خذ القعب واحلب أيها العبد واعجل
فقال عمر : كلنا عبد ، وخير القوم خادهم . فقالوا : يا أمير المؤمنين هجانا ،
فقال : ما أسمع ذلك ، فقالوا : فاسأل حسان بن ثابت ، فسأله فقال : ما هجاهم
ولكن سألهم ، وكان عمر رضى الله عنه أبصر الناس بما قال النجاشي ،
ولكن أراد أن يذراً الحد بالشبهات ، فلما قال حسان ما قال سجن النجاشي ،
وقيل : إنه حدّه .

وهذه جملة كافية ، ونبذة مقنعة ، فيما قصدت إليه من هذا الباب .

• — باب من قضى له الشعر ومن قضى عليه

أنشد النابغة الجعدي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم قصيدة الرسول يدعو
للنابغة الجعدي يقول فيها:

عَلَوْنَا السَّمَاءَ عَفَّةً وَتَكْرَمًا^(١) وَإِنَّا لَنَبْغِي فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرًا
فَغَضِبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَالَ : أَيْنَ الْمَظْهَرُ يَا أَبَا لَيْلَى ؟ فَقَالَ :
الْجَنَّةُ بِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَجَلٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ،
فَقَضَيْتَ لَهُ دَعْوَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْجَنَّةِ ، وَسَبَبَ ذَلِكَ شَعْرَهُ .

وأنشده حسان بن ثابت حين جاب جواب عنه أبا سفيان بن الحارث بقوله :
هَجَوْتُ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَاكَ الْجَزَاءُ
ابن ثابت ويدعو لحسان

فَقَالَ لَهُ : جَزَاؤُكَ عِنْدَ اللَّهِ الْجَنَّةُ يَا حَسَانَ ، فَلَمَّا قَالَ :

فَإِنْ أُمِّي وَوَالِدَاهُ وَعَرْضِي لِعَرَضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاهُ
قَالَ لَهُ : وَقَاكَ اللَّهُ حَرًّا النَّارَ ، فَقَضَى لَهُ بِالْجَنَّةِ مَرَّتَيْنِ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ ، وَسَبَبَ
ذَلِكَ شَعْرَهُ .

ولما تنافر عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة أقاما عندهرم بن قطبة^(٢) بن سنان الأعشى
سنة لا يقضى لأحدهما على الآخر ، إِلَى أَنْ قَدِمَ الْأَعْشَى — وَكَانَتْ لِعَامِرٍ
عَلَاةٌ ، وَعَامِرُ ابْنِ الْطَفِيلِ عِنْدَهُ يَدٌ — فَقَالَ :

عَلِّقْ مَا أَنْتَ إِلَى عَامِرٍ النَاقِضِ الْأَوْتَارِ وَالْوَاتِرِ
إِنْ تَسُدُّ الْحَوْصَ فَلَمْ تَعُدْهُمْ وَعَامِرٌ سَادَ بَنِي عَامِرٍ
حَكَمْتُمُوهُ فَقَضَى بَيْنَكُمْ أَزْهَرُ مِثْلِ الْقَمَرِ الْبَاهِرِ

(١) يروى « عَلَوْنَا السَّمَاءَ مَجْدُنَا وَسَنَاؤُنَا » .

(٢) ويقال « هَرَمُ بْنُ قُطْبَةَ بْنِ سَنَانٍ » وَفِي الْأَصُولِ « سَيَار » تَصْغِيفٌ .

لا يقبل الرشوة في حكمة ولا يبالي غبن الخاسر^(١)
فرواه الناس ، وافترقوا وقد نفر عامر على علقمة بحكم الأعشى في شعره ،
وكان في رأى هريم على قول أكثر الناس خلاف ذلك .
وإلى هذا وأشباهه أشار أبو تمام الطائي بقوله في صفة الشعر :

يُرى حكمة ما فيه وهو فكاهةٌ وَيُقضى بما يَقضى به وهو ظالمٌ
وكانت لرجل شهادة عند أبي دلامة ، فدعاه إلى تبليغها عند القاضي ابن أبي
كئيل ، فقال له : إن شهادتي لا تنفعك عنده ، فقال الرجل : لا بد من شهادتك ،
فشهد عند القاضي وانصرف وهو يقول :

أبو دلامة
والقاضي ابن
أبي ليلى

إذا الناس غطوني تغطيت دونهم وإن بحثوا عني فقيم مباحث
فقضى القاضي على الخضم بشهادة أبي دلامة ، وقبض المشهود له المال ،
وغيره القاضي للمشهود عليه تخرجاً من ظلمه ، ويقال : إنما شهد لطبيب عاجل
ولده من علة به ، وأمره أن يدعى على من شاء بألف درهم ، ففعل الطبيب وشهد
أبو دلامة ، وهذا أشبه بمجنونه من الأول .

وذكر العتبي أن رجلاً من أهل المدينة ادعى حقاً على رجل ، فدعاه إلى ابن
حنطب قاضي المدينة ، فقال : مَنْ يشهد بما تقول ؟ فقال : زنقطة ، فلما ولى قال
القاضي : ما شهادته له إلا كشهادته عليه ، فلما جاء زنقطة القاضي قال له : فذاك
أبي وأمي ، أحسن والله الشاعر حيث يقول :

من الحنطبيين الذين وجوههم دنائير مما شيف في أرض قيصرا

(١) يروى في البيت الأول * علقم لالست إلى عامر * وروى في البيت الثاني
* سدت بني الأحوص لم تعدهم * وروى في البيت الثالث * حكتموني فقضى بينكم
أبلغ * وروى في البيت الرابع * لا يأخذ . . . إلخ .

فأقبل القاضي على الكاتب، فقال: كبير ورب السماء، ما أحسبه شهيداً إلا بالحق فأجيزُ شهادته.

وخاصم جرير بن الخطافى الحماني الشاعر إلى قاضى اليمامة ، فقال فى أبيات
رجز بها :
جرير والحماني
الشاعر بين
يدى قاضى
اليمامة

أعوذ بالله العلى القهار من ظلم حمان وتحويل الدار
فقال الحماني مجيباً له :

مَا إِلْكَلَيْبِ مِنْ حَمَى وَلَا دَارَ غَيْرُ مَقَامِ أَتْنِ وَأَعْيَارِ
* قُبُ البطون داميات الأظفار *

وبروى * قعس الظهور داميات الأظفار * فقال جرير : مقام أتني وأعياري
لا أريد غيره ، وقد اعترف به ، فقال القاضي : هي لجرير ، وقضى على الحماني
بشعره الذي قال .

وكان الفرزدق يجلس إلى الحسن البصري ، فجاءه رجل فقال : يا أبا سعيد ، الحسن البصري
يقول بقول
الفرزدق فى
شعر له
أنا نكون فى هذه البعوث والسرايا فنصيب المرأة من العدو وهي ذات زوج
أفتحل لنا من قبل أن يطلقها زوجها ؟ فقال الفرزدق : قد قلت أنا مثل هذا فى
شعرى ، فقال الحسن : وما قلت ؟ قال : قلت :

وذاكِ حَلِيلٍ أَنْكَحْتَنَا رَمَحْنَا حَلَالًا مَنْ يَبْنِي بِهَا لَمْ تَطْلُقْ
فقال الحسن : صدق ، فحكم بظاهر قوله ، وما أظن الفرزدق - والله أعلم -
أراد الجهاد فى العدو المخالف للشريعة ، لكن أراد مذهب الجاهلية فى السبأيا .
كأنه يشير إلى العزة وشدة البأس .

وقيل : إن عمر بن الخطاب كان يتعجب من قول زهير :
فإن الحق مَقَطْعُهُ ثَلَاثُ أَدَاءٍ أَوْ نَفَارٍ أَوْ جَلَاءٍ
وسمى زهير « قاضى الشعراء » بهذا البيت ، يقول : لا يقطع الحق إلا الأداء ،
عمر يتعجب
من بيت زهير

أو النفار — وهو الحكومة — أو الجلاء — وهو العذر الواضح — ويروى *
يمين أو نفار * وهذه الثلاث على الحقيقة هي مقاطع الحق كما قال ، على أنه جاهلي ،
وقد وكّدها الإسلام .

٦ — باب شفاعات الشعراء ، وتحريضهم

قتيلة بنت
النضر تعتب
على رسول الله
قال عبد الكريم : عَرَضَتْ قَتِيلَةُ بِنْتِ النَّضْرِ بْنِ الْحَارِثِ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وسلم وهو يطوف ، فاستوقفته وجذبت رداءه حتى انكشف منكبه ، وقد كان قتل
أباها^(١) ، فأنشدته :

يا راكباً أن الأثيلَ مَظِنَّةً	من صبح خامسة ، وأنت موفق
أبلغ به ميتاً بأن قصيدة	ما إن تزال بها الركائب تحقق ^(٢)
منى إليه ، وعبرة مسفوحة	جادت لمأحجها وأخرى تحنق ^(٣)
فليسمعن النضر إن ناديته	أم كيف يسمع ميت لا ينطق ^(٤)
ظلت سيوف بني أبيه تنوشه	لله أرحام هنالك تشقق
قسراً يقاد إلى المنية متعباً	رشف المقيد وهو عان مؤثق ^(٥)
أحمد ها أنت نجل نجبية	من قومها والفحل فحل مُمَرِّق ^(٦)
ما كان ضرك لو مننت ، وربما	من القتي وهو المفيظ المحنق

(١) ويقال : إن المقتول أخوها .

(٢) يروى * بأن تهيمة النجائب . . .

(٣) يروى * جادت بدرتها (٤) البيت يروى هكذا :

هل يسمعن النضر إن ناديته إن كان يسمع ميت لا ينطق .

(٥) يروى * صبرا يقاد . . . *

(٦) يروى * ولأنت ضنء نجبية . . في قومها

والنضر أقرب من قتلّت وسيلةً وأحقهم إن كان عتقٌ يعتق^(١)
فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لو كنت سمعتُ شعرها هذا ما قتلته.

علقمة يشفع
عند الحارث
بن أبي شمر

ولما قتل الحارث بن أبي شمر الغساني المنذر بن ماء السماء - وهو المنذر
الأكبر، وماء السماء أمه - أسرجاعة من أصحابه، وكان فيمن أسر شاس بن
عبدة في تسعين رجلا من بني تميم، وبلغ ذلك أخاه علقمة بن عبدة الشاعر صاحب
امرى القيس، وهو معروف بعلقمة الفحل، فقصد الحارث ممتدحا بقصيدته
المشهورة التي أولها:

طَجَا بِكَ قَلْبٌ بِالْحَسَانِ^(٢) طَرُوبُ بُعَيْدَ الشَّبَابِ عَصَرَ خَانَ مَشِيبِ
فأنشده إياها، حتى إذا بلغ إلى قوله:

إلى الحارث الوهاب أعلمتُ ناقتي لَكَلَّكَلَهَا وَالْقُصْرَيْنِ وَجِيبُ
إِلَيْكَ - أَيْتُ اللَّعْنِ - كَانَ وَجِيفُهَا^(٣) بِمَشْتَبَهَاتِ هَوْلٍ مَهِيْبِ
هداني إليك الفرقدان ولا حِبُّ له فوق أعلام^(٤) المَتَانِ عُلُوبِ
فلا تحرمني نائلا عن جنباية فإني امرؤ وسط القباب غريب
وفي كل حَيٍّ قد خبطت بنعمة فحق لشاس من نَدَاكَ ذَنْوبُ
فقال الحارث: نعم وأذنبة، وأطلق له شاساً أخاه، وجماعة أسرى بني تميم،
ومن سأل فيه أو عرّفه من غيرهم.

(١) يروى « والنضر أقرب من أخذت بزلة »

(٢) في الديوان « في الحسان »

(٣) هذه رواية الديوان، وكان في الأصول « وجيبها »

(٤) في الديوان « أصواء المتان » وترتيب هذه الأبيات على ما هنا مخالف لموقعها

من القصيدة مع أن المؤلف ترك كثيرا من الأبيات بين بعضها وبعض.

أمية بن حُرثان وكان لأمية بن حُرثان^(١) وَلَدٌ اسمه كلاب، هاجر إلى البصرة في خلافة عمر
يشفع عند
عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فقال أمية :

سأستعدي على الفاروق ربًّا له عمَدَ الحبيج إلى بُساقِ^(٢)
إن الفاروق لم يَرُدُّ كلابًا على شيخين هامُهما زَوَاقِ
فكتب عمر إلى أبي موسى الأشعري بإشخاص كلاب ، فما شعر أمية إلا به
يقرع الباب .

وما زالت الشعراء قديمًا تشفع عند الملوك والأمراء لأبنائها وذوي قرابتها ،
فيشفعون بشفاعتهم ، ويقولون الرتب بهم .

ودخل العمانى الشاعر - وهو أبو العباس محمد بن ذؤيب الفقيمي - على الرشيد،
فأنشده أرجوزة يقول فيها :

قل للإمام المقتدى بِأَمِّهِ^(٣) ما قاسمٌ دون مدى ابن أمه
* فقد رضيناَه ققمٌ فسَمِّهِ *

فقال الرشيد : ما رضيت أن أسميه وأنا قاهد حتى أقوم على رجل ، فقال له :
يا أمير المؤمنين ، ما أردت قيام جسم لكن قيام عَزَمِهِ ، فأمر الرشيد بإحضار القاسم

(١) أمية بن حُرثان بن الأُسَكر الليثي ، من ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة :
شاعر مخضرم ، أدرك الجاهلية والإسلام ، وكان من سادات قومه وفرسانهم ، وابنه
كلاب أدرك النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم مع أبيه .. وكان ابنه قد سأل عمر رضى
الله عنه أن يغزيه فأغزاه في جيش ، وكان أبوه قد كبر وضعف ، فلما طالت عليه غيبة
ابنه قال هذا الشعر .

(٢) في اللطبوعتين «سباق» بتقديم السين ، وبساق - بزنة غراب - جبل بعرفات
وبلد بالحجاز .

(٣) أمة - بفتح الهمزة وتشديد الميم - قصده ، وأراد نهجه وسيرته .

ولده ، ومَرَّ العمانى فى إنشاده يَهْدِرُ، فلما فرغ قال الرشيد للقسام : أما جائزة هذا الشيخ فعليك ، وقد سألنا أن نوليكَ العهد، فأجبناه .

الطائى يشفع
عند المعتصم

وشَفَعَ الطائى للوائق عند أبيه المعتصم فى أن يوليه العهد، فقال :
فأشدُّ بهارونَ الخِلافةَ ؛ إنه مَسَكَنٌ لَوْحَشْتِها ودارُ قرار
بَفَقَ بنى العباس والقمر الذى حَفَّتْهُ أجمُ يَقْرُبِ ونزار
كرمُ العمومة والخنولة مجَّه سَلَفًا قريشٍ فيه والأنصار
هو نَوْهٌ بمنٍ منكم وسعادةٍ وسراجُ ليلٍ فيكم ونهارٍ
فاقع شياطين النفاق بمهتدٍ ترضى البرية هَذِيهٌ والبارى
ليسير فى الآفاق سيرة رافةٍ ويسوسها بسكينةٍ ووفار
فالصين منظوم بأندلس إلى حيطان روميةٍ فلك ذمار
ولقد علمت بأن ذلك مِفْعَمٌ ما كنت تتركه بغير سوارٍ

واستعطف مالك بن طوق لقومه بنى تغلب - وكانوا أفسدوا فى عمله ويستعطف
الطوق ، لخافوه واستشفعوا بأبى تمام - فقال فى قصيدة مشهورة يخاطب مالك بن طوق
بها مالكا :

ورأيت قومك والإساءة منهم جَرَحَى بظفرٍ للزمان ونابٍ
هم صيروا تلك البروق صواعقا فيهم، وذلك العقو سوط عذاب
فأقل أسامة جرمها، واصفح لها عنه ، وهب ما كان للوهاب
رَفَدوك فى يوم الكلاب، وشققوا فيه المزاد بحفلى كلابٍ
وهمُ بعين أباغٍ راشوا للوغى سَهَمَيْكَ عند الحارث الحراب
وليسالى الثرثار والحشاك قد جلبوا الجياد لواحق الأقراب
ففضت كهولهم ، ودبر أمرهم أحداهم تدير غير صواب
لا رقة الحضر اللطيف غدتهم وتباعدوا عن فطنة الأهراب

فإذا كشفتم وجَدْتَ لديهمُ كرمَ النفوسِ وقلةَ الآدابِ
لكَ في رسولِ اللهِ أعظمُ أسوةٍ وأجلها في سُنَّةٍ وكتابِ
أعطى المؤلفةَ القلوبِ رضاهمُ كرمًا ، ورَدَّ أخائذَ الأحزابِ

فذكر أصحابُ الأخبارِ أن هذه القصيدة وقعت من مالكٍ أَجَلَ موقعِ
فأجزل ثوابه عليها ، وقبل شفاعته ، ورَدَّ القومَ إلى رتبَتهم ومنزلَتهم ، من بعد
اليأس المستحكم ، والعداوة الشديدة .

وكان أبو قابوس الشاعر رجلاً نصرانياً من أهل الحيرة منقطعاً إلى البرامكة ،
فلما أوقع الرشيد بجعفر صنع أبو قابوس أبياتاً وأنشدها الرشيد يشفع عنده للفضل
ابن يحيى :

أبو قابوس
يشفع عند
الرشيد

أمينَ اللهِ هبْ فضلَ بنِ يحيى لنفسك ، أيها الملك الهام
وما طلبى إليك العفو عنه وقد قعد الوشاة به وقاموا
أرى سَبَبَ الرضا عنه قوياً على الله الزيادة والتمام
نذرت على فيه صيامَ شهرٍ فإن تَمَّ الرضا وَجَبَ الصيامُ
وهذا جعفر بالجسر تمحو محاسنَ وجهه ريمحُ قتَامِ
أما والله لولا خوفُ واشٍ وعينُ الخليفة لا تنام
لُطَفْنَا حولَ جذعِكَ واستلمنا كما للناس بالحجر استلام
وما أبصرتُ قبلك يا ابنَ يحيى حُسَاماً قدَّه السيفُ الحُسَامُ
عِقَابُ خليفةِ الرحمنِ فخرُ لمن بالسيف عاقبه الحمام

وقد اختلط هذا الشعر بشعرين في وزنه ورويه ومعناه : أحدهما لأشـجَعِ السُّلَمي ، والآخر لسليمان أخى صريع ، فالناس فيه مختلفون ، وهذه صحته . فانظر
إلى تجاسره على مثل هذا الأمر العظيم من الشفاعة والرَّاء .

واستعطف أبو الطيب سيف الدولة لبني كلاب . وقد أغار عليهم فغنم الأموال

التنبي يشفع
لبني كلاب
عند سيف
الدولة

وسبى الحریم ، فأتى بعضهم أبا الطيب يسأله أن يذكّرهم له في شعره ، ويشفع
فيهم - فقال في قصيدة له مشهورة يخاطبه :

ترفق أيها المولى عليهم فإن الرفق بالجاني عتاب
فإنهم عبيدك حيث كانوا إذا تدعو لناثية أجابوا
وعن الخطئين هم ، ولبسوا بأول معشر خطئوا فتابوا
وأنت حياتهم غضبت عليهم وهجر حياتهم لهم عقاب
وما جهلت أياديك البوادي ولكن ربما خفي الصواب
وكم ذنب مولدك دلال وكم بعد مولده اقتراب
وجرم جرّه سفهاء قوم وحلّ بغير جارمه العذاب

وهذا من أفعال الشعراء قديم مشهور . وقد افتخر به البحتري فقال في

قصيدة له طويلة :

إن أبق أو أهلك فقد نلت التي ملأت صدور أقاربي وعدائي
وغنيت ندمان الخلائف : نايها ذكرى ، وناعمة بهم نشواني
وشفعت في الأمر الجليل إليهم بعد الجليل ، فأجمعوا طلباني
وصنعت في العرب الصنائع عندهم من رفد طلاب وفك عناة

وكان أبو عزة كثيراً ما يستنفر المشركين ، ويحرض قريشاً على قتال النبي صلى الله عليه وسلم ، فأسر يوم بدر ، وجيء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فشكا إليه الفقر والعيال ، فرق له ، وخلق سبيله بعد أن عاهد أنه ألا يعين عليه بشعره ، وأمسك عنه مدة ، ثم عاد إلى حاله الأولى ، فأسر يوم أحد ، فخاطب النبي صلى الله عليه وسلم بمثل خطابه الأول ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا تمسح عارضيك بمكة تقول خدعت محمداً مرتين « ثم قتله صبراً ، وقال : « لا يلسع^(١) المؤمن من جحر مرتين » .

(١) يروى « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين » والمعنى واحد .

أوس بن حجر
يحرص على بني
حنيفة
وقال أوس بن حجر يغري النعمان بن المنذر ببني حنيفة ؛ لأن شمر بن عمرو
السميقي قتل المنذر ، وهو حينئذ مع الحارث بن أبي شمر الغساني ، وقال ابن جني :
إنما قتل ابن النعمان :

نُبِّئْتُ أَنَّ بَنِي حَنِيفَةَ أَدْخَلُوا أَيْبَاتِهِمْ تَامُرَ قَلْبِ الْمُنْذِرِ

ويروى « أن بني سحيم » فغزاهم النعمان ، وقتل فيهم وسبي ، وأحرق نخلهم ،
ويقال : إنما أغرى بهم عمرو بن هند .

سدیف يحرض
السفاح على
بني أمية
ودخل سديف بن ميمون على أبي العباس السفاح ، وعنده سليمان بن هشام
ابن عبد الملك وأبناء ، وفي رواية أخرى سليمان بن مروان وولدان له ، وفي رواية
ثالثة إبراهيم بن سليمان بن عبد الملك ، فأنشده سديف :

لَا يَغُرُّكَ مَا تَرَى مِنْ أَنَاسٍ إِنْ بَيْنَ الضَّلُوعِ دَاءٌ دَوِيًّا
فَضَعَ السَّيْفَ وَارْفَعَ السُّوطَ حَتَّى لَا تَرَى فَوْقَ ظَهْرِهَا أَمْوِيًّا

فقال سليمان : قتلتنني يا شيخ فأنك الله . ونهض أبو العباس فوضع المنديل في
عنق سليمان ، وقتل من ساعته .

شبل بن عبد الله
يحرص على
بني أمية
ودخل شبل بن عبد الله على عبد الله بن علي ، وأنشده قصيدة له يقول فيها
محرضاً على بني أمية ، وعنده منهم ثمانون رجلاً :

أَقْصَمِهِمْ أَيُّهَا الْخَلِيفَةُ وَأَقْطَعُ عَنْكَ بِالسَّيْفِ شَافَةَ الْأَرْجَاسِ
ذَلُمَا أَظْهَرَ التَّوَدُّدَ مِنْهَا وَلَهَا مِنْكُمْ كَعِزُّ الْمَوَاسِي
وَلَقَدْ غَاظَنِي وَغَاظَ سِوَايَ قُرْبُهَا مِنْ نَمَارِقٍ وَكَرَاسِي
أَنْزَلُوهَا بِمِثِّ أَنْزَلَهَا اللَّهُ بَدَارَ الْمَوَانِ وَالْإِنْعَاسِ
وَإِذَا كَرَوَا مَضْرَعِ الْحُسَيْنِ وَزَيْدٍ وَقَتِيلًا بِجَانِبِ الْمَهْرَاسِ
وَالْقَتِيلَ الَّذِي بِحَرَّانَ أَمْسَى ثَاوِيًّا بَيْنَ غَرْبِيَّةٍ وَتَنَاسِي

فلما سمع بذلك تفكر، وأمر بهم فقتلوا، وألقى عليهم البساط، وجلس للغذاء وإن بعضهم يسمع أنينه لم يمت بعد، حكى ذلك جماعة من المؤلفين، واختلفوا في رواية الشعر وحده؛ فأكثر الروايات موضع البيت الأول:

لَا تُقِيلَنَّ عَبْدَ شَمْسٍ عِشَارًا واقطعن كل رقلة وأواس

ويروى «وغراس» وبعضها على ما في النسخة، ولا أدري كيف صحه ذلك، وعبد الله لم يكن يدعى بالخلافة، اللهم إلا أن يكون ذلك حين أراد خلع المنصور. وأكثر الناس يروى هذه الأبيات لسديف بن ميمون يخاطب أبا العباس السفاح، غير أن في الرواية الأولى:

نعم شبل المراس مولاك شبل لو نجنا من حبال الإفلاس
وهو يشهد لما روى [أولا].

وحكى غيرهم قال: دخل العبدى الشاعر على عبد الله بن علي بفلسطين،
العبدى يغرى
ببنى أمية
وقد دُعِيَ به، وعنده من بنى أمية اثنان وثمانون رجلا، والغمر بن يزيد بن
عبد الملك جالس معه على مصلاه، قال العبدى: فاستنشدنى عبد الله بن علي
فأنشدته قولى:

* وَقَفَ الْمُتَيْمُّ فِي رُسُومِ دِيَارِ *

وهو مُصَنِّعٍ مَطْرَقٍ حَتَّى انْتَهَيْتَ إِلَى قَوْلِي:

أما الدُّعَاةُ إِلَى الْجَنَانِ فَهَاشِمٌ وبنو أمية من دعاة النار
وبنو أمية دوحه^(١) ملعونة وَلَهَا شِمٌّ فِي النَّاسِ عُودُ نُضَارِ
أُمِّيَّ مَالِكٍ مِنْ قَرَارٍ فَالْحَقِ بِالْجَنِّ صَاغِرَةً بِأَرْضِ وَبَارِ
وَأَنْتِ رَحِلَتْ لِتَرْحَلِينَ ذَمِيمَةً وَكَذَا الْمَقَامَ بِذِلَّةٍ وَصَغَارِ

قال: فرقع الغمر رأسه إلى، وقال: يا بن الزانية مادعاك إلى هذا؟ وضرب
عبد الله بقلنسوة كانت على رأسه الأرض، وكانت العلامة بينه وبين أهل

(١) في نسخة «دولة».

خراسان ، فوضعوا عليهم العمدة حتى ماتوا ، وأمر بالغمر فضربت عنقه صبراً .
وكان ابن حزم أميراً على المدينة ، فتحامل على الأحوص الشاعر تحاملاً شديداً ،
فشخص إلى الوليد بن عبد الملك ، فأنشده قصيدة يمتدحه فيها ، فلما بلغ إلى قوله
كالذي يشتكى ابن حزم وظلمه :

الأحوص
يعزى بآل
ابن حزم

لا تثنين لحزمتي ظفرت به يوماً ولو ألقى الحزمتي في النار
الناخسين لمروان بذى خشب والداخلين على عثمان في الدار
فقال له الوليد : صدقت والله ، لقد غفلنا^(١) عن حزم وآل حزم ، ثم كتب
عهداً لعثمان بن حيان المرمي على المدينة ، وعزل ابن حزم ، وأمر باستئصال أموالهم ،
وإسقاطهم جميعاً من الديوان .

ولما وثب إبراهيم بن المهدي على المأمون اقترض من التجار مالا كثيراً ،
فكان فيه لعبد الملك الزيات عشرة آلاف دينار ، فلما لم يتم أمره لوى التجار
أموالهم ، فصنع محمد بن عبد الملك قصيدة يخاطب فيها المأمون ، منها قوله :

أبن الزيات
يعزى المأمون
بعمه إبراهيم
ابن المهدي

تذكر أمير المؤمنين قيامه بأيمانه في الهزل منه وفي الجسد
إذا هز أعواد المنابر باسته تغنى بليلى أو بمية أو هند
ووالله ما من توبة نزعته به إليك ، ولا ميل إليك ، ولا ود
وكيف بمن قد بايع الناس ، والتقت بينه وبينه الركبان غوراً إلى نجد ؟
ومن صك تسليم الخلافة سمعه ينادى بها بين السماطين عن بعد
وأى أمرى سمي بها قط نفسه ففارقها حتى يغيب في اللحد ؟

وعرضها على إبراهيم - وهو حينئذ حامل الذكر لم يتعلق بعد بالخدمة تعلقاً
ينفع - فسأله [إبراهيم] كتمانها ، واستخلفه على ذلك ، وأدى مال أبيه دون
سائر التجار ، ومثل ذلك كثير لو تقصى لطلال به الكتاب

(٧) - باب احتفاء القبائل بشعرائها

كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها ، وصنعت
الطعمة ، واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر ، كما يصنعون في الأعراس ، ويتباشرون الرجال
والولدان ؛ لأنه حماية لأعراسهم ، وذبت عن أحسابهم ، وتخليد لما أثرهم ، وإشادة
بذكورهم . وكانوا لا يهينون إلا بغلام يولد ، أو شاعر ينبغ فيهم ، أو فرس تنتج :
فمن حى قبيلته زياد الأعجم ، وذلك أن الفرزدق هم بهجاء عبد القيس ،
فبان ذلك زياداً وهو منهم ، فبعث إليه : لا تعجل وأنا مُهْدٍ إليك هدية ، فانتظر
الفرزدق الهدية ، فجاءه من عنده :

فما ترك الهاجون لي إن هجوته مُصَحَّحاً أراه في أديم الفرزدق
ولا تركوا عظماً يرى تحت نلحه لِسَكَايِرِهِ أَبْقَوْهُ لِمَتَرَقٍ
سأ كسر ما أبقوا له من عظامه وأنكث مخ الساق منه وأنتقى
فإننا وما تهدي لنا إن هجوتنا لكالبجرمهما يُلقَى في البحر يفرق
فلما بلغت الأبيات كَفَّ عما أرادَ ، وقال : لا سبيل إلى هجاء هؤلاء معاش
هذا العبد فيهم .

وهجا عبد الله بن الزُّبَيْرِ السَّهْمِيُّ بنِي قُصَيٍّ ، فرفعوه برمته إلى عتبة بن
ربيعة ؛ خوفاً من هجاء الزبير بن عبد المطلب ، وكان شاعراً مقلقاً شديد العارضة
مُتَّقِذِعِ الهجاء ، فلما وصل عبدُ الله إليهم أطلقه حمزة بن عبد المطلب وكساه ، فقال :

لعمرك ما جاءت بُنْكَرٌ عَشِيرَتِي وإن صالحت إخوانها لا ألومها
فردَّ جُنَاةَ الشرِّ ؛ إنَّ سيوفنا بأيماننا مسلولة لا نَسِيمُها
فإن قصياً أهل مجد وعزة وأهلُ فقال لا يرام قديمها
همُ منعوا يومئ عكاظ نساءنا كما منع الشول الهجان قُرُومُها

(ه - — العمدة ١)

عبد الله بن
الزُّبَيْرِ وبنو
قُصَيٍّ

وكان الزبير غائباً بالطائف ، فلما وصل إلى مكة وبلغه الخبر قال :
 فلولا نحن لم يلبس رجالٌ ثيابَ أعزّةٍ حتى يموتوا
 ثيابهم سمّالٌ أو طيارٌ بها ودكٌ كما دسيمَ الحميت
 ولكنّا خلقنا إذ خلقنا لنا الخبرات والمسك الفتيّت
 وهجا رجل من بنى حرام الفرزدق ، فجاء به قومه يقودونه إليه ، فقال
 بنو حرام
 والفرزدق
 الفرزدق :

ومن يك خائفاً لأذاعٍ شعري فقد أمن الهجاء بنو حرام
 هم قادوا سفيهم ، وخافوا قلائدَ مثلَ أطواق الحمام
 وهجا الأحوص بن محمد الأنصاري رجلاً من الأنصار يقال له ابن بشير
 - وكان مكبراً - فاشتري هدية ، ووفد بها على الفرزدق مستجيراً به ، فأجاره ،
 ثم قال : أين أنت من الأحوص بن محمد ؟ فقال : هو الذي أشكو ، فأطرق
 الفرزدق ساعة ثم قال : أليس الذي يقول :

الآف برسم الدار فاستنطق الرثما فقد هاج أحزاني وذكري نغمي
 قال : بلى ، قال : والله لا أهجو شاعراً هذا شعره ، فاشتري ابن بشير أنفَسَ
 من الهدية الأولى وقدم بها على جرير ، فاستجاره فأجاره ، ثم قال له : ما فعل ابن
 عمك الأحوص بن محمد ؟ قال : هو صاحبي الذي هجاني ، قال : أليس القائل :
 تمشى بشتى في أكارس مالِك يشيد به كالكلب إذ ينبح النجاء^(١)
 قال : بلى ، قال : والله لا أهجو شاعراً هذا شعره ، فاشتري أكثر من الهديتين
 وأهداها إلى الأحوص وصالحه

ولهذا وأمثاله قال جرير لقومه يعاتبهم في قصيدة خاطب فيها أباه وجده
 الخطفى ممتناً عليهم بنفسه :

(١) الكرس - بكسر الكاف وسكون الراء - الجماعة من أى شيء كان ، ويجمع
 على أكارس ، وجمع الجمع أكارس وأكاريس .

بأىَّ نَحَادٍ تَحْمِلُ السَّيْفَ بَعْدَ مَا قَطَعْتَ الْقَوَى مِنْ مَحَلِّ كَانَ بَاقِيَا؟
 بأىَّ سَنَانٍ تَطْعَنُ الْقِرْنَ بَعْدَ مَا نَزَعْتَ سَنَانًا مِنْ قَنَازِكَ مَاضِيَا؟
 أَلَا لَا تَخَافَا نَبُوتَى فِي مَلْعَةٍ وَخَافَا الْمَنَايَا أَنْ تَفُوتَكُمَا بِيَا
 فَقَدْ كُنْتَ نَارًا يَصْطَلِيهَا عَدُوْكُمْ وَجِرْزًا لَمَّا أُلْجَأْتُمْ مِنْ وَرَائِيَا
 وَبَاسِطَ خَيْرٍ فِيكُمْ بِيَمِينِهِ وَقَابِضَ شَرٍّ عَنْكُمْ بِشَمَالِيَا
 وَإِنِّي لَعَفُ الْفَقْرِ مُشْتَرِكُ الْغَنَى سَرِيعٌ - إِذَا لَمْ أَرْضَ جَارِي - انْتَقَالِيَا
 جَرِيءُ الْجَنَانِ لِأَهَابِ مِنَ الرَّدَى إِذَا مَا جَعَلْتَ السَّيْفَ مِنْ عَن شَمَالِيَا
 وَلَيْسَتْ لِسِيْفِي فِي الْعِظَامِ بَقِيَّةٌ وَلَا السَّيْفُ أَشْوَى وَقْعَةٍ مِنْ لِسَانِيَا .
 وهذا الباب أكثر من أن يستقصى ، ورغبتي في الاختصار ، وإنما جئت
 منه ومن سواه بلمحة تدل على المراد ، وتبأغ في ذلك حدَّ الاجتهاد .

(٨) - باب من قال الشعر ، وطيرته

تغافل حسان بن ثابت للنبي صلى الله عليه وسلم بفتح مكة فقال في كَلِمَتِهِ حسان يتغافل
 المشهورة يخاطب بذلك مشركي أهل مكة ويتوعددهم :

عَدِمْنَا خَيْلَنَا إِنْ لَمْ تَرْوَهَا تَثِيرُ النِّعَمَ مَوْعِدَهَا كِدَاءُ
 يُبَارِيزُ الْأَعْنَةَ مُصْغِيَاتٍ عَلَى أَكْتَافِهَا الْأَسَلُ الظَّاءُ
 تَظُلُّ جِيَادُنَا مُتَمَطِّرَاتٍ يَلْطَمُهُنَّ بِالْخُمُورِ النِّسَاءُ^(١)

[ورأيت من يستحسن « يلطمهن » من لطمت الخبزة إذا نفضت عنها
 الرماد] ، فلما كان يوم الفتح أقبل النساء يمسحن وجوه الخيل ، وينفضن الغبار
 عنها بخمرهن ، فقال قائل : لله در حسان إذ يقول^(٢) ، وأنشد الأبيات . وروى قوم
 أن الناس أمروا بالسير إلى كداء تفاؤلا بهذا البيت ليصح ؛ فكان الأمر كما قال .

(١) متمطرات : مسرعات يسبق بعضها بعضا .

(٢) ويروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « قد صدق الله حسان في هذا »

كان رسول الله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتفاهل ، ولا يتطير ، ويجب الاسم الحسن ، وقال : « ثلاثة لا يسلم منهم أحد : الطَّيْرَة ، والظن ، والحسد » قيل له : فما المخرج منهم يا رسول الله ؟ قال : « إذا تطيرت فلا ترجع ، وإذا ظننت فلا تحقق ، وإذا حسدت فلا تبغ » .

كان رسول الله يتفاهل ولا يتطير

ومن مליح ما وقع في التفاؤل ما حكى محمد بن الجراح ، وذلك أن أبا الشمقمق شَخَصَ مع خالد بن يزيد بن مزيد ، وقد تقلد الموصل ، فلما مر ببعض الدروب اندق اللواء ، فاغتم خالد لذلك وتطير منه ، فقال أبو الشمقمق :

أبو الشمقمق يتفاهل لخالد بن يزيد

ما كان مندق اللواء لطيرة تخشى- ، ولا سوء يكون معجلاً لكن هذا العود أضعف متنه صغرُ الولاية فاستقل الموصلاً فسُرِّي عن خالد ، وكتب صاحب البريد بخبر ذلك إلى المأمون ، فزاده ديار ربيعة ، وأعطى خالد أبا الشمقمق عشرة آلاف درهم .

و بنى جماعة من الكتاب على مومى بن عبد الملك ، فأمر المتوكل بحبسه ، قال : فرأيت في النوم قائلاً يقول :

مومى بن عبد الملك وجماعة من الكتاب

أبشر فقد جاءت السعود أباد أعداءك المبيد لم يظفروا بالذى أرادوا بل يفعل الله ما يريد ووقف المتوكل منهم على أمر أوجب إيقاعه بهم ، وأمر بإطلاق وإعادتي إلى أشرف رتبة .

ولا بد من ذكر ما يتطير منه في باب غير هذا .

مجنون ليلي وقال قيس المجنون :

قضاها لغيري وابتلاني بحبها فهلاً بشيء غير ليلى ابتلانيا فما مات حتى برص ، ورأى في منامه قائلاً يقول له : هذا ما تمنيت . ويقال : إن المؤمل بن أميل لما قال :

مجنون ليلي

شفَّ المؤملَ يومَ الحيرةِ النظرُ لیتَ المؤملَ لم يُخلَقْ له بصرُ
نام ذات ليلة صحيحاً ، فأصبح مكفوف البصر .

أبو الهول
وجعفر بن يحيى

وتطير أبو الهول على جعفر بن يحيى البرمكي ، فقال :

أصبحت محتاجاً إلى ضرب في طلب العُرفِ من الكلب
إذا شكا صباً إليه الهوى قال له : مالى وللصب
أعنى فتى يطعن في ديننا يشبُّ معه خَشَبُ الصَّلبِ
فكان من أمر جعفر ما كان .

وكان ابن الرومي كثير الطيرة : ربما أقام المدة الطويلة لا يتصرف تطيراً
بسوء ما يراه ويسمعه ، حتى إن بعض إخوانه من الأمراء افتقده فأعلم بحاله
في الطيرة ، فبعث إليه خادماً اسمه إقبال ليتفاد به ، فلما أخذ أهبطه للركوب قال
للخادم : انصرف إلى مولاك فأنت ناقص ، ومنكوس اسمك لا بقاً ..
وابن الرومي القائل : الفأل لسان الزمان ، والطيرة عنوان الحدثنان . وله فيه
احتجاجات وشعر كثير .

٩ - باب في منافع الشعر ومضاره

قد أكثر الناس في هذا الفن ، ولا بد مع ذلك أن آتى منه بنبذ يقتضيها
ترسيم الكتاب وحق التأليف ، وليست على مطالبة ، ولا قبلي حجة ، في ذكر
مضاره بعد منفعه أو معها ؛ إذ كانت الرغبة في تحسين الحسن ليتزيد منه ،
وتقبيح القبيح لينتهى عنه .

وقد فرط في أول الكتاب من قول عائشة رضى الله عنها وقول سواها من
الصحابه ومن التابعين رحمة الله عليهم ورضوانه في الشعر ما فيه كفاية : من
أنه كلام يحسن فيه ما يحسن في الكلام ، ويقبح منه ما يقبح في الكلام ،
وبقدر حسنه وقبحه يكون نفعه وضرره ، والله المتعال .

الأمون وبيت من شعر عمارة بن عقيل
حكى أبو العباس المبرّد أن المأمون سمع منشداً ينشد قول عمارة بن عقيل بن
بلال بن جرير :

أتركُ إن قلتُ دراهم خالد زيارته ؟ إني إذا للثيم
فقال : أو قد قلتُ دراهم خالد ؟ احموا إليه مائتي ألف درهم ، فدعا خالد
بعمارة ، فقال : هذا مطر من سحابك ، ودفع إليه عشرين ألفاً .

المصور يعفو عن كاتب بيت من الشعر
ووجد أبو جعفر المنصور على أحد الكتاب وأمر به ليضرب ، فقال :
ونحن الكاتبون وقد أسأنا فهبنا للكرام الكاتيين
فخلى سبيله إعجاباً ببديهيته .

يزيد بن معاوية يسوغ قاطع طريق بشعر له رواه
وحمل بعض العمال إلى يزيد بن معاوية مالا جليلا ، فقطع عليه قسم الغنوى
فأخذه ، وأمر يزيد بطلبه ، فلما حصل بين يديه قال : ما حملك على الخروج علينا
وأخذ مال يحمل إلينا ؟ قال : إذنك يا أمير المؤمنين أعزك الله ، قال : ومتى أذنت
لك ؟ قال : حين قلت وأنا أسمعك

اعصِ العواذل وارم الليلَ عن عرض

بذى سيب يقاسى ليله خبيبا
كالسيدر لم ينقب البيطار سرته ولم يدجسه ولم يقطع له لَبَبا
حتى تُصادف مالا أو يقال فتى لاقى التي تشعب الفتیان فانشعبا
فعميت عواذلى ، وأسهرت ليلى ، وأعملت جوادى ، فأصبتُ مالا ، قال :
قد سوغناكه فلا تعد .

أبو الشمقمق واثنان من عمال يحيى بن خالد
وكان جميل بن محفوظ وأبو دهمان من عمال يحيى بن خالد ، فوفد عليهما
مرة أبو الشمقمق - واسمه مروان بن محمد - فأكرمه أبو دهمان وأساء إليه جميل ،
فقال :
رأيت جميل الأزد قد عقى أمه فذاك أبو دهمان أم جميل

وتناظرا بعد ذلك فى مال بين يدى يحيى بن خالد ، فاستغلى جميل على أبى

دهمان في الخطاب ، فقال له أبو دهمان : احفظ الصهر الذي جعله بيننا أبو الشمقمق ، فضحك يحيى بن خالد حتى فَحَصَ الأرض برجليه ، وترك المال الذي تشاجرا فيه .

وأتى مصعب بن الزبير بأسارى من أصحاب المختار ، فأمر بقتلهم بين يديه ، مصعب بن الزبير
فقام إليه أسير منهم فقال : أيها الأمير ، ما أقبح بك أن أقوم يوم القيامة إلى وأسير من
أصحاب المختار صورتك هذه الحسنة ووجهك المليح الذي يستضاء به فأتعلق بك وأقول : يارب ،
سَلْ مصعباً فيم قتلنى ، فاستحيا مصعب وأمر بإطلاقه ، فقال : أيها الأمير ، اجعل
ما وهبت من حياتى فى خَفَضِ ودَعَا من العيش ، قال : قد أمرت لك بثلاثين
ألف درهم ، قال : أشهدك أيها الأمير أن شَطَرَ هذا المال لعبد الله بن قيس الرقيات ،
قال : ولم ذلك ؟ قال : لقوله :

إِنَّمَا مُصْعَبٌ شَهَابٌ مِنْ اللَّهِ تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظُّلُمَاءُ

فضحك مصعب وقال : اقبض ما أمرنا لك به ، ولابن قيس عندنا مثله ،
فما شعر عبد الله بن قيس إلا وقد وافاه المال .

وحكى عن ابن شهاب الزهري قال : دعانى يزيد بن عبد الملك ، وقد مضى يزيد بن عبد
الملك يطلق شَطَرَ الليل ، فأثبته فَرِعا وهو على سطح ، فقال : لا بأس عليك اجلس ؛ فجلست
الأحوص بسبب بيتين من شعره واندفعت جاريته حباية تغنى :

إِذَا رَمَتْ عَنْهَا سَلْوَةٌ قَالَ شَافِعٌ مِنْ الْحَبِّ : مِيعَادُ السَّلْوَةِ الْمَقَابِرُ
سَتَبْقَى لَهَا فِي مُضْمَرِ الْقَلْبِ وَالْحَشَا سَرِيرَةٌ حَبٌّ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ

قال : لمن هذا الشعر ؟ فقلت : للأحوص ، قال : ما فعل الله به ؟ قلت :
محبوس بدَهْلِكِ ، فكتب من ساعته بإطلاقه ، وأمر له بأربعمائة دينار ، وقدم
إليه فأحسن جائزته .

ومن ضره الشعر — وكل من عند الله عز وجل وبمشيئته ومقدوره —

على بن العباس بن جريج الرومى : كان ملازماً لأبى الحسين القاسم بن عبید الله
أبن سليمان بن وهب ، مخلصاً به ، فاتصل ذلك بعبید الله وسمع هجاءه ، فقال
لولده أبى الحسين : أحب أن أرى ابن روميك هذا ، فجمع بينهما فرأى رجلاً
لسانه أطول من عقله ، فأشار عليه بإبعاده ، فقال : أخافه ، قال : لم أرد إقصاءه ،
ولكن بيت أبى حية النيرى :

موت ابن
الرومى
مسموماً

قللنا لها فى السر نفديك^(١) لا يرح صحيحاً وإلاً تقتليه فأللى

فحدث أبو القاسم ابن فراس بما كان من أبيه - وكان ابن فراس من أشد
الناس عداوة لابن الرومى - فقال له : أنا أ كفيك ، فسم له لوز ينجة فمات ،
وسبب ذلك كثرة هجائه وبذاءته .

ودعبل بن على الخزاعى : كان هجاءً للولوك ، جسوراً على أمير المؤمنين ،
متحاملاً ، لا يبالي ما صنع ، حتى عرف بذلك ، وطار اسمه فيه ، فصنع على لسانه
بكر بن حماد التاهرتى ، وقيل : غيره ممن كان دعبل يؤذيه ويهاجيه :

موت دعبل
وسيه

ملوك بنى العباس فى الكتب سبعة ولم تأتنا عن ثامن لهم كُتب
كذلك أهل الكهف فى الكهف سبعة كرام إذا عدوا ، وثامنهم كلب

وقال قوم : بل صنعها دعبل نفسه ، وكان المعتصم يعرف بالثامن وبالثلثين
أيضاً ، فبلغه ذلك ، فأمر بطلبه ، ففر منه إلى بلد بالسودان بناحية المغرب
- وهى التى تعرف الآن بزويلة بنى الخطاب - فمات بها وهناك قبره ، وإلى
جانبه قبر عبد الله ابن شيخنا أبى عبد الله محمد بن جعفر النحوى رحمه الله ، هكذا
يروى أصحابنا . وأما شعر البحترى فيشهد بخلاف هذا ، وذلك أنه رثى دعبلاً
وأبا تمام حبيباً الطائى فقال فى أبيات هجا فيها الخثعمى الشاعر :

(١) فى نسخة « سرأ فدينك »

جدّث على الأهواز يبعد دونه مسرى النعّى ، ورمّة بالموصل
فألقى بالموصل أبو تمام حبيب لاشك ؛ لأنه مات بها وهو يتولى البريد
للحسن بن وهب ، وكان يعنى به كثيراً ، والآخر دعبل ، ورأيت من يرويه :
شِلُّوا على عَمَرَ قُوفَ تلقه هوج الرياح ، ورمّة بالموصل
والأول أعرف وأشبه بالصواب .

ووالبة بن الحباب : ذكر أن الرشيد أو غيره سأل من القائل :
ولها - ولا ذنب لها - حُبُّ كأطراف الرماح
في القلب يجرح دائماً فالقلب مكلوم النواح
فقال له بعض من حضر من العلماء : ذلك والبة بن الحباب يا أمير المؤمنين ،
وأيّن تذهب عن معرفته ؟ والله ما رأيت أرقّ منه شعراً ، ولا أطيّب نادرة ، ولا
أكثر رواية ، ولا أجزل معرفة بأيام العرب منه ، فقال : لم يمنعني منه إلا بيتا
شعر قالمهاوما :

قلت لساقينا على خلوة أذن كذا رأسك من راسيا
ونمّ على وجهك لى ساعة إني أمرؤ أنكح جلاسيا
أحب أن ينكحنا لا أمّ لك ؟ قال : ففسلت أثوابى عرقا من شدة الحياء .
يزيد بن أم الحكم الثقفى : عهد له الحجاج على فارس ، فأتاه يودعه ،
فقال له : أنشدنى ، وقدّر أنه يمدحه ، فأنشده :

وأبى الذى سلب ابن كسرى راية بيضاء تخفق كالعقاب الطائر
فاسترد العهد منه ، وقال للحاجبه : إذا رده عليك فقل له : أَوْرَثَكَ أبوك
مثل هذا ؟ فقال له الحاجب ذلك ، فقال يزيد : قل للحجاج :
وورثت جدّى بجده وفعاله وورثت جدّك أعزّاً بالطائف
وبمثل هذا السبب غضب سليمان بن عبد الملك على الفرزدق ، وذلك أنه
استنشدته لينشده فيه أو فى أبيه ، فأنشده مفتخراً عليه :

الفرزدق مع
نصيب وسليمان
بن عبد الملك

وركب كأنَّ الرِّيحَ تطلب عندهم لها تَرَةً من جَذْبِها بالعصائب
سروا يخبطون الرِّيحَ^(١) . وهى تلقهم إلى شعب الأكوار ذات^(٢) الحقائق
إذا استوضحوا ناراً يقولون : ليتها - وقد خَصِرَتْ أيديهم - نارٌ غالب

فتبين غضب سليمان ، وكان نصيب حاضراً فأنشده :
أقول لركبِ قافلين رأيته^(٣) قفا ذات أو شال^(٤) ومولاك قارب
قفوا خبروني عن سليمان ؛ إننى لمعروفه من أهل ودَّان طالب
فعاजू فأنثوا بالذى أنت أهله ولو سكتوا أثنتُ عليك الحقائق

فقال : يا غلام ، أعطِ نصيباً خمسمائة دينار ، وألحق الفرزدق بنار أبيه ،
فخرج الفرزدق مُغضباً يقول :

وخير الشعر أكرمه رجالاً . وشرُّ الشعر ما قال العبيد

وممن ضره الشعر وأهلكه سديف ؛ فإنه طعن في دولة بنى العباس بقوله
لما خرج محمد بن الحسن بالمدينة على أبي جعفر المنصور في أبيات له :
ممن ضره شعره سديف

إنا لنأملُ أن تتردَّ ألفتنا بعد التباعدِ والشحناء والإحَنِ
وتنقضى دولةُ أحكامٍ قادتها فينا كأحكام قومٍ عابدي وثنِ
فانهض ببيعتكم ننهضُ بطاعتنا إن الخلافة فيكم يا بني الحسنِ

(١) في نسخة « الليل » .

(٢) في نسخة « من كل جانب » .

(٣) في معجم ياقوت « قافلين عشية » وفي رواية أخرى « صادرين لقيتهم »

(٤) أى : رأيته خلف ذات أو شال ، وذات أو شال : موضع . وقفاه : جانبه

الخلقى ، وهو كما قال الشاعر :

خذا أنف هرشى أوقفها فأبما كلا جانبي هرشى لمن طريق

فكتب المنصور إلى عبد الصمد بن علي بأن يدفنه حياً ، ففعل ، ويقال : إن الأبيات لعبد الله بن مصعب نُسِبت إلى سديف وُحِلت عليه فقتل بسببها ، وذلك أشد

وأحق الشعراء عندي مَنْ أَدخل نفسه في هذا الباب أو تعرض له ، وما للشاعر والتعرض للَحُتُوفِ ؟ وإنما هو طالب فضل ، فلم يضيع رأس ماله ؟ لاسيما وإنما هو رأسه ، وكل شيء يحتمل إلا الطعن في الدول ، فإن دعت إلى ذلك ضرورة مجحفة فتعصب المرء لمن هو في ملكه وتحت سلطانه أصوب ، وأعذر له من كل جهة وعلى كل حال ، لا كما فعل سديف .

وأبو الطيب لما فرَّ ورأى الغلبة قال له غلامه : لا يتحدث الناس عنك بالفرار مقتل المتنبي بسبب بيت من شعره
أبدأ وأنت القائل :

الخليلُ والليلُ والبيداء تعرفني والطعنُ والضربُ والقرطاس والقلم^(١)
فكر راجعاً فقتل ، وكان سبب ذلك هذا البيت ..

وكان كافور الإخشيدي قد وعد أبا الطيب بولاية بعض أعماله ، فلما رأى حرمان كافور المتنبي الولاية تعاضمه في شعره وسموه بنفسه خافه ، وعُوتِبَ فيه ، فقال : يا قوم ، من ادعى النبوة مع محمد صلى الله عليه وسلم لا يدعى المملكة مع كافور ؟ ! حَسْبُكُمْ .

وزعم أبو محمد عبد الكريم بن إبراهيم النهشلي أن أبا الطيب إنما سُمي متنبيّاً تنبؤه لفظنته ، وقال غيره : بل قال : أنا أول من تنبأ بالشعر ، وادعى النبوة في بني الفصيصة .

والأخبار في هذا النوع كثيرة جداً ، وإنما جئت بأقربها عهداً ، وأشهرها في كتب المؤلفين ، مما يليق بالموضع ذكره

(١) يروى عجز هذا البيت هكذا

* والسيف والرمح والقرطاس والقلم *

(١٠) — باب تعرض الشعراء

عمر والنجاحي كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه عالماً بالشعر ، قليل التعرض لأهله : استعداه رَهْطُ تميم بن أبي [بن] مقبل^(١) على النجاشي لما هجاهم ، فأسلم النظر في أمرهم إلى حسان بن ثابت ؛ فراراً من التعرض لأحدهما ، فلما حكم حسان أنفذ عمر حكمه على النجاشي كالمتقصد من جهة الصناعة ، ولم يكن حسان — على علمه بالشعر — أبصر من عمر رضى الله عنه بوجه الحكم ، وإن اعتل فيه بما اعتل ، وقد مضت الحكاية^(٢) .

عمر والحطيئة وكذلك صنع في هجاء الحطيئة الزُّبْرَقَان بن بدر : سأل حسان ثم قضى على الحطيئة بالسجن ، وقيل : بل سجنه لموافقته إياه وقوله : إن لكل مقام مقالا ، فقال له : أتهددني ؟ امضوا به إلى السجن ، فسجنه في حفرة من الأرض .
أبو عبيدة
لاحكم بين
الشعراء الأحياء
وسئل أبو عبيدة : أى الرجلين أشعر : أبو نواس ، أم ابن أبي عيينة ؟
فقال : أنا لا أحكم بين الشعراء الأحياء ، فقل له : سبحان الله كأن هذا ما تبين لك ! فقال : أنا ممن لم يتبين له هذا !!!

أول من لقب قريشا. سخينة
وقيل : إن أول من لقب قريشاً — على شرفها ، وبعد ذكرها في العرب — سَخِينَةُ لِحَسَاء كانت تتخذ في الجاهلية عند اشتداد الزمان خدشاً بن زهير حيث يقول :

ياشدة ما شددنا غير كاذبة على سخينة لولا الليل والحرم
فذهب ذلك على أفواه الناس ، حتى كان من التمازح به ما كان بين معاوية
(١) أبي — بضم الهمزة ، وفتح الباء ، وتشديد الياء ، كما ذكره البغدادي في شرح الشاهد الثاني والثلاثين ، وكان في الأصل « تميم بن أبي مقبل » وتصويبه عن الخزانة ، ويؤكدها عندنا الأبيات التي هجاء بها النجاشي وقد سبقت .
(٢) انظر (ص ٥٢) من هذه الجزء .

ابن أبي سفيان وبين الأخنف بن قيس التميمي ، حين قال له : ما الشيء الملفف في البجاد ؟ فقال له : السخينة يا أمير المؤمنين ، أراد معاوية قول الشاعر :

إذا ما مات مَيِّتٌ من تميم فَسَرَّكَ أن يعيش فجىء بزادٍ
بخبزٍ أو بلحمٍ ^(١) أو بتمرٍ أو الشيء الملفف في البجاد

يريد وطبّ اللبن ، وأراد الأخنف قول خدّاش بن زهير * ياشدة ما شدّدنا . . . البيت * وحتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكعب بن مالك الأنصاري : أترى الله نسي قولك ؟ يعني :

زَعَمْتَ سَخِينَةً أن سَتَغْلِبُ ربّها وَلَكَيْفَ لَبِنٌ مُغَالِبُ الْعَلَابِ

ولسير الشعر على الأفواه هذا المسير تجنّب الأشرافُ مازحة الشاعر خوف
لفظة تسمع منه مزحاً فتعود جداً ، كما قال دعبل الخزاعي :
الأشراف
يتجنبون
ممازحة الشعراء

لا تعرضنّ بمزح لا مريء طيّبٍ ما راضه قلبه أجرا في الشفة
فربّ قافية بالمزح جارية في محفل ^(٢) لم يُردّها بماؤها نمت
إني إذا قلت بيتاً مات قائله ومن يقال له والبيت لم يمت

وقال رجل لابن الرومي يمازحه : ما أنت والشعر ؟ لقد نلت منه حظاً جسيماً وأنت من العجم ، أراك عربياً في الأصل أو مدعياً في الشعر ! قال : بل أنت دعوى ؛ إذ كنت تنسب عربياً ولم تحسن من ذلك شيئاً ، وله يقول من أبيات :

إياك يابن بُوَيْبِرٍ أن يستشار بُوَيْبِرُ
قد تحسنُ الروم شعراً ما أحسنته العريبُ

(١) في نسخة « أو بتمر أو بسمن »

(٢) في نسخة « مشؤمة »

وهذا مثل قول الصيني^(١) الشاعر لبعض الأعراب وقد أنشد عبد الله بن طاهر بحضرته شعراً ، فقال له الأعرابي : ممن الرجل ؟ فقال : من العجم ، قال : ما للعجم والشعر ؟ أظن عربياً نَزَا على أمك ، قال : فمن لم يقل منكم الشعر معشر العرب فإنما نزا على أمه أعجمي !! فسكت الأعرابي .

للشعراء السنة
حداد

وأنشد أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ فقال :
وللشعراء السنة حدادٌ على العورات موفيةٌ دليـله
ومن عقل الكريم إذا اتَّقاَهُم وداراهم مداراةً جميله
إذا وَضَعُوا مكاويهم عليه - وإن كذبوا - فليس لهنَّ حيله
والأبيات لأبي الدهلان^(٢) . . . ولأمرمًا قال طرفة :
رأيت القوافي تتَلَجَّنَ مَوَاجِئًا تَضَايِقُ عنها أن تَوَلَّجها الإبر
وقال امرؤ القيس * وجُرَّحُ اللسان كجرح اليد * ومع ذلك كله فلا ينبغي
للشاعر أن يكون شرساً شديداً ، ولا حرجاً عريضاً ؛ لما يدل به من طول لسانه
وتوقف الناس عن نخاشنته .

فهذا الفرزدق كان شاعر زمانه ورئيس قومه ، لم يكن في جيله أطرفُ منه
نادرة ، ولا أغرب مدحاً ، ولا أسرع جواباً : اجتاز بنسوة وهو على بغلة فهمزها
فخبقت ، فتضاحكن ، وكان عريضاً ، فقال : ما يضحكن وما حملتني أثى قط
إلا فعلت مثل هذا ؟ قالت إحداهن : فما صنعت التي حملتك تسعة أشهر ؟
فانصرف خجلاً .

ومر به رجل فيه لين ، فقال له : من أين أقبلت عمتنا ؟ فقال : نفاها الأغر
أبن عبد العزيز ، فكان الفرزدق صُبَّ عليه الماء ؛ لأنه عرض له بقول جرير
فيه حين نفاه عمر بن عبد العزيز من المدينة :

نفاك الأغر بن عبد العزيز وحَقَّقَكَ تنفي من المسجد

وكان الفرزدق مرة ينشد ، والسميت صبي ، فأجاد الاستماع إليه ، فقال

(١) كذا ، ولم يستقم لنا .

(٢) لعله «أبودهان» والشعر في البيان ١/٥٩ منسوباً لبعض المولدين من غير تعيين

له : يا بني أيسرك أنى أبوك ؟ قال : أما أبى فلا أرى به بدلا ، ولكن يسرنى أنك
أمى ، فأخذه حتى غص بريقه ، وزعم قوم أن هذه الحكاية إنما وقعت مع كثير .
ومر يوما بمضرس الفقعسى ، وهو غلام حديث السن ، ينشد الناس شعره
فحسده على ما سمعه منه ، فقال له بعد كلام طويل فيه تعريض وتصريح : أدخلت
أملك البصرة ؟ وفهم عنه مضرس ما أراد ، فقال : كلا ولكن أبى ! ورجع إلى
إنشاده ، فاستحيا الفرزدق ، حكى ذلك شيخنا أبو عبد الله ، وإنما أراد الفرزدق
أنها إن دخلت البصرة فقد وقعت عليها فأنت ابنى ، قال مضرس : بل أبى وقع
على أملك .

ومثل هذا بعينه عرض للفرزدق مع الخطيئة ؛ فإن الخطيئة قال له وقد سمعه
ينشد شعراً أعجبه : أنجدت أملك ؟ قال : بل أجد أبى ! ! ونظم ذلك جرير ،
ونعاه عليه ، وادعى أنه صحيح فقال :

كان الخطيئة جاراَ أملك مرةً والله يعلم شأنَ ذاك الجارِ
من ثمَّ أنت إلى الزناء بعلّة بأشر شيخ في جميع نزارِ
لا تفخرنَّ بغالب ومحمد واختر بعُيس كل يوم فحارِ
وكان يزعم أن الخطيئة جاور لينة بنت قرطة فأعجبته فراودها فوق عليها
وزوجها أخوها العلاء غالباً أبا الفرزدق وقد تبين حملها فولدت الفرزدق
على فراشه .

واحتذى هذا الخذو سواء أبو السمط مروان الأصغر بن أبى الجنوب بن أبو السمط
مروان بن أبى حفصة فقال يهجو على بن الجهم بن بدر :

لعمرك ما الجهم بن بدر بشاعرٍ وهذا علىٌ بعده بصنع الشعرا
ولكن أبى قد كان جاراَ لأمه فلما تعاطى الشعر أوهنى أمرا
والشاعر أولى من كَفَّ منطقهُ ، وأقال عثرات اللسان ؛ لما رزق من القدرة
على الكلام ، والعفو من القادر أحسن ، وبه أليق (ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك

الفرزدق
ومضرس
الفقعسى

الفرزدق
والخطيئة

أبو السمط
وعلى بن الجهم

ما عليهم من سبيل ؛ إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ، ويبغون في الأرض
بغير الحق ، أولئك لهم عذاب أليم ، ولن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور .

(١١) — باب التكسب بالشعر ، والأنفة منه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَنَّهُمْ كُمُ^(١) » عن قيل وقال ، وعن
كثرة السؤال ، وإضاعة المال ، وعقوق الأمهات ، ووأد البنات ، ومنع وهات ..
وكانت العرب لا تتكسب بالشعر ، وإنما يصنع أحدهم ما يصنعه فكاهة
أو مكافأة عن يد لا يستطيع أداء حقها إلا بالشكر إعظاماً لها ، كما قال امرؤ القيس
[بن حُجْر] يمدح بنى تيم رهمط الملقى :

أقرَّ حَشَاً امرئ القيس بن حُجْر بنو تيم مصاييحُ الظلام
لأن الملقى أحسن إليه وأجاره حين طلبه المنذر بن ماء السماء ، لقتله بنى أبيه
الذين قتل بدير مرينا ، فقبل لبنى تيم « مصاييح الظلام » من ذلك اليوم لبيت
امرئ القيس . وقال [أيضاً] لسعد بن الضباب :

سأجزيك الذى دافعت عني وما يهزيك عني غيرُ شكرى
فأخبره أن شكره هو الغاية في مجازاته كما قدمت .

أول المتكسبين حتى نشأ النابغة الذبياني ؛ فدح الملوك ، وقبل الصَّلَّة على الشعر ، وخضع
النابغة الذبياني للنعمان بن المنذر ، وكان قادراً على الامتناع منه بمن حوله من عشيرته أو من سار
إليه من ملوك غسان ، فسقطت منزلته ، وتكسب مالا جسيماً ، حتى كان أكله
وشربه في صحاف الذهب والفضة وأوانيهِ^(٢) من عطاء الملوك .

(١) في نسخة « إن الله ينهاكم » .

(٢) في نسخة « وأوانيها » .

وتكسب زهير بن أبي سلمى بالشعر يسيراً مع هريم بن سنان.

فلما جاء الأعشى جعل الشعر متجراً يتجر به نحو البلدان ، وقصد حتى ملك
العجم فأثابه وأجزل عطيته علماً بقدر ما يقول عند العرب ، واقتداء بهم فيه ، على
أن شعره لم يحسن عنده حين فُسِّر له ، بل استهجنه واستخف به ، لكن احتذى
فعل الملوك ملوك العرب .

وأكثر العلماء يقولون : إنه أول من سأل بشعره ، وقد علمنا أن النابغة أَسَنُّ
منه وأقدم شعراً ، وقد ذكر عنه من التكسب بالشعر مع النعمان بن المنذر مع
ما فيه [من] قبح : من مجاملة الحاجب^(١) ، ودس الندماء على ذكره بين يديه ،
وما أشبه ذلك .

وذكر أن أبا عمرو بن العلاء سُئِلَ : لم خضع النابغة للنعمان ؟ فقال : رغب
في عطائه وعصافيره .

وأما زهير فإِبلغة الطائي قط معرفة باجتهاد^(٢) من يمدحه ، ويدلك
على ذلك ما قاله عمر بن الخطاب رضي الله عنه لابنة زهير حين سألتها :
ما فعلت حُلَيْلُ هَرَمِ بن سنان التي كساها أباك ؟ قالت : أبلاها الدهر ، قال :
لكن ما كساه أبوك هَرَمًا لم يُبْلِه الدهر ، وقال [عمر رضي الله عنه] لبعض ولد
هرم بن سنان : أنشدني ما قال فيكم زهير ، فأنشده ، فقال : لقد كان يقول فيكم
فيحسن ، قال : يا أمير المؤمنين إنا كنا نعطيه فنُجْزِلُ ، قال عمر : ذهب ما أعطيتموه
وبقي ما أعطاكم .

ثم إن الخطيئة أكثر من السؤال بالشعر ، وانحطاط المهمة فيه ، والإلحاف ،
حتى مقت وذل أهله وهلم جرا ، إلى أن حُرِمَ السائل وعُدم المستول .
أكثر السؤال
بالشعر

(١) في نسخة «معالجة الحاجب» .

(٢) كذا في جميع الأصول ، ولم يبين لنا وجهه .

إلا بقايا من أناس بهمُ إلى سبيل المَكْرُماتِ يُهْتَدَى
كالسيد أبي الحسن أحسن الله إلى الدنيا ببقائه .

وأما أكثر من تقدم فالغالب على طباعهم الأنفة من السؤال بالشعر ، وقلة
التعرض به لما في أيدي الناس ، إلا فيما لا يُزْرَى بقدرٍ ولا مروءة كالفاتة النادرة
والمهمة العظيمة ، ولهذا قال عمر رضى الله عنه : نعم ما تعلمته العرب الأبيات من
الشعر يقدمها الرجل أمام حاجته .

الوليد بن عقبة
مع ليبد بن
ربيعة
ألا ترى أن ليبد بن ربيعة لما بعث إليه الوليد بن عقبة مائة من الإبل ينحرفها
كعادته عند هبوب الصبا ، وقد أسنَّ وأقلَّ^(١) ، وكان يطعم الناس ما هبت
الصبا ، قال لابنته : اشكرى هذا الرجل فإنى لا أجد نفسى تجيبنى ، ولقد أرانى
لا أغنياً بجواب شاعر ، فقالت هذه الأبيات :

إذا هبت رِيحُ أبى عقيل دَعَوْنَا عِنْدَ هَبَّتْهَا الوليدا
أغرَّ الوجه أبيض غَبْشَمِيًّا أعان على مروءته لبيدا
بأمثال المِضَابِ كأنَّ ركبًا عليها من بنى حَامٍ قُعُودا
أبا وهبٍ جزاك الله خيرًا نحرناها وأطعمنا الثريدا
فَعُدْ إنَّ الكريمَ له مَعَادُ وضئى بآبن أروى أن يعودا

وعرضتها عليه فقال : لقد أجدت لولا أنك استعدت ، كراهية فى قولها :
* فَعُدْ إنَّ الكريمَ له مَعَادُ * ويروى : لولا أنك استزدت .

الشعر أطلأ أو
الخطابة ؟
وقالوا : كان الشاعر فى مبتدأ الأمر أرفع منزلةً من الخطيب ؛ لحاجتهم إلى
الشعر فى تخليد المآثر ، وشدة العارضة ، وحماية العشيرة ، وتهيبهم عند شاعر
غيرهم من القبائل ؛ فلا يقدم عليهم خوفًا من شاعرهم على نفسه وقبيلته ،
فلما تكسبوا به وجعلوه طُعمَةً وتولوا به الأعراض وتناولوها صارت الخطابة

(١) أقل : صار قليل المال .

فوقه ، وعلى هذا المنهاج كانوا حتى فَشَتْ فيهم الصَّراعة ، وتطعموا أموال الناس ، وجشعوا فخشعوا ، واطمأنت بهم دارُ الذلة ، إلا من وقر نفسه وقارها ، وعرف لها مقدارها ، حتى قبض نقيّ العرض مَصُونُ الوجه ، ما لم يكن به اضطرار تحلل به الميتة ، فأما مَنْ وجد البُلغة والكفاف فلا وجه لسؤاله بالشعر .

فقد حكى عن ابن مَيَّادة أنه مدح أبا جعفر المنصور بكلمته التي يقول فيها : من كبر نفس
ابن ميادة

فوجدتَ حينَ لقيتَ أيمنَ طائرٍ ووليتَ حينَ وليتَ بالإصلاح
وعفوتَ عن كسر الجناح ولم يكن لِتَطِيرَ ناهضةً بغير جناح
قومٌ إذا جُلِبَ الثناء إليهمُ بيع الثناء هناك بالأرباح

وأتاه راعى إبله بلبن فشرب ثم مسح على بطنه وقد عزم على الرحلة فقال :
سبحان الله أفند على أمير المؤمنين وهذه الشربة تكفيني ؟ ! ! وصرف وجهه عن
قصده ، فلم يقد عليه ، هذا على أنه ساقاة الشعراء ، فأنت ترى كبر نفسه ، وبعدهته .
على أن عبد الله بن عمر على جلالته ، والحسن البصري ، وعكرمة ، ومالك صلات الملوك
ابن أنس المدني وجملة من أهل العلم غير هؤلاء ، كانوا يقبلون صلات الملوك .

وقد سئل عثمان بن عفان رضى الله عنه عن مال السلطان ، فقال : لحمٌ

طير زكى

والشعراء في قبولها مال الملوك أعذر من المتورعين وأصحاب الفتيا؛ لما جرت
به العادة قبل الإسلام وعلى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعده إلى أيام
المنصور الذى أنف ابن ميادة أن يفد عليه .

وهكذا يروى عن جميل بن عبد الله بن معمر أنه ما مدح أحدا قط إلا ذويه لم يمدح جميل
ابن عبد الله
أحدا قط
وقرأياته ، وأنه صحب الوليد بن عبد الملك في سفر ، فكلفه أن يرجز به ، وظن أنه
يمدحه ، فأنشأ يقول :

أنا جميل في السنام من معد في الذروة العلياء والركن الأشد
فقال له الوليد : اركب لاحتلت .

يقال
مدح جميل
عبد العزيز
ابن مروان
وزعم محمد بن سلام الجمحي أنه مدح عبد العزيز بن مروان بقوله
في شعره :

أبا مروان أنت فتى قریش وكهلهم إذا عُدَّ الكهولُ
توليه العشيرة ما عناها فلا ضيقُ الذراع ولا بجيل
كلَّأ يوميه بالمعروف طلق وكلُّ بلائه حسنٌ جميل

عمر بن
أبي ربيعة
وابن الأحنف
وعمر [بن عبد الله] بن أبي ربيعة الخزومي ، وكان يُشَبَّه به من المولدين العباس
ابن الأحنف ، فإنه ممن أنف عن المدح تظرفاً ، وقال فيه مصعب الزبيري : العباس
عمر العراق ، يريد أنه لأهل العراق كعمر بن أبي ربيعة لأهل الحجاز ، استرسلا
في الكلام ، وأنفة عن المدح والمجاء ، واشتهر بذلك ، فلم يكن يكلفه إياه أحد من
الملوك ولا الوزراء ، وقد أخذ صلة الرشيد وغيره على حسن التغزل ولطف المقاصد في
التشبيب بالنساء .

وهذا باب قد احتذاه الكتاب في زماننا هذا إلا القليل ، وقوم من شعراء وقتنا
أنا ذا كرم في كتاب غير هذا ، إن شاء الله .

وعلى كل حال فإن الأخذ من الملوك كما فعل النابغة ، ومن الرؤساء الجِلَّة كما فعل
زهير ؛ سهلٌ وخفيف .

فأما الخطيئة فقتبح الله همته الساقطة على جلالة شعره وشرف بيته ، وقد
كانت الشعراء ترى الأخذ من دون الملوك عاراً ، فضلاً عن العامة وأطراف الناس .

قال ذو الرمة يهجو مروان بن أبي حفصة بذلك ، ويفتخر عليه بأنه
لا يقبل إلا صلة الملك الأعظم وحده ، هكذا رواه عبد الكريم وأنشده ابن
عبد ربه أيضاً :

ذو الرمة
يهجو ابن
أبي حفصة

عطايا أمير المؤمنين ولم تكن
وما نلت حتى شئت إلا عطية
مقسمة من هؤلاء وأولئك
تقوم بها مصرورة في ردائك
وأنشد له أو لغيره :

وما كان مالي من تراث ورثته
ولكن عطاء الله من كل رحلة
ولا دية كانت، ولا كسب مأثم
إلى كل محبوب السرّادق خضرم
قال صاحب الكتاب^(١) : والذي أعرف أن سلم بن عمرو الخاسر كتب إلى
مروان بن أبي حفصة :

بين سلم الخاسر
ومروان بن
أبي حفصة

من مبلغ مروان عني رسالة
حباني أمير المؤمنين بنفقة
ثمانين ألفاً نلت من صلب ماله
فأجابه مروان عن ذلك فقال :
أسلم بن عمرو قد تعاطيت خطه
ولمى لسباق إذا الخيل كلفت
فدع سابقاً إن عاودتك عجاجة
زأيت امرأ نال الشها فحسدته
طلبت من المهدي شطر حبائه
فما أعولت أم على ابن ، ولا بكى
عضضت على كفئك حتى كأنما
حييت بأوقار البغسال ، وإنما
وما نلت حتى شئت إلا عطية
وما عبت من قسم الملوك لشاعر
مغلغلة لا تنثني عن لقائك
ثمانين ألفاً طأطأت من حبائك
ولم تك قسماً من أولى وأولئك
تقصّر عنها بعد طول عنائك
مدى مائة أو غاية فوق ذلك
سنا بكه أو هين منك سنا بك
فلم يبق إلا أن تموت بدائك
فقال لك المهدي لست هنالك
على يوسف يعقوب مثل بكائك
رزئت الذي أعطيت من صلب مالكا
سراب الضحى ماتدعى من حبائك
تقوم بها مصرورة في ردائك
به خص عفواً من أولى وأولئك

(١) في نسخة « أبو على » .

وأقسم لولا ابن الربيع ورَفْدُهُ لما ابتَلَّتِ الدلو التي في رِشائِكَ
ومن قول مروان أيضاً :
الأُنفة من عطاء
غير الملوك
ولقد حُبِيتُ بألف ألف لم تكن إلا بكفٍّ خليفة ووزير
مازلتُ آنفُ أن أُولف مدحة إلا لصاحبٍ منبر وسرير
ماضرنى حسدُ اللثام ، ولم يزل ذو الفضل يحسده ذوو التقصير
وقال آخر فيما يناسب هذا ويشاكله ، ويشد على يد من تمذهب به أو
اعتقده :

وإذا لم يكن من الذل بدءٌ قالق بالذل إن لقيت الكبارا
وافتخر بشار بن برد فقال :
وإني لنهّاض اليدين إلى العلا قَرَوَعٌ لأبواب الهمام المتوَجِّج
ويروى « وإني لسوار اليدين » أى : مرتفع .

(١٢) — باب تنقل الشعر في القبائل

ذكر أبو عبد الله محمد بن سلام الجحى في كتاب الطبقات ، وغيره من المؤلفين ،
أن الشعر كان في الجاهلية في ربيعة ، فكان منهم مهلهل بن ربيعة — واسمه عدى ،
وقيل : امرؤ القيس — وإنما سمي مهلهلاً لهلهلة شعره ، أى : رفته وخفته ، وقيل :
لاختلافه ، وقيل : بل سمي بذلك لقوله :

لما تَوَقَّلَ في الكُراع شزِيدهم هلهلت أثار جابراً أو صَنِيلاً^(١)
ويروى * لما توغر في الكلاب هجينهم * قال أبو سعيد الحسن بن الحسين

(١) ويروى :

لما توغل في الكراع هجينهم هلهلت أثار مالكا أو صنبل

من أخبار
مهلهل بن
ربيعة

السكرى : يعنى بقوله « هجينهم » امرأ القيس بن حمام^(١) الذى ذكره امرؤ القيس فى شعره حيث يقول :

عُوجًا عَلَى الطَّلَلِ الْحَيْلِ لَعَلْنَا نَبْكِي الدِّيارَ كَمَا بَكَى ابْنُ حَمَامٍ .
وكان مهلهل تبعه يوم كُلاب قفاته ابن حمام بعد أن تناوله مهلهل بالرمح ،
وقد كان ابن حمام أغار على بنى تغلب مع زهير بن جَذاب فقتل جابرًا وصنبلا ،
ويروى « لَأَتْنَأَ » بمعنى لعلنا ، وهى لغة فيما زعم بعضُ المؤلفين ، والذى كنت
أعرف « لعننا » بالعين ونونين ، وكذلك أعرف « ابن حذام » بذيال معجمة ،
كذا روى الجاحظ وغيره ، ويروى « حذام » بالخاء والذال المعجمتين . وكان
مهلهل أول من قصَّد القصائد ، قال الفرزدق بن غالب :

* ومهلهل الشعراء ذاك الأول *

وهو خال امرئ القيس بن حُجْر السكندى الشاعر ، وجد عمرو بن كلثوم
الشاعر أبو أمه .

ومنهم المرقشَان ، والأكبر منهما عم الأصغر ، والأصغر عم طَرْفَة بن العبد ،
واسم الأكبر عوف بن سعد ، وعمرو بن قميثة ابن أخيه ، ويقال : إنه أخوه ، واسم
الأصغر عمرو بن حَرَملة ، وقيل : ربيعة بن سفيان ، وهذا أعرف .

جملة من
شعراء ربيعة

ومنهم سعد بن مالك الذى يقول :

يَا بؤْسَ لِلْحَرْبِ الـ____تى وَضَعْتَ أَرَاهُ-طَ فاستراحوا

ولا أدرى هل هو أبو عمرو بن قميثة الشاعر والقرش الأكبر أم لا ؟ ؟
وطرفة بن العبد ، وعمرو بن قميثة^(٢) ، والحارث بن حِلْزَة ، والمتلمس - وهو
خال طرفة ، واسمه جرير بن عبد المسيح - والأعشى - واسمه ميمون بن

(١) المعروف أنه ابن حذام ، كما ستقف عليه فى كلام المؤلف ، ولعله من
تصحيف النساخ فبما اطلع عليه المؤلف من كتاب السكرى (٢) تكرر ذكره .

قيس بن جندل - وخاله المسيب بن علس - واسم المسيب زهير -

ثم تحول الشعر في قيس : فمنهم النابختان ، وزهير بن أبي سُلمى ، وابنه كعب
لأنهم ينسبون في عبد الله بن غطفان ، واسم أبي سُلمى ربيعة ، وليد ، والحطيئة ،
والشماخ - واسمه معقل بن ضرار - وأخوه مزرد - واسمه جزه بن ضرار ، وقيل :
بل اسمه يزيد وجزه أخوهما - وكان المزرد شريراً يهجو ضيوفه ، وهما قومه عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

تَعَلَّمَ رَسُولَ اللَّهِ أَنَّا كَأَنَّمَا أَفَانَا بِأَنَّمَا ثَعَالِبَ ذِي مَحَل
تَلَّمَ رَسُولَ اللَّهِ لَمْ أَرْمَلَهُمْ أَجَرَ عَلَى الْأَدْنَى وَأَحْرَمَ لِلْفَضْلِ

ومنهم خدّاش بن زهير .

ثم استقر الشعر في تميم ، ومنهم كان أوس بن حَجَر شاعر مُضَرَّ في الجاهلية ،
لم يتقدمه أحد منهم ، حتى نشأ النابغة وزهير فأختلأه ، وبقى شاعر تميم في الجاهلية
غير مدافع ، وكان الأصمعي يقول : أوس أشعر من زهير ، ولكن النابغة طأطأ
منه ، وكان زهير راوية أوس ، وكان أوس زوج أم زهير .

وسئل حسان بن ثابت رضى الله عنه : من أشعر الناس ؟ فقال : أرجل
أم حَيٍّ ؟ قيل : بل حَيٍّ ، قال : أشعر الناس حَيًّا هذيل . قال ابن سلام الجحى :
وأشعر هذيل أبو ذؤيب غير مدافع ، وحكى الجحى قال : أخبرني عمر بن معاذ
المعمرى قال : في التوراة مكتوب أبو ذؤيب مؤلف زورا ، وكان اسم الشاعر
بالسريانية ، فأخبرت بذلك بعض أصحاب العربية - وهو كثير بن إسحاق -
فأعجب منه وقال : قد بلغنى ذلك ، وقال الأصمعي : قال أبو عمرو بن العلاء :
أفصح الشعراء لساناً وأعذبهم أهل السروات ، وهن ثلاث وهى الجبال المطلة
على تهامة مما يلي اليمن : فأولها هذيل ، وهى تلى السهل من تهامة ، ثم بجيلة [في]
السراة الوسطى ، وقد شركتهم ثقيف في ناحية منها ، ثم سراة الأزد أزد شنوءة

من شعراء
قيس

من شعراء
تميم

أشعر الناس

وهم بنو الحارث بن كعب بن الحارث بن نَعْمَر بن الأزد ، وقال أبو عمرو أيضاً :
أفصح الناس علياً تميم وسفلى قيس ، وقال أبو زيد : أفصح الناس سافلة العالية
وعالية السافلة ، يعنى عَجَزَ هوازن ، قال : ولست أقول « قالت العرب »
إلا ما سمعت منهم ، وإلا لم أقل « قالت العرب » . . . وأهل العالية أهل المدينة
وَمَنْ حولها وَمَنْ يليها ودناً منها ، ولغتهم ليست بتلك عنده .

وقوم يرون مقدمة الشعر لليمن : في الجاهلية بأمرى القيس ، وفي الإسلام
بحسان بن ثابت ، وفي المولدين بالحسن بن هانيء وأصحابه : مسلم بن الوليد ، وأبى
الشَّيْخ ، ودُعَيْل ، وكلهم من اليمن ، وفي الطبقة التي تليهم بالطائيين : حبيب ،
والبحتري ، ويختمون الشعر بأبى الطيب ، وهو خاتمة الشعراء لا محالة ، وكان
ينسب في كِنْدَةَ ، وهي رواية ضعيفة ، وإنما ولد في كندة بالكوفة فيما حكى ابن
جني ، وإلا فكان غامض النسب ، فيقولون : بُدِيَ الشعر بكندة - يعنون امرأ
القيس - وختم بكندة - يعنون أبا الطيب - وزعم بعض للتأخرين أنه جُعْفَى ،
وقوم منهم صاحب بن عَبَّاد يقولون : بدى الشعر بملك وختم بملك ، يعنون
امرأ القيس وأبا فراس الحارث بن سعيد بن حمَّدان ، وقال آخرون : بل رجع
الشعر إلى ربيعة فحتم بها كما بدى بها ، يريدون مهلهلاً وأبا فراس ، وأشعر أهل
المدَّر ياجع من الناس واتفاق حسان بن ثابت . . . وقال أبو عمرو بن القلاء :
ختم الشعر بذي الرمة ، والرَّجَزُ برؤبة بن العجاج ، وزعم يونس أن العجاج أشعر
أهل الرجز والتصيد ، وقال : إنما هو كلام فأجودهم كلاماً أشعرهم ، والعجاج
ليس في شعره شيء لا يستطيع أحد أن يقول : لو كان في مكانه غيره لكان
أجود ، وذكر أنه صنع أرجوزته :

* قَدْ جَبَرَ الدِّينَ الْإِلَهَ فَجَبَرَتْ *

فيها نحو مائتي بيت وهي موقوفةٌ مقيدة ، قال : ولو أطلقت قوافيها وساعد فيها

الوزن لكانت منصوبة كلها . . . وقال أبو عبيدة : إنما كان الشاعر يقول من الرجز البيتين والثلاثة ونحو ذلك ، إذا حارب أو شاتم أو فاجر ، حتى كان العجاج أول من أطلاله وقصده ، ونسب فيه ، وذكر الديار ، واستوقف الركاب عليها ، ووصف ما فيها ، وبكى على الشباب ، ووصف الراحلة ، كما فعلت الشعراء بالقصيد فكان في الرُّجَز كأمريء القيس في الشعراء . . . وقال غيره : أول من طول الرجز الأغلب العجلى ، وهو قديم ، وزعم الجعفي وغيره أنه أول من رَجَز ، ولا أظن ذلك صحيحاً ؛ لأنه إنما كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونحن نجد الرجز أقدم من ذلك . . . وكان أبو عبيدة يقول : افتتح الشعر بأمريء القيس ، وختم بابن هرمة ، ولم أر أنقذ من الذي قال : أشعر الناس من أنت في شعره ^(١) . . . وأنشد مروان بن أبي حَفْصَة يوماً جماعة من الشعراء ، وهو يقول في واحد بعد واحد : هذا أشعر الناس ، فلما كثر ذلك عليه قال : الناس أشعر الناس .

١٣ — باب في القدماء والمحدثين

لمحدث والمولد كل قديم من الشعراء فهو مُحدثٌ في زمانه بالإضافة إلى من كان قبله ، وكان أبو عمرو بن العلاء يقول : لقد أحسن هَذَا المولد حتى هممتُ أن أمر صبياننا بروايته ، يعني بذلك شعر جرير والفرزدق ، فجعله مولداً بالإضافة إلى شعر الجاهلية والمخضرمين ، وكان لا يعد الشعر إلا ما كان للمتقدمين .

قال الأصمى : جلست إليه ثمانى ^(١) حجج فما سمعته يحتج بيت إسلامي ، وسئل عن المولدين فقال : ما كان من حسن فقد سبقوا إليه ، وما كان من

قبيح فهو من عندهم ، ليس النمط واحدا : ترى قطعة ديباج ، وقطعة مسيح^(١) «
 وقطعة نطع ، هذا مذهب أبي عمرو وأصحابه : كالأصمعي ، وابن الأعرابي - أعني
 أن كل واحد منهم يذهب في أهل عصره هذا المذهب ، ويقدم من قبلهم - وليس
 ذلك الشيء إلا لحاجتهم في الشعر إلى الشاهد ، وقلة ثقتهم بما يأتي به المولدون ،
 ثم صارت الحاجة .

فأما ابن قتيبة فقال : لم يقصُر الله الشعر والعلم والبلاغة على زمن دون زمن ،
 ولا خصّ قوماً دون قوم ، بل جعل الله ذلك مشتركا مقسوماً بين عباده في كل
 دهر ، وجعل كل قديم حديثاً في عصره .

لولا أن
 الكلام يعاد
 لنفد

ومما يؤيد كلام ابن قتيبة كلامُ علي رضي الله عنه « لولا أن الكلام يُعاد
 لنفد » فليس أحدنا أحق بالكلام من أحد ، وإنما السبق والشرف معا في
 المعنى على شرائط تأتي بها فيما بعد من الكتاب إن شاء الله . وقول عنترة * هل
 غادر الشعراء من مُتردِّم * يدل على أنه يعدُّ نفسه محدثاً ، قد أدرك الشعر بعد أن
 فرغ الناس منه ولم يغادروا له شيئاً ، وقد أتى في هذه القصيدة بما لم يسبقه إليه
 متقدم ، ولا نازعه إياه متأخر . وعلى هذا القياس يحمل قول أبي تمام - وكان إماماً
 في هذه الصناعة غير مدافع - :

يقولُ مَنْ تَرَعُ أَسْمَاءَهُ كَمْ تَرَكَ الْأَوَّلَ لِلْآخِرِ

فنقض قولهم « ما ترك الأول للآخر شيئاً » وقال في مكان آخر فزاده بيانا
 وكشفاً للمراد :

فلو كان يَفْنَى الشعرُ أُنْهَاهُ مَا قَرَّتْ حِيَاضُكَ مِنْهُ فِي الْعُصُورِ الذَّوَاهِبِ
 ولكنه صوبُ العُقولِ : إِذَا انْجَلَتْ سَحَابٌ مِنْهُ أَعْقَبَتْ بِسَحَابِ

(١) المسيح : المنديل الحشن ، وكان في الأصل « مسخ » .

مثل القدماء
والحدثين

وإنما مثل القدماء والحدثين كمثل رجلين : ابتداءً هذا بناء فأحكمه وأتقنه ، ثم أتى الآخر فنقشه وزينه ، فالكلفة ظاهرة على هذا وإن حسن ، والقدرة ظاهرة على ذلك وإن خشن .

وسمعت القاضي أبا الفضل جعفر بن أحمد النحوى - وقد سئل عن ذى الرمة وأبى تمام - فأجاب بجواب يقرب معناه من هذا لم أحفظه .

وقال أبو محمد الحسن بن على بن وكيع وقد ذكر أشعار المولدين : إنما تروى لعدوثة الفاظها ، ورقتها ، وحلاوة معانيها ، وقرب مأخذها ، ولو سلك المتأخرون مسلك المتقدمين في غلبة الغريب على أشعارهم ووصف المهامه والفقار ، وذكر الوحوش والحشرات - ما رويت ؛ لأن المتقدمين أولى بهذه المعاني ، ولا سيما مع زهد الناس في الأدب في هذا العصر وما قاربه ، وإنما تكتب أشعارهم لقربها من الأفهام ، وأن الخواص في معرفتها كالعوام ، فقد صار صاحبها بمنزلة صاحب الصوت المطرب : يستميل أمة من الناس إلى استماعه وإن جهل الألحان وكسر الأوزان . . وقائل الشعر الحوشى بمنزلة المغنى الحاذق بالنغم غير المطرب الصوت : يُعرض عنه إلا مَنْ عرف فضل صنعته ، على أنه إذا وقف على فضل صنعته لم يصلح لمجالس اللذات ، وإنما يجعل معلماً للمطربات من القينات : يقومهن بحذقه ، ويستمتع بحلوتهن دون حلقه ، ليسلمن من الخطأ في صناعاتهن ، ويطربن بحسن أصواتهن .

وهذا التمثيل الذى مثله ابن وكيع من أحسن ما وقع ، إلا أن أوله من قول أبى نُوَاس :

صفة الطلول بلاغة القدم	فاجعل صفاتك لابنة البكرم
لا تُخدَعَنَّ عن التى جعلت	سقم الصحيح وصحة السقم
تصف الطلول على السماع بها	أفدو العيان كانت فى الحكم؟؟
وإذا وصفت الشيء مُتَّبِعاً	لم تخلُ من غلط ومن وهم

ولم أر في هذا النوع أحسن من فَضْلٍ أتى به عبد الكريم بن إبراهيم فإنه قال : قد تختلف المقامات والأزمنة والبلاد فيحسن في وقت مالا يحسن في آخر ، ويستحسن عند أهل بلد مالا يستحسن عند أهل غيره ، ومجد الشعراء الخُذَّاق تقابل كل زمان بما استجيد فيه وكثر استعماله عند أهله ، بعد أن لا تخرج من حسن الاستواء ، وحد الاعتدال ، وجودة الصنمة ، وربما استعملت في بلد ألفاظ لا تستعمل كثيراً في غيره : كاستعمال أهل البصرة بعض كلام أهل فارس في أشعارهم ، ونوادير حكاياتهم ، قال : والذي أختاره أنا التجويد^(١) والتحسين الذي يختاره علماء الناس بالشعر ، ويبقى غابره على الدهر ، ويبعد عن الوخشي المستكره ، ويرتفع عن المولد^(٢) المنتحل ، ويتضمن المثل السائر ، والتشبيه المصيب ، والاستعارة الحسنه .

قال صاحب الكتاب : وأنا أرجو أن أكون باختيار هذا الفصل وإثباته ههنا داخلا في جملة المميزين ، إن شاء الله ؛ فليس من أتى بلفظ محصور يعرفه طائفة من الناس دون طائفة لا يخرج من بلده ولا يتصرف من مكانه كالذي لفظه سائر في كل أرض ، معروف بكل مكان ، وليس التوليد والرقعة أن يكون الكلام رقيقاً سفساقاً ، ولا بارداً غثاً ، كما ليست الجزالة والفصاحة أن يكون حوشياً خشناً ، ولا أعرايياً^(٣) جافياً ، ولكن حال بين حالين . .

ولم يتقدم امرؤ القيس والنابعة والأعشى إلا بحلاوة الكلام وطلاوته ، مع أنهم لم يتقدم القديم البعد من السخف والركاكة ، على أنهم لو أغربوا لكان ذلك محمولا عنهم ؛ إذ هو طبع من طباعهم ، فالمولّد المحدث - على هذا - إذا صح كان لصاحبه الفضل البين بحسن الاتباع ، ومعرفة الصواب ، مع أنه أرقّ حَوْكاً ، وأحسن ديباجة .

(١) في الأصلين المطبوعين « التجريد » بالراء المهملة .

(٢) في نسخة « المؤلف » .

(٣) في نسخة « ولا غريباً حافياً » .

قد يصلح في وقت مالا يصلح في آخر

بهم يتقدم القديم والمحدث ؟

(١٤) نـ باب المشاهير من الشعراء

والشعراء أكثر من أن يحاط بهم عدداً ، ومنهم مشاهير قد طارت أسماؤهم ، وسار شعرهم ، وكثر ذكركم ، حتى غلبوا على سائر مَنْ كان في أزمانهم ، ولكل أحد منهم طائفة تفضله وتتعصب له ، وقُلَّ ما يجتمع على واحد ، إلا ما روى عن عن النبي صلى الله عليه وسلم في امرئ القيس « أنه أشعر الشعراء وقائدهم إلى النار » يعني شعراء الجاهلية والمشرّكين . قال دُعَيْل بن علي الخزاعي : ولا يقود قوماً إلا أميرُهم . . وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه للعباس بن عبد المطلب رحمه الله وقد سأله عن الشعراء : امرؤ القيس سابقهم : خَسَفَ لهم عَيْنَ الشعر فافتقر عن معانٍ عورٍ أصحَّ بصر .

سر تقديم
امرئ القيس

قال عبد الكريم : « خسف لهم » من الخسيف وهي البئر التي حفرت في حجارة فخرج منها ماء كثير ، وجمعها خُسُفٌ ، وقوله « افتقر » أى : فتح ، وهو من الفقير ، وهو فم القناة ، وقوله « عن معان عور » يعني أن امرأ القيس من اليمن ، وأن اليمن ليست لهم فصاحة نزارٍ ، فجعل لهم [معاني] عوراً فتح منها امرؤ القيس أصح بصر . . قال : و امرؤ القيس يمانى النسب ، نزارى الدار والمنشأ ، وفضله على رضى الله عنه بأن قال : رأيته أحسنهم نادرة ، وأسبقهم بادرة ، وأنه لم يقل لرغبة ولا لرهبة .

وقد قال العلماء بالشعر : إن امرأ القيس لم يتقدم الشعراء لأنه قال ما لم يقولوا ، ولكنه سبق إلى أشياء فاستحسنها الشعراء واتبعوه فيها ؛ لأنه قيل أول من لطف المعاني ، واستوقف على الطلول ، ووصف النساء بالظباء والمها والبَيْضِ ، وشبه الخليل بالعقبان والعصى ، وفرق بين النسيب وما سواه من القصيد ، وقرب مأخذ الكلام ؛ فقيده الأوابد ، وأجاد الاستعارة والتشبيه .

روى الجهمى أن سائلاً سأل الفرزدق : مَنْ أشعر الناس ؟ قال : ذو القُرُوح ،

قال : حين يقول ماذا ؟ قال : حين يقول :

وَقَاهُمْ جَدُّهُمْ بَنِي أَبِيهِمْ وَالْأَشْقَيْنَ مَا كَانَ الْعَقَابُ

وأما دعبل فقدّمه بقوله في وصف عقاب :

وَيُلَمُّهَا مِنْ هَوَاءِ الْجَوِّ طَالِبَةً وَلَا كَهَذَا الَّذِي فِي الْأَرْضِ مَطْلُوبُ
وهذا عنده أشعر بيت قالته العرب .

أقوال للعلماء في
السابقين من
الشعراء

وسئل ليبيد : مَنْ أشعر الناس ؟ قال : الملك الضِّلِّل ، قيل : ثم من ؟ قال :
الشاب القتيل ، قيل : ثم من ؟ قال : الشيخ أبو عقيل — يعنى نفسه — .

وكان الحدّاق يقولون : الفحول في الجاهلية ثلاثة ، وفي الإسلام ثلاثة
متشابهون : زهير والفرزدق ، والنابعة والأخطل ، والأعشى وجريز .

وكان خَلَفُ الْأَحْمَرِ يقول : الأعشى أجمعهم . وقال أبو عمرو بن العلاء :
مثله مثل البازي يضرب كبير الطير وصغيره . وكان أبو الخطاب الأحفش يقدمه
جداً لا يقدم عليه أحداً .

وحكى الأصمعي عن ابن أبي طرفة : كفّك من الشعراء أربعة : زهير إذا
رغب ، والنابعة إذا رهب ، والأعشى إذا طرب ، وعنترة إذا كلب ، وزاد قوم :
وجريز إذا غضب .

وقيل لكثير — أو لنصيب — : مَنْ أشعر العرب ؟ فقال : امرؤ القيس إذا
ركب ، وزهير إذا رغب ، والنابعة إذا رهب ، والأعشى إذا شرب .
وكان أبو بكر رضى الله عنه يقدم النابغة ؛ ويقول : هو أحسنهم شعراً ،
وأعذبهم بحراً ، وأبعدهم قعرأ .

وسئل الفرزدق مرة : مَنْ أشعر العرب ؟ فقال : بشر بن أبى خازم ؛ قيل
له : بماذا ؟ قال بقوله :

نَوَى فِي مَلْحَدٍ لَا بَدَّ مِنْهُ كَفَى بِالْمَوْتِ نَأْيًا وَاعْتَرَابًا

ثم سئل جريز فقال : بشر بن أبى خازم ، قال : بماذا ؟ قال : بقوله :

رَهْنٌ بِلَى ، وَكُلُّ فَتَى سَيَبْلَى فَشَقَّى الْجَيْبَ وَانْتَحَبَى اتِّحَابًا

فاتفقا على بشر بن أبي خازم كما ترى .

والمعلقات وأصحابها وقال محمد بن أبي الخطاب في كتابه الموسوم بجمهرة أشعار العرب : إن أبا عبيدة قال : أصحاب السبع التي تسمى السمط : امرؤ القيس ، وزهير ، والنابغة ، والأعشى ، ولييد ، وعمرو بن كلثوم ، وطرفة . قال : وقال المفضل : مَنْ زعم أن في السبع التي تسمى السمط لأحد غير هؤلاء فقد أبطل . . فأسقط من أصحاب المعلقة عنقرة ، والحارث بن حِزَازة ، وأثبت الأعشى ، والنابغة .

وكانت المعلقة تسمى المذہبات ، وذلك لأنها اختيرت من سائر الشعر فسكتبت في القباطي بماء الذهب وعُلِّقت على السكبة ؛ فلذلك يقال : مذهبة فلان ، إذا كانت أجود شعره ، ذكر ذلك غير واحد من العلماء ، وقيل : بل كان الملك إذا استجيدت قصيدة الشاعر يقول : علقوا لنا هذه ، لتسكون في خزانته .

جربير يتحدث عن أشعر الناس وقال الجمحي في كتابه : سأل عكرمة بن جرير أباه جريراً : مَنْ أشعر الناس ؟ قال : أغن الجاهلية تسألني أم الإسلام ؟ قال : ما أردت إلا الإسلام فإذا ذكرت الجاهلية فأخبرني عن أهلها ، قال : زهير شاعرهم ، قال : قلت : فالإسلام ؟ قال : الفرزدق . نبعة الشعر في يده ، قلت : فالأخطل ؟ قال : يجيد مدح الملوك ويصيب صفة النحر ، قلت : فما تركت لنفسك ؟ قال : دعني فأني نحر الشعر نحرًا

وقتيبة ابن سلم وكتب الحجاج بن يوسف إلى قتيبة بن مسلم يسأله عن أشعر الشعراء في الجاهلية وأشعر شعراء وقته ، فقال : أشعر شعراء الجاهلية امرؤ القيس ، وأضر بهم مثلاً طرفة ، وأما شعراء الوقت فالفرزدق أفرهم ، وجربير أهباهم ، والأخطل أوصفهم .

والخطيئة وأما الخطيئة فسئل عن أشعر الناس ، فقال : أبو دؤاد حيث يقول :

لا أعدُّ الإقتارَ عُدْمًا ، ولكن فقدُ مَنْ قد رُزِئَتْهُ الإعدام

وهو وإن كان فخلاً قديماً وكان امرؤ القيس يتوكأ عليه ويروى شعره فلم يقل فيه أحد من النقاد مقالة الخطيئة .

وسأله ابن عباس مرة أخرى ، فقال : الذى يقول^(١) :
ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره ، ومن لا يتق الشتم يشتم
وليس الذى يقول^(١) :

ولست بمستبق أخاً لا تله على شعث ، أى الرجال المهذب؟
بدونه ، ولكن الضراعة أفسدته كما أفسدت جرؤلاً ، والله لولا الجشع
لكنت أشعر الماضين ، وأما الباكون فلا شك أنى أشعرهم ، قال ابن عباس :
كذلك أنت يا أبا مليكة

وزعم ابن أبى الخطاب أن أبا عمرو كان يقول : أشعر الناس أربعة : أقاويل مختلفة
في أشعر الناس امرؤ القيس ، والنابعة ، وطرفة ، ومهلل . قال : وقال للفضل : سئل الفرزدق
فقال : امرؤ القيس أشعر الناس ، وقال جرير : النابعة أشعر الناس ، وقال
الأخطل : الأعشى أشعر الناس ، وقال ابن أحر : زهير أشعر الناس ، وقال
ذو الرمة : ليبيد أشعر الناس ، وقال الكهيت : عمرو بن كلثوم أشعر الناس ، وهذا
يدلك على اختلاف الأهواء ، وقلة الاتفاق .

وكان ابن أبى إسحاق - وهو عالم ، ناقد ، ومتقدم مشهور - يقول : أشعر
الجاهلية مرقش ، وأشعر الإسلاميين كثير ، وهذا غلو مفرط ، غير أنهم مجمعون
على أنه أول من أطل المدح . .

وسأل عبد الملك بن مروان الأخطل : من أشعر الناس ؟ فقال : العبد
العجلانى ، يعنى تميم بن [أبى بن] مقبل ، قال : بيم ذاك ؟ قال : وجدته فى
بطحاء الشعر والشعراء على الحرفين ، قال : أعرف ذلك له كرهاً .

وقيل لنصيب مرة : من أشعر العرب ؟ فقال : أخو تميم ، يعنى علقمة بن

(١) قائل البيت الأول زهير بن أبى سلمى ، وقائل الثانى هو النابعة الديباني .

عبدة ، وقيل : أوس بن حجر ، وليس لأحد من الشعراء بعد امرئ القيس ما لزهر والنابة والأعشى في النفوس .

والذي أتت به الرواية عن يونس بن حبيب النحوى أن علماء البصرة كانوا يقدمون امرأ القيس ، وأن أهل الكوفة كانوا يقدمون الأعشى ، وأن أهل الحجاز والبادية كانوا يقدمون زهيراً والنابة ، وكان أهل العالية لا يعدلون بالنابة أحداً ، كما أن أهل الحجاز لا يعدلون بزهير أحداً .

وروى ابن سلام يرفعه عن عبد الله بن عباس أنه قال : قال لى عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أنشدنى لأشعر شعرائكم ، قلت : مَنْ هو يا أمير المؤمنين؟ قال : زهير ، قلت : ولم كان كذلك ؟ قال : كان لا يعاظم بين الكلام ، ولا يتتبع حوشيه ، ولا يمدح الرجل إلا بما فيه ، ثم قال ابن سلام على عقب هذا الكلام : قال أهل النظر : كان زهير أخصفهم شعراً ، وأبعدهم من سخر ، وأجمعهم لكثير من المعانى فى قليل من المنطق ، وأشدهم مبالغة فى المدح .

قال صاحب الكتاب : وإذا قبل آخر كلام عمر بآخر هذا الكلام تناقض قول المؤلف — أعنى ابن سلام — لأن عمر إنما وصفه بالحدق فى صناعته ، والصدق فى منطقته ؛ لأنه لا يحسن فى صناعة الشعر أن يعطى الرجل فوق حقه من المدح ؛ لئلا يخرج الأمر إلى التنقص والإزراء ، كما أخذ ذلك على أبى الطيب وغيره آنفاً ، وقد فسد الوقت ، ومات أرباب الصناعة ، فما ظنك والناس ناس والزمان زمان ؟ وسيرد عليك فى مكانه من هذا الكتاب إن شاء الله ، وقد استحسن عمر الصدق لذاته ، ولما فيه من مكارم الأخلاق ، والمبالغة بخلاف ما وصف ، ويشهد لقول^(١) عمر رضى الله عنه فى زهير أنه

(١) فى المطبوعتين « ويشد قول » وهو كما ترى .

لا يمدح الرجل إلا بما فيه استحساناً لصدقه ما جاء به الأثر أن رجلاً قال لزهير :
إني سمعتك تقول لهرم :

ولأنت أشجع من أسامة إذ دُعيت نزالٍ ولج في الدُّعر
وَأنت لا تكذب في شعرك ، فكيف جعلته أشجع من الأسد ؟ فقال :
إني رأيته فتح مدينة وحده ، وما رأيته أسداً فتحها قط !! فقد خرج لنفسه طريقاً
إلى الصدق ، وبعداً عن المبالغة .. والذي أعرف أنا أن البيت للمتقدم ذكره لأوس
ابن حجر ، والحكاية عنه ، ومثلها عن عمران بن حِطَّان الخارجي لما سأله امرأته
كيف قلت :

فهُنَاكَ حِجْزَاةُ بَنِ ثَوٍ رِ كَانَ أَشْجَعُ مِنْ أُسَامَةَ
وصدر بيت زهير بن أبي سلمى :

ولنعم حَشَوُ الدرع أنتَ إذا دُعيت نزالٍ ولج في الدُّعر
إلا أن تكون الأخرى رواية فلا أبعدها ؛ لأن زهيراً كان يتوكأ على أوس
في كثير من شعره ، وهي رواية الجمحي لا أظن غير ذلك ، فأما بيت زهير في
هذا المعنى فهو :

ولأنت أشجع حين تتجه السَّابِطَالُ من لَيْثٍ أَبِي أَجْرٍ^(١)

وأما النابغة فقال من يحتاج له : كان أحسنهم ديباجة شعر ، وأكثرهم
رَوْنَقَ كلام ، وأذهبهم في فنون الشعر ، وأكثرهم طويلاً جيدة ، ومدحاً ، وهجاء ،
وفخراً ، وصفة .

وقال بعض متقدمي العلماء : الأعشى أشعر الأربعة ، قيل له : فأين الخبر

(١) الليث : الأسد ، والأجري : جمع جرو - بفتح فسكون - وأصله أجرو -
بضم الراء - فقلبت الضمة كسرة لتقلب الواوياء ، ومثله دلو وأدل .

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن امراً القيس بيده لواء الشعراء ؟ فقال : بهذا
الخبر صح للأعشى ما قلت ، وذلك أنه ما من حامل لواء إلا على رأس أمير ،
فامرؤ القيس حامل اللواء ، والأعشى الأمير .

وقالت طائفة من المتعقبين : الشعراء ثلاثة : جاهلي ، وإسلامي ، ومولدي ؛
فالجاهلي امرؤ القيس ، والإسلامي ذو الرمة ، والمولدي ابن المعتز . وهذا قول من
يفضل البديع [و] بخاصة التشبيه^(١) على جميع فنون الشعر .

وطائفة أخرى تقول : بل الثلاثة الأعشى والأخطل وأبو نؤاس . وهذا
مذهب أصحاب الخمر وما ناسبها ، ومن يقول بالتصرف وقلة التشكف .

وقال قوم : بل الثلاثة مهلهل وابن أبي ربيعة وعباس بن الأحنف ، وهذا
قول من يؤثر الأنفة ، وسهولة الكلام ، والقدرة على الصنعة والتجويد في فن
واحد ، ولولا ذلك لكان شيخ الطبع أبو العتاهية مكان عباس . لكن
أبا العتاهية تصرف .

وليس في المولدين أشهر اسما من الحسن أبي نؤاس ، ثم حبيب والبعثري ،
ويقال : إنهما أخملا في زمانهما خمسمائة شاعر كلهم مجيد ، ثم يتبعهما في الاشتهار
ابن الرومي وابن المعتز ، فطار اسم ابن المعتز حتى صار كالحسن في المولدين
وامرؤ القيس في القدماء ؛ فإن هؤلاء الثلاثة لا يكاد يجهلهم أحد من الناس ،
ثم جاء المتنبي ثلأ الدنيا وشغل الناس .

والاشتهار بالشعر أقسام وحدود ، ولولا ذلك لم يكن نصر بن أحمد الخبزري
أشهر من منصور المري وكلثوم العتابي وأبي يعقوب الخريجي وأبي سعيد الخزومي .
وفوق هؤلاء كلهم طبقة في السن أشهرهم وأشهرهم بشار بن برد ، وليس
يفضل على الحسن مولد سواه ، وكذا روى الجاحظ وغيره من العلماء . . ومن

(١) خص التشبيه بالدكر لأن ابن المعتز كان ذا فوق فيه .

طبقة بشار مروان بن أبي حَفْصَة ، وأبو دلامة زبد بن الجون^(١) الأعرابي ، وقيل :
 زبد ، بالباء معجمة بواحدة سا كنة ومتحركة حكاها المرزباني ، والسيد الحميري ،
 وسَلَمُ الخاسر ، وأبو العتاهية ، وجماعة يطول بهم الشرح ليس فيهم مثله .
 ومن طبقة أبي نُوَاس العباس بن الأحنف ، ومسلم بن الوليد صريع القوائى ،
 والفضل الرقاشي ، وأَبَانُ اللاحتي ، وأبو الشَّيْص ، والحسين بن الضحاك الخليع ،
 ودِعْبِل ، ونظراء هؤلاء ساقهم دِعْبِل ليس فيهم نظير أبي نواس .
 وأما طبقة حبيب والبحترى وابن المعتز وابن الرومي فطبقة متداركة قد
 تلاحقوا ، وغطوا على من سواهم ، حتى نسي معهم بقية من أدرك أبا نواس كابن
 المَعْدِل ، وهو من فحول المحدثين وصدورهم المعدادين ، غَمَرَهُ حبيب ذكراً
 واشتهاراً ، وكأبي هفان أيضاً ، أدرك أبا نواس ، ولحق البحترى فستره ، وكذلك
 الجمار ، وللجواز يقول أبو نواس :

أُسْقِنِي يَا بْنَ أَذِينَ من سلاف الزرجون

وديك الجن ، وهو شاعر الشام ، لم يذكّر مع أبي تمام إلا مجازاً ، وهو أقدم
 منه ، وقد كان أبو تمام أخذ عنه أمثلةً من شعره يحتذى عليها فسرقها ، ودعبل
 ما أصاب مع أبي تمام طريقاً على تقدمه في السن والشهرة ، ولم يذكّر من أصحاب
 ابن الرومي وابن المعتز إلا من ذكر بسببهما في مكاتبة أو مناقضة ، وأما أبو الطيب
 فلم يذكّر معه شاعر إلا أبو فراس وحده ، ولولا مكانه من السلطان لأخفاه ،
 وكان الصنوبري والخبزرزي مقدمين عليه للسن ، ثم شقّطاه عنه ، على أن الصنوبري
 يسمى حبيباً الأصغر لجودة شعره ، ولقيه مرة بالمصيصة - أو غيرها - فقال له يهزأ
 به : أنت صاحب بغادين ؟ يريد قصيدته :

شربنا في بغادين على تلك الميادين

(١) في جميع الأصول « زبد » بالباء المشاة من تحت ، وهو خطأ .

لما فيها من المجون والخلاعة ، فقال له الصنوبري : أنت صاحب الطرطة ؟
يريد قصيدته :

ما أنصف القوم ضبّةً وأمه الطرّة طَبَّه

لما فيها من الركاكة ، ولكل كلام وجهٌ وتأويل ، ومن التمس عيباً وجدّه ،
وقيل : بل قال له : أنت صاحب جاخا ؟ قال : نعم ، قال : أنت شاعر بلدك ،
يريد قوله في صفه الوَعِيل :

ذاك أم أعصم كأن مذرّياه حين عاجا على القذالين جاخا^(١)

١٥ — باب المقلين من الشعراء ، والمغلبين

ولما كان المشاهير من الشعراء — كما قدمت — أكثر من أن يُحصوا ذكرت
من المقلين وأصحاب الواحدة مَنْ وسع ذكره في هذا الموضع ، ونهت على بعض
المغلبين منهم ؛ لما تدعو إليه حاجة التأليف ، واقتضيه عادة التصنيف ، غير مُفَرِّط-
ولا مُفَرِّط ، إن شاء الله .

فمن المقلين في الشعر : طرفة بن العبد ، وعبيد بن الأبرص ، وعلقمة بن
عبدّة النحل ، وعدى بن زيد ، وطرفة أفضل الناس واحداً عند العلماء ،
وهي المعلقة :

ذكر جماعة
من المقلين

* نخلوه أطلال بَرْقَةٍ سَهْمَدِ *

وله سواها يسير ؛ لأنه قتل صغيراً حول العشرين فيما روى ، وأصح ما في ذلك
قول أخته ترثيه :

عَدَدْنَا له ستّاً وعشرين حجة^(٢) فلما توفّاها استوى سيّداً ضحياً

(١) يقال « جاح السيل الوادي » أي : اقتلع أجرافه .

(٢) الذي في ديوان الحرنق أخت طرفة * عددنا له خمساً وعشرين حجة *

فجئنا به لما رجونا إياه على خير حال لا وليداً ولا قحماً
أنشده المبرد ، والقحّم : المتناهى في السن . وعبيد بن الأبرص قليل الشعر في
أيدي الناس على قدم ذكره ، وعظم شهرته ، وطول عمره ، ويقال : إنه عاش
ثلاثمائة سنة ، وكذلك أبو ذؤاد ، وعبيد الذي أجاب امرأ القيس عن قوله حين
قتلت بنو أسد أباه حُجراً :

وأفلتنَّ علباء جريضاً ولو أدركته صفر الوطاب^(١)
فقال له عبيد وقرعه بقسم من شعره :

فلو أدركت علباء بن قيس قنعت من الغنيمة بالإياب
لأن امرأ القيس قد كان قال :

وقد طوّفتُ في الآفاقِ حتى رضيتُ من الغنيمة بالإياب
وقتل عبيداً النعمان^(٢) بن المنذر يوم بؤسه ، وقيل : عمرو بن هند . وعلقمة
ابن عبدة حاكم امرأ القيس في شعره إلى امرأته ، فحكمت عليه لعلقمة ، فطلقها ،
وتزوجها علقمة فسمى الفحل لذلك ، وقيل : بل كان في قومه آخر يسمى علقمة
الخصي^(٣) من ربيعة الجوع .

ولعلقمة الفحل ثلاث قصائد مشهورات إحداهن :

* ذَهَبَتْ من الهجران في كل مذهب *

ويروى * في غير مذهب * وفي هذه القصيدة وقع الحكم له على امرئ القيس ،

والثانية قوله :

(١) أفلتن : فاتهن ، وعلباء : هو ابن الحارث الكاهلي أحد قتلة حجر أبي
امرئ القيس ، وجريضا - بالجيم الموحدة - هو الغاص بريقه ، وصفر الوطاب :
كناية عن انتهاء الأمر وخلو النفس من الحقد (٢) لا ، بل المنذر بن ماء السماء
كما سبق ذكره .

(٣) واسم علقمة الآخر : علقمة بن سهل .

* طَحَا بِكَ قَلْبٌ فِي الْحِسَانِ طَرُوبٌ *

والثالثة قوله :

* هَلْ مَا عَلِمْتَ وَمَا اسْتُودِعْتَ مَكْتُومٌ *

وأما عدى بن زيد فلقربه من الرِّيفِ وسكناه الحيرة في حيز النعمان بن المنذر لَأَنْتَ أَلْفَاظُهُ فَحَمَلُ عَلَيْهِ كَثِيرٌ ، وإلا فهو مقل ، ومشهوراته أربع : قوله :

* أَرْوَاحٌ مُودَّعٌ أَمْ بَكُورٌ ؟ *

وقوله :

* أَتَعْرِفُ رَسْمَ الدَّارِ مِنْ أُمِّ مُعْبِدٍ ؟ *

وقوله :

* لَيْسَ شَيْءٌ عَلَى الْمَنُونِ بَبَاقٍ *^(١)

وقوله :

لَمْ أَرِ مِثْلَ الْفَتَيَانِ فِي غَيْرِ السَّأْيَامِ يَنْسَوْنَ مَا عَوَاقِبُهَا

وقال بعض العلماء - أحسبه أبا عمرو - : وعدى في الشعراء مثل سُهَيْلٍ فِي النُّجُومِ : يعارضها ولا يجري معها . هؤلاء أشعارهم كثيرة في ذاتها ، قليلة في أيدي الناس ، ذهب بذهاب الرواة الذين يحملونها .

ومن المقلين المحكمين سلامة بن جندل ، وحصين بن الحمام المرى ، والمتلمس ، والمسيب بن علس : كل أشعارهم قليل في ذاته جيد الجملة .

(١) في المطبوعتين « من المنون بباقي » وهو واضح الخطأ ، والتصويب عن عدة كتب ، وتام البيت :

* غير وجه المسبح الخلاق *

ويروى عن أبي عبيدة أنه قال : اتفقوا على أن أشعر المقلين في الجاهلية ثلاثة :
التمس ، والمسيب بن علس ، وحُصَيْن بن الحُجَّام المري ، وأما أصحاب الواحدة
فَطَرَفَةُ أولهم عند الجحى ، وهو الحكم الصواب .

ومنهم عنزة ، والحارث بن حِزَّاة ، وعمرو بن كلثوم ، من أصحاب المعلقات
المشهورات ، وعمرو بن معدى كرب ، صاحب :

* أَمِنْ رَيْحَانَةَ الدَّاعِي السَّمِيعُ *

والأسعر^(١) بن أبي حمران الجعفي صاحب المقصورة :

* هل بان قلبك من سليمى فاشتفى ؟ *

وسويد^(٢) بن أبي كاهل ، صاحب :

* بَسَطْتُ رَابِعَةَ الْحَبْلِ لَنَا *

والأسود بن يَعْفَرُ ، صاحب :

* نَامَ الْخَلِيُّ فَمَا أَحْسُ رِقَادِي *

وله شعر كثير ، إلا أنه لا ينتهي إلى قصيدته هذه .

وكان امرؤ القيس مُقْلًا ، كثير المعاني والتصرف ، لا يصح له إلا نيف
وعشرون شعراً بين طويل وقطعة ، ولا ترى شاعراً يكاد يُقْلِتُ من حبائله ،
وهذه زيادة في فضله وتقديره .

(١) كان في الأصول « الأشعر بن حمدان » وهو خطأ من ثلاثة أوجه :
الأول أنه « الأسعر » بالسين مهملة ، والثاني أن اسم أبيه « أبو حمران » بتقديم
الأب وبالألف مهملة ، والتصويب عن القاموس وشرحه ، والأسعر لقبه ، واسمه
مرثد ، وإنما لقب بذلك لقوله :

فلاتدعني الأقوام من آل مالك إذا أنا لم أسعر عليهم وأثقب

(٢) في الأصول « وسهيل » وهو واضح الخطأ .

معنى المقلب في الشعراء قال امرؤ القيس : وأما المقلبون فمنهم نابغة بنى جَعْدَةَ ، ومعنى المقلب : الذى لا يزال مغلوباً .

فإنك لم يَفْخَرْ عليك كفاخِرٍ ضعيف ، ولم يغلبك مثل مغلبٍ
يعنى أنه إذا قدر لم يُبق ، فإذا قالوا : غَلَبَ فلان فهو الغالب . وقد غلب على
النابغة الجعدى الجعدى أوس بن مَغرَاء القرىعى ، وغُلِبَت عليه ليلى الأخيلية ، قال (١) الجمحى :
وقد غلب عليه مَنْ لم يكن إليه فى الشعر ولا قريبا منه : عقاب بن خويلد (٢) العقيل
وكان مفحماً بكلام لا بشعر ، وهجاء سوار بن أوفى القشبرى ، وهجاء وفاخره (٣)
الأخطل ، وله يقول عُبيد بن حُصَيْن الراعى يتوعده :

فإنى زعيمٌ أن أقولَ قصيدةً مينةً كالنقب بين المخارم
خفيفةً أعجازِ المطى ، ثقيلةً على قربها ، نزلةً بالمواسم
وقد علم الكافة ما صنع جرير بالأخطل والراعى جميعاً ، وقيل : إن موت
الجعدى كان بسبب ليلى الأخيلية : فر من بين يديها فمات فى الطريق مسافراً ،
والأصح أنها هى التى ماتت فى طلبه . قال الجمحى : كان النابغة الجعدى أقدم
من الذىباني ؛ لأنه أدرك المنذر بن مُحَرَّق ، ويشهد بذلك قوله :

تذكرتُ والذكرى تهيج على الفتى ومن عادةِ المحزون أن يتذكرا
ندامى عند المنذر بن محرق فأصبح منهم ظاهرُ الأرضِ مقفرا
والذىباني إنما أدرك النعمان ، وقال غيره : إن النابغة الذىباني شفع عند

(١) انظر طبقات الشعراء (ص ٤٤)

(٢) فى الطبقات « بن خالد »

(٣) فى الطبقات : « وهجاء سوار بن أوفى القشبرى وفاخره ، وهجاء الأخطل
بأخرة » ، ولعل ما فى الأصل محرف عن ذلك .

الحارث بن أبي شمر الغساني حين قتل المنذر في أسارى بنى أسد فشفعه ، وإياه
عنى علقمة بن عبدة بقوله :

وفى كل حىٍّ قد خَبِطَتْ بنعمة فحق لشاسٍ من نَدَاكَ ذَنْوبُ
قال الجحى : وكان الجَعْدِيُّ مختلف الشعر ، سئل عنه الفرزدق فقال : مثله
مثل صاحب الخُلُقَان : ترى عنده ثوب عصب ، وثوب خز ، وإلى جنبه شملة^(١)
كساء . وكان الأصمى يمدحه بهذا ، وينسبه إلى قلة التكلف ، فيقول : عنده
خمار يَوَافٍ ، ومُطَرَفٌ بآلاف - بواف : يعنى بدرهم وثلاث .

ومن المقلين الزبرقان ، غلبه عمرو بن الأهم ، وغلبه الخبل السعدى ، وغلبه
الخطيئة ، وقد أجاب الاثنين ولم يجب الخطيئة .
من المقلين
الزبرقان بن
بدر

وقال يونس بن حبيب : كان البعيث مغلباً فى الشعر ، غلاباً فى الخطب .

ومنهم تميم بن أبى [بن] مقبل : هجاء النجاشى قهره وغلب عليه ، حتى
استعدى قومه عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ولم يكن من أشكاله فى الشعر
فيقرن به ، وهاجى النجاشى عبد الرحمن بن حسان فغلبه عبد الرحمن وأخمه .
ذكر جماعة
من المقلين

وحدثنا أبو عبد الله محمد بن جعفر ، قال : هجا الأعور بن براء بنى كعب ،
ومدح قومه بنى كلاب ، فأتت بنو كعب تميم بن أبى [بن] مقبل ينتصرون
عليه به ، فقال : لا أهجوهم ، ولكنى أقول فارووا فقد جاءكم الشعر ، وقال :

ولست وإن شاحنتُ بعضَ عشيرتى لأذكُرَ ما الكهلُ الكلابيُّ . ذاكرُ
فكم لى من أمٍ لعبتُ بثديها كلابيةً عادتُ عليها الأواصرُ
فأتت الأعور بن براء بنو كعب فعنفوه ورجعوا عليه ، فقال :

ولستُ بشاتمٍ كعباً ، ولكن على كعبٍ وشاعرها السلامُ

(١) فى الطبقات « سمل كساء » .

ولستُ ببائعٍ قومًا بقومٍ هم الأنفُ المقدمُ والسنامُ
وكائنٌ في المعاشر من قبيل أخوهم فوقهم وهم كرام
فتسلما ، وكان سبب ذلك إغضاء ابن مقبل وإعطاؤه للقيادة هربًا من
الهجاء ، وقوم يرون ذلك منه أنفة .

ومن مغلبي المولدين - على جلالته ، وتقدمه - بشار بن برد ، فإن حماد عجرد
جماعة من مغلبي المولدين - وليس من رجاله ، ولا أكفائه - هجاء فأبكاه ، ومثل به أشد تمثيل .

وعلى بن الجهم : هاجى أبا السَّمْطِ مروان بن أبي الجنوب فغلبه مروان ،
وهاجاه البحتري فغلب عليه أيضًا ، على أن عليًا أقذع منه لسانًا ، وأسبق إلى
ما يريده من ذلك ، وأقدم سنًا .

ومنهم حبيب : هاجى السراج وعتبة^(١) فما أتى بشيء ، وهجاه ابن المعتل
حين أراد وجهته فقال : أما هذا فقد كفى ناحيته ، ولم يقدم عليه ، على أن حبيبًا
أطول منه ذكرًا وأبعد صوتًا في الشعر ، والذي قال له :

أنتَ بين اثنتين ، تبرز للناس لكتيها بوجه مذل
لستَ تنفكُ طالبًا لوصال من حبيب أو راغبًا في نوال
أى ماء لحرّ وجهك يبقى بين ذلّ الهوى وذلّ السؤال ؟

ورأيت في شعر ابن المعتل في رواية للمبرد أن عبد الصمد اجتمع بحبيب عند
بعض بنى هاشم ، فكتب في رقعة هذه الأبيات المذكورة وألقاها إليه ، وهاجى
دعبلًا فاستطال عليه دعبل أيضًا .

(١) كان أبو تمام يهجو عبد الله الكاتب ، وعتبة بن أبي عاصم ، ومقران
المباركي ، وعياش بن لهيعة ، وأبا المغيث موسى بن إبراهيم الرافقي ، ويوسف
السراج .

(١٦) - باب من رغب من الشعراء عن ملاحاة غير الأكفاء

منهم الزُّبَيْرُ قَانُ بْنُ بَدْرٍ : لما هجاه المخَبِّلُ السَّعْدِيُّ جأوبه بعتاب ؛ لأنه
 رآه أهلاً لذلك من أجل شرف بيته وجلالته في نفسه ، فلما هجاه الحطيئة لم يره
 مكاناً للجواب ، على أنه ابن عمه وجاره في النسب لأنهما جميعاً من مضر ، بل
 استعدى عليه عمر رضى الله عنه فأنصفه .

وسُحَيْمُ بْنُ وَثِيلٍ يقول للأحوص والأبيرد بن^(١) المَعْدَرِ - وهما شاعران سحيم بن واثيل
 مفلقان ، وقال عبد الكريم : الأبيرد ابن أخى الأحوص :

عَذَرْتُ الْبُزْلَ إِنْ هِيَ خَاطَرَتْ نِيَّ فَمَا بَالِي وَبَالُ ابْنَيْ ، لَبُونِ !
 فأنت ترى هذا الاحتقار .

ومثل هذا - وإن لم يكن من هذا الباب بحتاً - قولُ الفرزدق لعمر بن لجأ
 لما أعانه الفرزدق على جرير بشعر ، وفطن له جرير ، فدهش عمر ولم يجد جواباً ،
 فقال الفرزدق حين بلغه ذلك يستضعفه ويستوهن عز

وما أنتَ إِنْ قَرَّمَا تَمِيمَ تَسَامِيَا أَخَا الْيَتَمِ إِلَّا كَالْوَشِيظَةِ فِي الْعِظَمِ
 فَلَوْ كُنْتُ مَوْلَى الْعَزِّ أَوْ فِي طَلَابِهِ ظَلَمْتُ وَلَكِنْ لَا بَدَى لَكَ بِالظَّمِ
 والفرزدق قال فيه الطرماح من شعر هجاء فيه بيوت بنى سعد^(٢) :

وَأَسْأَلُ فَقِيرَةً بِالْمَرَوَاتِ هَلْ شَهِدَتْ شَوْطَ الْحَطِيئَةِ بَيْنَ الْكُسْرِ وَالنُّصْدِ
 أَوْ كَانَتْ فِي غَالِبِ شَعْرِ فَيْشِبَهَ شِعْرُ ابْنِهِ فَيُنَالُ الشُّعْرَ مِنْ صَدْدِ
 جَاءَتْ بِهِ نَظْفَةً مِنْ شَرِّ مَاءٍ صَرِي سَيِّمَتْ إِلَى شَرِّ وَادٍ شَقٍّ فِي بَلَدِ

(١) في المطبوعتين « ابني المعذر » وهو واضح الخطأ ؛ فإن الأحوص هو
 أبو محمد الأحوص بن عبد الله بن ثابت بن أبي الأفلح ، من بني ضبيعة بن زيد
 ثم من الأوس . والأبيرد : هو الأبيرد بن المعذر بن عبد قيس الرياحي ، من
 رياح بن يربوع ، ويظهر أن المؤلف يقصد إلى ما اعتبرناه خطأ ولكنه بحيث ترى
 (٢) في التونسية : « بيوت معد »

فقال الفرزدق ينهاون بأمره ويستحقّره :

إن الطرمّاح يهيجوني لأرفعهُ أيّهات أيّهات عيلت دونه القضب

« عيلت دونه القضب » أى : رفعت عنه القصائد ، من قولهم : عالت
الفریضة ، أى : ارتفعت ، والقضب : القصيدة لأنها تقتضب .

جرير وبشار وجرير هجاء بشار بن برد بأشعار كثيرة فلم يجبه ، قال بشار : ولم أهجه
لأغلبه ، ولكن ليحجيني فأكون من طبقته ، ولو هجاني لكنت أشعر الناس .

بشار وحماة وهجا حماد عجرد شاراً ، فلم يجبه أنفة واحتقاراً ، إلى أن قال فيه :

له مقلّة عمياء واست بصيرةً إلى الأير ، من تحت الثياب تُشيرُ
على ودّه أنّ الحمـير تنيكه وأن جميع العالمين حمـيرُ

فغضب وهجاه . قال الجاحظ : ما كان ينبغي لبشار أن يضاد حماد عجرد
من جهة الشعر ؛ لأن حماداً في الخفيض وبشاراً في العيوق ، وليس مولد قروى
يعدله شعر في الحدث إلا وبشار أشعر منه ، ولا نعلم مولداً بعد بشار أشعر من
أبي نواس .

ابن الرومي وهجا ابن الرومي البحتري ، وابن الرومي من علمت ، فأهدى إليه تحت متاع
والبحتري وكيس دراهم ، وكتب إليه ليريه أن الهدية ليست تقيّةً منه ، ولكن رقة عليه ،
وأنه لم يحمله على ما فعل إلا الفقر والحسد المفرط :

شاعرٌ لا أهابه نَبَحْتَنِي كلابه

إنّ مَنْ لا أعزّه لعزيرٌ جوابه

أبو تمام وأبو تمام : هجاء دعبل وغيره من الأكفاء فجأوبهم ، وابتدأ بعضهم ، ولم
يلتفت إلى مخلد بن بكار الموصلي حين قال فيه (وكانت في حبيب حبسة شديدة
إذا تكلم) :

يا نبي الله في الشعر ويا عيسى بن مريم
أنت من أشعر خلق الله مالم تتكلم
وقال فيه أشعاراً كثيرة منها :

أنظر إليهِ وإلى خبثهِ كيف تطايا وهو منشور
ويحك من دلائك في نسبة قلبك منها الدهر مذخور
إن ذكرت طاء على فرسخ أظلم في ناظرِكَ النور
بل رآه دون المهاجرة والجواب ، ولو هجاه لشرفت حاله ونبه^(١) ذكره .

وكذلك فعل المتنبي حين بلى بمهاقات ابن حجاج البغدادي : سكت عنه
اطراحاً واحتقاراً ، ولو أجابه لما كان بحيث هو من الأنفة والكبر ؛ لأنه ليس
المتنبي وابن حجاج من أنداده ، ولا من طبقته .

ولما وصل أبو القاسم بن هانيء إلى إفريقية هجاه الشعراء ، فقال : لا أجيب
منهم أحداً إلا أن يهجونى على التونسي فإني أجيبه ، فلما بلغ قوله علياً قال :
أما إني لو كنت ألام الناس ما هجوته بعد أن شرفني على أصحابي وجعلني من
بينهم كفتاً له .

ومن الشعراء من يتزياً بالكبر ، ويظهر الأنفة في الجواب عن هجاء من
هو مثله أو فوقه خوفاً من الزرّاية على نفسه ، كما وقع من جماعة أعرفهم من أهل
عصرنا ، وهم يتسرعون إلى أعراض السوق والباعة ، ويستفحلون على الصبيان
ومن ليس من أهل الصناعة ، ولو كانت لهم أنفة - كما يزعمون - إلا عن
الأكفاء لكانوا عن لا يحسن شيئاً بالجملة ولا يُعدّ في الخلاصة أشدّ تنزهاً .

ومنهم من لا يهجو كفتاً ولا غيره ؛ لما في الهجو من سوء الأثر ، وقبح
من الشعراء من لا يهجو

(١) في المصريتَيْن والتونسية « وانتبه ذكره »

السمعة : كالذى يحكى عن العجاج أنه قيل له : لم لا تهجو ؟ فقال : ولم أهجو ؟
 إن لنا أحسابا تمنعنا من أن نُظلمَ ، وأحلاما تمنعنا من أن نَظلمَ ، وهل رأيتم
 بانيئا لا يحسن أن يَهْدِمَ ؟ ثم قال : أتعلمون أنى أحسن أن أمدح ؟ قالوا : نعم ،
 قال : أفلا أحسن أن أجعل مكان « أصلحك الله » « قبحك الله » ومكان
 « حياك الله » « أخزأك الله » . وقد رد ابن قتيبة هذا القول على العجاج بأن
 الهجاء أيضاً بناء ، وليس كل بانٍ لضرب بانيئا لغيره . وردده الجاحظ بأن من
 الشعراء من لا يجيد فناً من الشعر ، وإن أجاد فناً غيره ، كما يوجد ذلك في
 كل صناعة . ومعنى الجاحظ وابن قتيبة واحد ، وإن اختلف اللفظان ،
 والصواب ما قالوا إلا أن يُعرف من الشاعر أنفٌ عن قدرة لا تدفع ، وبعد تجربة
 لا تُستراب ، فحينئذ . وسئل نصيب عن مثل ذلك فقال : إنما الناس أحد ثلاثة :
 رجل لم أعرض لسؤاله فما وجه ذمه ، ورجل سأله فأعطاني فالمدح أولى به من
 الهجاء ، ورجل سأله فخرمنى فأنا بالهجاء أولى منه ، وهذا كلام عاقل منصف ،
 لو أخذ به الشعراء أنفسهم لاستراحوا واستراح الناس .

وقد كان في زماننا من انتحل هذا المذهب ، وهو أبو محمد عبد الكريم
 ابن إبراهيم ، لم يَهْجُ أحداً قط . ومن أناشيده في كتابه المشهور ، لغيره^(١)
 من الشعراء :

ولستُ بهاجٍ في القرى أهلَ منزلٍ على زادهم أبكى وأبكى البواكيا
 فإما كرامٌ مُوسِرُونَ أتيتهم فحسبي من ذو عندهم ما كفانيا
 وإما كرامٌ معسرونَ عذرتهم وإما لثامٌ فادَّخَرْتُ حياتيا
 وهذا مثل كلام نصيب في المنشور الذى تقدم ، وإنما ذكرت هؤلاء لأهمهم

(١) الأبيات لمنظور بن سحيم الفقعسى والبيت الثانى من شواهد الحاجة طى مجىء
 « ذو » موصولة بمعنى الذى ، وأنها مبنية ، وليست معربة كذى بمعنى صاحب التى
 من الأسماء الخمسة .

يمدحون ولا يرضون بالهجاء ، وأما مَنْ لا يمدح فأخرى أن لا يهجو أحداً ، على أن منهم من لم يقل قط إلا هجواً أو شبيهاً به : كيحيى بن نوفل ، ذكره دِغْبِلٌ في طبقاته ، ونجد له من أهل عصرنا نظراء عدّة .

(١٧) - باب في الشعراء والشعر

طبقات الشعراء أربع : جاهلي قديم ، ومُخَضَّرَمٌ ، وهو الذي أدرك الجاهلية والإسلام ، وإسلامي ، ومُحَدَّث . ثم صار المحدثون طبقات : أولى وثانية على التدرج ، وهكذا في الهبوط إلى وقتنا هذا ، فليعلم المتأخر مقدار ما بقي له من الشعر فيتصفح بمقدار من قبله لينظر كم بين المخضرم والجاهلي ، وبين الإسلامي والمُخَضَّرَم ، وأن المحدث الأول - فضلاً عن دونه - دونهم في المنزلة ، على أنه أغمض مسلحاً وأرق حاشية ، فإذا رأى أنه ساقطة الساقطة تحفظ على نفسه ، وعلم من أين يؤتى ، ولم تغررهُ حلاوة لفظه ، ولا رشاقة معناه ، ففي الجاهلية والإسلام من ذهب بكل حلاوة ورشاقة ، وسبق إلى كل طلاوة ولباقة .

اشتقاق
المخضرم

قال أبو الحسن الأخفش : يقال : ماء خِضْرَمٌ ، إذا تنهى في الكثرة والسعة ، منه سمي الرجل الذي شهد الجاهلية والإسلام مُخَضَّرَمًا ، كأنه استوفى الأمرين ، قال : ويقال : أذن مُخَضَّرَمَةً ، إذا كانت مقطوعة ، فكأنه انقطع عن الجاهلية إلى الإسلام .

وحكى ابن قتيبة عن عبد الرحمن^(١) عن عمه ، قال : أسلم قوم في الجاهلية على إبل قطعوا آذانها ، فسمى كل من أدرك الجاهلية والإسلام مُخَضَّرَمًا ، وزعم أنه لا يكون مخضرمًا حتى يكون إسلامه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وقد أدركه كبيراً ولم يُسَلِّمْ ، وهذا عندي خطأ ؛ لأن النابغة الجعدي وليدٌ قد وقع عليه ما هذا الاسم ، وأما علي بن الحسين كراع فقد حكى : شاعر مخضرم - بجاء

(١) عبد الرحمن : هو ابن أخى الأصمعي ، فعمه الأصمعي .

غير معجزة - مأخوذ من الحضرة ، وهى الخلط ؛ لأنه خلط الجاهلية بالإسلام .
الشعراء أربعة وأنشد بعض العلماء ولم يذكر قائله (١) :

الشعراء فاعلمنَّ أَرْبَعَهُ فِشَاعِرٍ لَا يُرْتَجَى لِنَفْعِهِ
وشاعرٌ يُنْشِدُ وَسَطَ الْجَمْعِ وشاعرٌ آخِرٌ لَا يَجْرَى مَعَهُ
وشاعرٌ يُقَالُ خَرَفَ فِي دَعَاهُ

وهكذا رويتها عن أبى محمد عبد العزيز بن أبى سهل رحمه الله ، وبعض
الناس يروونها على خلاف هذا .

وقد قيل : لا يزال المرء مستوراً فى مَنْدُوحَةٍ ما لم يصنع شعراً أو يؤلف
كتاباً ؛ لأن شعره تَرْجُحَانُ علمه ، وتأليفه عنوان عقله .
وقال الجاحظ : من صنع شعراً أو وضع كتاباً فقد استهدف ؛ فإن أحسنَ فقد
استعطف ، وإن أساء فقد استقذف .

قال حسان [بن ثابت] ، وما أدراك ما هو ؟ :

وإن أشعرَ بيتٍ أنتَ قائله بيتٌ يقال إذا أنشدته : صدَقَا
وإنما الشعر لبّ المرء يعرضه على المجالس إن كيساً وإن حقاً
وقال محمد بن مُنَازِرٍ وكان إماماً :
لا تقلْ شعراً ولا تَهَمُّمْ بِهِ وإذا ما قلت شعراً فأجِدْ

وقال شيطان الشعراء دعبل بن على :

سَأَقْضِي ببيتِ يَحْمَدِ النَّاسُ أَمْرَهُ وَيَكْثُرُ مِنْ أَهْلِ الرِّوَايَاتِ حَامِلُهُ
يَمُوتُ رَدِيُّ الشَّعْرِ مِنْ قَبْلِ أَهْلِهِ وَجَيِّدُهُ يَبْقَى وَإِنْ مَاتَ قَائِلُهُ

وقالوا : الشعراء أربعة : شاعر خنْذِيذ ، وهو الذى يجمع إلى جودة شعره
رواية الجيد من شعر غيره ، وسئل رُوْبَةُ عن الفحولة ، قال : هم الرواة ؛ وشاعر
بيان الشعراء الأربعة

(١) تنسب هذه الأيات للحطيئة .

مُفْلِقٌ ، وهو الذى لا رواية له إلا أنه مجوّد كالخنذيد في شعره ؛ وشاعر فقط ، وهو فوق الردىء بدرجة ؛ وشُعْرُورٌ ، وهو لا شيء . قال بعض الشعراء لآخر هجاء :

يا رابع الشعراء كيف هَجَوْتُني وزعمتَ أني مُفْجَمٌ لا أنطق
وقيل : بل هم شاعرٌ مفلقٌ ، وشاعرٌ مطلقٌ ، وشويعرٌ ، وشعروورٌ ،
والمفلقُ : هو الذى يأتي في شعره بالفلقِ ، وهو المعجب ، وقيل : الفلقُ الداهية
قال^(١) الأصبغى : فالشويعر مثل محمد بن حمران بن أبي حمران ، سماه بذلك امرؤ
القيس ، ومثل عبد العزى المعروف بالشويعر ، وهو الذى يقول :

فَنَلْتُ بهُ نأرى ، وأدركتُ ثورقِ إذا ما تناسى دَحْلَهُ كل غيب
وهو الضعيف عن طلب ثأره ، وروى بالغين معجمة وبالعين غير معجمة .
قال^(٢) الجاحظ : والشويعر أيضاً [صفوان بن^(٣)] عبد ياليل من بني سعد
أبن ليث ، وقيل : اسمه ربيعة بن عثمان ، وهو القائل :

وأفلتنا أبو ليلى طفيلٌ صحيحَ الجليلِ من أثر السلاح

وقال بعضهم : شاعر ، وشويعر ، وشعروور .
وقال العبدى في شاعر يدعى المقوف من بني ضبة ثم من بني حميس :
ألا تنهى سِراةَ بني حميسٍ شويعرَها فَوَيْلِيَةَ الأفاعى
فسماه شويعراً ، و«فالية الأفاعى» : دونية فوق الخنفساء ، فصغرها أيضاً تحقيراً له
وزعم الحاتمى أن النابغة سئل : مَنْ أشعر الناس ؟ فقال : من استُجِيدَ
جيده ، وأضحك رديته ، وهذا كلام يستحيل مثله عن النابغة ؛ لأنه إذا

(١ ، ٢) انظر هذه العبارة بنفسها في البيان والتبيين (ج ٢ ص ٩) .

(٣) الزيادة عن البيان والتبيين .

أضحك رديئه كان من سِفْلَةِ الشعراء ، إلا أن يكون ذلك في المهجاء خاصة ،
وقال الخطيئة :

الشعرُ صَعْبٌ وطَوِيلٌ سُلَّةٌ والشعرُ لا يسطيعه من يظلمه
إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه زلت به إلى الحضيض قدّمه
يريد أن يعر به فيعجمه

وإنما سمي الشاعر شاعراً ؛ لأنه يَشْعُرُ بما لا يشعر به ^(١) غيره ، فإذا لم يكن
عند الشاعر توليدٌ معنى ولا اختراعه ، أو استطراف لفظ وابتداعه ، أو زيادة
قيماً أجحف فيه غيره من المعاني ، أو نقص مما أطاله سواء من الألفاظ ، أو صَرَفَ
معنى إلى وجه عن وجه آخر ؛ كان اسم الشاعر عليه مجازاً لا حقيقة ، ولم يكن له
إلا فضل الوزن ، وليس بفضل عندي مع التقصير ..

بسمي الشاعر
شاعرا ؟

ولقي رجل آخر فقال له : إن الشعراء ثلاثة : شاعر ، وشويعر ، وماصّ
بَظَرَ أمه ، فأبهم أنت ؟ قال : أما أنا فشويعر ، واختصم أنت وامرؤ القيس
في الباقي .

وقال بعضهم : الشعر شعران : جيد محكك ، وردى مضحك ، ولا شيء
أثقل من الشعر الوسط والغناء الوسط .

وقد قال ابن الرومي يهجو ابن طيفور :
عدمتك يا ابن أبي الطاهر . وأطعمت تُكَلِّكَ من شاعر
فما أنت سَخْنٌ ولا بارد وما بينَ ذين سوى الفاتر
وأنت كذاك تُغَيِّى النفوس سَ تغشيه العاتر الخائر
وقد يجوز أن يكون النابغة أشار - فيما حكى عنه الخاتمي من الردى المضحك -
إلى هذا النحو .

ابن الرومي
يهجو شاعرا

(١) في نسخة « بما لا يشعر له »

صعوبة
عمل الشعر

وقيل : عملُ الشعرِ على الخاذق به أشدُّ من نقل الصخر ، ويقال : إن الشعر كالبحر أهون ما يكون على الجاهل أهول ما يكون على العالم ، وأتعب أصحابه قلباً مَنْ عرفه حق معرفته ، وأهل صناعة الشعر أبصر به من العلماء بآلته من نحو وغريب ومثل وخبر وما أشبه ذلك ولو كانوا دونهم بدرجات ، وكيف إن قاربوهم أو كانوا منهم بسبب ؟

نقد الشعر
أبصر به

وقد كان أبو عمرو بن العلاء وأصحابه لا يجرون مع خلف الأحمر في حَلَبَةِ هذه الصناعة - أعنى النقد - ولا يشقون له غباراً ، لنفاذه فيها ، وحذقه بها ، وإجادته لها وقد يميز الشعر من لا يقوله ، كالبراز يميز من الثياب ما لم ينسجه ، والصيرفي يخبر من الدنانير ما لم يسبكه ولا ضرب به ، حتى إنه ليعرف مقدار ما فيه من الغش وغيره فينقص قيمته .

وحكى أن رجلاً قال لخلف الأحمر : ما أبالي إذا سمعت شعراً استحسنته ما قلت أنت وأصحابك فيه !! فقال له : إذا أخذت درهما تستحسنه وقال لك الصيرفي إنه ردىء هل ينفعك استحسانك إياه ؟ .

وقيل للمفضل الضبي : لم لا تقول الشعر وأنت أعلم الناس به ؟ قال : على به هو الذي يمنعني من قوله ، وأنشد :

وقد يقرض الشعرَ البكيُّ لسانهُ وتغني القوافي المرءَ وهوَ لبيب
والشعر مزلةُ العقول ، وذلك أن أحداً ما صنعه قط فكتمه ولو كان رديثاً ، وإنما ذلك لسروره به ، وإكباره إياه ، وهذه زيادة في فصل الشعر ، وتنبية على قدره وحسن موقعه من كل نفس .

من شعر
الأصمعي

وقال الأصمعي على تقدمه في الرواية وميزه بالشعر :

أبي الشعر إلا أن يفى رديئه على ، ويأبى منه ما كان محكماً
فياليتني - إذ لم أجِدْ حَوَك وشيهِ ولم أكن من فرسانه - كنت مُفَحِّمًا

الشعر أربعة
أصناف

وقال عبد الكريم : الشعر [أربعة] أصناف : فشعر هو خير كله ، وذلك ما كان في باب الزهد ، والمواظ على الحسنة ، والمثل العائد على من تمثل به بالخير ، وما أشبه ذلك ؛ وشعر هو ظرف كله ، وذلك القول في الأوصاف ، والنعوت والنشيب ، وما يفتن به من المعاني والآداب ؛ وشعر هو شر كله ، وذلك الهجاء ، وما تسرع به الشاعر إلى أعراض الناس ؛ وشعر يتكسب به ، وذلك أن يحمل إلى كل سوق ما ينفق فيها ، ويخاطب كل إنسان من حيث هو ، وبأى إليه من جهة فهمه .

وذكر الجحى في الشعراء المقاحم والثنيان قال : والمقحم : الذى يفتحهم سنًا إلى أخرى ، وليس بالبازل ولا المستحکم ، وأنشد لأوس بن حجر :
وقد رام ببحرى قبل ذلك طامياً من الشعراء كل عود ومقحم
قال : والثنيان : الواهن العاجز ، وأنشد لأوس بن مفرّاء :
ترى ثنائنا - إذا ما جاء - بدأهم وبدؤهم إن أتانا كان ثنائنا
قال غيره : الثنيان : الذى ليس بالرئيس ، بل هو دونه ، وأنشدوا لنا بغي بنى
ذبيان يخاطب يزيد بن الصّبيح :

يصدُّ الشاعر الثنيان عني صدود البكر عن قرم هيجان

للشعر صناعة
وثقافة

قال الجحى : وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات : منها ما تثقفه العين ، ومنها ما تثقفه الأذن ، ومنها ما تثقفه اليد ، ومنها ما يثقفه اللسان ، من ذلك اللؤلؤ والياقوت لا يعرف بصفة ولا وزن دون المعاينة ممن يبصره ، ومن ذلك الجّهيزة بالدينار والدرهم لا تعرف جودتهما بلون ولا مس ولا طراوة ولا دنس ولا صفة ، ويعرفه الناقد عند المعاينة فيعرف به رجاء وزائنها وستوقها ومفرغها ، ومنه البصر بأنواع المتاع وضروبه وصنوفه مع تشابه لونه ومسه وذرعته واختلاف بلاده حتى يردّ كل صنف منها إلى بلده الذى

خرج منه ، وكذلك بصر الرقيق فتوصف الجارية فيقال : ناصعة اللون ، جيدة الشطب ، نقية الثغر ، حسنة العين والأنف ، جيدة النهدين ، ظريفة اللسان ، واردة الشعر ، فتكون بهذه الصفة بمائة دينار وبمائتي دينار ، وتكون أخرى بألف دينار وألفي دينار ؛ ولكن لا يجد واصفها مزيدا على هذه الصفة ؛ وتوصف الدابة فيقال : خفيف العنان ، لين الظهر ، جيد الحافر ، فتي السن ، نقي من العيوب ؛ فيكون بخمسين دينارا أو نحوها ، وتكون أخرى بمائتي دينار وأكثر ، تكون هذه صفتها ، ويقال للرجل والمرأة في القراءة والغناء : إنه لندى الخلق ، حسن الصوت ، طويل النفس ، مصيب اللحن ، ويوصف الآخر والأخرى بهذه الصفة وبينهما بونٌ بعيد، يعرف ذلك أهل العلم به [عند المايعة والاستماع ، بلا صفة ينتهي إليها ، ولا علم يُوقف عليه ، وإن كثرة المدارس للشيء لتعين على العلم به] ^(١) ، وكذلك الشعر يعرفه أهل العلم به .

وسمعت بعض الخذاق يقول : ليس للجودة في الشعر صفة ، وإنما هو شيء يقع في النفس عند المميز : كالفرند في السيف ، والملاحاة في الوجه ، وهذا راجع إلى قول الجحى ، بل هو بعينه ، وإنما فيه فضل الاختصار .

١٨ — باب حد الشعر وبنيته

الشعر يقوم بعد النية من أربعة أشياء ، وهي : اللفظ ، والوزن ، والمعنى ، والقافية ، فهذا هو حد الشعر ؛ لأن من الكلام موزوناً مقفياً وليس بشعر ؛ لعدم القصد والنية ، كأشياء اتزنت من القرآن ، ومن كلام النبي صلى الله عليه وسلم ،

(١) هذه العبارة كلها ساقطة من التونسية .

وغير ذلك مما لم يطلق عليه أنه شعر ، والمتزن : ما عرض على الوزن فقبله ، فكان الفعل صار له ، ولهذه العلة سمي ما جرى هذا المجرى من الأفعال فعل مُطَاوَعَة ، هذا هو الصحيح ، وعند طائفة من أصحاب الجدل أن المنفعل والمفتعل لا فاعل لهما ، نحو : شَوَيْتُ اللحم فهو مُنْشَوٍ وَمُشْتَوٍ ، وبنيت الحائط فهو مُنْبَنٍ ، ووزنت الدينار فهو مُتَزَنٌ ، وهذا محال لا يصح مثله في القول ، وهو يؤدي إلى مالا حاجة لنا به ، ومعاذ الله أن يكون مراد القوم في ذلك إلا الجواز والاتساع ، وإلا فليس هذا مما يغلط فيه مَنْ رَقَّ ذهنه وصفا خاطره ، وإنما جئت بهذا الفصل احتجاجاً على مَنْ زعم أن المتزن غير داخل في الموزون ، وإذا لم يعرض المتزن على الوزن فيوجد موزوناً فمن أين يعلم أنه متزن ؟ وكيف يقع عليه هذا الاسم ؟

أركان الشعر وقال بعض العلماء بهذا الشأن : بنى الشعر على أربعة أركان ، وهى : المدح ، والهجاء ، والنسيب ، والرثاء .

قواعد الشعر وقالوا : قواعد الشعر أربع : الرغبة ، والرغبة ، والطرب ، والغضب : فمع الرغبة يكون المدح والشكر ، ومع الرغبة يكون الاعتذار والاستعطاف ، ومع الطرب يكون الشوق ورقة النسيب ، ومع الغضب يكون الهجاء والتوعيد والعتاب الموجه .

أغراض الشعر وقال الرماني على بن عيسى : أكثر ما تجرى عليه أغراض الشعر خمسة : النسيب ، والمدح ، والهجاء ، والفخر ، والوصف ، ويدخل التشبيه والاستعارة [فى] باب الوصف .

وقال عبد الملك بن مروان لأرطاة بن سُهَيْبَة : أتقول الشعر اليوم ؟ فقال : والله ما أطرب ، ولا أغضب ، ولا أشرب ، ولا أرغب ، وإنما يجيء الشعر عند إحداهن . قال أبو على البَصِيرُ :

مدحتُ الأمير الفتحَ أطلبُ عُرْفَهُ وهل يستزاد قائل وهو راغب
فأفنى فُنونَ الشعر وهي كثيرةٌ وما فنيت آثاره والمنقَابُ
فجعل الرغبة غاية لا مزيد عليها .

وقال عبدالكريم : يجمع أصناف الشعر أربعة : المديح، والهجاء، والحكمة،
واللهو، ثم يتفرع من كل صنف من ذلك فنون ؛ فيكون من المديح المرائي
والافتخار والشكر، ويكون من الهجاء الذم والعتاب والاستبطاء ، و[يكون]
من الحكمة الأمثال والنزهيد والمواعظ ، ويكون من اللهو الغزل والطرده وصفة
الخمر والخمور .

وقال قوم : الشعر كله نوعان : مدحٌ ، وهجاءٌ ؛ فإلى المدح يرجع الرثاء ،
والافتخار ، والتشبيب ، وما تعلق بذلك من محمود الوصف : كصفات الطلول
والآثار ، والتشبيهات الحسان ، وكذلك تحسين الأخلاق : كالأمثال ، والحكم ،
والمواعظ ، والزهد في الدنيا ، والقناعة ، والهجاء ضدُّ ذلك كله ، غير أن العتاب
حالٌ بين حالين ؛ فهو طرف لكل واحد منهما ، وكذلك الإغراء ليس بمدح
ولا هجاء ؛ لأنك لا تغري بإنسان فتقول : إنه حمير ولا ذليل ، إلاَّ كان عليك
وعلى المغري الدركُ ، ولا تقصد أيضاً بمدحه الثناء عليه فيكون ذلك
على وجهه .

والبيت من الشعر كالبيت من الأبنية : قراره الطبع ، وسمكه الرواية ،
ودعائمه العلم ، وبابه الدُّرْبَة ، وساكنه المعنى ، ولا خير في بيت غير مسكون ،
وصارت الأعاريض والقوافي كالموازين والأمثلة للأبنية ، أو كالأواخى والأوتاد
للأخبية ، فأما ما سوى ذلك من محاسن الشعر فإنما هوزينة مستأنفة ولو لم تكن
لاستغنى عنها .

قال القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني صاحبُ كتاب الوَسَّاطَة : الشعر رأي الجرجاني

تشبيه بيت
الشعر ببيت
البناء

علم من علوم العرب يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء ، ثم تكون الذريعة مادة له ، وقوة لكل واحد من أسبابه ؛ فمن اجتمعت له هذه الخصال فهو الحسن المبرز ، وبقدر نصيبه منها تكون مرتبته من الإحسان . وقال : ولست أفضل في هذه القضية بين القديم والحديث ، والجاهل والخضرم ، والأعرابي والمولد ، إلا أني أرى حاجة المحدث إلى الرواية أمس ، وأجده إلى كثرة الحفظ أفقر ، فإذا استكشفت عن هذه الحال وجدت سببها والعلة فيها أن المطبوع الذكي^(١) لا يمكنه تناول ألفاظ العربي إلا رواية ، ولا طريق إلى الرواية إلا السمع ، وملاك السمع الحفظ .

رأى دعبيل قال دعبيل في كتابه : من أراد المدح فبالرغبة ، ومن أراد الهجاء فبالبنضاء ، ومن أراد التشبيب فبالشوق والعشق ، ومن أراد المعاتبة فبالاستبطاء ؛ فقسّم الشعر كما ترى هذه الأقسام الأربعة ، وكان الرثاء عنده من باب المدح على ما قدمت ، إلا أنه جعل العتاب بدلا منه .

آراء مختلفة وقال غير واحد من العلماء : الشعر ما اشتمل على للمثل السائر ، والاستعارة الرائعة ، والتشبيه الواقع ، وما سوى ذلك فإنما لقائله فضل الوزن .

وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلي : قلت لأعرابي : من أشعر الناس ؟ قال : الذي إذا قال أسرع ، وإذا أسرع أبدع ، وإذا تكلم أسمع ، وإذا مدح رفع ، وإذا هجأ وضع .

وسئل بعض أهل الأدب : من أشعر الناس ؟ فقال : من أكرهك شعره على هَجْوِ دويك ومدح أعاديك ، يريد الذي تستحسنه فتحفظ منه ما فيه عليك وصمة ، وخلاف للشهوة ، وهذا [ذؤب] قول أبي الطيب :

وَأَسْمَعُ مِنْ أَلْفَاظِهِ اللَّغَةَ الَّتِي يَلْذُّ بِهَا سَمْعِي وَلَوْ ضُمِّنَتْ شَتَمِي

(١) في المصريتين المطبوعتين « الذي » وما أبعد من الصواب !!

أخذه من قول أبي تمام :

فإن أنا لم يمدحك عني صاغراً عدوك فاعلم أنني غير حامد
وأتبّعه البحتري في ذلك فقال :
ليواصلنك ركب شعري سائراً يرويه فيك لحسنه الأعداء

وقال عبد الصمد بن المذل : الشعر كله في ثلاث لفظات ، وليس كل إنسان يحسن تأليفها : فإذا مدحت قلت أنت ، وإذا هجوت قلت لست ، وإذا رثيت قلت كنت .

وقال بعض النقاد : أصغر الشعر الرثاء ؛ لأنه لا يعمل رغبة ولا رهبة .
قال ابن قتيبة : قال أحمد بن يوسف الكاتب لأبي يعقوب الحريري : أنت في مدائحك لمحمد بن منصور كاتب البرامكة أشعر منك في مرثيتك له ، فقال : كنا يومئذ نعمل على الرجاء ، ونحن [نعمل] اليوم على الوفاء .
قال صاحب السكتاب : ومن هذا المنثور — والله أعلم — سرق البصير بيته المتقدم في الفتح بن خاقان^(١) .

وقيل لبعضهم : ما أحسن الشعر ؟ فقال . ما أعطى القياد ، وبلغ المراد .
وقال أبو عبد الله وزير المهدي : خير الشعر ما فهمته العامة ، ورضيته الخاصة .
وسمعت بعض الشيوخ يقول : قال الخذاق : لو كانت البلاغة في التطويل ما سبق إليها أبو نواس والبحتري .
وقال بعض الخذاق من المتعقبين : أشعر الناس من تخلص في مدح امرأة ورثائها .
وقال ابن المعتز : قيل لمعتوه : ما أحسن الشعر ؟ قال : ما لم يحجبه عن القلب شيء .

(١) هما بيتان سبقا في أول ص ١٢١ .

(١٩) - باب في اللفظ والمعنى

الارتباط
بين المعنى
واللفظ

اللفظ جسم ، وروحُه المعنى ، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم : يضعف بضعفه ، ويقوى بقوته ، فإذا سلم المعنى واختلَّ بعضُ اللفظ كان نقصاً للشعر وهُجْنة عليه ، كما يعرض لبعض الأجسام من العَرَج والسَّلَل والعَوَر وما أشبه ذلك ، من غير أن تذهب الروح ، وكذلك إن ضعف المعنى واختل بعضه كان للفظ من ذلك أوفر حظ ، كالذى يعرض للأجسام من المرض بمرض الأرواح ، ولا تجد معنى يختل إلا من جهة اللفظ ، وَجَرَّه فيه على غير الواجب ، قياساً على ما قدمت من أدواء الجسوم والأرواح ، فإن اختل المعنى كلهُ وفسد بقى اللفظ مَوَاتاً لا فائدة فيه ، وإن كان حسن الطلاوة في السمع ، كما أن الميت لم ينقص من شخصه شيء في رأى العين ، إلا أنه لا ينتفع به ولا يفيد فائدة ، وكذلك إن اختل اللفظ جملة وتلاشى لم يصح له معنى ؛ لأننا لا نجد روحاً في غير جسم البتة .

أيهما أثر ؟

ثم للناس فيما بعد آراء ومذاهب : منهم من يؤثر اللفظ على المعنى فيجعله غايته ووُكُده ، وهم فرق : قومٌ يذهبون إلى فخامة الكلام وَجَزَّالته ، على مذهب العرب من غير تصنع ، كقول بشار :

إذا ما غضبنا غَضْبَةً مُضَرِّيةً هتكنا حجاب الشمسِ أوقطرت دما
إذا ما أعرنا سَيِّداً من قبيلة ذَرَى مِنْبَرِ صُلَى علينا وسلمنا
وهذا النوع أدل على القوة ، وأشبه بما وقع فيه من موضع الافتخار ، وكذلك ما مدح به الملوك يجب أن يكون من هذا النحت .

رأى في
ابن هاني

وفرقة أصحاب جليلة وقمقعة بلا طائل معنى إلا القليل النادر : كأبي القاسم ابن هانيء ومن جرى مجراه ؛ فإنه يقول أول مذهبه :

أصاحت فقالت: وَقَعَ أَجْرَدُ شَيْظُمٍ وشامت فقالت: لمع أبيض مَخْذَمٌ^(١)
وما ذُعِرَتْ إِلَّا لِجَرَسِ حُلِيِّهَا ولا رَمَقَتْ إِلَّا بُرَى فِي مَخْذَمٍ^(٢)
وليس تحت هذا كله إلا الفساد، وخلاف المراد، ما الذي يفيدنا أن تكون
هذه المنسوب بها لبست حلبيها فتوهمته بعد الإصاخة والرمق وَقَعَ فَرَسٌ أُولِمَعَ
سيف؟ غير أنها مغزوة في دارها، أو جاهلة بما حملته من زيتها، ولم يخف عنا
مراده أنها كانت تترقبه!! فما هذا كله؟ وكانت عند أبي القاسم مع طبعه صنعة،
فإذا أخذ في الخلاوة والرقعة، وعمل بطبعه وعلى سجيته؛ أشبه الناس، ودخل في
جملة الفضلاء؛ وإذا تكلف الفخامة، وسلك طريق الصنعة أضرب بنفسه، وأتعب
سامع شعره. ويقع له من الكلام المصنوع والمطبوع في الأحايين أشياء جيدة،
كقوله في المطبوع يصف شجعاناً:

لَا يَأْكُلُ السَّرْحَانُ شُلُوَ عَقِيرِهِمْ^(٣) مما عليه من القَنَا المتكسر

«العقير» ههنا منهم، أي: لم يمت لسباعته حتى تحطم عليه من الرماح
مالا يصل معه الذئب إليه كثرة، ولو كان العقير هو الذي عقروه هم لكان
البيت هجواً؛ لأنه كان يصفهم بالضعف والتكاثر على واحد. وقوله في
للمصنوع:

وجنيت ثممرَ الوقائع يانعاً بالنصر من ورق الحديد الأخضر^(٤)

فهذا كله جيد بديع، وقد زاد فيه على قول البحترى:

(١) الأجرد: أراد به المرس القصير الشعر و«شيطم» أي: طويل الجسم،
ومخْذَم، أراد به السيف القاطع

(٢) الذي في ديوان «من مخْذَم» والمخْذَم: محل الخلخال

(٣) في الديوان «شلوطينهم» والمعنى واحد

(٤) في الديوان «النصر من ورق إلح»

حملت حمائله القصيدة بقلّة من عهد عاد غضة لم تذبل

ويروى :

* من عهد تبع *

ومنهم من ذهب إلى سهولة اللفظ فعني بها ، واغتفر له فيها الركافة واللين
المفرط : كأبي العتاهية ، وعباس بن الأحنف ، ومن تابعهما ، وهم يرون الغاية
قول أبي العتاهية :

من يؤثر
سهولة اللفظ

يا إخواني ، إن الهوى قاتلي فيسّروا الأكفان من عاجل
ولا تلوموا في أتباع الهوى فإنني في شغل شاغل
عيني على هتبة منهلّة بدمعها المنسكب السائل
يا من رأى قبلي قتيلاً بكى من شدة الوجد على القاتل
بسّطت كفي نحوكم سائلاً ماذا تردون على السائل ؟
إن لم تنيلوه فقولوا له قولاً جيلاً بدّل النائل
أو كنتم العام على عشرة منه فمئوه إلى قابل

وقد ذكر أن أبا العتاهية وأبا نواس والحسين بن الضحّاك الخليلع اجتمعوا
يوماً ، فقال أبو نواس : لينشد كل واحد قصيدة لنفسه في مراده من غير مدح
ولا هجاء ، فأنشد أبو العتاهية هذه القصيدة ، فسأله وامتنعاً من الإنشاد بعده ،
وقال له : أما مع سهولة هذه الألفاظ ، وملاحة هذا القصد ، وحسن هذه
الإشارات ؛ فلا ننشد شيئاً ، وذلك في بابه من الغزل جيد أيضاً لا يفضلّه غيره .

رأى في
أبي العتاهية

ومنهم من يؤثر المعنى على اللفظ فيطلب صحته ، ولا يبالي حيث وقع من
هجنة اللفظ وقبحه وخشونته : كابن الرومي ، وأبي الطيب ، ومن شا كلهما :
هؤلاء المطبوعون ، فأما المتصنعون فسيرد عليك ذكرهم إن شاء الله تعالى .

من يؤثر
المعنى

حجة من
آثر اللفظ

وأكثر الناس على تفضيل اللفظ على المعنى ، سمعتُ بعض الخذاق يقول : قال العلماء : اللفظ أغلى من المعنى ثمنًا ، وأعظم قيمة ، وأعز مطلبًا ؛ فإن المعاني موجودة في طباع الناس ، يستوى الجاهل فيها والخذاق ، ولكن العمل على جودة الألفاظ ، وحسن السبك ، وصحة التأليف ، ألا ترى لو أن رجلاً أراد في المدح تشبيه رجل لما أخطأ أن يشبهه في الجود بالغيث والبحر ، وفي الإقدام بالأسد ، وفي المصاء بالسيف ، وفي العزم بأسيل ، وفي الحسن بالشمس ، فإن لم يحسن تركيب هذه المعاني في أحسن حُلاها من اللفظ الجيد الجامع للركة والجزالة والعذوبة والطلاوة والسهولة والحلاوة لم يكن المعنى قَدَر .

وبعضهم - وأظنه ابن وكيع - مثل المعنى بالصورة ، واللفظ بالكسوة ؛ فإن لم تقابل الصورة الحسناء بما يشاكلها ويليق بها من اللباس فقد بخست حقها ، وتضاءلت في عين مبصرها .

وقال عبد الكريم - وكان يؤثر اللفظ على المعنى كثيراً في شعره وتأليفه :- الكلام الجزل أغنى عن المعاني اللطيفة [من المعاني اللطيفة] عن الكلام الجزل ، وإنما حكاه ونقله نقلاً عن روى عنه النحاس .

ومن كلام عبد الكريم : قال بعض الخذاق : المعنى مثال ، واللفظ حَدْوٌ ، والحدْوُ يتبع المثال ؛ فيتغير بتغيره ، ويثبت بثباته .

ومنه قول العباس بن حسن العلوي في حفة بليغ : معانيه قَوَالِبُ لألفاظه ، هكذا حكى عبد الكريم ، وهو الذي يقتضيه شرط كلامه ، ثم خالف في موضع آخر فقال : ألفاظه قَوَالِبُ لمعانيه ، وقوافيه مُعَدَّةٌ لمعانيه ، والسجع يشهد بهذه الرواية الأخرى ، وهي أعرف .

والمقابل يكون وعاء كالذي تفرغ فيه الأواني ، ويعمل به اللبن والآجر ،

وقد يكون قدراً للوعاء كالذى يقام به اللواك^(١)، وتصلح عليه الأخفاف، ويكون مثالا كالذى تحذى عليه النعال، وتفصل عليه القلائس، فلهذا احتمل القالب أن يكون لفظاً مرة ومعنى مرة.

وللشعراء ألفاظ معروفة، وأمثلة مألوفة، لا ينبغي للشاعر أن يعدوها، ولا أن يستعمل غيرها، كما أن الكتّاب اصطالحوا على ألفاظ بأعيانها سموها الكتابية لا يتجاوزونها إلى سواها، إلا أن يريد شاعر أن يتظرف باستعمال لفظ أعجمي فيستعمله في النذرة، وعلى سبيل الخطرة، كما فعل الأعشى قديماً، وأبو نواس حديثاً، فلا بأس بذلك، والفلسفة وجرت الأخبار باب آخر غير الشعر؛ فإن وقع فيه شيء منهما فبقدر، ولا يجب أن يجعلاً نُصَبَ العين فيكونا متكئاً واستراحة، وإنما الشعر ما أطرب، وهز النفوس، وحرك الطباع، فهذا هو باب الشعر الذى وضع له، وبني عليه، لا ما سواه.

ومن مُلح الكلام على اللفظ والمعنى ما حكاه أبو منصور عبد الملك بن إسماعيل الثعالبي، قال: البليغ مَنْ يحوِك الكلام على حسب الأمانى، ويخيط الألفاظ على قدود المعانى.

وقال غيره: الألفاظ فى الأسماع كالصور فى الأبصار.
وقال أبو عبادة البحتري^(٢):

وكانها والسمع معقودٌ بها وجهُ الحبيب بدّاً لِعَيْنٍ مُحبّةٍ

(١) فى التونسية «الأوالد».

(٢) البيت فى وصف آثار قلم الممدوح من قصيدة يمدح فيها الحسن بن وهب، وأولها قوله:

من سائل لمعدّل عن خطبه أوصافى لمقصر عن ذنبه
وقبل البيت قوله:

وإذا دجت أقلامه ثم انتحت برقت مصابيح الدجى فى كتبه
باللفظ يقرب فهمه فى بعده منا، ويبعد نيله فى قربه
كالروض مؤتلفاً بحمرة نوره وياض زهرته وخضرة عشبه

(٢٠) -- باب في المطبوع والمصنوع

ومن الشعر مطبوع ومصنوع ، فالمطبوع هو الأصل الذي وضع أولاً ، وعليه حد المطبوع والمدار . والمصنوع وإن وقع عليه هذا الاسم فليس متكلفاً تكلف أشعار المولدين ، لكن وقع فيه هذا النوع الذي سموه صنعة من غير قصد ولا تَعَمُّل ، لكن بطباع القوم عفواً ، فاستحسنوه ومالوا إليه بعض الميل ، بعد أن عرفوا وجه اختياره على غيره ، حتى صنع زهير الحوليات على وجه التنقيح والتثقيف : يصنع القصيدة ثم يكرر نظره فيها خوفاً من التعقب بعد أن يكون قد فرغ من عملها في ساعة أو ليلة ، وربما رَصَدَ أوقات نشاطه فتباطأ عمله لذلك ، والعرب لا تنظر في أعطاف شعرها بأن تجنس أو تطابق أو تقابل ، فتترك لفظة للفظه ، أو معنى لمعنى ، كما يفعل المحدثون ، ولكن نظرها في فصاحة الكلام وجزّالته ، وبسط المعنى وإبرازه ، وإتقان بنية الشعر ، وإحكام عقد القوافي ، وتلاحم الكلام ببعضه ببعض حتى عدّوا من فضل صنعة الخطيئة حسن نسقه الكلام ببعضه على بعض في قوله :

فلا وأبيك ما ظلمتُ قريعٌ بأن يبنوا المكارم حيث شاءوا
ولا وأبيك ما ظلمتُ قريعٌ ولا برُموا لذاك ولا أساءوا
بعثرة جارهم أن ينعشوها فيغير حوله نعمٌ وشاء
فيبنى مجدهم ويقيم فيها ويمشى إن أريد به المشاء
وإن الجارَ مثل الضيف يغدو لوجهته وإن طال الثواء
وإني قد علقتُ بحبل قوم أعانهم على الحسب الثراء

وكذلك قول أبي ذؤيب يصف حمر الوحش والصائد :

فوردنَ والعَيوقُ مَقْعَدَ رابيءِ السَّـمِ ضَرْبَاءَ خَلْفَ النجم لا يَنْتَلِعُ
فَكَرَّ عَنْ فِي حَجَرَاتٍ عَذْبٍ بَارِدٍ حَصْبِ البَطَاحِ تَغِيْبُ فِيهِ الْأَكْرُعُ

فشربن ثم سمن حساً دونه شرف الحجاب، وريب قرع يقرع
فسكرنه فنفرن فامترست به هوجاه هاديةٌ وهادٍ جرُشع
فرمى فأنفذ من نحووصٍ عاطلٍ «سهما» فخرٍ وريشه متصمّع
فبدا له أقراب هادٍ رائغاً عنه فعيث في الكنانة يُرجع
فرمى فالحق صاعدياً مطحراً بالكشح فاشتملت عليه الأضلع
فأبدّهنّ حتوفهن فهاربٌ بذمائه أو باركٌ متجمع
فأنت ترى هذا النسق بالفاء كيف اطرّده ، ولم يفحلّ عقده ، ولا اختلّ
بناؤه ، ولولا ثقافة الشاعر وسراعه إياه لما تمكن له هذا التمكن .

واستطاع فواما جاء من الصنعة نحو البيت والبيتين في القصيدة بين القصائد ، يستدل
بذلك على جودة شعر الرجل ، وصدق حسه ، وصفاء خاطره ؛ فأما إذا كثرت ذلك
فهو عيب يشهد بخلاف الطبع ، وإشار السكفة ، وليس ينبج البتة أن يتأنى من
الشاعر قصيدة كلها أو أكثرها متصنعٌ من غير قصد ؛ كالأذى يأتي من أشعار
رأى في أبي حبيب والبحترى وغيرها . وقد كانا يطلبان الصنعة ويولعان بها : فأما حبيب
تمام والبحترى فيذهب إلى حزونة اللفظ ، وما يملأ الأسماع منه ، مع التصنيع المحكم طوعاً
وكرهاً ، يأتي للأشياء من بُعد ، ويطلبها بكلفة ، ويأخذها بقوة . وأما البحترى
فكان أملح صنعة ، وأحسن مذهباً في الكلام ، يسلك منه دماًته وسهولة مع
إحكام الصنعة وقرب المأخذ ، لا يظهر عليه كلفة ولا مشقة . وما أعلم شاعراً
أكمل ولا أعجب تصنيعاً من عبد الله بن المعتز ؛ فإن صنعته خفية لطيفة لا تكاد
تظهر في بعض المواضع إلا للبصير بدقائق الشعر ، وهو عندي أطف أصحابه شعراً ،
وأكثرهم بديعاً وافتناناً ، وأقربهم قوافي وأوزاناً ، ولا أرى وراءه غاية لطلبها في
هذا الباب ، غير أن لا نجد المبتدئ في طلب التصنيع ومزاولة الكلام أكثر
انفعا منه بمطالعة شعر حبيب وشعر مسلم بن الوليد ؛ لما فيهما من الفضيلة لمبتغيها ،
ولأنهما طرّقاً إلى الصنعة ومعرفة طريقها سابلة ، وأكثرها منها في أشعارها تكثيراً

رأى في
ابن المعتز

سهلها عند الناس ، وجسرهم عليها . على أن مساماً أسهل شعراً من حبيب ، وأقل تكلفاً ، وهو أول من تكلف البديع من المولدين ، وأخذ نفسه بالصنعة ، وأكثر منها . ولم يكن في الأشعار المحدثّة قبل مسلم صريع [الغواني] إلا التبدّد اليسيرة ، وهو رهير المولدين : كان يبطل في صنعه ويجيدها .

وفالوا : أول من فتن البديع من المحدثين بشار بن برد ، وابن هرمة ، وهو ساقّة أول من فتن العرب وآخر من يستشهد بشعره . ثم أتبعهما مقتديا بهما كلثوم بن عمرو العتّابي ، ومنصور النخعي ، ومسلم بن الوليد ، وأبو نواس . واتبع هؤلاء حبيب الطائي ، والوليد البحتري ، وعبد الله بن المعتز ؛ فانتهى علم البديع والصنعة إليه ، وختم به . وشبه قوم أبا نواس بالنابغة لما اجتمع له من الجزالة مع الرشاقة ، وحسن الديباجة ، والمعرفة بمدح الملوك . وأما بشار فقد شهوه بامرئ القيس ؛ لتقدمه على المولدين وأخذهم عنه ، ومن كلامهم : بشار أبو المحدثين .

وسمعت أبا عبد الله غير مرة يقول : إنما سمي الأعشى صنّاجة العرب الأعشى وبشار لأنه أول من ذكر الصنّج في شعره . قال : ويقال : بل سمي صنّاجة لقوة طبعه ، وحياة شعره ، يخيل لك إذا أشدته أن آخرَ ينشد معك . ومثله من المولدين بشار بن برد ، تنشد أقصر شعره عروصاً وألينه كلاماً فتجد له في نفسك هزة وجانية من قوة الطبع ؛ وقد أشبهه تصرفاً وصرافاً في الشعر وكثرة وض مدحا وهجاء ، واتخاراً وتطويلاً . انتهى كلام أبي عبد الله ورجعنا إلى الأول في الطبع والتصنيع .

واستفهم أن البيت إذ وقع مطبوعاً في غاية الجودة ثم وقع في معناه بيت مصنوع في نهاية الحسن لم يؤثر فيه الكلمة ولا طهر عبارة العمل كان المصنوع أفصحاً ، إلا أنه إذا توالى ذلك وكثر لم ينبج البتة أن يكون طبعاً واتفقاً ؛ إذ ليس ذلك في طبع البشر . وسبيل الخلق بهذه الصناعة — إذا غلب عليه حب التصنيع — أن يترك للطبع محالاً يتسع فيه ، وقيل : إذا كان الشاعر

ر . ث . سلم
ابن الوليد

البديع

مق يكون
التصنيع مقبولا

مصنعا بان^(١) جيده من سائر شعره : كأبي تمام ؛ فصار محصورا معروفا بأعيانه ،
وإذا كان الطبع غالبا عليه لم يبين جيده كل البيتونة ، وكان قريبا من قريب :
كالبحتري ومن شاكله . وقد نص ابن الرومي في بعض تسطيراته على محمد بن
أبي حكيم الشاعر حين عاب عليه قوله في الفرس من قصيدة رثى بها عبد الله بن طاهر :
فله شهامة سودنيق باكر وحوافر حفر ورأس صنّعت
وذكر قول حبيب :

بحوافر حفر وصلب صلب^(٢)

فخل به ، واعتذر له ، وخرّج التخاريج الحسان ، وذكر أن الحافر الوأب
والحافر المتعب ونحوهما أشرف في اللفظ من الحافر الأحفر ، إلا أن الطائي عنده
كان يطلب المعنى ولا يبالى باللفظ ، حتى لو تم له المعنى بلفظة نبطية لأتى بها ،
والذي أراه أن ابن الرومي أبصر بحبيب وغيره منا ، وأن التسليم له والرجوع إليه
أحزم ، غير أنني لو شئت أن أقول - ولست راداً عليه ، ولا معترضاً بين يديه -
إن المعنى الذي أراده وأشار إليه من جهة الطائي إنما هو معنى الصنعة كالتطبيق
والتجنيس وما أشبههما ، لا معنى الكلام الذي هو روحه ، وإن اللفظ الذي
ذكر أنه لا يبالى به إنما هو فصيح الكلام ومستعمله ، ويدلك على صحة ما ادعيته
على ابن الرومي قوله « إن الحافر الوأب والمتعب أشرف في اللفظ من الحافر الأحفر » ؛
فكلامه راجع إلى ما قلته في الطائي ، غير مخالف له ، وإن كان في الظاهر على
خلافه ؛ لينسأغ ذلك ، إلا أن أكثر الناس على ما قال ، وإتباع هذا معرض
للكلام ، لا مخالفة .

(١) في التونسية والمصريتين « فان » ولا معنى لها ، والتصحيح من المقابلة في
كلام المؤلف .

(٢) هذا صدر بيت من قصيدة له يمدح فيها الحسن بن وهب (الديوان ٢١١
بيروت) والبيت بتمامه مع بيت سابق عليه قوله :

ما مقرب يختال في أشطاهه ملآن من صلف به وتلهوق
بحوافر حفر وصلب صلب وأشاعر شعر وخلق أخلق

وقال الجاحظ : كما لا ينبغي أن يكون اللفظ عامياً ، ولا ساقطاً سوقياً ؛ فكذلك رأى الجاحظ لا ينبغي أن يكون وحشياً ، إلا أن يكون المتكلم به بدوياً أعرابياً ؛ فإن الوحشى فيما يجب أن يكون الكلام من الكلام بفهمه الوحشى من الناس ، كما يفهم السوقى رطانة السوقى .
عليه

قال : وأنشد رجل قوماً شعراً فاستغربوه ، فقال : والله ما هو بغريب ، ولكنكم في الأدب غرباء .

وعن غيره : أن رجلاً قال للطائى فى مجلس حفل وأراد تبكيته لما أنشد : يا أبا تمام ، لم لا تقول من الشعر ما يفهم ؟ فقال له : وأنت لم لا تفهم من الشعر ما يقال ؟ فضححه .

[ويروى أن هذه الحكاية كانت مع أبى العميثل وصاحبين له خاطباه فأجابهما] (١)
وقال بعض من نظر بين أبى تمام وأبى الطيب : إنما حبيب كالقاضى العدل : موازنة بين المتن والظاهر يضع اللفظة موضعها ، ويعطى المعنى حقه ، بعد طول النظر والبحث عن البيئة ، أو كافتقار الورع : يتجسرى فى كلامه ويتخرج خوفاً على دينه . وأبو الطيب كالملك الجبار : يأخذ ما حوله قهراً وعذوة ، أو كالشجاع الجرىء : يهجم على ما يريده لا يبالى مالتى ، ولا حيث وقع .

وكان الأصمى يقول : زهير والناطقة من عبيد الشعر ، يريد أنهما يتكلفان إصلاحه ويشغلان به حواسهما وخواطرها . عبيد الشعر

ومن أصحابهما فى التنقيح وفى التشنيف والتحكيك طِفْلُ الغنوى . وقد قيل : إن زهيراً روى له ، وكان يسمى « محبراً » لحسن شعره .

ومنهم الخطيئة ، والنمر بن تَوَلَب ، وكان يسميه أبو عمرو بن العلاء السكَّيسَ . وكان بعض الخذاق بالكلام يقول : قل من الشعر ما يخدمك ، ولا تقل منه ما تخدمه ، وهذا هو معنى قول الأصمى ، وسأحلى هذا الباب من كلام السيد

(١) هذه الزيادة ساقطة من التونسية .

من شعر أبي الحسن
أبي الحسن بحلية تكون له زينة فائقة ، وأختمه بخاتمة تكسوه حلة رائقة ؛ لأوفى بذلك بعض ما ضمنت ، وأقضى به حق ما شرطت ، إن شاء الله .

فمن ذلك قوله بتأهّرت سنة خمس وأربعمائة يتشوق إلى أهله :

ولى كبد مكلومة من فراقكم أطامنها صبراً على ما أجنّت
تمنّيتكم شوقاً إليكم وصوبة عسى الله أن يدنى لها ما تمتّت
وعين جفّأها النوم واعتادها البكى إذا عن ذكر القيروان استهلت

فلو أن أعرابياً تذكر نجداً فحنّ به إلى الوطن ، أو تشوق فيه إلى بعض السّكن ؛ ما حسبته يزيد على ما أنى به هذا المولد الحضري المتأخر العصر ، وما انحط بهذا التمييز في هوائى ، ولا أتفق بهذا القول عند مولاي ، ولا الخديعة مما تظن به ، ولا فيه ، ولكن رأيت وجه الحق فعرفته ، والحق لا يتلثم ، وما هو في بلاغته وإيجازه إلا كما قال الأحيمر السعدى في وصيته :

من القول ما يكفى المصيب قليله ومنه الذى لا يكتفى الدهر قائله
يصد عن المعنى فيترك ما نحا ويذهب في التقصير منه يطاوله
فلا تلك مكثراً تزيد على الذى عنيت به في خطب أمرٍ تراوله

(٣١) - باب فى الأوزان

الوزن ركن الشعر المهم
الوزن أعظم أركان حد الشعر ، وأولها به خصوصية ، وهو مشتمل على القافية وجالب لها ضرورة ، إلا أن تختلف القوافى فيكون ذلك عيباً في التقفية لافى الوزن ، وقد لا يكون عيباً نحو الخمسات وما شاكلها .

للطبوع يستغنى عن معرفة الوزن
المطبوع مستغن بطبعه عن معرفة الأوزان ، وأسمائها ، وعلاها ؛ لنبوّ ذوقه عن المزاحف منها والمستكره . والضعيف الطبع محتاج إلى معرفة شيء من ذلك يعينه على ما يحاوله من هذا الشأن

وللناس في ذلك كتب مشهورة ، وتوالييف مفردة ، وبينهم فيه اختلاف ، وليس كتاني هذا بمحتمل شرح ذلك ، ولا هو من شرطه ؛ فراراً من التكرار والتطويل ، ولـكني أذكر نَتَفَاً يحتاج إليها ، ويكتفى بها مَنْ نظر من المتعلمين في هذا الكتاب ، إن شاء الله .

فأول من ألف الأوزان وجمع الأعاريض والضروب الخليل بن أحمد فوضع أوله من ألف فيها كتاباً سماه « العروض » استخفافاً ، والعروض : آخر جزء من القسم الأول من البيت ، وهي مؤنثة ، وتثنى ونجمع ، إلا أن يكون لهذا الجنس من العلم ، والضرب : آخر جزء من البيت من أى وزن كان .

ثم ألف الناس بعده ، واختلَعوا على مقادير استنباطاتهم ، حتى وصل ثم الجوهري الأمر إلى أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري ، فبين الأشياء وأوضحها في اختصار ، وإلى مذهبه يذهب حُذَّاق أهل الوقت ، وأرباب الصناعة : فأول ما خالف فيه أن جعل الخليل الأجزاء التي يوزن بها الشعر ثمانية : منها اثنان خماسيان ، وهما : فعولان ، وفاعلن ، وستة سباعية ، وهي : مفاعيلن ، وفاعلاتن ، ومستفعلن ، ومفاعلاتن ، ومتفاعلن ، ومفعولات ، فنقص الجوهري منها جزء مفعولات ، وأقام الدليل على أنه منقول من « مستفع لن » مفروق الوتد ، أى : مقدم النون على اللام ؛ لأنه رعم [أنه] لو كان جزءاً صحيحاً لتركب من مفردة بحر كما تركب من سائر الأجزاء . يريد أنه ليس في الأوزان وزن انفرد به مفعولات ، ولا تكرر في قسم منه ، وعدَّ الخليل أجناس الأوزان فجعلها خمسة عشر جنساً ، على أنه لم يذكر المتدارك ، وهي عنده : الطويل ، والمديد ، والبسيط ، في دائرة ؛ ثم الوافر ، والكامل ، في دائرة ؛ ثم المزج ، والرجز ، والرمل ، في دائرة ؛ ثم السريع ، والمنسرح ، والخفيف ، والمضارع ، والمقتضب ، والمجث ، في دائرة ؛ ثم المتقارب وحده في دائرة .

وذكر أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاج اختلاف الناس في ألقاب الشعر ؛ فحكى عن الخليل شيئاً أخذتُ به اختصاراً وتقليداً ؛ لأنه أول من وضع علم العروض وفتحها للناس ، وغادرتُ ما سوى ذلك من قول أئى إسحاق الزجاج وغيره لا على أن فيه تقصيراً .

علة تسمية
بمحور الشعر

ذكر الزجاج أن ابن دُرَيْد أخبره عن أبي حاتم عن الأخفش قال : سألت الخليل بعد أن عمل كتاب العروض : لم سميتَ الطويل طويلاً ؟ قال : لأنه طال بتمام أجزائه ، قلت : فالبسيط ؟ قال : لأنه انبسط عن مَدَى الطويل وجاء وسطه فَعِلُنْ وآخره فَعِلُنْ ، قلت : فالمديد ؟ قال : لتمدُّد سباعيه حول خماسيه ، قلت : فالوافر ؟ قال : لوفور أجزائه وتِدْأً بوتدٍ ، قلت : فالكامل ؟ قال : لأن فيه ثلاثين حركة لم تجتمع في غيره من الشعر ، قلت : فالهزجُ ؟ قال : لأنه يضطرب ؛ شُبه بهزج الصوت ، قلت : فالرجز ؟ قال : لاضطرابه كاضطراب قوائم الناقة عند القيام ، قلت : فالرمل ؟ قال : لأنه شُبه برمل الحصير لضمِّ بعضه إلى بعض ، قلت : فالسريع ؟ قال : لأنه يسرع على اللسان ، قلت : فالمنسرح ؟ قال : لانسراحه وسهولته ، قلت : فالخفيف ؟ قال : لأنه أخف السباعيات ، قلت : فالمتنضب ؟ قال : لأنه اقتضب من السريع ، قلت : فالمضارع ؟ قال : لأنه ضارَعَ المتنضب ، قلت : فالجثث ؟ قال : لأنه اجتُثَّ ، أى : قطع من طويل دائرته ، قلت : فالمتقارب ؟ قال : ليقارب أجزائه ؛ لأنها خماسية كلها يشبه بعضها بعضاً .

وجعل الجوهري هذه الأجناس اثني عشر باباً ، على أن فيها المتدارك : سبعةٌ منها مفردات ، وخمسةٌ مركبات ، قال : فأولها المتقارب ، ثم الهزج ، والطويل بينهما مركب منهما ، ثم بعد الهزج الرملُ ، والمضارع بينهما ، ثم بعد الرمل الرجز ، والخفيف بينهما ، ثم بعد الرجز المتدارك ، والبسيط بينهما ، ثم بعد المتدارك

المديد ، مركب منه ومن الرمل ، قال : ثم الوافر والكامل ، لم يتركب بينهما بحر لما فيهما من الفاصلة .

وزعم أن الخليل إنما أراد بكثرة الألقاب الشرح والتقريب ، قال : وإلاّ فالسريع هو من البسيط ، والمسرّح والمتنضب من الرجز ، والمجتث من الخفيف ؛ لأن كل بيت مركب من مستفعلن فهو عنده من الرجز طال أو قصر ، وكل بيت ركب من مستفعلن فاعلن فهو من البسيط طال أو قصر ، وعلى هذا القياس سائر المقدرات والمركبات عنده . والمتدارك الذي ذكره الجوهري مقلوب من دائرة المتقارب ، وذلك أن فعولن يخلفه فاعلن ويخْبَنُ فيصير فعِلن ، وشعر عمرو الجني منه ، وهو الذي يسميه الناس اليوم الخَبَب .

كيفية تقطيع
الأجزاء

وليس بين العلماء اختلاف في تقطيع الأجزاء ، وأنه يراعى فيه اللفظ دون الخط ؛ فيقابل الساكن بالساكن ، والمتحرك بالمتحرك ، ويظهر حرف التضعيف ، وتسقط ألف الوصل ، لام التعريف إذا لم تظهر في درج الكلام ، وثبتت النون بدلا من التنوين ، ويعد الوصل والخروج حرفين ، وهذا هو الأصل الحق ؛ لأن الأوزان إنما وقعت على الكلام ، والكلام لا محالة قبل الخط ؛ لأن الألف صورة هوائية لا مستقر لها ، ولأن المضاعف يجعل حرفاً واحداً ، ولأن التنوين شكل خفي ، وليس في جميع الأوزان ساكنان في حشو بيت إلا في عروض المتقارب ؛ فإن الجوهري أنشد ، وأنشده المبرد قبله :

وَرُمْنَا الْقِصَاصَ وَكَانَ التَّقَاصُ فَرَضًا وَحْتًا عَلَى الْمُسْلِمِينَ

قال الجوهري : كأنه نوى الوقوف على الجزء ، وإلا فالجمع بين ساكنين لم

يسمع به في حشو بيت .

قال صاحب الكتاب : إلا أن سيبويه قد أنشد :

كَأَنَّهُ بَعْدَ كَلَالِ الزَّاجِرِ وَمَسْحِهِ مَرَّةً عَقَابَ كَاسِرِ

بإسكان الحاء وإدغامها في الهاء والسين قبلها ساكنة .

أجزاء
التفاعيل

وجميع أجزاء الشعر تتألف من ثلاثة أشياء : سبب ، ووتدٍ ، وفاصلة ؛
فالسبب نوعان : خفيف ، وهو متحرك بعده ساكن ، نحو : مَأْ ، وَهْلٌ ، وَتَلٌ ،
وَمَنْ ، وثقيل ، وهو متحركان ، نحو : لَمْ ، وَبِمَ ، إِذَا سَأَلْتَ ، وقد أنكره بعض
المحدثين : والوَتِدُ أيضاً نوعان : مجموع ، وهو متحركان بعدها ساكنٌ ، نحو :
رَمَى ، وَسَعَى ، ومفروق ، وهو ساكن بين متحركين ، نحو : قَالَ ، وَبَاعَ .
والفاصلة فاصلتان : صغرى ، وهى ثلاث متحركات بعدها ساكن ، نحو :
بَلَغَتْ ، وما أشبه ذلك ، وكبرى ، وهى أربع متحركات بعدها ساكن ، نحو :
بَلَغَتْ ، وَبَلَغَتْ ، وما أشبه ذلك ، وهى تأتى فى جزء من الشعر بعينه ، وهو : فِعَائُنْ ،
ولا تأتى البنية بإجماع من الناس بين جزءين فتكون حرفين متحركين فى آخر جزء
ومثلها فى أول جزء آخر يليه ، ولا يجتمع فى الشعر خمس متحركات البنية .

ومن الناس مَنْ جعل الشعر كله من الأوتاد والأسباب ، خاصة يركب بعضها على
بعض فتتركب الفواصل منهما ، وبعض المتعقبين - أظنه الملقب بالحار - يسمي الفاصلتين
وتدأ ثلاثياً ، وتبدأ رباعياً ، والسبب عنده نوعان : منفصل نحو مَنْ ، ومتصل نحو
لِعَنْ ؛ فاللام عنده وحدها سبب متصل ، واليم والنون سبب هو منفصل لما كان
لحركة اليم نهاية وهى النون الساكنة ، ولو كانت متحركة لم تكن نهاية .

الزحاف

وأما الزحاف فهو ما يلحق أى جزء كان من الأجزاء السبعة التى جعلت موارد
الشعر من نقص أو زيادة أو تقديم حرف أو تأخيرها أو تسكينه ، ولا يكاد يسلم
منه شعر .

ومن الزحاف ما هو أخف من التمام وأحسن ، كالذى يستحسن فى الجارية
من التغاف البدن واعتدال القامة ، مثال ذلك مفاعيلن فى عروض الطويل التام
تصير مفاعيلن فى جميع أبياته ، وهذا هو القَبْصُ ، وكل مذهب خامسه الساكن
فهو مقبوض وفاعلن فى عروض البسيط التام وضربه يصير فَعْلُنْ ، وذلك هو
الْخُلْنُ ، وكل مذهب ثانيه الساكن فهو مخبون . ومفاعلتن فى عروض الوافر التام

وضربه حذفوا منه التاء والنون وأسكنوا اللام فصار مُفَاعَلٌ ، خلفه فَعُولُنْ ، وهذا هو القُتْلُفُ ، وليس في الشعر مقطوف غيره . ويخف على المطبوع أبداً أن يجعل مكان مستفعلن في الخفيف مفاعله يظهر له أحسن .

ومنه - أعنى الزحاف - ما يستحسن قليله دون كثيره ، كالقَبَلِ اليسير والفَلَجِ من الزحاف ما يستحسن قليله والثلغ^(١) مثال ذلك قول خالد بن زهير الهذلي لخاله أوى ذؤيب :

لعلك إما أمٌ عمرو تبدلت سواك خليلاً شامئ تستجيرها^(٢)

فتقص سا كذاً بعد كاف سواك ؛ وهو نون فَعُولُنْ ، وهذا هو القَبْضُ ، ومن رواه « خليلاً سواك » قبض الياء من مفاعيلن ، وهو أشد قليلاً . ومنه ما يحتمل على كره ، كالقَدَعِ والوَكَعِ والكَزَمِ^(٣) في بعض الحسان ، ومثاله في الشعر كثير وكفاك قول امرئ القيس بن حُجْر :

وتعرف فيه من أبيه شمائل ومن خاله ، ومن يزيد ، ومن حُجْر

سماحة ذاً ، ورر ذاً ، ووفاء ذاً ، ونائل ذاً : إذا صحا ، وإذا سكر

فهذا أجمع العلماء بالشعر أنه ماعمل في معناه مثله ، إلا أنه على ما تراه من

(١) القبل - بفتحيتين - إقبال سواد العين على الأنف ، أو مثل الحول ، أو حسن منه ، أو إقبال إحدى الحدقتين على الأخرى . والعلاج في الأسنان - بفتحيتين - تباعد ما بين السنان والرباعيات ، وبابه طرب . والثلغ : أن يصير الراء لاما أو غينا أو يصير السين باء ، وبابه طرب أيضا .

(٢) تستجيرها : تستعطفها حتى تعود إليك ، وفي الأصول « تستجيرها » بالجيم ، وهو تصحييف ، وفي شرح السكري « تستجيرها » بالخاء العجمة .

(٣) العدع - بفتحيتين - اعوجاج الرسغ من اليد أو الرجل حتى يمتد السكف أو القدم إلى إنسيها ، أو هو المشي على ظهر القدم ، أو هو ارتفاع أحمص القدم حتى لو وطئ الأفدع عصفورا لم يؤذه . والوكع - بفتحيتين - إقبال الإبهام على السبابة من الرجل حتى يرى أصله خارجاً كالغدة . والسكرم - بفتحيتين - قصر في الأنف والأصابع .

الزحاف المستكره ، حكى ذلك أبو عبيدة .

ومنه قبيح مردود لا تقبل النفس عليه ، كقبح الخلق واختلاف الأعضاء
في الناس وسوء التركيب ، مثاله قصيدة عبيد المشهورة :

* أَقْفَرَ مِنْ أَهْلِهِ مَلْحُوبٌ *

فإنها كادت تكون كلاماً غير موزون بعلّة ولا غيرها ، حتى قال ^(١) بعض
الناس : إنها خطبة ارتجلها فآثرن له أكثرها .

وقال الأصمعي : الزحاف في الشعر كالرخصة في الفقه ، لا يقدم عليها إلا
فقيه

وينبغي للشاعر أن يركب مستعمل الأعاريض ووطيئها ، وأن يستحلي
الضروب ويأتي بالطفها موقعاً ، وأخنها مستمعاً ، وأن يجتنب عو بصها ومستكرها ؛
فإن العويص مما يشغله ، ويمسك من عنائه ، ويوهن قواه ، ويفت في عضده ،
ويخرجه عن مقصده .

الحرم
وقد يأتون بالخرم كثيراً - وهو ذهاب أول حركة من وتد الجزء الأول من
البيت - وأكثر ما يقع في البيت الأول ، وقد يقع قليلاً في أول عجز البيت ،
ولا يكون أبداً إلا في وتد ، وقد أنكره الخليل لقلته فلم يجزه ، وأجازه الناس ،
أنشده الجوهري :

قَدَّمْتُ رِجَالاً فَإِن لَمْ تَزَعْ قَدَّمْتُ الْآخَرَ فَنِلْتُ الْقَرَارَ
وَأَنشَدَ أَبُو سَعِيدٍ الْحَسَنُ بْنُ الْحُسَيْنِ السَّكْرِيُّ لَامِرِي الْقَيْسَ :

(١) وفيها يقول أبو العلاء المعري :

وقد يخطيء الرأي امرؤ وهو حازم * كما احتل في نظم القصيد عبيد
وعبيد : هو ابن الأبرص بن جشم بن عامر بن هر ، وانظر ديوانه المطبوع في
أوروبا (ص ٥) .

لقد أنكرتني بعلبك وأهلها وابن جريح كان في حص أنكرا
هكذا روايته ، ورواه غيره * ولا بن جريح * بغير خرم . فإذا اجتمع الحرم
والقبض على الجزء فذلك هو الثرم ، وهو قبيح . وهذان عيبان لذلك التسمية
فيهما على قبحهما ؛ لأن الحرم في الأنف ، والثرم في الفم ، وإنما كانت العرب
تأتي به لأن أحدهم يتكلم بالكلام على أنه غير شعر ، ثم يرى فيه رأياً فيصرفه
إلى جهة الشعر ؛ فن هنا احتمل لهم وقبح على غيرهم . ألا ترى أن بعض كتّاب
عبد الله بن طاهر عاب ذلك على أبي تمام في قوله :

* هُنَّ عَوَادِي يُوسُفٍ وَصَوَاحِبُهُ *

على أنه أولى الناس بمذاهب العرب .

ويأتون بالخزم - نزاي معجمة - وهو ضد الخزم - بالراء غير معجمة ، الناقص
منهما ناقص نقطة ، والزائد زائد نقطة - وليس الخزم عندهم بعيد ؛ لأن أحدهم
إنما يأتي بالحرف زائداً في أول الوزن ، إذا سقط لم يفسد المعنى ، ولا أحل به
ولا بالوزن ، وربما جاء بالحرفين والثلاثة ، ولم يأتوا بأكثر من أربعة أحرف ،
أنشدوا عن علي بن أبي طالب رحمه الله تعالى ورضي عنه :

أشدُّ حياز يمك للموت فإن الموت لا قيقا
ولا تجزع من الموت إذا حلَّ بواديكَا

فزاد « اشدد » بياناً للمعنى لأنه هو المراد . قال كعب بن مالك الأنصاري
يرثي عثمان بن عفان رضي الله عنه :

أقد عجببت لقوم أسلموا بعد عزهم إمامتهم للمنكرات وللغدر

فزاد « لقد » على الوزن . هكذا أنشده . وأنشد الزجاج - وزعم أصحاب
الحديث أن الجن قالته :

نحن قتلنا سيد الخزر ح سـمـد بن عباده
 رميناه بسهمين فلم نُخطِ فؤاده
 فزاد على الوزن « نحن » وأنشد الزجاج أيضاً :
 * بل لم تجزعوا يا آل حرب تجزعا *

فراد « بل » وأنشد أيضاً :

يا مطر بن خارجة بن مسلم إني أجنى وتُغلقُ دوني الأبوابُ
 وإما الوزن «مطر بن خارجة» والياء والألف^(١) زائدة . . ومما جاء فيه الخزم
 في أول عجز البيت وأول صدره ، وهو شاذ جداً ، قول طرفة :
 هل تذكرون إذ تقاتلكم إذ لا يضر معدماً عدمه
 فزاد في أول صدر البيت « هل » وزاد في أول العجز « إذ » والبيت من
 قصيدته المشهورة :

أشجأك الربيعُ أم قديمه أم رماد دارس حُمة
 وقال جريرة^(٢) بن الأشيم أنشده أبو حاتم عن أبي زيد الأنصاري :
 لقد طال إيضاعي الخدم لا أرى في الناس مثلي من معدٍ يخطب
 حتى تأوبت البيوت عشية فوضعت عنه كورة تتشاب
 فاللام في «لقد» زائدة ، وصاحب هذا الشعر جاهلي قديم ، وقالت الخنساء :
 أقذى بعينك أم بالعسين عوارُ أم أوحشت إذ خلّت من أهلها الدار

(١) صوابه أن يقول « ويا زائدة » .

(٢) هكذا في بعض النسخ بالجيم والراء المهملة ، وفي بعضها « خزيمه » بخاء
 وزاي موحدتين ، وفي بعضها « حريثة » بحاء وراء مهملتين ، وكل هذه النسخ
 مخالف لما في نوادر أبي زيد (ص ٧٢) فإن فيها « خريية » بحاء معجمة وراء
 مهملة وبعد الياء باء موحدة .

فزادت ألف الاستفهام ، ولو أسقطناها لم يضر المعنى ولا الوزن شيئاً ، وروى
أن أبا الحسن بن كيسان كان ينشد قول امرئ القيس :

* كَأَنَّ ثَبِيرًا فِي عَرَائِينَ وَبَلَه *

فما بعد ذلك بالواو فيقول : * وَكَأَنَّ ذُرَى رَأْسِ الْجَيْمِرِ غُدُوَّةَ *

* وَكَأَنَّ السَّبَاعَ فِيهِ غَرَقَى عَشِيَّةَ *

معطوفا هكذا ؛ ليكون الكلام نسقاً بعضه على بعض

وقال عبد الكريم بن إبراهيم : مذهبهم في الخزم أنه إذا كان البيت يتعلق
بما بعده وصلّوه تلك الزيادة بحروف العطف التي تعطف الاسم على الاسم والفعل
على الفعل والجملة على الجملة ، وأخذ الخزم من خزيمة الناقة ، ومن شأنهم مد
الصوت فجعلوه عوضاً من الخرم الذي يحذفونه من أول البيت .

وقد قال غيره : إنما أسقطوه كأنهم يتوهمون أنه في السكتة ؛ فلذلك جعلوه
في الوند المجموع ؛ لأن المفقود لو أسقطوا حركته الأولى لبقى أوله ساكناً ،
ولا يبتدأ بالساكن ، فيسقط أيضاً ، والسكتة لا تحتل عندهم إلا حرفاً واحداً ؛
وهذا اعتلال مليح بين جداً .

ومن الترحيف في الأوساط الإقعاد^(١) ، وهو أن تذهب مثلاً نون متفاعلين الإقعاد
أو مستفعلن في عروض الضرب الثاني من الكامل ، وتسكن اللام ، فيصير
عروضه كضربه فعلاتن أو مفعولن ، كما قال الشاعر ، وهذا هو القطع عند
أصحاب القوافي :

أفبعدَ مقتلِ مالكِ بنِ زُهَيْرٍ ترجو النساءِ عواقبَ الأطهارِ

فإن هذا على معنى التصريح وليس به ؛ فهو عيب ، وأقبح منه قول الآخر :

(١) في التونسية « الإقعاء » في الموضعين .

إني كبرتُ وإنَّ كلَّ كَبِيرٍ مما يضمن به علىَّ ويقتر
لأبه أني بالعروض دون الضرب بحرف ، لا لتوهم تصريح ولا إشكال ،
وإنما نذكر مثل هذا ليجتنب إذا عرف قبحه . وجاء منه في الطويل قول
الناطقة الديباني :

جزى الله عبساً عبساً آل بَغِيضٍ جزاء الكلاب العاويات وقد فعل^(١)
أنشده النحاس . وقول ضباب بن سبيع بن عوف الحنظلي :
لعمري لقد برَّ الضبابَ بَنُوهُ وبعض البنين حُمَّةٌ وسُعَالُ
هكذا روايته بالخاء غير معجمة ، وهو الصحيح ، وبعضهم يرويه « غمة »
بالحين معجمة .

وزعم الجحى أن الإقعاد^(٢) لا يجوز لمولد ، وقد أتى به البحتري في عروض
الخفيف فقال يهجو شاعراً :

ليس ينفك هاجياً مَضْرُوباً أَلْفَ حَدٍّ ومادحا مصفوعا
قياسا على قول الحارث بن حِزَّازة الشكري :
أَسَدٌ في اللقاء ذو أَشْبَالٍ وريبعٌ إن شَنَعَتْ غَبَاءُ
وابن قتيبة يسمى هذا الزحاف إقواء ، وسأذكره في أبواب القوافي إن شاء
الله تعالى .

ومن مهمات الزحاف أربعة أشياء : ابتداء ، وهو ما كان في أول البيت مما
لا يجوز مثله في الحشو : كالتَّمُّ في الطويل ، والعَصْبُ في الوافر ، والخرم في

مهمات
الزحاف

(١) في إحدى روايات الديوان * جزى الله عبسا والجزاء بفعله * ومن
العلماء من يروي البيت بالألفاظ التي رواه المؤلف بها ولكنه يصغر لفظ « بغيض »
بضم الباء وفتح الغين وتشديد الياء مكسورة ، وعلى هذين فلا شاهد للمؤلف فيه .
(٢) في التونسية « الإقعاء » في الموضعين .

المزج ؛ وفصل ، وهو ما كان ملتزما في نصف البيت الذي يسمى عروضاً ، مثل
مفاعِلن في عروض الطويل ، وفعلُن في عروض المديد ، وما جرى مجراها ، هذا
هو الحقيقة ، وأما ما كان من جهة التوسع والمجاز ومعنى التقريب فقد مر ذكرهما
آنفا ؛ واعتماد ، وهو ما كان من الزحاف الجائز في الحشو ولا مثل الجزء^(١)
الذي قبل الضرب ، كقول امرئ القيس :

أَعْنَى عَلَى بَرْقِ أَرَاهُ وَمِیْضٍ یَضِئُ حَبِیْاً فِی شَمَارِیْخٍ بَیْضٍ
فَأَثْبَتَ ياء « شماریخ » وهى مكان النون من فعولن ، وكان الأجود أن
يسقطها بالقبض ؛ لمكان الاعتماد ؛ لأن السبب قد اعتمد على وتدين : أحدهما
قبله ، والآخر بعده ، فقوى قوة ليست لغيره من الأسباب ، فحسن الزحاف فيه ،
والاعتماد في التقارب سلامة الجزء من الزحاف ؛ وغاية ، وهو ما كان في الضرب
الذى هو جزء القافية ملتزما مخالفاً للحشو : كالمقطوع والمقصود والمكسوف^(٢) ،
والمقطوف ، وهذه أشياء لا تكون في حشو البيت ..

قالوا : وأكثر الغايات معتل ؛ لأن الغاية إذا كانت فاعلاتن أو فعولن
أو مفاعيلن فقد لزمها أن لا تحذف سوا كن أسبابها ؛ لأن آخر البيت لا يكون
متحركاً ، هذه حقيقة ما ذكر ، وأما المجاز والاتساع فكثير ...

ويتصل بالغايات أنواع آخر : فمن ذلك معرفة ما يلزمه حرف المد واللين
الذى هو الردف مما لا يلزمه^(٣) ذلك ؛ أجمع حُذَّاق أهل العلم من البصريين
والكوفيين على أن كل وزن نقص من أتمّ بنائه حرف متحرك عوض حرف

(١) هكذا في المصريتین ، والعبارة غير مستقيمة ، وصوابها : « ما كان من
الزحاف الجائز في الحشو في الجزء الذي قبل الضرب » .

(٢) في الأصول كلها « والمكسوف » بالشين المعجمة ، وهو تصحيف .

(٣) كذا في جميع الأصول ، والصواب حذف كلمة « ذلك » .

المد واللين من ذلك الحرف فلم يجيء إلا مُرَدَفًا بواو أو ياء أو ألف . ولا يحتسب في ذلك بما يقع للزحاف ، مثل مفعولن^(١) في الخفيف . ألا ترى أنه يعاقب فاعلاتن ؟ فهو لا يوجب الردف ، فإن ذهب منه أكثر من حرف متحرك أو ما يقوم مقامه ، وهو حرف ساكن مع حرف آخر متحرك ؛ لم يلزمه الردف ، وإذا التقى ساكنان ألزموه الردف : فما سقط فالزم حرف المد فاعولن المحذوف ، في الطويل ، لم يعتدوا بالنون لما يدركها من الزحاف فكأنما ذهبت اللام فقط ، ومن المديد فاعلاتن المقصور ، ومن البسيط فعولن المقطوع . والفرق بين القطع والقصر أن القصر في الأسباب والقطع في الأوتاد ، وهما جميعاً ذهاب ساكن من آخر الجزء وحركة متحرك قبله ملاصقه . والردف إما يكون عوضاً عما بعده لأمّا قبله . ومن السكامل فعلات^(٢) المقطوع ، ومن الرجز مفعولن^(٣) المقطوع ، ومن الرمل فاعلاتن المقصور ، ومن المتقارب فعولن المقصور .

ومما التقى فيه ساكنان وألزموه الردف مستفعلان المذال في البسيط ، وفيه اختلاف : أما من ألزمه الردف فلا لتقاء الساكنين ، أقاموا المد منهما مقام الحركة ؛ وأما من لم يلزمه الردف فلا لأنه قد تمّ وزيد على تمامه . والإرداف إما يأتي عوضاً من النقصان لا من الزيادة . وفي السكامل متفاعلان المذال ، وفي الرجز شاذ ، أنشده أبو زهرة النحوي في كتاب العروض ، وهو :

كَأَنِّي فَوْقَ أَقْبَ سَهْوٍ جَبَّ إِذَا عَشَرَ صَاتِي الْإِرْنَانِ^(٤)

(١) في جميع الأصول « مفعولن » بلا واو ، وهو غير صحيح .

(٢) أصله « متفاعلن » : حذفت النون وسكنت اللام قبلها فصار « متفاعل » فنقل إلى « فاعلاتن » .

(٣) أصله « مستفعلن » فبعد حذف النون وإسكان اللام نقل إلى « مفعولن »

(٤) البيت للمرار الأسدي ، وأصل السهوق الطويل من الرجال ، وقد يستعمل في غيرهم كما هنا . والجاب : الحمار الغليظ من حمر الوحش . والصاتي : المصوت ، والإرنان : الصوت ، وأراد الرفيع الصوت

وفي الرمل فاعلاتن وحدها ، والقول فيها كالقول في مستفعلان للذال في البسيط ، وفاعلات في السريع ، وهو مذيّل من البسيط عند الجوهري ؛ فأما على ما عند مَنْ سواه فهو موقوف من مفعولات مطوية - أي ساقطة الواو - ومفعولات في مشطور السريع أيضاً ، وفي مَنهُوك المنسرح يلزمها حرف اللين ؛ فعلى هذا إجماع الحذاق ، إلا سيبويه فإنه رخص فيه لموافقة الوزن مُردفاً وغير مردف ، وأنشد قول امرئ القيس :

ولقد رحلت العيس ثم زجرتُها وهنّا وقلتُ : عَلَيْكِ خَيْرَ مَعَدٍّ

وقول الراجز :

* إِنْ تُنْمَعَ الْيَوْمَ نَسَاءُ يُنْمَعْنَ *

بإسكان العين والنون . وكان الجرّمى والأخفش يريان هذا غلطاً من قائله ، كالسناد والإكفاء ، يحكى ولا يعمل به ، إلا أن أبانواس في قوله :

* لَا تَبْكِي كَيْلِي وَلَا تَنْطَرِبِي إِلَى هِنْدِ *

أخذ بقول سيبويه ، وهو قليل ، والقياس الأول حسن مطرد ، وهو المختار . المطلق والتقيّد من القوافي ومن أهم أمور الغايات معرفة ما يُنشد من الشعر مطلقاً ومقيداً . قال أبو التّاسم الزجاجي وغيره من أصحاب القوافي : الشعر ثلاثة وستون ضرباً ، لا يجوز إطلاق مقيد منها إلا انكسر الشعر ، ما خلا ثلاثة أضرب : أحدها في الكامل :

أُبْنِي لَا تَظْلِمُ بِمَكَّةَ لَا الصَّغِيرَ وَلَا الْكَبِيرَ

وهذا هو الضرب السابع يسمى مُذالاً ، وإن شئت قلت : * ولا الكبير * فأطلقتَه وهو الضرب السادس منه يسمى المرفّل ، والضرب الثانی في الرمل وهو قول زيد الخيل :

بَا بَنِي الصَّيْدَاءِ رُدُّوا فَرَسِي إِنَّمَا يُفْعَلُ هَذَا بِالذَّلِيلِ
وهو الضرب الثاني منه ، فإن أطلقته صار أول ضرب منه ، والضرب
الثالث في المتقارب ، أنشد الأصمى وأبو عبيدة :

كَأَنِّي وَرَحَلِي إِذَا زُعْتَهَا عَلَى جَمَزِي جَازِيءٍ بِالرَّمَالِ
. غير أن سيبويه أنشد فيما يجوز تقييده وإطلاقه :

صَفِيَّةٌ قَوْمِي وَلَا تَعْجِزِي وَبَكِّي النِّسَاءَ عَلَى حَمْرَةٍ

وهو من المتقارب : إن أطلق كان مجذوفا ، وإن قيد كان أبت. وقد أنشد
أبوزيد سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري لعمر بن شاس ، قال : والشعر مقيد

وما بيضة بات الظلمُ يَحْقُفُهَا إِلَى جُوجُو جَافٍ بِمِثَاءٍ مُحَلَّلٍ
بأحسن منها يوم بطن قرَّاقِرٍ نَحْوُضُ بِهِ بَطْنُ الْقَطَاةِ وَقَدْ سَالَ
لَطِيفَةٌ طَى الكَشْحِ مَضْمَرَةُ الْحِشَا هَضِيمُ الْعِنَاقِ هَوْنَةٌ غَيْرُ مَجْبَالٍ^(١)
تميل على مثل الكَثِيبِ^(٢) كَأَنَّهَا نَقَا كَلِمَا حَرَكْتَ جَانِبَهُ مَالٍ

هذا شيء لم يذكره العروضيون ، وهو عندهم مطلق محمول على الإقوال ،
كما حل قول امرئ القيس :

أَحْنِظْ لَوْ حَامِيَتُمْ وَصَبَرْتُمْ لِأَثْنَيْتُ خَيْرًا صَالِحًا وَلَأَرْضَانِ
ثِيَابُ بَنِي عَوْفٍ طَهَارَى نَقِيَّةً وَأَوَجَّهُمُ عِنْدَ الْمَشَاهِدِ غُرَّانِ
عَوِيرٍ وَمِنْ مِثْلِ الْعَوِيرِ وَرَهْطِهِ وَأَسْعَدُ فِي لَيْلِ الْبِلَابِلِ صَفْوَانِ
فَقَدْ أَصْبَحُوا وَاللَّهِ أَصْفَاهُمْ بِهِ أَبْرَ بِأَيْمَانٍ^(٣) وَأَوَى بِبَجِيرَانِ

(١) في النوادر (ص ٤١) : « هونة غير متفال »

(٢) في النوادر « على ظهر الكثيب » ويروى « على ظهر الضجيع » .

(٣) رواية الديوان « أبر بميثاق » .

إلا الأخفش والجرجي ؛ فإنهما يرويان هذا الشعر موقوفا ، ولا يرَيان فيه إقواء ، وهذا عند سيبويه لا بأس به .

وقد صَوَّبَ الناسُ قولَ الخليل في مخالفة هذا المذهب ، وأنشد بمض المتعقبين أظنه البازي العروضي :

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزود
بالتقييد على أنه من الضرب المحذوف المعتمد ، قال : إلا أنه يدخله عيبٌ
لترك حرف اللين ، وهو كثير جداً .

وليس الابتداء والفصل والاعتماد والغاية بعلم ، ولكنها مواضع العلل ؛ فأقيم
المضاف إليه مقام المضاف .

وأما زحاف الحشو فمن أهمه معرفة المعاقبة والمراقبة : فأما المعاقبة فهي أن زحاف الحشو
يتقابل سببان في جزئين ، فهما يتعاقبان السقوط : يسقط ساكن أحدهما لثبوت
ساكن الآخر ، ويثبتان جميعاً ، ولا يسقطان جميعاً ، والمعاقبة بين سببي جزئين
من جميع الأوزان في أربعة أنواع : المديد ، والرمل ، والخفيف ، والمجثث ، وهو
عند الجوهري ضرب من الخفيف ، فإذا كان السبب في أول البيت أو كان قبله
وتد دخله الزحاف فهو برىء من المعاقبة ؛ إذ ليس قبله ما يعاقبه ، ولأن الوجد
لا يعاقب السبب ، فإذا زوحف ثلثي الجزء لمعاقبة ما بعده فهو عجز ، فإن زوحف
أوله لمعاقبة ما قبله وآخره لمعاقبة ما بعده فهما طرفان ، وياء مفاعيلن في الطويل
والهزج يعاقب نونها ، وكذلك سين مستفعلن في السكامل^(١) تعاقب فاءها .

والمراقبة : أن يتقابل السببان في جزء واحد فيسقط ساكن أحدهما ، ولا
يسقطان جماعاً البتة ؛ وكذلك لا يثبتان جميعاً ، وهي من جميع الأوزان في
المضارع والمقتضب ، والجوهري يعدُّ المقتضب من الرجز كما قدمت ، فهي من

(١) لعله « في الرجز » فإن السكامل « متفاعِلن » وهو من سبب تقيل فُسبب

خفيف بعدها وتد مجموع ، وفرض كلامه في سببين خفيفين

المضارع في سببي مفاعيلن - أغنى الياء والنون - إما أن يأتي مفاعيلن مقبوضا أو مفاعيلن مكفوفاً ، ومن المقتضب في سببي مفعولات - أغنى الفاء والواو - إما أن تختبئ فتصير مفاعيل^(١) وإما أن تطوى فتصير^(٢) فاعلات ، ولا يجوز أن يكون هذا ولا الذي قبله - أغنى المضارع - سالماً البتة .

والفرق بين المراقبة والمعاقبة أن سببي للمعاقبة يثبتان معاً ، وأن سببي المراقبة لا يثبتان معاً ، وأن المعاقبة في جزئين ، إلا ما كان من مفاعيلن في الطويل والهزج ومستفعلن في الكامل^(٣) وأن المراقبة في جزء واحد .

وسأفرد لباقي الزحاف باباً أذكر فيه مع المشطور إن شاء الله تعالى .
ولست أحمل أحداً على ارتكاب الزحاف إلا ما خف منه وخفي ، ولو أن الخليل - رحمه الله - وضع كتاب العروض ليتكلف الناس ما فيه من الزحاف ويجعلوه مثلاً دون أن يعلموا أنها رخصة أتت بها العرب عند الضرورة لوجب أن يتكلف ما صنعه من الشعر مؤزحاً ليدل بذلك على علمه وفضل ما نحا إليه .

ولسنا نرى الزحاف الظاهر في شعر محدث ، إلا القليل لمن لا يتهم كالبحتري ، وما أظنه كان يعتمد ذلك ، بل على سجيته ؛ لأنه كان بدوياً من قرى منبج ، ولذلك أعجب الناس به ، وكثر الغناء في شعره ؛ استطرافاً لما فيه من الحلاوة على طبع البداوة . وذكر ابن الجراح أنه من أهل قنسرين والعواصم .
وقد ذكرت ما يليق ذكره بهذا الموضع ليعرفه المتعلم إن شاء غير متكلف به

(١) خبئها : حذف ثانيها الساكن ، وهو الفاء ، فتصير : « مفعولات » فنقل إلى « مفاعيل »

(٢) طيها : حذف رابعها الساكن ، وهو الواو ، فتصير « مفعلات » فنقل إلى « فاعلات »

(٣) لعله « في الرجز » فإن الكامل « متفاعِلن » وهو من سبب ثقل فسبب خفيف بعدهما وتد مجموع ، وفرض كلامه في سببين خفيفين

شعراً إلا ما ساعده عليه الطبع ، وصحَّ له فيه الذوق ؛ لأنني وجدت تكلفَ العمل بالعلم في كل أمر من أمور الدين أوفق ، إلا في الشعر خاصة ؛ فإن عمله بالطبع دون العروض أجود ؛ لما في العروض من المسامحة في الزحاف ، وهو مما يُهَيِّجُ الشعر ، ويذهب برواقه .

٢٢ - باب القوافي

القافية شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر ، ولا يسمى شعراً حتى يكون له وزن وقافية ، هذا على [رأى] من رأى أن الشعر ما جاوز بيتاً واتفقت أوزانه وقوافيه ويستدلّ بأن المصراع أدخل في الشعر ، وأقوى من غيره ، وأما ما قد أراه فقد قدمته في باب الأوزان .

واختلف الناس في القافية ماهي ؟ فقال الخليل : القافية من آخر حرف في البيت إلى أول ساكن يليه من قبله ، مع حركة الحرف الذي قبل الساكن ، والقافية - على هذا المذهب ، وهو الصحيح - تكون مرةً بعض كلمة ، ومرة كلمة ، ومرة كلمتين ، كقول امرئ القيس :

* كَجَلْمُودٍ صَخْرٍ حَطَّه السَّيْلُ مِنْ عَلٍ *^(١)

فالقافية من الياء التي بعد حرف الروي في اللفظ إلى نون « من » مع حركة الليم ، وهاتان كلمتان . وعلى وزن هذه القافية قوله :

* إِذَا جَاشَ فِيهِ حَمِيهِ غَلَى مِرْجَلٍ *^(٢)

فالقافية « مِرْجَلٍ » وهي كلمة ، وعلى وزنها قوله :

* مكر مفر مقبل مدبر معا *

* على العقب جياش كأن اهترامه *

(١) صدر هذا البيت :

(٢) صدر هذا البيت :

* وَيَكْلَوِي بِأَثْوَابِ الْعَنِيْفِ الْمُثَقَّلِ * (١)

فالقافية من الثاء إلى آخر البيت ، وهذا بعض كلمة . وتابعه على هذا أبو عمر الجرمي وأصحابه ، وهو قول مضبوط ، محقق يشهد بالعلم . وقال الأخفش : القافية آخر كلمة من البيت ، واستدل على صحة ذلك بأنه لو قال لك إنسان : اكتب لي قوافي قصيدة لكتبت له كلمات ، نحو : كتاب ، ولعاب ، وركاب ، وصحاب ، وما أشبه ذلك ، وهو المتعارف بين الناس اليوم ، أعني قول الأخفش ، وكل كلمة من قوله « عل » وقوله « مِرْجَلٍ » وقوله « المثلث » في شعر امرئ القيس قافية بذاتها عند الأخفش ، فعلى هذين القولين مدار الحذاق في معرفة القافية .

ترجيح رأي الخليل
ورأي الخليل عندي أصوب ، وميزانه أرجح ؛ لأن الأخفش إن كان إنما فرّ من جعله القافية بعض الكلمة دون بعضها فقد نجد من القوافي ما يكون فيها حرف الروي وخُده القافية على رأيه ، فإن وَزَنَ معه ما قبله فأقامهما مقامَ كلمة من الكلمات التي بعدها قوافي كان قد شَرَكَ [في] القافية بعض كلمة أخرى مما قبلها ، فإذا جاز أن يشترك في القافية كلمتان لم يمتنع أن تكون القافية بعض كلمة ، مثال ذلك ما شا كل قول أبي الطيب :

طوى الجزيرة حتى جاءني خبر فزَعْتُ فيه بآمالى إلى السكذب
حتى إذا لم يدَعْ لي صدقه أَمْلاً شَرَقْتُ بالدمع حتى كاد يشرق بي
فالقافية في البيت الأول على قوله « السكذب » لولا أن الألف فيه ألف وصل نابت عنها لام « إلى » فإن قال : [إن] القافية في البيت الثاني « يشرق بي » رجع ضرورة إلى مذهب الخليل وأصحابه ؛ لأن القافية عنده في هذا البيت من الياء التي للوصل - وهى ههنا ضمير المتكلم - إلى شين « يشرق » مع حركة الياء

التي قبلها في أول الكلمة . وإن جعل القافية باء الخفض التي في موضع الروي وياء الضمير التي قامت مقام الوصل رجع إلى قول مَنْ جعل القافية حرف الروي وهو خلاف مذهبه ، وليس بشيء ؛ لأنه لو كان صحيحا لجاز في قصيدة واحدة فجر ، وفجار ، وفاجر ، وفجور ، ومنفجر ، وانفجار ، ومفجّر ، ومتفجر ، ومفجور ، وهذا لا يكون أبداً ، إلا أن الفراء يحمي بن زياد قد نص في كتاب حروف المعجم أن القافية هي حرف الروي ، واتبعه على ذلك أكثر الكوفيين : منهم أحمد ابن كيسان ، وغيره ، وخالفه من أهل الكوفة أبو موسى الحامض ، فقال : القافية ما لزم الشاعر تكراره في آخر كل بيت . وهذا كلام مختصر مليح الظاهر ، إلا أنه إذا تأملته كلام الخليل^(١) بعينه لا زيادة فيه ولا نقصان .

ومن الناس مَنْ جعل القافية آخر جزء من البيت : قال أبو القاسم عبد الرحمن رأي آخر في الزجاجي : بعض الناس من العلماء يرى أن القافية حرفان من آخر البيت ، وحكى القافية أنهم سألوا أعرابيا وقد أنشد :

* بناتُ وطاءَ على خَدِّ الليل *

ما القافية ؟ فقال : « خَدُّ الليل » . ولا أدري كيف قال أبو القاسم هذا ؟ لأن « خد الليل » كلمتان وليستا حرفين إلا اتساعا ، وهذا هو آخر جزء من البيت على قول من قاله ، ولو قال قائل : إن الأعرابي إنما أراد الياء واللام من « الليل » على مذهب مَنْ يرى القافية حرفين من آخر البيت لكان وجهاً سائفاً ؛ لأن الأعرابي لا يعرف حروف التهجي فيقول القافية الياء واللام من « الليل » فكرر اللفظ ليفهم عنه السائل مراده .

(١) لا ، بل هو قول الفراء إذا تأملت بعين النصفة ؛ لأن الذي يلزمك تكراره في آخر كل بيت هو حرف الروي ، وأما ما عداه فليس لازماً بنفسه أبداً

أواء أخرى ومنهم من جعل القافية في الجزء الآخر من البيت ، وقال : لا يسمى بيتاً من الشعر ما دام قسياً أول .

ومنهم من قال : البيت كله هو القافية ؛ لأنك لا تبني بيتاً على أنه من الطويل ، ثم تخرج منه إلى البسيط ، ولا إلى غيره من الأوزان .

ومنهم من جعل القافية القصيدة كلها ؛ وذلك اتساع ومجاز .

لم سميت القافية سميت القافية قافية لأنها تقفو إثر كل بيت ، وقال قوم : لأنها تقفو أخواتها ، والأول عندي هو الوجه ؛ لأنه لو صح معنى القول الأخير لم يجز أن يسمى آخر البيت الأول قافية ؛ لأنه لم يقف شيئاً ، وعلى أنه يقفو أثر البيت يصح جداً ، وقال أبو موسى الحامض : هي قافية بمعنى مَقْفُوءة ، مثل « ماء دافق » بمعنى مدفوق ، و « عيشة راضية » بمعنى مَرْضِيَّة ، فكأن الشاعر يقفوها ، أى يتبعها ، وهذا قول سائغ متبعه .

وسأذكر مما يلزم القافية من الحروف والحركات مالا غنى عن ذكره في هذا
حروف
القافية
وحركاتها

فأقول : إن الشعر كله مطلق ومقيد ؛ فالمقيد ما كان حَرْف الروى فيه ساكناً ، وحرف الروى الذى يقع عليه الإعراب ، وتبنى عليه القصيدة ، فيتكرر في كل بيت وإن لم يظهر فيه الإعراب لسكونه ، وليس اختلاف إعرابه عيباً كما هو في المطلق لإقواءه ، وحركة ما قبل الروى في المقيد خاصة دون المطلق على رأى الزجاج وأصحابه توجيئه ، وقال غيره : في المطلق والمقيد جميعاً يسمى التوجيه ، ما لم يكن الشعر مُرَدِّقاً ، ويجوز في التوجيه التخيير ؛ فيكون سناداً عند بعض العلماء ، وكان الخليل يميزه على كره من جهة الفتحة ، فأما الضمة والكسرة فهما عنده متعاقبتان كالواو والياء في الردف ، والفتحة كالألف ، وأنشدوا :

* أَحَارِ بْنِ عَمْرِو كَأَنِّي خَيْرٌ *

وفي القصيدة :

* وكندةٌ حولي جميعاً صُبُرُ *

وفيها :

* تَحَرَّ قَتِ الْأَرْضُ وَالْيَوْمُ قَرُ *

فاختلف التوجيه : بالكسر ، والضم ، والفتح . وقد سَمَّى ابن قُتَيْبَةَ وأبو عبيدة وغيرهما هذا العيبَ إجازةً ، إلا أن منهم من جعل الإجازة اختلاف حركة الروي فيما كان وصله هاء نسا كنة خاصة ، وأنشدوا :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يَمُقُو وَيَشْتَدُّ انْتِقَامُهُ
فِي كَرِهِهِمْ وَرِضَاهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ اهْتِضَامَهُ

وأنشد آخرون في مثل ذلك ، إلا أن منهم مَنْ أطلق الهاء :

فَدَيْتُ مَنْ أَنْصَفَنِي فِي الْهَوَى حَتَّى إِذَا أَخْكَمَهُ مَلَأُ
أَمِنْ مَا كُنْتُ ، وَمَنْ ذَا الَّذِي قَبْلِي صَفَا الْعَيْشُ لَهُ كَلُّهُ ؟

وكان ابن الرومي يلتزم حركة ما قبل الروي في المطلق والمقيد في أكثر شعره اقتداراً : صنع ذلك في قصيدته القافية في السَّوْدَاء ، وفي مطولته :

* أَبَيَّنَ ضُلُوعِي بَجَرَةٍ تَتَوَقَّدُ ؟ *

قال شيخنا أبو عبد الله : الإجازة - بالزاي معجمة - اختلاف حركات ما قبل الروي ، وهو مأخوذ من إجازة الحبل ، وهو : تَرَاكِبُ قَوَاهِ بعضها على بعض ، فسكان هذا اختلفت قَوَى حركاته . وقد حكى ابن قتيبة عن ابن الأعرابي مثل قول أبي عبد الله ، وقال : هو مأخوذ من إجازة الحبل والوتر .

والمطلق نوعان : أحدهما : ما تبع حرفَ رويهِ وصلٌ فقط . والوصل أحد أربعة أحرف : الياء ، والواو ، والألف ، والهاء ، ينفرد كل واحد منها بالقصيدة حتى تسكمل ؛ فما وصله ياء :

* قَفَا نَبْكَ مِنْ ذِ كَرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ *

فبعد اللام ياء في اللفظ ، لا يقوم الوزن إلا بها ، ومما وصله واو :

* أَمِنْ الْمُنُونِ وَرَيْبِهَا تَتَوَجَّعُ *

فبعد العين في اللفظ واو كذلك ، ومما وصله ألف :

* أَتَيْتَهَا النَّفْسُ أَجْمَلِي جَزَعًا *

فبعد العين ألف ثابتة في الخط ، وإنما أثبتوها دون الياء والواو لخفتها مرة

وكونها عوضاً من التنوين مرة ، ومما وصله هاء :

* أَشَجَاكَ الرَّبْعُ أُمُّ قَدَمِهِ *

وكلُّ وصلٍ ساكنٍ ما خلا الهاء ، فإنها تكون ساكنة ومتحركة ، وسيرد

عليك ذكرها إن شاء الله تعالى . . وإذا كان ما قبل الواو والياء والهاء ساكناً أو

كانت مضاعفة لم تكن إلا حروف روى لا غير ؛ لأن الوصل لا يكون ما قبلها

ساكناً ، ولعل أن المقيد لا وصل له ^(١) فأما الألف فلا يكون ما قبلها ساكناً

لأنها أخف من ذلك ؛ وإذا انفتح ما قبل الواو والياء الساكنتين لم يكونا إلا

رَوِيَا عند سيبويه ، وإذا انكسر ما قبلهما أو انضم كنت فيهما بالخيار ، وكذلك

الألف ، إذا كانت أصيلة أنت فيها بالخيار . وأما الياء المشددة المكسور ما قبلها

مع الياء المشددة المفتوح ما قبلها فرأى القاضى أبى الفضل جعفر بن محمد فيهما

أن يكون المكسور ما قبلها ردفاً ويكون المفتوح ما قبلها إما ردفاً لما بقى فيها من

المد وإما غير ردف لذهاب أكثر المد منها ؛ فتكون على المذهب الأول مثل

« قَصِينَا » مع « رَضِينَا » وهذا سناد ، وعلى المذهب الثانى مثل إرداف بيت

وترك إرداف الآخر ، كقول حسان بن ثابت * ولا تَوْصِيهِ * فى بيتٍ ، ثم

(١) فى التونسية : « لأن ما يكون ما قبله ساكناً مقيد ، والمقيد لا وصل له »

قال في الآخر : * ولا تَعَصِهِ ^(١) * وهذا أيضاً سناد . وله رأى ثالث ، وهو أن تكون الياءان لما أدغمت إحداهما في الأخرى صارتا بمنزلة حرف واحد ، وصار التزام التشديد اختياراً من الشاعر ، وإلا فترك التشديد جائز له . وهذا قول الخليل والأخفش جميعاً ، وقد أنكره الجرّمي وأبو سعيد السيرافي ، وكل هاء تحرك ما قبلها فهي صلة ، إلا أن تكون من نفس الكلمة ؛ فإنك تكون فيها بالخيار : إن شئت جعلتها روياء ، وإن شئت سمحت بها فصيرتها صلة والتزمت ما قبلها فجعلته روياء . وكثيراً ما يسقط الشعراء في هذا النوع ، قال أبو الطيب :

أنا بالوشاة إذا ذكرتكَ أشبهُ تأتي الندى ويذّاع عنك فتكره
وإذا رأيتكَ دون عرض عارضا أيقنتُ أن الله يبنى نصره

فغلط في التصريح لأنه التزام فيه الهاء ولولا ذلك لكان البيتان رائيين وسمح بهاء « تكره » فصيرها صلة وإن كانت من نفس الكلمة . وقد وقع ابن المعتز في مثل حال أبي الطيب فقال :

أفنى العداة إمامٌ ماله شَبَهُ ولا ترى مثله يوماً ولم ترهُ
ضارٍ إذا انقضَّ لم تُحرِّم مَخالبه مَسْتَوْفٍ لا تُبَاعِ الحقُّ مُنْتَبِهُ
ما يحسن القطرُ أن ينهلَّ عارضه كما تتابعُ أيام الفتوح لهُ

(١) البيتان اللذان يشير المؤلف إليهما :

إذا كنت في حاجة مرسلأ فأرسل حكيماً ولا توصه
وإن باب أمر عليك التوى فشاور لبياً ولا تعصه

غير أن نسبتهما إلى حسان بن ثابت لم تصح عندنا ؛ فإن ديوانه خال من الشعر على هذه القافية ، وسيأتي قريباً (ص ١٦٨) ذكر ذلك مرة ثانية

وقال أيضاً يصف كلاب الصيد في أرجوزة :

إن خرطت من قدها لم ترها إلا وما شئت من الصيد لها
تمسكه عضاً ، ولا يذمى به غريزةً منهيةً أو تفقهها

ووقع بشار بن برد - على تقدمه عليهما - في مثل ذلك ، فقال :

الله صورها وصيرها لاقتك أو لم تلقها ترها
نصباً لمعينك لا ترى حسناً إلا ذكرت لها به شَبها

ولا أعلم أن أحداً من العلماء تسامح في مثل هذا ، بل هو عندهم عيب كالإكفاء ، وروى بيت بشار « نَزها » بالنون والزاي ، جمع نَزْهة ، ولا عيب فيه على هذا . وهاء حمزة وطلحة لا تكون إلا صلة ، وإذا تحركت هاء التأنيث كنت فيها بالخيار : إن شئت التزمت ما قبلها وجعلتها كالصلة مجازاً ، وإن شئت التزمتها فكانت على حقها رويًا . وهذا رأيهم في كاف المخاطب مع التأسيس : إذا شاءوا جعلوها رويًا فلم يلتزم ما قبلها ، وإن شاءوا جعلوها مقام الصلة والتزموا ما قبلها مجازاً ، وهو الأجود ؛ لاختيار الشعراء إياه قديماً على اتساعهم في تركه . قال القاضي أبو الفضل : مَنْ زعم أن التاء والكاف يكونان وصلاً فإنما حمله على ذلك أنه رأى بعض الشعراء قد لزم في بعض شعره حرفاً لم يفارقه فظن ذلك الحرف رويًا . وإنما لم يجز عنده كونهما صلة لأنهما ليس فيهما من مضارعة حروف المد واللين ما في الهاء . وقال من جعل التاء صلة كالهاء : إنها تجيء للتأنيث مثلها ، وتكون اسماً كما تكون الهاء اسماً ، وتزاد كما تزداد الهاء ، وإن الهاء تنقلب تاء في درج الكلام ، وشبه الكاف بالهاء لأنها حرف إضمار مثلها ، وأنها تكون اسماً للمجرور والمنصوب كالهاء .

والنوع الآخر من المطلق ما كان لوصفه خروج ، ولا يكون ذلك الوصل إلا هاء متحركة ، نحو قول الشاعر :

والشيخُ لَا يَتْرُكُ أَخْلَاقَهُ حَتَّى يُوَارِيَ فِي ثَرَى رَمْسِهِ
فالسین حرف الروی ، وحركتها مجرى ، وإن شئت إطلاق ، كلاهما يقال ،
والهاء وصل ، وحركتها نفاذ ، وبعدها في اللفظ ياء هي الخروج ، ولو كانت الهاء
مضمومة كان الخروج واواً ، أو مفتوحة كان الخروج ألفاً . ولا يكون حرف الروی
إلا في أحد ثلاثة مواضع : إما متأخراً كقول طرفة :

* نَحْوَلَةَ أَطْلَالٍ بِبُرْقَةٍ شَهْمَدٍ *

فالدال روى ، وإما قبل المتأخر ملاصقاً له كقول عمرو بن كلثوم :

* أَلَا هُبِّي بِصَحْنِكَ فَاصْبَحِينَا *

فالتون حرف الروی ، أو قبل المتأخر بحرف كقول لبید :

* عَقَتِ الدَّيَّارَ مَحَلِّهَا فَقَامُهَا *

فاليم حرف الروی ، وهذه المواضع المذكورة إنما هي في اللفظ لا في الخط ،
ولا يكون حرف الروی - إذا كان بعده شيء - إلا متحركاً ؛ لأن المقيد لشيء
بعده ، وأنشد بعضهم :

* شَلَّتْ يَدَا فَارِيَةٍ فَرَسَهَا *

على أن التاء حرف روى ، فَرَدَ ذلك العلماء بالعلة التي ذكرتها ، وقالوا : إنما
الترزم التاء والراء قبلها اتساعاً ، وإلا فالهاء هي الروی .
وكل شعر فلا بد أن يكون : مطلقاً ، أو مقيداً ، ثم لا بد أن يكون : مُرَدِّفًا
أو مؤنَّسًا ، أو معرَّيٍّ منهما مجرداً .

فالمُرَدِّف نوعان : تشترك الياء والواو في أحدهما ، نحو قول علقمة

الفحل :

طَحَا بِكَ قَلْبٌ فِي الْحَسَنِ طَرُوبٌ بُعَيْدَ الشَّبَابِ عَصْرَحَانٌ مَشِيبٌ

فالياء في « مشيب » مقام الواو في « طَرُوب »

وتنفرد الألف بالتنوع الآخر نحو قول امرئ القيس :

* ألا عم صَبَاحاً أيها الطَّلُّ البالي *

لا يشركها غيرها ، والحركة التي قبل الردف — ياء كانت أو واو أو ألفاً — تسمى الحَذْوُ ، وقد تَجَرُّ الضمة واواً في اللفظ ، والكسرة ياءً ، وذلك مع هاء الضمير ، فتكون ردفاً ، وإن لم تثبت في الخط ، نحو قول ابن المعتز :

صَمَّخُوا عَارِضَهَا بِأَلَمِيسْكَ فِي خَدِّ أُسَيْلِ
تَحْتَ صُدُغَيْنِ يُشِيرَا نِ إِلَى وَجْهِ جَمِيلِ
عِنْدَى الشَّوْقِ إِلَيْهِ وَالتَّنَاسَى عِنْدَهُ لِي

ومن المردف ما تكون حركة الحَذْوِ فيه مخالفة للردف ؛ فيجعل شعراً على جهته ؛ فإن دخل مع غيره كان سِنَاداً ، وذلك مثل هَوْلٍ وَسَيْلٍ يكونان في قصيدة ، ولا يكون معهما سُولٌ وفيل .

وقياس المردف في الوصل والخروج وغير ذلك من حروف الروى وحركته جار على ما تقدم في الجرد من الردف ، إلا الحَذْوُ والتوجيه ؛ فإن المقيد يختص بالتوجيه ، وهو الروى ، والمردف يختص بالحَذْوُ ، وهو حركة ما قبل الردف ، وإن كان المردف مقيداً سقط التوجيه وبقى الحَذْوُ ؛ لأن الردف قد سد موضع التوجيه .

وقد يلتبس بالمردف ما ليس بمردف فيجتنبه الشعراء ، مثل « فيهم » مع « منهم » وهو جائز ؛ لأن الهاء ليست رويّاً فتسكون الياء ردفاً ، وإنما الروى الميم ، ويجتنبون « منكم » مع « منهم » وذلك جائز لا عيب فيه ؛ لما قدمت آنفاً .

وكان ابن الرومي خاصة من بين الشعراء يلتزم ما لا يلزمه في القافية ، حتى إنه لا يعاقب بين الواو والياء في أكثر شعره قدرة على الشعر واتساعا فيه .

والأجود أن يكون الردف والروى جميعاً في كلمة واحدة ، فإذا كانا في كلمتين فلا بأس .

المؤسس

والمؤسس من الشعر: ما كانت فيه ألفٌ بينها وبين حرف الروى حرفٌ يجوز تغييره ؛ فذلك الحرف يسمى الدخيل ، وحركته تسمى الإشباع ، ويجوز تغييرها عند التحليل ، ولا يجوز عند أبي الحسن الأخفش ، مثال ذلك ما أنشده أبو زكريا الفراء :

نهوى الخليط وإن أقننا بعدم إن المقيم مكلفٌ بالسائر
إن الملقى بنا يخذل ضحى غدٍ واليوم يوم لبانةٍ وتزاورٍ

وهو جائز غير معيب ، وأما القاضى أبو الفضل فرأيه أن حركة الدخيل ما دامت إشباعاً جاز فيها التغيير بالنصب والخفض والرفع ؛ فإذا قيد الشعر وصار موضع الإشباع التوجيه لم يجوز الفتح مع واحد منهما ، واعتلّ في ذلك بحال المطلق غير المؤسس أن ما قبل رويه جائز تغييره ، فإذا قيد لم يجوز الفتح فيه إلا وحده ، فهو سناد ، ويشارك الضم والكسر ، وهذا قول واضح البيان ، ظاهر البرهان ، والناس مجمعون على تغيير الدخيل حتى إن بعضهم لم يسمه لتغييره واضطرابه لكن عدّه فيما لا يلزم القافية فسكت عنه .

وأما الإشباع فالقول فيه ما قدمت ، وإذا كان ألف التأسيس في كلمة وحرف الروى في كلمة أخرى لم يعدوها تأسيساً لبعدها ، إلا أن يكون حرف الروى مع مضمّر متصل أو منفصل ، فإن الشاعر بالخيار : إن شاء جعل الألف تأسيساً ، وإن شاء لم يجعلها تأسيساً ؛ فالتى لا تكون عندهم تأسيساً قول عنتره :

* والتأذيرين - إذا لم ألقهما - دحى *

لما كان الاسم ظاهراً ، وقد أنشد بعضهم في أبيات الغز والمعاينة :

(١١ - العمدة ١)

أقول لعمر و حين خود رآله ونحن بوادی عبد شمس وهاشم^(١)
 وَهَى : من الوَهَى ، وَشَمٌ : من الشَّيْم للبرق . . وقول الآخر :
 أقول لعبد الله لما لقيته ————— ونحن بوادی الروم فوق القناطرِ
 فالقنَا : جمع قنَاة ، وَطِرٌ ، أمر من طار يطير ، فرخص فيه لما انكسرت
 حركة دخيله على متعارف الشعر ، وهو كلام حسن الظاهر ، إلا أنه خلاف لما
 قال العلماء ، والتي تكون تأسيساً لكونها مع المضمير قول الشاعر :
 تزيد حسي الكأس السفية سفاهةً وتترك أخلاق الكريم كما هيا
 وقول جرير :

فَرُدِّي جَمَالَ الحَيِّ نَمَّ تَحْمَلِي فمالك فيهم من مُقَامٍ وَلَا لِيَا
 فهذا ضمير متصل ، والذي قبله ضمير منفصل . .
 وما جاءت الألف فيه غير تأسيس مع المضمير قول الشاعر ، وهو من
 شواهد أبي الفتح عثمان بن جني النحوي :
 أَيْةُ جَارَاتِكَ تِلْكَ الْمُوصِيَةِ قَائِلَةٌ لَا تَسْقِيَا بِحَبْلِيَّةٍ
 لَوْ كُنْتُ حَبْلًا لَسَقَيْتَهَا بِيَهُ أَوْ قَاصِرًا وَصَلَّتْهُ بِشَوِيَّةٍ
 فالألف في «سقيتها» غير تأسيس ، فإذا كانت الهاء والكاف التي للمخاطب
 دخيلاً لم يخلط الشعراء بها غيرها أنشاعاً ، وإلا فهو جائز .
 وأنشد الجرمي لعلوف ابن عطية بن الخرع :

(١) أحفظ هذا البيت هكذا :

أقول لعبد الله لما سقاؤنا ونحن بوادی عبد شمس وهاشم
 على أن أصل الكلام : « لما وهى سقاؤنا ونحن بوادی عبد شمس » وشم :
 فعل أمر من شام البرق ، ويجوز أن يكون أمراً من قولهم «وشم» إذا غرز الإبرة
 في الجسد ؛ فيكون المراد الأمر بخرز السقاء ، وهو ظاهر

وَإِنْ شَتَّمَا أَلْقَحْتُمَا وَتُتَجِّتُمَا وَإِنْ شَتَّمَا عَيْنًا بَعَيْنَ كَمَا هُمَا
وَإِنْ كَانَ عَقْلًا فَأَعْقَلًا لِأَخِيكَمَا بَنَاتِ الْحَاضِ وَالْفَصَالِ الْمَقَامَا

ومن المؤسس والمردف ما يلتبس على المبتدئ فلا يميزه إلا عن كلفة وبعد فترة ، فأوردت منه ما يكون له مثالا يستدل به ويعمل عليه إن شاء الله تعالى .
فمن ذلك تغيير ما قبل الكاف في القافية المؤسسة لأنه دخيل ، والكاف روى ،
والتزامه يعد اتساعا ، فإذا كانت موضع الكاف هاء صار الشعر مردفا موصولا
ولم يجز تغيير ما قبل الهاء ؛ لأنك لو غيرته لكنت قد غيرت حرف الروي ، مثال
ذلك قول كثير أو غيره :

تَرَاعَتْ لَوْ شَكَ الْبَيْنَ بَزْلَ جَمَالِكَ وَلَوْ شَتَّتْ مَا فَجَّعَتْنِي بَارْتِمَالِكَ
فالتزم اللام في القصيدة كلها أو في أكثرها ؛ اتساعا ، ولو غير كما فعل ذو
الرمة في قوله :

أَمَا اسْتَحْلَبْتَ عَيْنِيكَ إِلَّا مَحَلَّةً بِجُمْهُورِ حُزْوَى أَوْ بِجُرْعَاءِ مَالِكَ
أَنَاخْتَ رَوَايَا كُلِّ دَلُوبٍ بِهِنَا وَكُلُّ سَمَاكِيٍّ أَجَشُّ الْمُبَارِكِ
لم يكن عيبا ؛ لأن الكاف روى وصلتها الياء التي بعدها في اللفظ ،
والدخيل راء « المبارك » ولام « مالك » وقد التزمه كثير كأن القافية عنده
لامية مردفة ، فالكاف مقام الهاء صلة على المجاز لا على الحقيقة ، وقال كثير
في المردف :

عَلَى ابْنِ أَبِي الْعَاصِي دِلَاصٌ حَصِينَةٌ أَجَادُ الْمُسَدَّى سَرْدَهَا وَأَذَالَهَا
فاللام روى ، والألف التي قبلها ردف ، والهاء صلة ، والألف التي بعدها
خروج ، ولا يجوز أن يقال لهذه القافية مؤسسة ؛ لأن الهاء إذا تحرك ما قبلها
ولست من نفس الكلمة لم تكن إلا صلة ، وإذا كانت الهاء صلة لم تكن
اللام إلا رويًا ، ولا يجوز تغييرها .

حروف القافية وحركاتها وجميع ما يلحق القوافي من الحروف والحركات ستة أحرف وست حركات ، فالأحرف : الروى ، والردي ، والتأسيس ، والوصل ، والخروج ، والدخيل ؛ والحركات : الإطلاق ، والخذو ، والرس ، والتوجيه ، والنفاذ ، والإشباع ، والذي يجتمع منها في قافية واحدة خمسة أحرف ، وهى : التأسيس ، والروى ، والصلة ، والخروج ، والدخيل ؛ وكلها يلزم تكراره بعينه إلا الدخيل ، وأربع حركات ، وهى : الرس ، والإشباع ، والإطلاق ، والنفاذ ، وذلك مثل قول الشاعر^(١) :

يُوشِكُ مَنْ فَرَزَ مِنْ مَنِيَّتِهِ فِي بَعْضِ غِرَّاتِهِ يُوَافِقُهَا

ولا يجتمع في قافية الخذو والرس ، كما لا يجتمع الردي والتأسيس ، وكذلك لا يجتمع أيضاً التوجيه والإشباع ، فيسقط التوجيه إذا كان المؤسس مطلقاً ، ويسقط الإشباع إذا كان المؤسس مقيداً

وقد أنكر الجرمي والأخفش وأصحابهما على الخليل تسمية الرس ، وقالوا : لا معنى لذكر هذه الفتحة ؛ لأن الألف لا يكون ما قبلها إلا مفتوحاً ، وإنما احتيج إلى ذكر الخذو قبل الردي لأن الخذو قد يتغير فيكون مرة فتحة قبل ألف ومرة كسرة قبل ياء ومرة ضمة قبل واو ..

عيوب الشعر وما يجب أن يراعى في هذا الباب الإقواء ، والإكفاء ، والإيضاء ، والسناد ، والتضمن ؛ فإنها من عيوب الشعر .

فأما الإقواء والإكفاء فاختلف العلماء فيهما وفي اشتقاقهما .. وأما السناد

(١) هذا البيت من شواهد سيبويه (ج ١ ص ٤٧٩) وهو من شواهد الأشموني (ج ٢ ص ١٧٤) وشرحناه في شرحنا عليه شرحاً وافياً . وهو لأمية بن أبى الصلت ، وبعده :

من لم يمت عبطة يمت هرماً الموت كأس والمرء ذائقها

والإبطاء فاتفقوا فيما دون اشتقاقهما .

وعند أكثر العلماء : اختلاف إعراب القوافي إقواء ، وهو غير جائز لمولد ،
ولأنما يكون في الضم والكسر ، ولا يكون فيه فتح ، هذا قول الحامض .. وقال
ابن جني : والفتح فيه قبيح جداً ، إلا أن أبا عبيدة ومن قال بقوله كابن قتيبة
يسمون هذا إكفاء ، والإقواء عندهم : ذهاب حرف أو ما يقوم مقامه من عروض
البيت ، نحو قول الشاعر - وهو بجير بن زهير بن أبي سلمى :
كانت علالة يوم بطن حنين وغداة أوطاس ويوم الأبرق^(١)

واشتقاقه عندهم - فيما روى النحاس - من « أقوت الدار » إذا خَلَتْ ،
كأن البيت خلا من هذا الحرف . وقال غيره : إنما هو من « أقوى الفاتل حَبْلَه »
إذا خالف بين قَوَاه فجعل إحداهن قوية والأخرى ضعيفة ، أو ممرة والأخرى
سَحِيلَة ، أو بيضاء والأخرى سوداء ، أو غليظة والأخرى دقيقة ، أو انحلّت بعضها
دون بعض أو انقطع ، وهذا يسميه الخليل المتعد ، وهو من باب الوزن ، لا من

(١) قال ابن هشام (ج ٣ ص ٢٦) : « ولا انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الطائف بعد القتال قال بجير بن زهير بن أبي سلمى يذكر حنيننا والطائف ثم ذكر تسعة أبيات أولها هذا البيت » اهـ وقال السهيلي (ج ٢ ص ٣٠٥) : « وقوله كانت علالة يوم بطن حنين : هذا من الإقواء ، وهو أن ينقص حرفاً من آخر القسم الأول من الكامل ، وهو الذي كان الأصمعي يسميه المتعد ، والعلالة : جرى بعد جرى ، أو قتال بعد قتال . يريد أن هوأزن جمعت جمعها علالة في ذلك اليوم . وحذف التنوين من علالة ضرورة ، وأضمر في كانت اسمها وهو القصة . وإذا كانت الرواية بخفض يوم فهو أولى من التزام الضرورة القبيحة بالنصب ، ولسكني ألفيته في النسخة المقيدة . وإذا كان اليوم مخفوضاً بالإضافة جاز في علالة أن يكون منصوباً على خبر كان ؛ فيكون اسمها عائداً على شيء تقدم ذكره ، ويجوز الرفع على أن تكون كان تامة » اهـ كلامه .

الإكفاء

باب القافية ، والجمهور الأول من العلماء على خلاف رأى أبى عبيدة فى الإقواء .
وأما الإكفاء فهو الإقواء بعينه عند جلة العلماء : كأبى عمرو بن العلاء ،
والخليل بن أحمد ، ويونس بن حبيب ، وهو قول أحمد بن يحيى ثعلب ، وأصله
من « أ كفأت الإناء » إذا قلبته ، كأنك جعلت الكسرة مع الضمة وهى ضدها ،
وقيل : من مخالفة الكفوة صواحبتها ، وهى النسيجة من نسائج الخبء تكون فى
مؤخره ، فيقال : بيت مكفأ ، تشبيهاً بالبيت المكفأ من المساكن إذ كان مشبهاً به
فى كل أحواله .. قال الأخفش البصرى : الإكفاء القلب ، وقال الزجاجى وابن
دريد : كفأت الإناء إذا قلبته ، وأكفأته إذا أملتة ، كأن الشاعر أمال فيه بالضمة
فصيرها كسرة ، إلا [أن] ابن دريد رواها أيضاً بمعنى قلبته شاذاً ، وقيل : بل
من المخالفة فى البناء والكلام ، يقال « أكفأ البانى » إذا خالف فى بنائه ، و« أكفأ
الرجل فى كلامه » إذا خالف نظمه فأفسده ، قال ذو الرمة :

وَدَوِيَّةٌ قَفَرٍ تَرَى وَجْهَ رَكْبِهَا إِذَا مَا عَلَوْهَا مُكْفَأُ غَيْرِ سَاجِعٍ

وقال المفضل الضبى : الإكفاء اختلاف الحروف فى الروى ، وهو قول محمد
ابن يزيد المبرد ، وأشد :

قَبُحَتْ مِنْ سَالِفَةٍ وَمِنْ صُدُغٍ كَأَنَّهَا كُشِيَّةٌ ضَبٌّ فِي صُقْعٍ

فأتى بالعين مع الغين ، وأشتقاقه عنده من المائلة بين الشيتين ، كقولك : فلان
كُفٌّ ، فلان ، أى : مثله ، قال : ومنه كافأت الرجل ، كأن الشاعر جعل حرفاً
مكان حرف ، والناس اليوم فى الإكفاء على رأى المفضل ، وهو عيب لا يجوز
أيضاً لمحدث ، ولا يكون إلا فيما تقارب من الحروف ، وإلا فهو غلط بالجملة ،
هذا رأى الأخفش سعيد بن مسعدة ، والخليل يسمى هذا النوع : الإجازة .

الإجازة
و الإجازة

قال الفراء : الإجازة فى قول الخليل : أن تكون القافية طاءً والأخرى

دالاً ، وقال أبو إسحاق النجيري : الإجارة بالراء لا غير وهي من الجوار ، وهو الموج ، قال ابن السكيت : وهو الماء الكثير ، وأنشد للقطامي يذكر سفينة نوح عليه السلام :

* وَلَوْلَا اللَّهُ جَارِبَهَا الْجَوَارُ *

قال المهلب : ورأيت بخط الطوسي والسكري بالراء ، وهو قول الكوفيين ، فاما البصريون فيقولون « الإجازة » بالزاي ، حكى ذلك ابن دريد . .

وقال بعض شيوخنا : الإجارة في القوافي مشتقة من الجوار في السكنى والذمام ، ألا ترى أنها فيما تقارب من الحروف ، فكأن الحرف جاور الآخر ودخل في ذمامه ، وقال قوم : بل هي من الجور ، كأن القافية جارت ، أي : خالفت القصد ، وأجارها الشاعر ، أي : صيرها كذلك ، وعلى هذا يصح قول النجيري فإذا تأملنا أقاويل العلماء وجدنا الإجازة — بالزاي — اختلاف التوجيه ، وهو حركة ، والإجارة — بالراء — اختلاف الروي ، وهو حرف ، وليس هذا من هذا في شيء ، فكأن العلماء لم يختلفوا حينئذ ؛ لأن التسمية اختلفت باختلاف المسمى .

ومثل الإجازة الإصراف ، حكاه شيخنا أبو عبد الله ، قال : وهو أن تكون القافية دالاً والأخرى طاءً ، والقصيدة مصرفة ، ولذلك قال الشاعر :

مَقْوَمَةٌ قَوَافِيهَا وَلَيْسَتْ بِمَصْرِفَةٍ رَوِيٍّ وَلَا سَنَادٍ

وأما السناد فأنواع كثيرة : منها — وهو المشهور — أن يختلف الحذو ، وهو حركة ما قبل الرذف ، فيدخل شرط الألف — وهي الفتحة — على الياء والواو كقول الفضل بن العباس اللهي :

* وَامْلِي وَجْهَكَ الْجَمِيلَ خُمُوشًا *

ثم قال :

* وَبَنَّا سَمِيتَ قَرِيْشٌ قُرَيْشًا * ^(١)

وهو كثير [جائز] للعرب غير جائز للمولدين، ومنها اختلاف الإشباع، كقول النابغة:

* يَزْنُ أَلَا سَيْرَهُنَّ التَّدَاغُ *

والقصيدة كلها إشباع، ومنها إرداف قافية وتجر يد أخرى، كقول ^(٢) حسان بن ثابت في قافية :

* فَأَرْسَلْ حَكِيمًا وَلَا تُوصِهِ *

وقال في أخرى :

* وَشَاوِرْ لَيْبِيًّا وَلَا تَعْصِهِ *

ومنها تأسيس قافية دون أخواتها، كقول العجاج :

* فَخَنَدِفُ هَامَةً هَذَا ^(٣) الْعَالَمُ *

وأول هذه الأرجوزة :

* يَا دَارَ سَلَمَى يَا سَلَمَى ثُمَّ اسْلَمَى *

وكلها غير مؤسسة إلا هذا البيت وحده، ويقال : إن لغته الهمز، فإذا همز لم يكن تأسيساً. ومنها اختلاف التوجيه، نحو قول امرئ القيس بن حجر :

(١) في خزانة الأدب (ج ١ ص ١٨٩ السلفية) نسبة هذا البيت إلى الشعرخ ابن عمرو الحميري، ورواه هكذا :

وقريش هي التي تسكن البحر بها سميت قريش قريشا
ورواية البيت في لسان العرب كروايته في الخزانة غير أنه لم ينسبه

(٢) انظر (ص ١٥٧) من هذا الجزء

(٣) وأكثر علماء العربية يروونها هكذا * فخنَدِفُ هامة هذا العالم *

مهموزة فلا شاهد المؤلف فيه وسينذكر المؤلف بعد ذلك هذه المقالة

لا وأبيك ابنة العامري لا يدعي القوم أني أفر

ثم قال:

تميم بن مرّة وأشياعها وكندة حولي جميعاً صبر
إذار كبو الخليل واستلأموا تحرقت الأرض واليوم قر

فما قبل الراء في البيت الأول مكسور ، وفي الثاني مضموم ، وفي الثالث مفتوح ، وليس هذا بعيب شديد عندهم .

قال الزجاجي : السناد : كل عيب يلحق القافية ، ما خلا الإقواء والإكفاء والإيطاء ، وهذا قول فيه بيان واختصار .

وقال علي بن عيسى الرماني : السناد : اختلاف ما قبل حرف الروي أو بعده على أي وجه كان الاختلاف : بحركة كان ، أو بحرف ..

وقال ابن جني : السناد : كل عيب يحدث قبل الروي .

واشتقاق السناد من « تساند القوم » إذا جاءوا فرقاً لا يقودهم رئيس واحد ، وقيل : بل هو من قولهم « ناقة سناد » إذا كانت قوية صلبة ؛ لأن الياء الصلبة أقوى في النطق من الياء اللينة . . وقالوا : بل السناد الناقة المشرفة ، كأن إحدى القوافي أشرفت على أخواتها .

وأما الإيطاء فهو أن يتكرر لفظ القافية ومعناها واحد ، كما قال امرؤ القيس^(١) في قافية * سرحة مرقب * وفي قافية أخرى * فوق مرقب * وليس بينهما غير بيت واحد . . وكلما تباعد الإيطاء كان أخف ، وكذلك إن خرج الشاعر من مدح إلى ذم ، أو من نسيب إلى أحدهما ، ألا ترى إلى

(١) البيتان هما :

عظيم طويل مطمئن كأنه بأسفل ذي ماوان سرحة مرقب
له أيطلا ظبي وساقا نعامة وصهوة غير قائم فوق مرقب
ووقع في الأصول * سرح مرقب * والسرحة : الشجرة العظيمة ، والسرح : جمعها

قولهم « دَعْ ذَا » و « عَدَّ عَنْ ذَا » فكأن الشاعر في شعر آخر ، وأقبح من هذا الإيطاء قول تميم بن أبي [بن] مقبل :

أو كاهتزاز رُدَّ نِيَّ تَدَاوَلَهْ أَيْدَى التَّجَارِ فزادوا متنه لينا

ويروى * تذاوقه * ثم قال في القصيدة غير بعيد :

نازعتُ ألبابَهَا لِي بِمَتَصَدٍّ مِنْ الْأَحَادِيثِ حَتَّى زِدَنِي لِينَا

فكرر القافية والمعنى مع أكثر لفظ القسم ، وأشدُّ من ذلك قول أبي ذؤيب في بنيه :

سَبَقُوا هَوًى وَأَعْنَقُوا لَهْوَاهُمْ فَتَخَرُّمُوا ، وَلِكُلِّ جَنْبٍ مَصْرَعٌ

ثم قال في صفة الثور والكلاب :

فَصْرَعْنَهُ تَحْتَ الْعِجَاجِ فَجَنَّبَهُ مَتَرَبٌ ، وَلِكُلِّ جَنْبٍ مَصْرَعٌ

فكرر ثلث البيت . . وإذا اتفق الكلمتان في القافية واختلف معناهما لم يكن إيطاء عند أحد من العلماء ، إلا عند الخليل وحده ، فإن « يزيد » عنده بمعنى الاسم و « يزيد » بمعنى الفعل إيطاء ، وكذلك « جَوْنٌ » للأبيض والأسود ، و « جَلَلٌ » للكبير والصغير ، وإذا كان أحد الاسمين نكرة والآخر معرفة لم يكن إيطاء ، وكذلك « ضَرَبَ » للواحد و « ضربا » للثنين ، و « لم تضرب » للمذكر و « لم تضربي » للمؤنث ، و « من غلام » و « من غلامى » مضافاً ، كل هذا ليس بإيطاء . . وأما اختلاف الحروف على الاسم كقولك « لزيد » و « بزيد » وعلى الفعل كقولك « أضرب » و « يضرب » و « تضرب » في مخاطبة المذكر والحكاية عن المؤنث ؛ فكل ذلك إيطاء ..

والإيطاء جائز للمولدين ، إلا عند الجمحي وحده ؛ فإنه قال : قد علموا أنه

عيب . . وقال الفراء : إنما يواطىء الشاعر من عيٍّ ، وإذا كرر الشاعر قافية
للتصريح في البيت الثاني لم يكن عيباً ، نحو قول امرئ القيس :
* خليلي مرأبى على أم جُنْدُبِ *

ثم قال في البيت^(١) الثاني * لدى أم جندب * واشتقاقه من الموافقة ، قال
الله عز وجل : « لِيُؤَاطُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ » أى : ليوافقوا . . وقال قوم :
بل الإيطاء من الوطاء ، كأن الشاعر أوطأ القافية عقب أختها ، كما قال توبة يخاطب
بعل ليلي الأخيلية :

لعلك ياتيساً نزا في مَريرة تُعاقبُ ليلي أن تراني أزورها
على دماء البُدن إن كان بعلها يرى لى ذنباً غير أنى أزورها
والتضمين : أن تتعلق القافية أو لفظة مما قبلها بما بعدها ، كقول النابغة التميمي
الذي يأتى :

وَهُمْ وَرَدُوا الْجِفَارَ عَلَى تَمِيمٍ وَهُمْ أَصْحَابُ يَوْمٍ عَكَاظُهُ إِنِّي
شَهِدْتُ لَهُمْ مُوَاطِنَ صَالِحَاتٍ وَثَقْتُ لَهُمْ بِحَسَنِ الظَّنِّ مِنِّي
وكما كانت اللفظة المتعلقة بالبيت الثاني بعيدة من القافية كان أسهل عيباً
من التضمين ، ويقرب من قول النابغة قول كعب بن زهير :

ديار التي بَتَّتْ حِبَالِي وَصَرَّعَتْ وَكُنْتُ إِذَا مَا الْحَبْلُ مِنْ خَلَةٍ صُرِمَ
فَزَعْتُ إِلَى وَجْنَاءِ حَرْفٍ كَأَنَّمَا بِأَقْرَابِهَا قَارُ إِذَا جَلَدَهَا اسْتَحِمَ

(١) البيتان هما :

خليلي مرأبى على أم جندب لنقصى حاجات الفؤاد المعذب
فإنكما إن تنظراني ساعة من الدهر تنفعني لدى أم جندب
وقد روى عجز البيت الأول على عدة وجوه أفضلها ما أثبتناه ، على أن اللام
في « لنقصى » لام التعليل ، والفعل بعدها منصوب بالفتحة الظاهرة .

وأخف من هذا قول إبراهيم بن هرمة :

إما ترينى شاحباً مبتذلاً كالسيف يخلق جفنه فيضيع
فلرب لذة ليللة قد نلتها وحرامها بحلالها مدفوع

وليس منه قول متمم بن نويرة :

لعمري وما دهرى بتأين هالكٍ ولا جزعا مما أصاب فأوجعا
لقد كفّن المنهال تحت رداءه فتى غير مبطن العشيات أزوعا
ورما حالت بين بيتي التضمين أبيات كثيرة بقدر ما يتسع الكلام وينبسط
الشاعر في المعاني ، ولا يضره ذلك إذا أجاد .

ألقاب القوافي ويجمع القوافي كلها خمسة ألقاب : المتكافؤ ، وهو : أربع حركات بين
ساكنين ، وله جزء واحد وهو فعلتن ، والقراء لا يعدّه ؛ لأنه عنده من المتدارك ؛
لأن فعلتن إمّا هي مستفعلن مَرَحَفَ السببين ؛ والمتراكب ، وهو ثلاث
متحركات بين ساكنين ، ولها جزءان مفاعلتن وفعلن ؛ والمتدارك ، وهو :
حركتان بين ساكنين ، وهو نحو مفاعلن ومتفاعلن ومستفعلن وفاعلن ؛ والمتواتر ،
وهو : ما توالى فيه متحرك بين ساكنين ، نحو مفاعيلن وفاعلاتن وفعلاتن
ومفعولن ؛ والمترادف ، وهو : ما اجتمع في آخره ساكنان نحو فاعلان ومتفاعلان
ومستفعلان ، وما أشبه ذلك .

ولا يجتمع نوعان من هذه الأنواع في قصيدة ، إلا في جنس من السريع ؛
فإن المتواتر يجتمع فيه مع المتراكب ، إذا كان الشعر مقيداً كقول المرقش
في بيت (١) :

* وأطراف الأُكف عَنَم *

(١) هو بتمامه :

النشر مسك والوجوه دنا نير وأطراف الأُكف عَنَم

وفي بيت^(١) آخر :

* قد قلتُ فيه غيرَ ما تَعَلَّمُ *

(٢٣) — باب التقفية والتصريع

هذا باب يُشكل على كثير من الناس علمه ، ويلحقه عيب سماه قدامة
التجميع ، كأنه من الجمع بين رويين وقافيتين ، ورأيت من يقول : التجميع
— بالخاء — كأنه من أَلْجَمَعَ في الرجل ، وسأذكره في موضعه ، إن شاء الله تعالى .
فأما التصريع فهو ما كانت عروض البيت فيه تابعة لضربه : تنقص
بنقصه ، وتزيد بزيادته ، نحو قول امرئ القيس في الزيادة :
قَفَانَبِكَ مِنْ ذِكْرِي حَيِّبٌ وَعِرْفَانٍ وَرَسْمٌ عَفَّتْ آيَاتُهُ مِنْذُ أَرْمَانَ
وهي في سائر القصيدة مفاعِلن ، وقال في النقصان :
لَمَنْ طَلَّلَ أَبْصَرْتُهُ فَشَجَانِي كَخَطِّ زَبُورٍ فِي عَسِيبٍ يَمَانِي
فالضرب فعولان ، والعروض مثله لمكان التصريع ، وهي في سائر القصيدة
مفاعِلن كالأولى ؛ فكلُّ ما جرى هذا الجرى في سائر الأوزان فهو مُصَرِّع .
والتقفية : أن يتساوى الجزءان من غير نقص ولا زيادة ، فلا يتبع العروض
الضرب في شيء إلا في السجع خاصة ، مثال ذلك قوله :

(٢) لم يتيسر لي الوقوف على نسخة كاملة من شعر المرقش الأكبر ، ولم أقف
في المختار من شعره على البيت الذي عجزه هذا الذي ذكره المؤلف ، ولكنني وجدت في
معاهد التنصيص للعباسي (ح ١ ف ١٦٢) كثيرا من أبيات القصيدة التي منها هذان
البيتان ، ومن أبياتها التي يستشهد بها على نحو ما ذكره المؤلف قوله :
الدار قفر والرسوم كما رقص في ظهر الأديم قلم
ليس على طول الحياة ندم ومن وراء المرء ما يعلم
قال العباسي : « وهي قصيدة طويلة ليست بصحيحة الوزن ، ولا حسنة الروي ،
ولامتخيرة اللفظ ، ولا لطيفة المعنى . قال ابن قتيبة : ولا أعلم فيها شيئا يستحسن
إلا قوله * النسر مسك . . . البيت » اه كلامه .

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدّخول فحول
فهما جميعاً مفاعلين ، إلا أن العروض مقفّ مثل الضرب ، فكل ما لم
يختلف عروض بيته الأول مع سائر عروض أبيات القصيدة إلا في السجع فقط
فهو مقفّ .

اشتقاق
التصريع

واشتقاق التصريع من مصراعى الباب ، ولذلك قيل لنصف البيت «مصراع»
كأنه باب القصيدة ومدخلها ، وقيل : بل هو من الصرعين ، وهما طرفا النهار ،
قال أبو إسحاق الزجاج : الأول من طلوع الشمس إلى استواء النهار ، والآخر
من مَيل الشمس عن كبد السماء إلى وقت غروبها . قال شيخنا أبو عبد الله :
وهما العصران . وقال قوم : الصرع المثل ، وسبب التصريع مبادرة الشاعر القافية
ليعلم في أول وَهْلَةٍ أنه أخذ في كلام موزون غير منشور ، ولذلك وقع في أول
الشعر ، وربما صرّع الشاعر في غير الابتداء ، وذلك إذا خرج من قصة إلى قصة
أو من وصف شيء إلى وصف شيء آخر فيأتي حينئذ بالتصريع إخباراً بذلك وتنبيهاً
عليه ، وقد كثرت استعمالهم هذا حتى صرّعوا في غير موضع تصريع ، وهو دليل على قوة
الطبع ، وكثرة المادة ، إلا أنه إذا كثرت القصيدة دل على التكلف ، إلا من
المتقدمين ، قال امرؤ القيس :

تروح من الحى أم تبتسكز وماذا عليك بأن تنتظر؟
أمرخ خيامهم أم عُسّر أم القلب في إنريهم مُنَحَدِرُ
وشاقت بين الخليط الشُّطَرُ وفيمن أقام من الحى هر^(١)

(١) تروح : تسير وقت الرواح ، وهو آخر النهار . ويروى الشطر الثاني
* وماذا يضرك لو تنتظر * والرخ : شجر قصار ينبت بنجد ، والعشر : شجر طوال
بالغور ، وعرضه بهذه العبارة أن يقول : أهم منجدون أم متغورون ، أى . أيقمون
في نجد أم في غور ؟ والشطر : جمع شطير ، وهو القريب ، ويروى البيت الثالث
هكذا :

وفي من أقام من الحى هر أم الظاعنون بها في الشطر

فَوَالِي بَيْنَ ثَلَاثَةِ أَيْتَاتٍ مَصْرَعَةٌ فِي الْقَصِيدَةِ ، وَقَدْ يَجْعَلُونَ أَوَّلَهَا :
 أَحَارِبْنَ عَمْرِيَوَ كَأَنِّي خَيْرُ وَيَعْدُو عَلَى الْمَرْءِ مَا يَأْتُرُ
 وَقَالَ عَنَتْرَةُ الْعَبْسِيُّ :

أَعْيَاكَ رَسْمُ الدَّارِ لَمْ يَتَكَلَّمْ حَتَّى تَكَلَّمَ كَالْأَصَمِّ الْأَعْجَمِ
 ثُمَّ قَالَ بَعْدَ بَيْتٍ وَاحِدٍ :

هَلْ غَادَرَ الشَّعْرَاءُ مِنْ مُتَرَدِّمٍ أَمْ هَلْ عَرَفَتِ الدَّارُ بَعْدَ تَوْثَمِ؟
 يَا دَارَ عَبْلَةَ بِالْجَوَاءِ تَكَلَّمِي وَعَيَّ صَبَاحًا دَارَ عَبْلَةَ وَاسَلِمِي

فَصَرَعَ الْبَيْتَ الْأَوَّلَ وَالثَّالِثَ وَالرَّابِعَ .

وَقَوْلُنَا فِي شَعْرِ امْرِئِ الْقَيْسِ وَعَنَتْرَةُ وَغَيْرُهُمَا مِمَّا يَسْتَأْنِفُ مَصْرَعٌ إِنَّمَا هُوَ
 مُجَازٌ وَجَرَى عَلَى عَادَةِ النَّاسِ ؛ لِثَلَاثٍ يَخْرُجُ عَنِ الْمُتَعَارَفِ ، وَإِلَّا فَقَدْ بَيَّنَّتْ ذَلِكَ أَوَّلًا .

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ لَمْ يَصَرَعْ أَوَّلَ شَعْرِهِ قَلَّةً أَكْثَرَاثَ بِالشَّعْرِ ، ثُمَّ يَصَرَعْ بَعْدَ
 ذَلِكَ ، كَمَا صَنَعَ الْأَخْطَلُ إِذْ يَقُولُ أَوَّلَ قَصِيدَةٍ :

حَلَّتْ صَبِيرَةٌ أَمْوَاءَ الْعَدَادِ وَقَدْ كَانَتْ تَحُلُّ وَأَدْنَى دَارَهَا نَكْدُ
 وَأَقْفَرُ الْيَوْمِ مِنْ حَالِهِ الثَّمْدُ فَالشَّعْبَتَانِ فِذَاكَ الْأَبْلَقُ الْفَرْدُ

فَصَرَعَ الْبَيْتَ الثَّانِي دُونَ الْأَوَّلِ .. وَقَالَ ذُو الرِّمَّةِ أَوَّلَ قَصِيدَةٍ :
 أَدَارًا بِحُزْوَى هِجَّتِ لِلْعَيْنِ عَبْرَةً فَهَاءُ الْهَوَى يَرْفَضُ أَوْ يَتَرَقُّ
 ثُمَّ قَالَ بَعْدَ عِدَّةِ أَيْتَاتٍ :

أَمِنْ مَيَّةَ اعْتَادَ الْخِيَالُ الْمُورِّقُ ؟ نَعَمْ ؛ إِنَّهَا مِمَّا عَلَى النَّأْيِ تَطْرُقُ
 وَكَانَ الْفَرَزْدَقُ قَلِيلًا مَا يَصَرَعْ أَوْ يُبَلِّغِي بِالَا بِالشَّعْرِ ، كَقَوْلِهِ :

أَلَمْ تَرَأْنِي يَوْمَ جَوْ سَوِيْقَةٍ بِكَيْتُ فَنَادَتْنِي هُنَيْدَةُ مَالِيَا
 فَجَاءَ بِمِثْلِ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ الْجَالِيَةِ غَيْرِ مُصَرَّعَةٍ . وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ يَرُدُّ عَلَى جَرِيرِ

تكاثر يربوعٌ عليك ومالك على آل يربوع فمالك مَسْرَحُ
وأكثر شعر ذى الرمة غير مُصَرَّع الأوائل ، وهو مذهب الكثير من
الفحول وإن لم يعد فيهم لقلة تصرفه ، إلا أنهم جعلوا التصريع فى مهيات
القصائد فيما يتأهبون له من الشعر ، فدل ذلك على فضل التصريع . وقد قال
أبو تمام وهو قدوة :

وتقفوا إلى الجذوى يجذوى ، وإِما يروك بيت الشعر حين يَصْرَعُ
فضرب به المثل كما ترى .

والتصريع يقع فيه من الإقواء والإكفاء والإيطاء والسناد والتضمين ما يقع
فى القافية : فن الإقواء ما أنشده الزجاجى ، وهو قول بعضهم :

ما بال عينك منها الماء مُهْرَاقُ سَحًا فلا غارب منها ولا راقى

ومن الإكفاء قول^(١) حسان بن ثابت ، وأنشده الجاحظ :

ولست بخير من أهلك وخالكِكا ولست بخير من معاملة الكلب

ومن الإيطاء قول عبد الله بن المعتز :

يا سائلا كيف حالى أنت العليم بحالى

ومن السناد قول إسماعيل بن القاسم أبى العتاهية :

(١) انظر طى أى وجه يتحقق الإكفاء مع التصريع فى هذا البيت ؟ نعم إنه
ليتصور فيه ذلك النوع من التصريع الذى ساء التجميع وسيأتى ذكره قريباً ، ولكن
لا يتصور فيه الإكفاء طى وجه من الوجهين اللذين سبق له ذكرهما ، ولو كانت
العبارة هكذا « والتصريع يقع فيه من الإقواء والإقعاد . . إلخ ثم يقول : ومن
الإقعاد قول حسان . . . إلخ » لكانت أقرب وأحسن ، على أننى لم أجد هذا
البيت فى ديوان حسان .

ويلي على الأظمان وَلَوْ أَعْنَى بَعْتَةً فَاسْتَقَلُّوا

ومن التضمن قول البحترى :

عَذِيرِي فِيكَ مِنْ لَاحِ إِذَا مَا شَكُوتُ الْحَبَّ قَطَعْنِي مَلَامًا
ومن ابتداء القصائد التجميع ، وهو : أن يكون القسم الأول متهيناً للتصريح
بقافية ما ، فيأتي تمام البيت بقافية على خلافها ، كقول جميل :

يَا بُنْنَ إِنَّكَ قَدْ مَلَكَتْ فَاسْتَجِجِي وَخَذِي بِحِظِّكَ مِنْ كَرِيمٍ وَاصِلٍ

فتهيات القافية على الحاء ، ثم صرفها إلى اللام .

ومثله قول مُحْمَدِ بْنِ ثَوْرٍ الْهَلَالِي :

سَلِ الرَّبْعَ أُنَى يَمَمَتْ أُمُّ سَالِمٍ ؟ وَهَلْ عَادَةٌ لِلرَّبْعِ أَنْ يَتَكَلَّمَ ؟ ! !
فتهيات له قافية مؤسسة لو شاء ، ثم أتت في آخر البيت غير مؤسسة ، ويروى
* أُمُّ أَسْلَمًا * فخرج عن التجميع .

ومن أشد التجميع قولُ النابغة الذبياني :

جَزَى اللَّهُ عَبْسًا عَبْسَ آلِ بَغِيضٍ جَزَاءَ الْكِلَابِ الْعَاوِيَاتِ وَقَدْ فَعَلَ^(١)
وإنما التجميع فيما شابه الإطلاق ، أو قارب ذلك ، كقول جميل فيما تقدم
وقول مُحْمَدٍ ، وهو كالإكفاء والسناد في القوافي ، إلا أنه دونهما في الكراهية
جداً . . . وإذا لم يصريح الشاعر قصيدته كان كالمسور الداخل من غير باب .

والداخلُ من الأبيات : ما كان قسيمه متصلاً بالآخر ، غير منفصل منه ، قد
جمعتما كلمة واحدة ، وهو المدمجُ أيضاً ، وأكثر ما يقع ذلك في عروض^(٢)

(١) انظر (ص ١٤٤) من هذا الجزء

(٢) مثاله قول أبي العلاء المعري :

أَبْنَاتُ الْمَدِيلِ ، أَسْعَدُنْ أَوْعِدْ نَ قَلِيلَ الْعِزَاءِ بِالْإِسْعَادِ
أُبَكَّتْ تَلَكُمُ الْحَمَامَةُ أُمُّ غَنَّتْ عَلَى فَرْعِ غَصْنِهَا الْمِيَادِ
(١٢ - العمدة)

الخفيف ، وهو حيث وقع من الأعاريض دليل على القوة ، إلا أنه في غير الخفيف مستثقل عند المطبوعين ، وقد يستخفونه في الأعاريض القصار : كالهزج ومربع الرمل وما أشبه ذلك .

ومن الشعر غير المصارع ما لا يجوز أن يظن جميعاً ، وذلك نحو قول ذي الرمة واسمه غيلان بن عُقْبَةَ :

أَنْ تَرَسَّمْتَ مِنْ خِرْقَاءِ مَنْزِلَةٍ مَاءِ الصَّبَابَةِ مِنْ عَيْنِكَ مَسْجُومٌ

لأن القافية من عروض البيت غير متمكنة ، ولا مستعمل مثلها ، وإن كان استعمالها جائزاً لو وقع .

القواديبي من الشعر
ومن الشعر نوع غريب يسمونه القواديبي ، تشبيها بقواديبي السانية ؛ لارتفاع بعض قوافيه في جهة وانخفاضها في الجهة الأخرى ، فأول مَنْ رأته جاء به طلحة بن عبيد الله العوني في قوله من قصيدة له مشهورة طويلة :

كَمْ لِلذَّمَى الْأَبْكَارِ بِالْخَبِيثِينَ مِنْ مَنَازِلٍ
بِمَهْجَتِي لِلْوَجْدِ مِنْ تَذْكَارِهَا مَنَازِلُ
مَعَاهِدٌ رَعِيلُهَا مُتَعَنِّجِرُ الْهَوَاطِلِ
لَمَّا نَأَى سَاكِنُهَا فَأَدْمَى هَوَاطِلُ

وهو مربع الرجز تعتمد فيه الإقواء وأوطأ في أكثره قصداً كما فعل في البيتين الأولين من هذه .

ومن الشعر جنس كاه مصرع ، إلا أنه يختلف الأنواع ، وأنا منبه عليها إن شاء الله تعالى .

فمن ذلك الشعر المسطّ ، وهو : أن يبتدىء الشاعر بيت مصرع ، ثم يأتي بأربعة أقسمة على غير قافيته ، ثم يعيد قسيماً واحداً من جنس ما ابتدأ به ، [و] هكذا إلى آخر القصيدة ، مثال ذلك قول امرئ القيس ، وقيل إنها منحوالة :

المسط

توهمتُ من هند معالم أطلالٍ غفاهُنَّ طولُ الدهر في الزمن الخالي
 سرايُ من هند خلت ومصايفُ يصيح بمغناها صدّى وعوازفُ
 وغيرها هُوجُ الرياح العواصف وكل مُسفٍّ ثم آخر رادف
 * بأسحِم من نوء السماكين هَطَّالٍ *

وهكذا يأتى بأربعة أقسمة على أى قافية شاء ، ثم يكرر قسما على قافية
 اللام ، وربما كان المسط بأقل من أربعة أقسمة كما قال أحدهم :
 خيالُ هاج لي شَجَنًا فبت مُكابدًا حزنا
 عميد القلب مرتهنًا بذكر اللهو والطرب
 سبتنى ظبيةٌ عَطْلُ كأن رُضابها عَسْلُ
 ينوء بخصرها كَفَلُ ثقيل روادف الحقب

وربما جاءوا بأوله أبيتاً خمسة على شرطهم فى الأقسمة ، وهو المتعارف ،
 أو أربعة ، ثم يأتون بعد ذلك بأربعة أقسمة ، كما قال خالد القناس ، أنشده الزجاجى
 أبو القاسم :

لقد نكرت عيني منازل جيران كأسطار رَقٍّ ناهج خلقٍ فانى
 توهمتها من بعد عشرين حجة فما أستبينُ الدار إلا بعرفان
 قتلْتُ لها : حيتِ يادارَ جبرتي أئينى لنا أنى تبَدَّدَ إخوانى
 وأى بلاد بعد ربك حالفوا فإن فؤادى عند ظبية جيرانى
 فجاء بأربعة أبيات كما ترى ، ثم قال بعدها :
 رما نطقت واسعة مجت حين كلمت وما رجعت قولاً وما إن ترمرمت
 وكان شفائى عندها لو تكلمت إلى ولو كانت أشارت وسَلَّمَت
 * ولكنها ضنّت على يتبيان *

وهكذا إلى آخرها ، وقد جاء هذا الشاعر فى قصيدته بخمسة أقسمة

مرة واحدة ، ولم يعاودها ، ولو عاودها لم يضره ، وكذلك لو نقص ، إلا أن الاعتدال أحسن .

اشتقاق
التسميط

والقافية التي تكرر في التسميط تسمى عمود القصيدة ، واشتقاقه من السمط ، وهو : أن تجمع عدة سلوك في ياقوتة أو خرزة ما ، ثم تنظم كل سلك منها على حَدِّته باللؤلؤ يسيراً ، ثم تجمع السلوك كلها في زبرجدة أو شبهها^(١) أو نحو ذلك ، ثم تنظم أيضاً كل سلك على حدته وتصنع به كما صنعت أولاً إلى أن يتم السمط ، هذا هو المتعارف عند أهل الوقت .

وقال أبو القاسم الزجاجي : إنما سمي بهذا الاسم تشبيهاً بِسَمَطِ اللؤلؤ ، وهو سلكه الذي يضمه ويجمعه مع تفرق حَبِّهِ ، وكذلك هذا الشعر لما كان متفرق القوافي مُتَعَقِباً بقافية تضمه وترده إلى البيت الأول الذي بنيت عليه في القصيدة صار كأنه سمط مؤلف من أشياء مفترقة .

الخمس

ونوع آخر يسمى خمساً ، وهو : أن يؤتى بخمسة أقسمة على قافية ، ثم بخمسة أخرى في وزنها على قافية غيرها كذلك ، إلى أن يفرغ من القصيدة ، هذا هو الأصل ، وأكثروا من هذا الفن حتى أتوا به مصراعين مصراعين فقط ، وهو المزدوج ، إلا أن وزنه كله واحد وإن اختلفت القوافي ، كذات الأمثال ، وذات الحلال ، وما شا كلهما ، ولا يكون أقل من مصراعين ، وكل مشطور أو منهوك فهو بيت ، وإن قيل مصرع فعلى الجواز ، وما سوى ذلك مما لم يأت مثله عن العرب فهو مصارع ليس ببيت ، ولم أجدهم يستعملون في هذه الخمسات إلا الرجز خاصة ؛ لأنه وَطِيء سهل المراجعة ، فأما المسطحات فقد جاءت في أوزان كثيرة مختلفة كما قدمت .

(١) في المصريتين « أو يشب » وهو مالا وجه له ، والتصحيح عن التونسية

المشطور
والمنهوك

ونوعان من الرجز - وهما : المشطور، والمنهوك - فأما المشطور فما بنى على
شطر بيت ، نحو قول أبي النجم العجلي :

الحمد لله الوهوب المجزّل أعطى فلم يَبْخَلْ ولم يُبَخِّلْ
وأما المنهوك فهو ما بنى على ثلث بيت ، ونهك بذهاب ثلثيه، أى : أضعف
وهذا مثل قول أئى نُوَّاس :

وبلدةٍ فيها زَوْرٌ صعراء تخطى في صعرٍ
فأشبه بهما مشطور السريع ومنهوك المنسرح ، وسيأتيان فيما بعد إن شاء
الله تعالى . .

وأنشد الزجاجي وزنا مبشطراً مُحَيَّرَ الفصول لا أشك أنه مولد محدث ، وهو :

سقى طللاً بحزوى	هزيمُ الودق أحوى
عهدنا فيه أروى	زماناً ثم أقوى
وأروى لا كَنُود	ولا فيها صدود
لها طَرْفٌ صَيُودُ	ومُبْتَسِمٌ بَرُودُ
لئن شط المزار	بها ونأت ديار
فقلبي مُسْتَطَارُ	وليس له قرار
ستدنيها ذَمُول	جَلَنَفَةٌ ذَلُول
إذا عرضت هجول	تقصّر ما يطول

وهذا وزن ملتبس : يجوز أن يكون مقطوعاً من مربع الوافر ، ويجوز
أن يكون من المضارع مقبوضاً مكعرباً ، ذكره الجوهري . .
وأنشد لبعض الحديثين :

أشاقك طَيْفُ مَأمَةٍ بمكة أم حَمَامَةٍ

أشاقك : مفاعل ، وحقه في أصل الوزن مفاعيلن .
وقد رأيت جماعة يركبون الخمسات والمسمطات ويكثرون منها ، ولم أرمقدها
حاذقا صنع شيئا منها ؛ لأنها دالة على عجز الشاعر ، وقلة قوافيه ، وضيق عظمته ، ما خلا
أمرأ القيس في القصيدة التي نسبت إليه وما أصححها له ، وبشار بن برد ، قد كان
يصنع الخمسات والمزدوجات عبثا واستهانة بالشعر ، وبشر بن المعتمر ؛ فقد أنشد الجاحظ
له أول مزدوجة ، وصنع ابن المعتز قصيدة في ذم الصَّبوح ، وقصيدة في سيرة
المعتضد ركب فيها هذا الطريق ؛ لما تقتضيه الألفاظ المختلفة الضرورية ،
ولمراده من التوسع في الكلام ، والتلح بأنواع السجع .

للتقدمون
لا يخمسون
ولا يسمطون

وهذا الجنس موقوف على ابن وكيع والأمير تميم [بن المعز] ، ومن ناسب
طبعهما من أهل الفراغ وأصحاب الرخص ، وقد يقع لبعض الشعراء البيتان والثلاثة
لها قافية واحدة يجعلونها معاينة فيتلاقفها العروضيون ، كالأبيات التي تروى لابن
دريد وسترد في مكانها من سوى هذا الباب ، إن شاء الله تعالى .

٢٤ - باب في الرجز والقصيد

الرجز وأنواعه قد خص الناس باسم الرجز المشطور والمنهوك وما جرى مجراها ، وباسم
القصيد ما طالت أبياته ، وليس كذلك ؛ لأن الرجز ثلاثة أنواع غير المشطور
والمنهوك والمقطع : فأما الأول منها فنحو أرجوزة عبدة بن الطيب :

بَا كَرْنِي بِسُخْرَةٍ عَوَاذِلِي وَعَذُّهُنَّ خَبَلٌ مِنْ الْخَبَلِ
يَكْمُنَنِي فِي حَاجَةِ ذِكْرَتِهَا فِي عَصْرِ أَرْمَانٍ وَدَهْرٍ قَدْ نَسَلِ
والنوع الثاني نحو قول الآخر :

القلبُ منها مُسْتَرِيحٌ سَالِمٌ وَالْقَلْبُ مِنْ جَاهِدٍ مَجْهُودِ
والنوع الثالث قول الآخر :

قد هاج قلبي منزل من أم عمرٍو مقفّر
فهذه داخلة في القصيد ، وليس يمتنع أيضاً أن يسمى ما كثرت بيوته
من مشطور الرجز ومنهوكه قصيدة ؛ لأن اشتقاق القصيد من « قصدت إلى
الشيء » كأن الشاعر قصد إلى عملها على تلك الهيئة ، والرجز مقصود أيضاً
إلى عمله كذلك .

ومن المقصد ما ليس برجز وهم يسمونه رجزاً لتصريح جميع أبياته ؛ وذلك
هو مشطور السريع ، نحو قول الشاعر أنشدناه أبو عبد الله محمد بن جعفر النحوى
عن أبي على الحسين بن إبراهيم الأمدى ، عن ابن دريد ، عن أبي حاتم السجستاني ،
عن أبي زيد الأنصارى :

هل تعرف الدار بأعلى ذى القوز غيّرَهَا نأج الرياح والموز
ودرست غير رماد مكفوز مكتتب اللون مريح ممطور
وغير نوى كبقايا الدثور أزمان عينا سُرور المسرور
* عينا حوراه من العين الحور *

وأنشد أبو عبد الله لابن المعتز :

ومقلة قد بات يبعكها فيض نجيع من مآقيها
وكألفها طول تمنّيها بأنجم الليل تراعيها
ومهجة قد كاد يُفنيها طول سقام ثابت فيها
وبرؤها في كف مُبليها كما ابتلاها فهو يشفيها
ليس لها من حبها ناصر من ذاعلى الأحباب يُعديها

وهذا عند الجوهري من البسيط ، والذي أشد أبو عبد الله — على قول
الجوهري — هو من الرجز ، وجعل الجزء الآخر « مستفعل ان » مفروق فيه الوتد ،
فأسكن اللام ؛ لأن آخر البيت لا يكون متحرّكاً ، فخلقه مفعولات .

مشطور
السريع
من
القصيد

منهوك المنسرح وأما منهوك المنسرح * صبراً بنى عبد الدار * ^(١) فهو عند الجوهري من الرجز ، ومثله * وَيَلْمُ سَعْدٍ سَعْدًا ^(٢) * إلا أنه أقصد منه .

فعلى كل حال تسمى الأرجوزة قصيدة طالت أبياتها أو قصرت ، ولا تسمى القصيدة أرجوزة إلا أن تكون من أحد أنواع الرجز التي ذكرت ، ولو كانت مصرعة الشطور كالذي قدمته ؛ فالقصيد يطلق على كل الرجز ، وليس الرجز مطلقاً على كل قصيد أشبه الرجز في الشطر .

القريض قال النحاس : القريض عند أهل اللغة العربية الشعر الذي ليس برجز ، يكون مشتقاً من « قَرَضَ الشيء » أى : قَطَعَهُ ، كأنه قطع جنساً ، وقال أبو إسحاق : وهو مشتق من القرض ، أى : القطع والتفرقة بين الأشياء ، كأنه ترك الرجز وقطعه من شعره .

وكان أقصر ما صنعه القدماء من الرجز ما كان على جزءين ، نحو قول دريد بن الصمة يوم هوازن :

يا ليتني فيها جذعٌ أخبٌ فيها وأضع ^(١)

حتى صنع بعض المتعقبين - أظنه على بن يحيى ، أو يحيى بن - على المنجم - أرجوزةً على جزء واحد ، وهى :

طيفَ أَلَمْ * بذى سَلَمْ بعد العَتَمْ * يطوى الأَكَمْ
جَادَ بَقَمْ * وملتَ زَمْ فيه هَضَمْ * إذا يُضَمْ

(١) نسبه الأسنوى في شرحه على عروض ابن الحاجب لهند بنت عتبة نقوله يوم أحد تخاطب به بنى عبد الدار أصحاب لواء المشركين ، وبعد هذا :

صبراً حماة الأدبار ضرباً بكل بشار

(٢) هذا من كلام أم سعد بن معاذ لما مات ابنها سعد من جراحة أصابته يوم الخندق .

ويقال : إن أول من ابتدع ذلك سلم الخاسر ، يقول في قصيدة مدح بها موسى الهادي :

مُوسَى لِلطَّرْ * غَيْثٌ بَكَرُ ثُمَّ انْهَمِرْ * أَلْوَى الْمَرَرِ
كَمْ اعْتَسِرْ * ثُمَّ اَيْتَسِرْ وَكَمْ قَدَرُ * ثُمَّ غَفَرُ
عَدْلُ السَّيْرِ * بَاقِي الْأَثَرِ خَيْرُ وَشَرُّ * نَفْعُ وَضَرُ
خَيْرُ الْبَشَرِ * فَرَعُ مُضَرٍ بَدْرُ بَدَرٍ * وَالْمَفْتَخَرِ
لَمَنْ غَابَرُ

والجوهري يسعى هذا النوع المقطع .

وقد رأى قوم أن مشطور الرجز ليس بشعر ؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم :

هَلْ أَنْتَ إِلَّا إصْبَعٌ دَمِيَّتٍ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيَّتِ

بكسر التاء ، ورواية أخرى بسكونها وتحريك الياء بالفتح قبلها - وليس هذا دليلاً ، وإنما الدليل في قول النبي صلى الله عليه وسلم عدم القصْدِ والنية ؛ لأنه لم يقصد به الشعر ولا نواه ؛ فلذلك لا يعد شعراً وإن كان كلاماً متزناً ، وإلا فالرُّجَزُ شعراء عند العرب وفي متعارف اللسان ، إلا أن الليث روى أنهم لما ردوا على الخليل قوله « إن المشطور ليس بشعر » قال : لأحتجن عليهم بحجة إن لم يقرؤا بها كفروا ، قال : فعبجنا من قوله حتى سمعنا حجته . . وقد رواه قوم « دَمِيَّتٌ » بإسكان الياء والتاء جميعاً - ولا يكون حينئذ موزوناً .

والراجز قَلَمًا يُقَصَّدُ ؛ فإن جمعهما كان نهايةً نحو أبي النجم ؛ فإنه كان يقصد ،
وأما غَيْلَانُ ^(١) فإنه كان راجزاً ثم صار إلى التقصيد ، وسئل عن ذلك فقال : رأيتني
لا أقع من هذين الرجلين على شيء ، يعني العجاج وابنه روبة ، وكان جريروالفرزدق

(١) هو ذو الرمة ، واسمه غيلان بن عتبة

يرجزان ، وكذلك عمر بن لجأ كان راجزاً مُقَصِّداً ، ومثله مُحمَّد الأرقط ، والعماني أيضاً ، وأقلهم رجزاً الفرزدق .

وليس يمتنع الرجز على المقصِّد امتناع القصيد على الراجز ، ألا ترى أن كل مقصِّد يستطيع أن يرجز وإن صعب عليه بعض الصعوبة ، وليس كل راجز يستطيع أن يقصد ، واسم الشاعر وإن عم المقصِّد والراجز فهو بالمقصد أعلق ، وعليه أوقع ، فقل لهذا شاعر ، ولذلك راجز ، كأنه ليس بشاعر ، كما يقال خطيب أو مرسل أو نحو ذلك .

(٢٥) - باب في القِطْع والطوال

حدثنا الشيخ أبو عبد الله عبد العزيز بن أبي سهل رحمه الله تعالى ، قال : سئل أبو عمرو بن العلاء : هل كانت العرب تُطِيلُ ؟ فقال : نعم لِيُسمع منها ، قيل : فهل كانت تُوجِزُ ؟ قال : نعم ليحفظ عنها . قال : وقال الخليل بن أحمد : يطول الكلام ويكثر ليفهم ، ويوجز ويختصر ليحفظ ؛ وتستحب الإطالة عند الإعذار ، والإنذار ، والترهيب ، والترغيب ، والإصلاح بين القبائل ، كما فعل زهير ، والحارث بن حلزة ، ومن شاكلهما ، وإلا فالقِطْعُ أطير في بعض المواضع ، والطوال للمواقف المشهورات . .

مق تحسن
الإطالة؟

ويحكى أن الفرزدق لما وقع بينه وبين جرير ما وقع وحكم بينهما قال بعض الحكماء : الفرزدق أشعر ؛ لأنه أقواهما أشرَ كلام ، وأجراهما في أساليب الشعر ، وأقدرهما على تطويل ، وأحسنهما قطعاً ، فقدم بالقِطْع كما ترى .

رأى في
الفرزدق

وقال بعض العلماء : يحتاج الشاعر إلى القِطْع حاجته إلى الطوال ، بل هو عند المحاضرات والمنازعات والتمثل والملح أحوج إليها منه إلى الطوال .

حاجة الشاعر
إلى القِطْع

وقال أحد المجودين ، وهو محمد بن حازم الباهلي :

أَبَى لِي أَنْ أُطِيلَ الْمَدْحَ قَصْدِي إِلَى الْمَعْنَى وَعِلْمِي بِالصَّوَابِ
وَلِإِجْزَائِي بِمُخْتَصَرٍ قَصِيرٍ حَذَفْتُ بِهِ الطَّوِيلَ مِنَ الْجَوَابِ

منزلة
القمع القصار

وقيل لأن الزُّبَيْرِي: إنك تقصر أشعارك ، فقال : لأن القصار أوج في
المسامع ، وأجول في المحافل ، وقال مرة أخرى : يكفيك من الشعر غُرَّةٌ لاثمة ،
وسببة فاضحة . .

وقيل للجماز : لم لا تطيل الشعر ؟ فقال : لحذف في الفضول . وقال له بعض
المحدثين وقد أنشده بيتين : ما تزيد على البيت والبيتين ؟ فقال : أردت أن
أنشدك مذارعة^(١) ، وهو القائل :

أَقُولُ بَيْتًا وَاحِدًا أَكْتَفِي بِذَكَرِهِ مِنْ دُونِ أَيْبَاتِ
وَقِيلَ مِثْلَ ذَلِكَ لِعَقِيلِ بْنِ عُلْفَةَ ، فقال : يكفيك من القلادة ما
أحاط بالعنق .

وقال الجاحظ :^(٢) قيل لأبي المهوس : لم لا تطيل الهجاء ، ؟ فقال : لم أجد
المثل السائر إلا بيتًا واحدًا .

وهجاء محمد بن عبد الملك الزيات أحمد بن أبي دؤاد بتسعين بيتًا ، فقال ابن
أبي دؤاد يخاطبه :

أَحْسَنُ مِنْ تِسْعِينَ بَيْتًا سُدِّي جَمْعُكَ مَعْنَاهُنَّ فِي يَدِي
مَا أَحْوَجَ الْمَلِكَ إِلَى مَقَرَةٍ تَغْسِلُ عَنْهُ وَضَرَ الزَّهْتِ
غير أن المطيل من الشعراء أهيبُ في النفوس من الموجز وإن أجاد ، على

فرق ما بين
المطيل والموجز

(١) في بعض النسخ « مذارعة » بالدال المهملة .

(٢) انظر البيان والتبيين (ج ١ ص ١٧٨) تجد شيئاً كثيراً مما ذكره المؤلف

هنا ولم ينسبه إلى صاحبه الذي أخذه عنه

أن للموجز من فضل الاختصار ما ينكره المطيل ، ولنكن إذا كان صاحب القصائد دون صاحب القطع بدرجة أو نحوها وكان صاحب القطع لا يقدر على التطويل إن حاولَهُ بَتَّةً مُؤَيَّ بينهما ؛ لفضل غير المجهود على المجهود ، فإننا لا نشك أن المطول إن شاء جرد من قصيدته قطعة أبيات جيدة ، ولا يقدر الآخر أن يمد من أبياته التي هي قطعة قصيدة .

ولام قوم الكميت على الإطالة فقال : أنا على الإقصار أقدر ، هكذا جاءت الدواية ، ولا تكاد ترى مقطعا إلا عاجزا عن التطويل ، والمقصد أيضا قد يعجز عن الاختصار ، ولكن الغالب والأكثر أن يكون قادرا على ما حاوله من ذلك وبالعجز رمى الكميت .

وكان عبد الكريم بهذه الصفة ، لا يكاد يصنع مقطوعا ، ولا أعلن في جميع أشعاره خمس قطع أو نحوها .

وكان أبو تمام على جلالته وتقدمه مقصرا في القطع عن رتبة القصائد . . . والمشهورون بجودة القطع من المولدين : بشار بن برد ، وعباس بن الأحنف ، والحسن بن الضحاك ، وأبو نُوَّاس ، وأبو علي البصير ، وعلي بن الجهم ، وابن المعتز ، وابن المعتز .

المشهورون
بالمقطعات

وكانوا يقولون في زمان منصور الفقيه - وهو قريب من عصرنا هذا - : إياكم ومنصوراً إذا ربح بالزَّوْج ، وكان ربما هجا بالبيت الواحد .

ووصف عبد الكريم أبا الطيب ؛ فزعم أنه أحسن الناس مقاطيع ، ولو قال مقاطع - بلا ياء - قلنا : صدقت ولم نخالفه .

وقيل : إذا بلغت الأبيات سبعة فهي قصيدة ، ولهذا كان الإيطاء بعد سبعة غير معيب عند أحد من الناس . . . ومن الناس من لا يعد القصيدة إلا ما بلغ

متى تسمى
القصيدة ؟

العشرة وجاوزها ولو بيت واحد . . ويستحسنون أن تكون القصيدة وثراً ،
وأن يتجاوز بها العقد ، أو توقف دونه ؛ كل ذلك ليدلوا على قلة الكلفة ،
وإلقاء البال بالشعر .

وزعم الرواة أن الشعر كله إنما كان رجزاً وقطعاً ، وأنه إنما قصَّدَ على
عهد هاشم بن عبد مناف ، وكان أول من قصده مهلهل وامرؤ القيس ، وبينهما
و بين مجيء الإسلام مائة ونيف وخمسون سنة . ذكر ذلك الجحى وغيره .

وأول من طَوَّلَ الرجز وجعله كالقصيد الأغلبُ العجلى شيئاً يسيراً ، وكان أول من
على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم أتى العجاج بعدُ فأُفْتِنَ فيه ؛ فالأغلب
العجلى والعجاج في الرجز كما مرى القيس ومهلهل في القصيد .

والشاعر إذا قطع وقصد ورجز فهو الكامل ؛ وقد جمع ذلك كله الفرزدق ،
ومن المحدثين أبو نؤاس ، وكان ابن الرومي يُقَصِّدُ فيجيد ، ويطيل فيأتي بكل
إحسان ، وربما تجاوز حتى يُسْرِفَ ، وخير الأمور أوساطها . . وهو القائل :
وإذا امرؤٌ مَدَحَ امرأً لنواله فأطال فيه فقد أرادَ هِجَاءَهُ
لو لم يقْدِرْ فيه بُعْدُ المستَقَى عِنْدَ الوُرُودِ لما أطال رِشَاءَهُ

(٢٦) - باب في البديهة والارتجال

البديهة عند كثير من الموسومين بعلم هذه الصناعة في بلدنا أو من أهل
عصرنا هي الارتجال ، وليست به ؛ لأن البديهة فيها الفكرة والتأيد ، والارتجال
ما كان انهمازاً وتدفعاً لا يتوقف فيه فائله : كالذي صنع الفرزدق وقد دفع إليه
سليمان بن عبد الملك أسيراً من الروم ليقتله ، فدمس إليه بعض بني عبس سيفاً كَهِاماً
فنبأ حين ضرب به ، فضحك سليمان ، فقال الفرزدق ارتجالاً في مقامه ذلك يعتذر
لنفسه ، ويعير بني عبس بِذُبُوِّ سيف ورقاء بن زهير عن رأس خالد بن جعفر :

فإن يك سيفٌ خانَ أو قدَّرَ أبي لتأخير نفس حَينها غير شاهد
فسيُفُ بنى عُبسٍ وقد ضربوا به نبأً بيدَي ورَقَاءٍ عن رأسِ خالد
كذلك سيوف الهند تنبو ظُباتها وَيَقْطَعْنَ أحياناً مناطَ القلائد
ولو شئتُ قَطَّ السيفُ ما بين أنفه إلى عَليٍّ دون الشراسيفِ جاسِدِ
ثم جلس وهو يقول :

وَلَا تَقْتُلُ الْأَسْرَى ، وَلَكِنْ نَفْسَكُمُ إذا أثقل الأعناقَ حملُ الغارمِ
وكالذي يروى عن أبي الخطاب عمر بن عامر السعدي المعروف بأبي الأسد ،
وقد أنشد موسى الهادي شعراً مدحه به يقول فيه :

يا خيرَ من عَقَدَتْ كَفَاهُ حُجْزَتَهُ وخيرَ من قَلَدَتْهُ أَمْرَهَا مُضَرُّ
فقال له موسى : إِنْ مَنْ يَا بَأْسُ ؟ فقال واصلاً كلامه ولم يقطعه :

إِلَّا النَّبِيَّ رَسُولَ اللَّهِ ؛ إِنْ لَهُ فخرًا ، وَأَنْتَ بِذَلِكَ الْفَخْرِ تَفْتَخِرُ
ففطن موسى وَمَنْ بِحُضْرَتِهِ أَنْ الْبَيْتَ مُسْتَدْرِكُ ، ونظروا في الصحيفة فلم
يجدوه ؛ فضاعف صلته .

وأعظم ارتجال وقع قصيدة الحارث بن حِلْزَةَ بين يدي عمرو بن هند ؛
فإنه يقال : أتى بها كالخطبة ، وكذلك قصيدة عَبِيدِ بْنِ الْأَبْرَصِ ، وقيل : أفضل
البديهة بديهة أَمْنٍ ، وَرَدَّتْ فِي مَوْضِعِ خَوْفٍ ، فما ظنك بالارتجال وهو أسرع
من البديهة ؟ .

وكان أبو نواس قوى البديهة والارتجال ، لا يكاد ينقطع ولا يُروى إلا فلتةً ،
روى أن الخصيب قال له مرة يمازحه وهما بالمسجد الجامع : أنت غير مدافع في الشعر ،
ولكنك لا تخطب ! فقام من فوره يقول مرتجلاً :

منحتكم يا أهل مصر نصيحتي ألا فَخُذُوا مِنْ ناصِحٍ بنصيب
رماكم أمير المؤمنين بحية أْكُلِ الْحَيَاتِ الْبِلَادِ شَرُوبِ

أعظم ما وقع
من الارتجال

قدرة
أبي نواس
على الارتجال
والبديهة

فإن يكُ باقى سحر فرعونَ فيكمُ فإنَّ عصا موسى بكفَّ خَصيب
ثم التفت إليه وقال : والله لا يأتى بمثله خطيب مصتقع فكيف رأيت ؟
فاعتذر إليه وحلف إن كنتُ إلا مازحا .

وسمعت جماعة من العلماء يقولون : كان مسلم بن الوليد نظير أبي نواس ،
وفوقه عند قوم من أهل زمانه في أشياء ، إلا أن أبا نواس قهره بالبديهة والارتجال ،
مع تقبض كان في مسلم وإظهار توقر وتصنع ، وكان صاحب روية وفكرة
لا يبتده ولا يرتجل .

وكان أبو العتاهية — فيما يقال — أقدر الناس على ارتجال وبديهة ؛ لقرب أبو العتاهية
مأخذه ، وسهولة طريقته ، اجتمع عدة من الشعراء فيهم أبو نواس ؛ فشرب أحدهم
ماء ، ثم قال : أجيروا :

* كَدَ الماء وطابا *

فكلهم تلعثم ، حتى طلع أبو العتاهية ، فقال : فيم أنتم ؟ فأنشدوه ، فقال
وما تروى :

* حَبَّذا الماء شَرابا *

فأتى بالقسيم رَشلاً شبيهاً بصاحبه ، وذلك هو الذى أغوَزَ القومَ لا وزن
الكلام .

وصحب رقعة فسمع زُقاء الديوك ، فقال لرفيقه :

* هل رأيت الصُّبْحَ لَاحاً ؟ *

قال : نعم ، قال :

* وسمعت الديك صاحاً *

قال : نعم ، قال :

إنما بَكَى على المُنْصَرِّ بالدنيا وناحا

فاستيقظ رفيقه للكلام أنه شعر ، فرواه ؛ فما جرى هذا المجرى فهو ارتجال .
 وأما البديهة فبعد أن يفكر الشاعر يسيراً ويكتب سريعاً إن حضرت آلة ، إلا
 أنه غير بطيء ولا مُتَرَاخٍ ، فإن أطلال حتى يفرط أو قام من مجلسه لم يُعَدَّ بديهاً .
 وقالوا : اجتمع الشعراء بباب الرشيد ، فأذن لهم ، فقال : من يجيز هذا
 البديهة الجواز
 القسم وله حكمه ؟ فقالوا : وما هو يا أمير المؤمنين ؟ قال :
 الملك لله وَحْدَهُ

فقال الجواز :

وللخليفة بَعْدَهُ

والمحب إذا ما حَبِيبُهُ بَاتَ عِنْدَهُ

فقال : أحسنت ، وأتيت على ما في نفسي ، وأمر له بعشرة آلاف درهم .
 ومن عجيب ما روى في البديهة حكاية أبي تمام حين أنشد أحمد بن المعتصم بحضرة
 أبي يوسف يعقوب بن إسحاق بن الصباح الكندي وهو فيلسوف العرب :
 إقدام عمرو ، في سماحة حاتم في حِلْمٍ أَحْنَفَ ، في ذكاء إياس
 فقال له الكندي : ما صنعت شيئاً ، شبهت ابن أمير المؤمنين وولي عهد
 المسلمين بصعاليك العرب ! وَمَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ذَكَرْتَ ؟ وما قدرهم ؟ فأطرق أبو تمام
 يسيراً ، وقال :

لا تنكروا ضَرْبِي له مَنْ دُونَهُ مثلاً شَرُوداً في النَّدَى والبأس

فالله قد ضرب الأَقْلَّ لنوره مثلاً من المشكاة والنبراس

فهذا أيضاً وما شاكله هو البديهة ، وإن أعجب ما كان البديهة من أبي تمام ؛
 لأنه رجل متصنع ، لا يحبُّ أن يكون هذا في طبعه . وقد قيل : إن الكندي
 لما خرج أبو تمام قال : هذا الفتى قليل العمر ؛ لأنه ينحت من قلبه ، وسيموت
 قريباً ، فكان كذلك .

بديهة المتنبي
وارتجاله

وقد كان أبو الطيب كثير البديهة والارتجال ، إلا أن شعره فيها نازل
عن طبقة جداً ، وهو لعمري في سعة من العذر ؛ إذ كانت البديهة كما قال فيها
ابن الرومي :

نار الروية نارٌ جِدُّ مُنْصِجَةٍ وللبدية نارٌ ذاتُ تلويح
وقَدْ يُفَضِّلُهَا قَوْمٌ لِسُرْعَتِهَا لِكِنَّهَا سُرْعَةٌ تَمْضِي مَعَ الرِّيح
وقال عبد الله بن المعتز :

والقولُ بعد الفِكرِ يُؤْمِنُ زَيْعُهُ شَتَانٌ بَيْنَ رَوِيَّةٍ وَبَدِيَةٍ

ومن الشعراء مَنْ شعره في رويته وبديته سواء عند الأمن والخوف ؛ شعراء بديتهم
لقدرته ، وسكون جأشه ، وقوة غريزته : كهذبة بن الخشرم العذري ، وطرفة كرويته
أبن العبد البكري ، ومرة بن محكان السعدي ؛ إذ يقول وقد أمر مصعب بن الزبير
رجلا من بني أسد بقتله :

بني أسد إن تَقْتُلُونِي تُحَارِبُوا تيمناً ، إذا الحرب العوانُ اشْمَعَلَتْ
ولستُ وإن كانت إلى حبيبة بياكٍ على الدنيا إذا ما تَوَلَّتْ
وهذا شعر لوروي في صاحبه حولا كاملا على أمن ودعة وفرط شهوة
أو شدة حية لما أتى فوق هذا .

وكذلك عبد يغوث بن صلاة ؛ إذ يقول في كلمة طويله :

أقول وقد شَدُّوا لِسَانِي بِنَسْعَةٍ أمعشرَ تَسِيمٍ أَطْلِقُوا مِن لِّسَانِيَا
فَيَارَا كَبَاً إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلَّغَنُ نَدَامَايَ مِنْ نَجْرَانِ أَنْ لَا تَلَاقِيَا

وكانوا قد شدوا لسانه خوفاً من الهجاء ، فعاهدتهم ، فأطلقوه لينوح على
نفسه ، فصنع هذه القصيدة ، وعرض عليهم في فدائه ألف ناقة ، فأبوا إلا قتله ،

فقال :

فإن تقتلونى تقتلونى بخيركم وإن تطلقونى تحر بونى بماليا
وهذه شهامة عظيمة وشدة .

ومن قول طرفة بن العبد لما أيقن بالموت :

أبا مُنْذِرٍ كانت غُرُوراً صحيفتى ولم أعطكم بالطوع مالى ولا عرضى
أما منذر أفنيت فاستبق بعضنا حنائيك بعض الشراهُون من بعض

وأين هؤلاء من عبيد بن الأبرص - وهو شيخ الصناعة ، ومقدم فى السن
على الجماعة - إذ يقول له النعمان ^(١) يوم يؤسه : أنشدنى ، فقال : حال الجريضُ
دون القريض ، قال : أنشدنى قولك :

أقفر من أهله ملجوبُ فالتطبيات فالدُّنوب

فقال : لا ، ولكن :

أقفر من أهله عبيدُ فاليوم لا يُبْدَى ولا يُعِيدُ

فبلغت به حال الجزع إلى مثل هذا القول ، على أن فى بيتى طرفة بعض
الضراعة ...

ومن وجد نفسه عند إحاطة الموت به تميم بن جميل ؛ فإنه القائل بين يدي
المعتصم وقد قدم السيف والنطع لقتله :

أرى الموتَ بين النطع والسيفِ كامناً يُلاحظنى من حيثُ ما أتلقتُ
وأكبرُ ظنى أنك اليوم قاتلى وأى امرئ مما قضى الله يُفلى
وأى امرئ يُدلى بمُذِرٍ وحجة وسيفٌ للنايا بين عينيه مُضلتُ

(١) كتبنا فى (ص ٤١) من هذا الجزء نستظهر أن المؤلف يظن صاحب يومى
البؤس والنعم هو النعمان بن المنذر وقد صرح به هنا ، وهذا غير صحيح لأن صاحب
اليومين هو المنذر بن ماء السماء صاحب الغريين الذين بناهما قبرين لنديمين له : أحدهما اسم
خالد بن نضلة الفقعسى ، والثانى اسمه عمرو بن مسعود ، وانظر (ص ١٠٣) أيضاً

يبرز على الأوس بن تغلب موقف
وما حَزَنِي أني أموت وإنتي
ولكن خَلْفِي صَبِيَّةٌ قد تركتهم
كأنني أراهم حين أني إليهم
فإن عِشْتُ عاشوا خافضين بنعمة
فكم قاتل : لا أبعد الله داره
يُسَلُّ عَلَى السيف فيه وأسكت
لأعلم أن الموت شيء مؤقت
وأكبأدهم من حَسْرَةٍ تَفَتَّتْ
وقد خمشوا تلك الوجوه وصوتوا
أذود الردى عنهم ، وإن مُتُّ مَوْتُوا
وآخرَ جَدُّ لَانَ يُسَرُّ وَيَشْتُمُ

فعفا عنه المعتصم ، وأحسن إليه ، وقلده عملا .

وعلى بن الجهم هو القاتل وقد صُلِبَ عريانا :

لم ينصبوا بالشاذياخ عشية ال
إثنين مفلولا ولا مجهولا
نصبوا بحمد الله ملء عيونهم
حُسْنًا ، وملء قلوبهم تَجِيلًا
ماضره أن بُزَّ عنه لباسه
فالسيف أهول ما يرى مسلولاً

وهذا من جَزَلِ الكلام ، لا سيما في مثل ذلك المقام ، وكان على من
الفضلاء علماء بالشعر وصناعة له .

حكى عن علي بن يحيى أنه قال : كنت عند المتوكل إذ أتاه رسول برأس
إسحاق بن إسماعيل ، فقام علي بن الجهم يخطر بين يديه ويقول :

أهلاً وسهلاً بك من رسول
جئت بما يشفى من الغليل
برأس إسحاق بن إسماعيل

فقال المتوكل : قوموا التقطوا هذا الجوهر لا يضيع .

والشاعر الحاذق المبرز إذا صنع [على] البديهة قنع منه بالعفو اللين ، والنزر
التافه ؛ لما فيها من المشقة ، وهو في الارتجال أعذر .

اشتقاق

البديهة اشتقاق البديهة من «بده» بمعنى بدأ ، أبدلت الهمزة هاء كما أبدلت في أشياء

كثيرة لقربها منها ؛ فقد قالوا مدح^(١) ومدّه ، وآهنتك تفعل كذا بم بمعنى لآئك ، ومثل ذلك كثير .

والارتجال مأخوذ من السهولة والانصباب ، ومنه قيل : شعّر رجلاً ، إذا كان سبّطاً مسترسلاً غير جمّد ، وقيل : هو من ارتجال البئر وهو أن تنزلها برجليك من غير حبل .

اشتقاق
الارتجال

(٢٧) — باب في آداب الشاعر

من حكم الشاعر أن يكون حُلُو الشّائل ، حسن الأخلاق ، طَلَقَ الوجه ، بعيد الغور ، مأمون الجانب ، سهل الناحية ، وطىء الأكناف ، فإن ذلك مما يحببه إلى الناس ، ويُرَيِّنُهُ في عيونهم ، ويقربه من قلوبهم ، وليكن مع ذلك شريف النفس ، لطيف الحس ، عزوف الهمّة^(٢) ، نظيف البزة ، أنفياً ؛ لتها به العامة ، ويدخل في جملة الخاصة ، فلا تمجّه أبصارهم ، تتمحّ اليدين ، وإلا فهو كما قال ابن أبي فتن واسمه أحمد :

وإنَّ أحقَّ الناسِ باللَّومِ شاعرٌ يُلومُ على البخلِ الرِّجالَ وَيَبْخُلُ
وإلى هذا المعنى ذهب الطائي بقوله :

أَلومٌ مَنْ بَخِلَتْ يَدَاهُ وَأَعْتَدَى لِلْبَخْلِ تَرْبَا ؟ سَاءَ ذَاكَ صَنِيعًا !!

والشاعر مأخوذ بكل علم ، مطلوب بكل مكرمة ؛ لاتساع الشعر واحتماله كل ما حمل : من نحو ، ولغة ، وفقه ، وخبر ، وحساب ، وفريضة ، واحتياج أكثر هذه العلوم إلى شهادته ، وهو مُكْتَفٍ بذاته ، مستغن عما سواه ؛ ولأنه قيد للأخبار ، وتجديد للآثار .

حاجة الشعر
إلى مواد الثقافة

(١) ليس في المثال الأول تقارض بين الهاء والهمزة ، وإنما غرض المؤلف إثبات ذلك ، والأمثلة في العربية كثيرة ، فقد قالوا في حرف الاستفهام « أ ل » كما قالوا « هل » وقالوا « أيا » و « هيا » في النداء .
(٢) في المصريتين والتونسية « عزوب الهمّة » .

وصاحبه الذي يذم ويحمّد ، ويهجو ويمدح ، ويعرف ما يأتي الناس من محاسن الأشياء وما يذرونه ، فهو على نفسه شاهد ، وبحجته مأخوذ .

الرواية أوثق
آلات الشاعر

ولياخذ نفسه بحفظ الشعر والخبر ، ومعرفة النسب ، وأيام العرب ؛ ليستعمل بعض ذلك فيما يريد من ذكر الآثار ، وضرب الأمثال ، وليلقى بنفسه بعض أنفاسهم ويقوى بقوة طباعهم ، فقد وجدنا الشاعر من المطبوعين المتقدمين يفضل أصحابه برواية الشعر ، ومعرفة الأخبار ، والتلمذة بمن ^(١) فوقه من الشعراء ، فيقولون : فلان شاعر راوية ، يريدون أنه إذا كان راوية عرف المقاصد ، وسهل عليه مأخذ الكلام ، ولم يضق به المذهب ، وإذا كان مطبوعاً لا علم له ولا رواية ضلّ واهتدى من حيث لا يعلم ، وربما طلب المعنى فلم يصل إليه وهو مائل بين يديه ؛ لضعف آله : كالمقعد يجد في نفسه القوة على النهوض فلا تعينه الآلة .

وقد سئل رؤبة بن العجاج عن الفحل من الشعراء ، فقال : هو الراوية ، يريد أنه إذا روى استفحل .

قال يونس بن حبيب : وإنما ذلك لأنه يجمع إلى جيد شعره معرفة جيد غيره ، فلا يحمل نفسه إلا على بصيرة ، وقال رؤبة في صفة شاعر :
لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ تَكُونَ سَاحِرًا رَاوِيَةً مَرًّا وَمَرًّا شَاعِرًا ^(٢)
فاستعظم حاله حتى قرنها بالسحر .

وقال الأصمعي : لا يصير الشاعر في قريض الشعر فحلاً حتى يروى أشعار العرب ، ويسمع الأخبار ، ويعرف المعاني ، وتدور في مسامعه الألفاظ . وأول

(١) كذا في عامة الأصول ، وأفضل من هذا « والتلمذة لمن فوقه إلخ »

(٢) انظر (ص ٢٧) من هذا الجزء .

ذلك أن يعلم العروض ؛ ليكون ميزاناً له على قوله ؛ والنحو ؛ ليصلح به لسانه وليقيم به إعرابه ؛ والنسب وأيام الناس ؛ ليستعين بذلك على معرفة المناقب والمثالب وذكرها بمدح أو ذم .

رواية بعض
الشعراء عن
بعض

وقد كان الفرزدق - على فضله في هذه الصناعة - يروى للحطيئة كثيراً ، وكان الحطيئة راوية زهير ، وكان زهير راوية أوس بن حَجَرٍ وَطَفِيلَ الغنوى جميعاً ، وكان امرؤ القيس راوية أبي دؤاد الإيادي : مع فضل تحييزة ، وقوة غريزة ، ولا بد بعد ذلك أن يلوح به في شعره ، ويتوكأ عليه كثيراً ، وقد نزل أعشى بى قيس بن ثعلبة بين يدي النابغة الذبياني بسوق عكاظ وأنشده مقدمه ، وأنشده حسان بن ثابت ، ولبيد بن ربيعة ؛ فما عابهم ذلك ، ولا غصّ مهم ، وكان كثير راوية جميل ومفضلاً له : إذا استنشد لنفسه بدأ بجميل ، ثم أنشد ما يراود منه ، ولم يكن بدون جرير والفرزدق ، بل يقدم عليهما عند جميع أهل الحجاز ، وكان أبو حية النميري - واسمه الهيثم بن الربيع ، وهو من أحسن الناس شعراً ، وأنظفهم كلاماً - مؤتماً بالفرزدق ، آخذاً عنه ، كثير التعصب له والرواية عنه .

حاجة الشاعر
إلى شعر
المولدين

ولا يستغنى المولد عن تصفح أشعار المولدين ؛ لما فيها من حلاوة اللفظ ، وقرب المأخذ ، وإشارات الملح ، ووجوه البديع الذي مثله في شعر المتقدمين قليل ، وإن كانوا هم فتحوا بابه ، وفتقوا جلبابه ، والمتعقب زيادات وافتنان ، لا على أن تكون عمدة الشاعر مطالعة ما ذكرته آخر كلامي هذا دون ما قدمته ؛ فإنه متى فعل ذلك لم يكن فيه من المتانة وفضل القوة ما يبلغ به طاقة من تبع جادته ، وإذا أعانته فصاحة المتقدم وحلاوة المتأخر اشتد ساعده ، وبعُدَ مرماه ، فلم يقع دون الغرض ؛ وعسى أن يكون أرشَقَ سِهَاماً ، وأحسن موقعاً ، ممن لو عَوَّلَ عليه من المحدثين لقصرَ عنه ، ووقع دونه ،

وليجمل طلبه أولاً للسلامة ، فإذا صحت له طَلَبَ التجويدَ حينئذ ، وليرغب في
الحلاوة والطلاوة رَغْبَتَهُ في الجزالة والفخامة ، وليجتنب السوقَ القريب ،
والخوشى الغريب ، حتى يكون شعره حالاً بين حالين كما قال بعض
الشعراء :

عليك بأوساط الأمور ؛ فإنها نجاةٌ ، ولا تركب ذلولاً ولا صَعْباً

فأول ما يحتاج إليه الشاعر — بعد الجِد الذي هو الغاية ، وفيه وحده أول ما يحتاجه
معرفة مقاصد الكلام الكفاية — حُسْنُ التأتى والسياسة ، وعلم مقاصد القول ؛ فإن نَسَبَ ذل وخضع ،
وإن مدح أطرى وأسمع ، وإن هجا أخل^(١) وأوجع ، وإن فخر خَبَّ ووَضَعَ ،
وإن عاتب خفض ورفع ، وإن استعطف حَنَّ ورجع ، ولكن غايته معرفة أغراض
المخاطب كأننا من كان ؛ ليدخل إليه من بابهِ ، ويداخله في ثيابه ، فذلك هو سر
صناعة الشعر ومغزاه الذى به تفاوت الناس وبه تفاضلوا . .

وقد قيل : لكل مقام مقال^(٢) وشِعْرُ الشاعر لنفسه وفي مراده وأمور لكل مقام مقال
ذاته — من مزح ، وغزل ، ومكاتبة ، ومجون ، وخمزية ، وما أشبه ذلك —
غَيْرُ شعره في قصائد الحفل التى يقوم بها بين السباطين : يُقْبَلُ منه في تلك
الطرائق عَفْوُ كلامِهِ ؛ وما لم يتكلف له بالا ، ولا ألقى به ، ولا يقبل منه في هذه
إلا ما كان محككا ، معاوداً فيه النظر ، جيداً ، لا غث فيه ، ولا ساقط ،
ولا قَلِقَ ؛ وشِعْرُهُ للأمير والقائد غيرُ شعره للوزير والكاتب ، ومخاطبته للقضاة
والفقهاء بخلاف ما تقدم من هذه الأنواع . . وسيأتى هذا في موضعه من هذا
الكتاب مفصلاً ، إن شاء الله تعالى .

(١) في نسخة « أقل » ولعلها أحسن

(٢) كذا في التونسية ، وهو المعروف ، وفي المصريتين « لكل مقام مثال »

يجب أن يتفقد الشاعر شعره إذا قصر، وإن كان له فضل السبق فعليه درك التقصير، كما أن للمتأخر فضل الإجابة أو الزيادة، ولا يكون الشاعر حاذقاً مجوداً حتى يتفقد شعره، ويعيد فيه نظره، فيستطرد به، ويثبت جيده، ويكون سَمَحاً بالركيك منه، مطرحاً له، راغباً عنه؛ فإن بيتاً جيداً يقاوم ألفي ردي.

وقال امرؤ القيس وهو أول من زعموا أنه اختبر له وعلم به أنه يكون أفضل الشعراء والمقدم عليهم :

أذود القوافي عني ذيادةً ذيادةً غلام جرىء جرادا
فلما كثرت وعنيته تخير منهن شتى جياتا
فأعزل مرجانها جاباً وأخذ من دُرّها المستجادا

هكذا في أكثر النسخ، وفي بعضها « حراد » بالحاء مكسورة غير معجمة، و « شتى جياتا » بالشين معجمة مفتوحة غير منونة التاء.

فإذا كان أشعر الشعراء يصنع هذا ويحكيه عن نفسه، فكيف ينبغي لغيره أن يصنع؟

وزعم ابن الكلبي أنه امرؤ القيس بن بكر بن امرئ القيس بن الحارث ابن معاوية الكندي، وروى « سفي » في موضع « جرىء » والسفي : السفيه ولخفيف أيضاً، وإليه يرجع اشتقاقه، وزعم غير ابن الكلبي أن الأبيات لامرئ القيس بن عابس الكندي^(١).

ويقال : إن أبا نواس كان بفعل هذا الفعل؛ فينفى الدنى ويبقى الجيد.

(١) ولم أجد هذه الأبيات فيما شرحه الوزير أبو بكر من شعر امرئ القيس ابن حجر، والعلماء يسمون الآخر امرأ القيس بن مالك الحميري :

وليتمس له من الكلام ما سهل ، ومن القصد ما عدل ، ومن المعنى ما كان واضحاً جلياً يُعرفُ بدياً ، فقد قال بعض المتقدمين : شر الشعر ما سئل عن معناه ، وكان الخطيئة يقول : خير الشعر الحولى المحسك ، أخذ في ذلك بمذهب زهير ، وأوس ، وطفيل .

ولا يجوز للشاعر — كما يجوز لغيره — أن يكون مُعجَباً بنفسه ، مثنياً على شعره ، وإن كان جيداً في ذاته ، حسناً عند سامعه ، فكيف إن كان دون ما يظن ؟ كقوم أفردوا لذلك أنفسهم ، وأفتوا فيه أعمارهم وما يحصلون على طائل ، وقد قال الله عز وجل : (فلا تزكوا أنفسكم) اللهم إلا أن يريد الشاعر ترغيب الممدوح أو ترهيبه فيثنى على نفسه ، ويذكر فضل قصيدته ؛ فقد جعلوه مجازاً مُساعِجاً فيه : كالذى يعرض لكثير من الشعراء في أشعارهم من مدح قصائدهم ، على أن أبا تمام يقول :

وَيْسِيءُ بِالْإِحْسَانِ ظَنًّا لَا كَمَنْ يَأْتِيكَ وَهُوَ بِشِعْرِهِ مَفْتُونٌ
وإن كان أوصف الناس لقصيده ، وأكثرهم ولوعاً بذلك ، وهذا ما دام شعراً كان محمولا على ما قدمناه ، وإنما المكروه المريب أن يكون ذلك منشوراً أو تأليفاً مسطوراً : كالذى فعل الناشئ أبو العباس في أشياء من شعره ذكرها في كتابه الموسوم بتفضيل الشعر؛ فشكرها، ونوه [بها]، ونبه عليها، وفضلها على أشعار الفحول : مثل جرير وغيره ، منها قول جرير :

إِنَّ الْعَيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا مَرَضٌ ^(١) قَتَلْتَنِي نَمَّ لَمْ يُحْيِيَنِي قَتَلَانَا
يَصْرَعَنَّ ذَا اللَّبِّ حَتَّى لَا حِرَاكَ بِهِ وَهُنَّ أَضْعَفُ خَلْقِ اللَّهِ إِنْسَانًا

وزعم — بعد إقامة ما حسبه برهانا — أن قوله :

لَا شَيْءَ أَعْجَبُ مِنْ عَيْنَيْكَ؛ إِنَّهُمَا لَا يُضْعِفَانِ الْقُوَى إِلَّا إِذَا ضَعُفَا

(١) يرى * إن العيون التي في طرفها حور *

خير منه ، وأسلم من الاعتراض ، وأكثر اختصاراً .

بين امرئ القيس وشاعر يشكرى
ويجب على الشاعر أن يتواضع لمن دونه ، ويعرف حق من فوقه من الشعراء ؛ فإن امرأ القيس — وكان شديد الظنة في شعره ، كثير المنازعة لأهله ، مُدِلًّا فيه بنفسه ، واثقاً بقدرته — لقي التوأم اليشكري ، واسمه الحارث ^(١) بن قتادة ، فقال له : إن كنت شاعراً كما تقول فلط ^(٢) لي أنصاف ما أقول فأجزها ، قال : نعم ، فقال امرؤ القيس :

أحارِ تَرَى بُرَيْقًا هَبَّ وَهَنًا

كنارِ مجوسٍ تستعر استعاراً

أرقت له ونام أبو شريح

إذا ما قلتُ قد هداً استطاراً

كأن هزيمه بوراء غيب ^(٣)

فقال التوأم :

فقال امرؤ القيس :

فقال التوأم :

فقال امرؤ القيس :

(١) جعل ياقوت اسمه الحارث بن التوأم اليشكري ، وجعل قتادة وأبا شريح أخوين للحارث . وذكر هذه القصة وأنها وقعت لامرئ القيس مع الإخوة الثلاثة وأن امرأ القيس قال * أحار ترى * فقال الحارث * كنار مجوس فقال قتادة * أرقت له . . . استطاراً * فقال أبو شريح * كأن هزيمه . . . عشاراً * فقال الحارث * فلما أن علا . . . فجاراً * فقال قتادة * فلم يترك ببطن السر . . . حماراً * فقال امرؤ القيس بعد هذا : إني لأعجب من بيتكم هذا كيف لا يحترق من جودة شعركم ! ! فسموا بنى النار يومئذ .

(٢) قال المجد في القاموس : « ومالطه : قال نصف بيت وآتمه الآخر كملطه

تمليطاً » اهـ

(٣) يروى

* كأن هزيمه بوراء غيب *

كما سمعت .

فقال التوأم : عَشَارٌ وَاللهُ لَا قَتُّ عَشَارَا
فقال امرؤ القيس : فلما أن عَلَا كَنَفِي أَضَاخُ^(١)
فقال التوأم : وَهَتَّ أَعْجَازُ رِيْقِهِ فَحَارَا
فقال امرؤ القيس : فلم يترك بذات السر ظبيا
وقال التوأم : ولم يترك بِجَلَّتْهَا جَارَا

فلما رآه امرؤ القيس قد ماتته ، ولم يكن في ذلك الحرس - أى : العصر - من يمانته - أى : يقاومه ويطاوله - آلى ألا ينزع الشعر أحداً آخر الدهر ، روى ذلك أبو عبيدة عن أبي عمرو بن العلاء ، ولو نظر بين الكلامين لوجد التوأم أشعر في شعرهما هذا ؛ لأن امرؤ القيس مبتدئ ما شاء ، وهو في فسحة مما أراد ، والتوأم محكوم عليه بأول البيت ، مضطر في القافية التي عليها مدارها جميعاً ، ومن ههنا - والله أعلم - عرّف له امرؤ القيس من حق الماتنة ما عرف ، ونازع أيضاً علقمة بن عبدة فكان من غلبة علقمة عليه ما كان ..

وأما جرير فهجاه شاعر يقال له : البردخت ، فقال : ما اسمه ؟ قيل له : بين جرير وشاعر
البردخت ، فقال : وما معنى البردخت ؟ قالوا له : الفارغ ، فقال : إذاً والله لا أشغله بنفسى أبداً ، وسالته : هذا وهو جرير الذى غلب شياطين الشعراء ، وسكّن شقاشق الفحول ..

وأما عقبة بن ربيعة بن العجاج فإنه أنشد عقبة بن سلم^(٢) بحضرة بشار أرجوزة ، فقال : كيف ترى يا أبا معاذ ؟ فأثنى بشار كما يجب لمثله أن يفعل ، وأظهر الاستحسان ، فلم يعرف له عقبة حقه ، ولا شكر له فعله ، بل قال له : هذا

(١) أضاخ - بالضم وآخره خاء معجمة - من قرى اليمامة لبني نمر ، ذكره ياقوت ، وروى : * فلما أن علا شرعى أضاخ *

(٢) عقبة بن سلم : كان والياً على البصرة ، من قبل أبي جعفر المنصور ، وكان جباراً عاتياً .

طِرَازٌ لا تحسنه ، فقال له بشار : ألمثلنى يقال هذا الكلام ؟ أنا والله أرجز منك
ومن أريك ومن جدك ، ثم غدا على عقبة بن سلم بأرجوزته التى أولها :
يا طلل الحى بذات الصمد^(١) بالله خير كيف كنت بعدى
فضحَ بها ابن رؤبة فضيحة ظاهرة كان غنيا عنها ..

إعجاب البحترى
بأنفسه
وكان فى البحترى إعجاب شديد ، إذا أنشد يقول : مالكم لا تعجبون ؟
أما حسنٌ ما تسمعون ؟ فأنشد المتوكل يوماً قصيدته التى أولها :

عَنْ أَىِّ ثَغْرِ تَبْتَسِمُ ؟ وَبَأَى طَرْفٍ تَحْتَكُمُ ؟
وأبو العباس الصَّيْمَرِي حاضراً ، فلما رأى إعجابه قام حذاءه فقال :-
مَنْ أَى سَلَحٍ تَلْتَقِمُ ؟ وَبَأَى كَفٍّ تَلْتَطِمُ ؟
ذَقْنُ الْوَلِيدِ الْبَحْثَرِيَّ أَبَى عُبَادَةَ فِي الرَّجْمِ
فَوَلَّى الْبَحْثَرِيَّ وَهُوَ غَضَبَانٌ ، فقال : وعلمتُ أنك تنهزم
فضحك المتوكل حتى فحس برجليه ، وأعطى الصَّيْمَرِي جائزة سنية .

(٢٨) — باب عمل الشعر ، وشجذ القريحة له

لكل شاعر
فترة
لابد للشاعر — وإن كان فخلاً ، حاذقاً ، مُبرزاً ، مقدماً — من فترة تُعرض
له فى بعض الأوقات : إما لشغل يسير ، أو موت قريحة ، أو نُبوؤ طبع فى تلك
الساعة أو ذلك الحين . وقد كان الفرزدق — وهو فحل مُضَرَّ فى زمانه — يقول :
تمرُّ على الساعة وقَلْعُ ضرس من أضرارى أهونُ علىَّ من عمل بيت من الشعر .
فإذا تَمدى ذلك على الشاعر قيل : أَضْفَى وَأَفْعَى ، كما يقال « أَفْصَتِ الدَّجَاجَةُ »

(١) فى معجم ما استعجم : الصمد : موضع فى ديار بنى يربوع . وفى معجم
ياقوت : الصمد : ماء للضباب .

إذا انقطع بيضها ، وكذلك يقال له : أَجْبَل ، كما يقال لحافر البئر إذا بلغ جبلا تحت الأرض لا يعمل فيه شيء : أَجْبَل ، ومثل أجبل : أَكْدَى ، إلا أنهم خصوا به العطاء ، وذلك أن يصادف حافر البئر كدية فلا يزيد شيئاً على ما حفر ، ويقال : أخم الشاعر على أفع ، قالوا : وهو من «فُجِمَ العصب» إذا انقطع صوته من شدة البكاء ، فإن ساء نفضله وفسدت معانيه قيل له : أَهْتَر فهو مهتر . وقد قيل في الديباني : إنه إنما كان شعره نظيفاً من العيوب لأنه قاله كبيراً ، ومات عن قرب ، ولم يهتر . . وأكثر ما جاء الإهتار في صفة الكبير الذي يختلط كلامه وقولهم في شعر النابغة إنه قاله وهو كبير يَدُلُّ على أنه بهذا سمي نابغة كما عند أكثر الناس ، لا لقوله :

* فَقَدْ تَبَعَتْ لَنَا مِنْهُمْ شُئُونُ *

كما تقدم ^(١) من قول بعضهم . ويقال : أخلى الشاعر ، كما يقال أخلى الراعي ، إذا لم يُصَبْ معنى .

حكى عن البحترى أنه قال : فاوضت ابن الجهم علياً في الشعر ، وذكر رأي في أشجع السلمي أشجع السلمي فقال : إنه كان يخلى ، فلم أفهمها عنه ، وأنفت أن أسأله عنها ، فلما انصرفت فكرت فيها ، ونظرت في شعر أشجع ، فإذا هو ربما مرت له الأبيات مغسولة ليس فيها بنت رائع .

ثم إن للناس فيما بعد ضروباً مختلفة : يستدعون بها الشعر ، فتشحذ القرائح وسائل الشعراء لاستدعاء الشعر وتنبه الخواطر ، وتلين عريكة الكلام ، وتسهل طريق المعنى : كل امرئ على تركيب طبعه ، وإطراد عادته ، وسيأتي ذلك في أقاويل العلماء بما أرجو أن تكون فيه هداية إن شاء الله تعالى .

(١) انظر (ص ٤٧) من هذا الجزء .

قال بكر بن النطّاح الحنّفي : الشعر مثل عين الماء : إن تركتها اندفنت ، وإن استهتتها هتنت ، وليس مراد بكر أن تستهتن بالعمل وحده ؛ لأننا نجد الشاعر تكلّ قريحته مع كثرة العمل مراراً ، وتنزف مادته ، وتنفذ معانيه ، فإذا أجم طبعه أياماً — وربما زماناً طويلاً — ثم صنع الشعر جاء بكل أبدع ، وانهمر في كل قافية شاردة ، وانفتح له من المعاني والألفاظ ما لو رامه من قبل لاستغلق عليه ، وأبهم دونه ، لكن بالمذاكرة مرة ؛ فإنها تقدح زناد الخاطر ، وتفجر عيون المعاني ، وتوقظ أبصار الفطنة ، وبمطالعة الأشعار كرة ؛ فإنها تبعث الجد ، وتولد الشهوة .

وسئل ذو الرمة : كيف تفعل إذا انقفل دونك الشعر ؟ فقال : كيف ينقفل دوني وعندى مفاتيحه ؟ قيل له : وعنه سألتك ، ما هو ؟ قال : الخلوة بذكر الأحباب ، فهذا لأنه عاشق ، ولعمري إنه إذا انفتح للشاعر نسيب القصيدة فقد ولج من الباب ، ووضع رجله في الركاب ، على أن ذا الرمة لم يكن كثير المدح والهجاء ، وإنما كان واصف أطلال ، ونادب أظعان ، وهو الذي أخرجه من طبقة الفحول .

وقيل لكثير : كيف تصنع إذا عسر عليك الشعر ؟ قال : أطوف في الرباع الحيلة ؛ والرياض المشيبة ، فيسهل على أرضه ، ويسرع إلى أحسنه .

وقال الأصمعي : ما استدعى شارد بمثل الماء الجاري ، والشرف العالي ، والمكان الخالي — وقيل : الخالي ، يعني الرياض —

وحدثني بعض أصحابنا من أهل المهديّة—وقد مررنا بموضع بها يعرف بالكدية هو أشرفها أرضاً وهواء — قال : جئت هذا الموضع مرة فإذا عبد الكريم على سطح برج هنالك قد كشف الدنيا ، فقلت : أبا محمد ؟ قال : نعم ، قلت : ما تصنع ههنا ؟ قال : ألقح خاطري ، وأجلو ناظري ، قلت : فهل نتج لك شيء ؟

قال : ماتقرّ به عيني وعينك إن شاء الله تعالى ، وأنشدني شعراً يدخل مسام القلوب رقة ، قلت : هذا اختبار منك اخترعته ، قال : بل برأى الأصمعي .

وقالوا : كان جرير إذا أراد أن يؤبد قصيدة صنعها ليلاً : يشعل سراجاً ويعتزل ، وربما علا السطح وحده فاضطجع وغطى رأسه رغبة في الخلوة بنفسه . يحكى أنه صنع ذلك في قصيدته التي أخزى بها بني نمير ، وقد تقدم ذكرها^(١) .

وروى أن الفرزدق كان إذا صعبت عليه صنعة الشعر ركب ناقته ، وطاف خالياً منفرداً وحده في شعاب الجبال وبطون الأودية والأماكن الخربة الخالية ، فيعطيه الكلام قياده . حكى ذلك عن نفسه في قصيدته الفائية :

عَزَفْتُ بِأَعْيَاشٍ وَمَا كَدْتُ تَغْرِفُ

وذكر أن فتى من الأنصار بحضرة كثير - أو غيره - فاخره بأبيات حسان ابن ثابت :

لنا الجففاتُ الغرُّ يَلْمَعْنَ بالضحي وأشيأُ فَنَّا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمًا
فأنظره سنة فمضى حَفَقًا ، وطالت ليلته ولم يصنع شيئًا ، فلما كان قرب الصباح أتى جبلاً بالمدينة يقال له ذُباب ، فنادى : أخاكم يا بني لبني ، صاحبكم ، صاحبكم ، وتوسّد ذراع ناقته ، فاثالث عليه القوافي انثيلاً ، وجاء بالقصيدة بكرة وقد أمجزت الشعراء وبهرتهم طولاً وحسناً وجودة .

وقيل لأبي نواس : كيف عملك حين تريد أن تصنع الشعر ؟ قال : أشرب حتى إذا كنت أطيب ما أكون نفساً بين الصاحي والسكران صنعت وقد داخلني النشاط وهزّنتني الأريجية .

(١) انظر (ص ٥٠) من هذا الجزء .

أوقات صنعة
الشعر

قال ابن قتيبة : وللشاعر أوقات يسرع فيها أتيه ، ويسمح فيها أتيه : منها أول الليل قبل تغشى الكرى ، ومنها صدر النهار قبل الغداء ، ومنها يوم شرب الدواء ، ومنها الخلوة في الحبس والمسير ، ولهذا العلل تختلف أشعار الشاعر ورسائل المترسل .

وحكى عن أبي تمام - وقد سأله البحتري عن أوقات صنعة الشعر - قريبٌ من هذا لا أحفظه نصاً ، ولا أشك أن ابن قتيبة به اقتدى ، إن كان مما رواه^(١)

ومما يجمع الفكرة من طريق الفللسفة استلقاء الرجل على ظهره ، وعلى كل حال فليس يفتح مُقْفَلَ بحار الخواطر مثلُ مباكرة العمل بالأسحار عند المهبوب من النوم ؛ لكون النفس مجتمعة لم يتفرق حِسِّها في أسباب اللهو أو المعيشة أو غير ذلك مما يعيها ، وإذ هي مستريحة جديدة كأنما أنشئت نشأة أخرى ؛ ولأن السَّحَرَ أطف هواء ، وأرق نسيماً ، وأعدل ميزاناً بين الليل والنهار ، وإلّا لم يكن العشيُّ كالسحر - وهو عَدِيلُهُ في التوسط بين طرفي الليل والنهار - لدخول الظلمة فيه على الضياء بضد^(٢) دخول الضياء في السحر على الظلمة ، ولأن النفس فيه كَالَّةٌ [مريضة] من تعب النهار وتصرفها فيه ، ومحتاجة إلى قوتها من النوم متشوقة نحوه ؛ فالسحر أحسن لمن أراد أن يصنع ، وأما لمن أراد الحفظ والدراسة وما أشبه ذلك فالليل ، قال الله تعالى وهو أصدق القائلين : (إن ناشئة الليل هي أشدُّ وطأً وأقوم قيلاً) وهذا الكلام

(١) في التونسية « إن كان رآه » وهى عبارة قريية الصحة : وقدمات ابن قتيبة في سنة ٢٧٦ من الهجرة ، ومات أبو تمام في سنة ٢٣١ من الهجرة على المختار من أقوال الناس في وفاته .

(٢) في المصريتين « بعد » وهو خطأ ظاهر .

الذى لا مَطْعَنَ فيه ، ولا اعتراض عليه ، وعلى قراءة من قرأ (وطاء) يكون معناه أثقل على فاعله ، وإذا كان كذلك كان أكثر أجراً ، فهذا يشهد لنا أن العمل أول الليل يصعب ؛ لأن النوم يغلب والجسم يَكِلُ .

بعض أحوال
أبي تمام

وكان أبو تمام يُكْرِه نفسه على العمل حتى يظهر ذلك في شعره . . . حكى ذلك عنه بعض أصحابه ، قال : استأذنت عليه — وكان لا يستتر عني — فأذن لي فدخلت [فإذا هو] في بيت معصرج قد غسل بالماء ، يتقلب يميناً وشمالاً ، فقلت : لقد بلغ بك الحرُّ مبلغاً شديداً ، قال : لا ، ولكن غيره ، ومكث كذلك ساعة ثم قام كأنما أطلق من عقال ، فقال : الآن وردت ، ثم استمدَّ وكتب شيئاً لا أعرفه ، ثم قال : أتدرى ما كنت فيه هذا الآن ؟ قلت : كلا ، قال : قول أبي نواس :

كالدهر فيه شراسةٌ وليانُ

أردت معناه فشَمَسَ علىَّ حتى أمكن الله منه فصنعت .

شرست ، بل لنت ، بل قانيتَ ذاكَ بذاً . فأنت لا شكَّ فيك السهل والجبل ولعمري لو سكتَ هذا الحاكى لنمَّ هذا البيت بما كان داخل البيت ؛ لأن الكلفة فيه ظاهرة ، والعمل بين ، على أن مثل حكاية أبي تمام وأشد منها قد وقعت لمن لا يتهم ، وهو جرير : صنع الفرزدق شعراً يقول فيه :

جرير
والفرزدق

فإني أنا الموتُ الذى هو ذاهبٌ . . . بنفْسِكَ ، فانظر كيف أنت مُحاوله وحلف بالطلاق أن جريراً لا يغلبه فيه ، فكان جرير يتمرغ في الرَّمضاء ويقول : أنا أبو حَزْرَةَ ، حتى قال :

أنا الدهرُ : يَفَنِّي الموتُ والدهرُ خالدٌ . . . فجئني بمشعلِ الدهرِ شيئاً يطاوله

وكان أبو تمام ينصب القافية للبيت ؛ ليملق الأعجاز بالصدور ، وذلك هو كيف كان الشعر ، ولا يأتي به كثيراً إلا شاعر متصنع كجيب ونظرائه ، أبو تمام ينظم ؟

والصواب أن لا يصنع الشاعر بيتا لا يعرف قافيته ، غير أنى لا أجد ذلك في طبعى
جملة ، ولا أقدر عليه ، بل أصنع التقسيم الأول على ما أريده ، ثم ألتبس في نفسى
ما يليق به من القوافى بعد ذلك ، فأبنى عليه التقسيم الثانى : أفعل ذلك فيه كما
يفعل من يبنى البيت كله على القافية ، ولم أر ذلك بمخل على ، ولا يزيحني عن
مُرَادى ، ولا يغير على شيئا من لفظ التقسيم الأول ، إلا فى النُدرة التى لا يعتدبها
أو على جهة التنقيح المفرط .

عبد الله بن
رواحه

وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة كالمتعجب من شعره ،
فقال : كيف تقول الشعر ؟ قال : أنظر فى ذلك ثم أقول ، قال : فعليك بالمشركين
ولم يكن أعد شيئا ، فأنشد أبياتا منها :

فَخَبَرُونِي ، أَثْمَانَ الْعَبَاءِ ، مَتَى كُنْتُمْ بَطَارِيقَ أَوْدَانَتْ لَكُمْ مُضَرُّ ؟
فعرى الكراهية فى وجه النبى صلى الله عليه وسلم ، لما جعل قومه أثمان العباء ،
فقال :

نُجَالِدُ النَّاسَ عَنْ عَرَضٍ وَنَأْسِرُهُمْ فِينَا النَّبِيُّ ؛ وَفِينَا تَنْزِلُ الشُّورُ
وَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَا لَيْسَ يَغْلِبُنَا حَيٌّ مِنَ النَّاسِ : إِنْ عَزَا ، وَإِنْ كَثُرَا
ينتهى إلى أن يقول فى النبى صلى الله عليه وسلم :

فَثَبَّتَ اللَّهُ مَا أَعْطَاكَ مِنْ حَسَنٍ تَشْبِيتَ مُوسَى ، وَنَصْرًا كَالَّذِي نَصَرُوا
فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِوَجْهِهِ ، فَقَالَ : « وَإِيَّاكَ فَثَبَّتَ اللَّهُ
يا ابن رواحة » .

طريقة جماعة ومن الشعراء من يسبق إليه بيت واثنان ، وخاطره فى غيرها : يجب أن
من الشعراء يكونا بعد ذلك بأبيات ، أو قبله بأبيات ، وذلك لقوة طبعه ، وانبعاث مادته ،
فى النظم ومنهم من ينصب قافية بعينها لبيت بعينه من الشعر مثل أن تكون ثلاثة
أو أربعة أو نحو ذلك لا يعدو بها ذلك الموضع إلا انحل عنه نظم أبياته ، وذلك

عيب في الصنعة شديد ، ونقص بين ؛ لأنه - أعنى الشاعر - يصير محصوراً على شيء واحد بعينه ، مُضَيِّقاً عليه ، وداخلا تحت حكم القافية .
وكانوا يقولون : ليكن الشعر تحت حكمك ، ولا تكن تحت حكمه .

ومنهم مَنْ إذا أخذ في صنعة الشعر كتب من الفوافي ما يصلح لذلك الوزن الذى هو فيه ، ثم أخذ مستعملها ، وشريفها ، ومساعد معانيه ، وما وافقها ، وأطرح ما سوى ذلك ، إلا أنه لا بد أن يجمعها ليكرر فيها نظره ، ويعيد عليها تخيره في حين العمل ، هذا الذى عليه حُذَّاق القوم .

ومن الشعراء مَنْ إذا جاءه البيت غَفَّوا أثبته ، ثم رجع إليه فنقحه ، وصفاه من كدره ، وذلك أسرع له ، وأخف عليه ، وأصح لنظره ، وأرعى لباله ..

وآخر لا يثبت البيت إلا بعد إحكامه في نفسه ، وتثقيفه من جميع جهاته ، وذلك أشرف للهمة ، وأدل على القدرة ، وأظهر للكلفة ، وأبعد من السرقة .
وسألت شيخنا من شيوخ هذه الصناعة فقلت : ما يعين على الشعر ؟ فقال :
زهرة البستان ، وراحة الحمام .

وقيل : إن الطعام الطيب ، والشراب الطيب ، وسماع الغناء ، مما يرق^٤ الطبع ، ويصفي المزاج ، ويعين على الشعر .

ولما أرادت قريش معارضة القرآن عكف فصحاؤهم الذين تعاطوا ذلك على لباب البرِّ وسُلاَفِ الخمر ولحوم الضأن والخلوة إلى أن بلغوا مجهودهم . فلما سمعوا قول الله عز وجل (وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ ، يَا سَمَاءُ اقْلَعِي ، وَغِيصَ الْمَاءُ ، وَقَضِيَ الْأَمْرُ ، وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودَى) ، وقيل بُعْدُ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) يئسوا مما طمعوا فيه ، وعلموا أنه ليس بكلام مخلوق .

وقيل : مقوِّد الشعر العناء به ، وذكر عن أبي الطيب أن متشرفاً تشرف عليه وهو يصنع قصيدته التى أولها :

* جَمَلًا كَمَا بِي فَلَيْتُكَ التَّبْرِيحُ ^(١) *

وهو يَنْغِي وَيَصْنَع ، فإذا توقف بعض التوقف رَجَّع بالإشاد من أول القصيدة إلى حيث انتهى منها .

وقال بعضهم : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَقُولَ الشَّعْرَ فَلْيَعِشْ فَإِنَّهُ يَرْقُ ، وَلْيَرْوِ فَإِنَّهُ يَدُل ، وَلْيَطْمَعْ فَإِنَّهُ يَصْنَع . وقالوا : الحيلة لِكَلَّالِ القريحة انتظار الحمام ، وتصيد ساعات النشاط ، وهذا عندي أنجع الأقوال ، وبه أقول ، وإليه أذهب ..
وقال بكر بن عبد الله المزني : لا تكدوا القلوب ولا تهملوها ، وخير الفكر ما كان في عقب الحمام ، وَمَنْ أَكْرَهَ بصره عشي ، واشحذوا القلوب بالمدح كره ولا تئسوا من إصابة الحكمة إذا منحتهم ببعض الاستغلاق ، فإن من أَدْمَنَ قَرَعَ الباب وَصَلَ .

وقال الخليل : من لم يأت شعره من الوحدة فليس بشاعر ، قالوا : يريد الخلوة ، وربما أراد الغربة ، كما قال ديك الجن : ما أَصْفَى شاعر مغرب قط .

ومما لا يسع تركه في هذا الموضع صحيفة كتبها بشر بن المعتز ، ذكر فيها البلاغة ، ودل على مظان الكلام والفصاحة ، يقول فيها : خذ من نفسك ساعة فراغك ، وفراغ بالك ، وإجابتها إياك ، فإن قلبك تلك الساعة أكرمُ جوهر وأشرف حساً ، وأحسن في الأسماع ^(٢) ، وأحلى في الصدور ، وأسلم من فاحش الخطأ ، وأجلب لكل عين وغرة من لفظ شريف ومعنى بديع ، واعلم أن ذلك أجدى عليك مما يعطيك يومك الأطول بالكد والمجاهدة ، وبالتكلف والمعاندة ، ومهما أخطأك لم يخطئك أن يكون مقبولا قصداً ، أو خفيفاً على اللسان سهلاً

صحيفة بشر بن
المعتز في
البلاغة

(١) تمامه * أغذاء ذا الرشا الأغن الشيخ * وهو مطلع قصيدة مدح بها مساور بن محمد الرومي (انظر الديوان : ج ١ ص ١٦٤) .
(٢) في المصريتين للطبوعتين « وأحسن في الإسماع » وهو تصحيف .

كما خرج من يبعوه ، ونَجَمَ من معدنه . وإياك والتوعر ، فإن التوعر يسلك إلى التعقيد ، والتعقيد هو الذى يستهلك معانيك ، وبشين ألفاظك ، ومن أراغ^(١) معنى كريماً فليكتمس له لفظاً كريماً ؛ فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف ، ومن حقهما أن يصوبنهما عما يفسدهما ويُهَجِّنهما ، وعما تَعَوَّد من أجله أسوأ حالا منك من قبل أن تلتمس إظهارهما ، وترهن نفسك فى ملاستهما وقضاء حقهما ، وكن فى إحدى ثلاث منازل : فإن أولى الثلاث أن يكون لفظك رشيقاً عذبا ، وفخماً سهلاً ، ويكون معنك ظاهراً مكشوفاً ، وقريباً معروفاً : إما عند الخاصة إن كنت للخاصة قصدت ، وإما للعامة إن كنت للعامة أردت ، والمعنى ليس يشرف بأن يكون من معانى الخاصة ، وكذلك ليس يتضع بأن يكون من معانى العامة . وإما مَدَارُ الشرف مع الصواب وإحراز المنفعة ، ومع موافقة الحال ، ومع ما يجب لكل مقام من المقال ، وكذلك اللفظ العامى والخاصى ، فإن أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك ، وبلاغة قلمك ، ولطف مداخلك ، واقتدارك فى نفسك على أن تفهم العامة معانى الخاصة وتَسْكُوهَا الألفاظ المتوسطة التى لا تلتف عن الدهماء ، ولا تجفوا عن الأَكْفَاء ؛ فأنت البليغ التام . وإن كانت الميزة الأولى لا تواتيك ولا تعتريك ولا تسمح لك عند أول نظرك فى أول تكلفك ، وتجد اللفظة لم تقع موقعها ولم تصل إلى قرارها وإلى حقها من أماكنها المقسومة لها ، والقافية لم تحمل فى مركزها وفى نصابها ولم تتصل بشكلها ، وكانت قَلِقةً فى مكانها نافرة عن موضعها ؛ فلا تُكْرِهْهَا على اغتصاب مكانها ، والزول فى غير أوطانها ؛ فإنك - إذا لم تتعاط قَرْضَ الشعر الموزون ، ولم تتكلف اختيار الكلام المنشور - لم يعبك بترك ذلك أحد ؛ فإن أنت نكلمتها ولم تكن حادقاً مطبوعاً ، ولا محكماً

(١) أراغ - بالغين المعجمة والهمزة أوله - أراد وطلب ، ومثله ارتاع ، وفى التونسية « راع » وهو خطأ .

لشأنك ، بصيراً بما عليك ولك ؛ عابك من أنت أقل منه عيباً ، ورأى من هو دونك أنه فوقك . فإن أنت ابتليت بأن تتكلف القول وتتعاطى الصنعة ، ولم تسمح لك الطباع ؛ فلا تعجل ، ولا تضجر ، ودعه بياض يومك أو سواد ليلك ، وعاوده عند نشاطك وفراغ بالك ؛ فإنك لا تعدم الإجابة والمواتاة إن كانت هناك طبيعة ، أو جرّيت في الصناعة^(١) على عرقٍ ، فإن تمنّع عليك بعد ذلك من غير حادث شغل ، ومن غير طول إهمال ؛ فالمنزلة الثالثة أن تتحول عن هذه الصناعة إلى أشهى الصناعات إليك ، وأخفها عليك ؛ فإنك لم تشتته ولم تنازع^(٢) إليه إلا وبينكا نسب ، والشئ لا يمن إلا إلى ما شاكاله ، وإن كانت المشاكلة قد تكون في صفات^(٣) ، إلا أن النفوس لا تجود بمكنونها مع الرغبة ، ولا تسمح بمخزونها مع الرهبة ، كما تجود به مع الشهوة والحجة .

وقال بعض أهل الأدب : حسب الشاعر عونا على صناعته أن يجمع خاطره ، بعد أن يُخلى قلبه من فضول الأشغال ، ويدع الامتلاء من الطعام والشراب ، ثم يأخذ فيما يريد . وأفضل ما استعان به الشاعر فضل غنى أو فرط طمع^(٤) . والفقر آفة الشعر ، وإنما ذلك لأن الشاعر إذا صنع القصيدة وهو في غنى وسعة نقحها وأنعم النظر فيها على مهل ، فإذا كان مع ذلك طمع قوى انبعثت منها ينمّوها ، وجاءت الرغبة بها في نهايتها محسكة ، وإذا كان فقيراً مضطراً رضى بعفو كلامه ، وأخذ ما أمكنه من نتيجة خاطره ، ولم يتسع في بلوغ مراده ولا بلوغ مجهود نيته ؛ لما يحفره من الحاجة والضرورة ، فجاء دون عادته في سائر أشعاره

أفضل ما
استعان به
شاعر

(١) في التونسية « من الصناعة » .

(٢) كذلك هو في عامة الأصول ، ولعله « ولم تنزع إليه » .

(٣) في التونسية « في طبقات » .

(٤) هكذا في التونسية ، وفي اللصيريتين « أو فضل طمع » .

وربما قصر عن هو دونه بكثير ، ومنهم من تحمى الحاجة خاطره ، وتبعث قريحته ؛ فيجود ، فإذا أوسع أَيْفَ ، وصعب عليه عمل الأبيات اليسيرة فضلا عن الكثيرة ، وللعادة في هذه الأشياء فعل عظيم ، وهى طبيعة خامسة كما قيل فيها .

(٢٩) - باب في المقاطع والمطالع

حد المقاطع
والمطالع

اختلف أهل المعرفة في المقاطع والمطالع : فقال بعضهم : هى الفصول والوصول بعينها ، فالمقاطع : أواخر الفصول ، والمطالع : أوائل الوصول ، وهذا القول هو الظاهر من نفوى الكلام ، والفصل : آخر جزء من القسم الأول كما قدمت ، وهى العروض أيضاً ، والوصل : أول جزء يليه من القسم الثانى وقال غيرهم : المقاطع : منقطع الأبيات ، وهى القوافى ، والمطالع : أوائل الأبيات وقال قدامة بن جعفر فى بعض تأليفه وقد ذكر الترصيع : هو أن يتوختى تصيير مقاطع الأجزاء فى البيت على سجع ، أو شبيه به ، أو من جنس واحد فى التصريف ، فأشار بهذه العبارة إلى أن المقاطع أواخر أجزاء البيت كما ترى . . وقد نجد من الشعر المرصع ما يكون سجعه فى غير مقاطع الأجزاء ، نحو قول أم معدان الأعرابية فى مرثية لها :

فعل الجليل وتفريج الجليل وإعطاء الجزيل الذى لم يُعطه أحدٌ

فالسجع فى هذا البيت اللام المطردة فى ثلاثة أمكنة منه ، وآخر الأجزاء التى هى المقاطع على شريطة الياء التى قبل اللام ، اللهم إلا أن يجعل السجع هو الياء الملزمة فينثذ ، على أنا لا نعلم حرف السجع يكون إلا متأخراً فى مثل هذا المكان ، ومثل هذا فى أنواع الأعاريض كثير .

ومن الناس من يزعم أن المطلع والمقطع أول القصيدة وآخرها ، وليس ذلك

بشيء ؛ لأننا نجد في كلام جهابذة النقاد إذا وصفوا قصيدة قالوا : حسنة المقاطع ، جيدة المطالع ، ولا يقولون المقطع والمطلع ، وفي هذا دليل واضح ؛ لأن القصيدة إنما لها أول واحد ، وآخر واحد ، ولا يكون لها أوائل وأواخر ، إلا على ما قدمت من ذكر الأبيات والأقسام وانتهائها .

وسألت الشيخ أبا عبد الله محمد بن إبراهيم بن السمين عن هذا ، فقال : المقاطع أواخر الأبيات ، والمطالع أوائلها ، قال : ومعنى قولهم « حسن المقاطع جيد المطالع » أن يكون مقطع البيت — وهو القافية — متمكناً غير قلق ولا متعلق بغيره ، فهذا هو حسنه ، والمطلع — وهو أول البيت — جودته أن يكون دالا على ما بعده كالتصدير وما شا كله .

وروي^(١) الجاحظ أن شبيب بن شيبّة كان يقول : الناس موكلون بتفضيل جودة الابتداء ومدح صاحبه ، وأنا موكل بتفضيل جودة المقطع ومدح صاحبه ، وحظ جودة القافية — وإن كانت كلمة واحدة — أرفع من حظ سائر البيت أو القصيدة^(٢) ، وحكاية الجاحظ هذه تدل على أن المقطع آخر البيت أو القصيدة ، وهو بالبيت أليق ؛ لذكر حظ القافية .

وحكى أيضاً عن صديق له أنه قال للعتّابي : ما البلاغة ؟ فقال : كل كلام أفهمك صاحبه حاجته من غير إعادة ولا حُبسة ولا استعانة فهو بليغ ، قال : قلت : قد عرفت الإعادة والحُبسة ، وما الاستعانة ؟ قال : أما تراه إذا تحدث قال عند مقاطع كلامه : يا هَنَاهُ اسمع مني ، واستمع إلي ، وافهم ، وألست تفهم ؟ هذا كله عيّ وفساد .

قال صاحب الكتاب : وهذا القول من العتّابي يدل على أن المقاطع أواخر الفصول . ومثله ما حكاه الجاحظ أيضاً عن المأمون أنه قال لسعيد

(١) انظر البيان والتبيين (ج ١ ص ١٠٦) .

(٢) هذه الكلمة غير موجودة في نسخة البيان والتبيين .

أبن سلم^(١) والله إنك لتصنئ حديثي ، وتقف عند مقاطع كلامي .

وإذا جعل المقطع والمطلع مصدرين بمعنى القطع والطلوع كانت الطاء واللام مفتوحتين ، وإذا أريد موضع القطع والطلوع كسرت اللام خاصة ، وهو مسموع على غير قياس .

(٣٠) - باب المبدأ ، والخروج ، والنهاية

قيل لبعض الخذاق بصناعة الشعر : لقد طار اسمك واشتهر ، فقال : لأنني أقللت^(٢) الحز ، وطبقت المَفْصِلَ ، وأصبت مقاتل الكلام ، وقرطست نكت الأغراض بحسن الفوائح والخواتم ولطف الخروج إلى المدح والهجاء ، وقد صدق ، لأن حسن الافتتاح داعية الانشراح ، ومطية النجاح ، ولطافة الخروج إلى المديح ، سبب ارتياح الممدوح ، وخاتمة الكلام أبقى في السمع ، وألصق بالنفس ؛ لقرب العهد بها ؛ فإن حسنت حسن ، وإن قبحت قبح ، والأعمال بخواتيمها ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) في المصريتين « سعيد بن أسلم » وكتب بحواشيها « وفي نسخة سعيد ابن مسلم » ، والصواب ما أثبتناه ، وسعيد بن سلم : هو سعيد بن سلم بن قتيبة ابن سلم الباهلي ، وكان من أمراء الدولة العباسية ، وقدولى أرمينية والموصل والسند وطبرستان وسجستان والجزيرة . وذكره الجاحظ في البيان والتبيين كثيرا ، وروى الجاحظ هذه العبارة هكذا « والله إنك لتستغنى حديثي ، وتقف عند مقاطع كلامي ، وتجبر عنه بما كنت قد أغفلته » انظر (ج ٢ ص ٣٠) وأبو سلم قدولى إمرة البصرة ليزيد بن عمر بن هبيرة في أيام مروان الحمار ، ثم وليها مرة أخرى في أيام أبي جعفر المنصور ، وتوفي سنة ١٤٩ هـ . وتوفي ابنه سعيد في سنة ٢٠٩ هـ .

(٢) كذا في المصريتين ، وفي التونسية « أجدت الحز » وأظنه « أصبت الحز »

وبعد ، فإن الشعر قُلُّ أوله مفتاحه ، وينبغي للشاعر أن يجوّد ابتداء شعره ؛ فإنه أول ما يقرعُ السمع ، وبه يستدل على ما عنده من أول وهلة ، وليجتنب « ألا » و « خليلي » و « قد » فلا يستكثر منها في ابتدائه ؛ فإنها من علامات الضعف والتكلان ، إلا للقدماء الذين جرّوا على عرق ، وعملوا على شاكلة ، وليجعله حلواً سهلاً ، وفخاً جزلاً ، فقد اختار الناس كثيراً من الابتداءات أذكر منها ههنا ما أمكن ليستدل به ، نحو قول امرئ القيس :

مختار من
المطالع الجيدة

* قَفَانِيكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ *^(١)

وهو عندهم أفضل ابتداء صنعه شاعر ؛ لأنه وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل في مصراع واحد ، وقوله :

* أَلَا عِمَّ صَبَاحًا أَيُّهَا الطَّلُّ الْبَالِي *^(٢)

ومثله قول القطامي - واسمه عمير بن شليم التغلبي - :

* إِنَّا مُحْيِيُونَكَ فَاسْلَمْ أَيُّهَا الطَّلُّ *^(٣)

وكقول النابغة :

كَلِّبْنِي لِهَمٍّ يَا أُمَيَّةُ نَاصِبٍ وَلَيْلٍ أَقَاسِيهِ بَطِيءِ الْكَوَاكِبِ

وقوله :

كَتَمْتُكَ لَيْلًا بِالْجُومَيْنِ سَاهِرًا وَهَمَّيْنِ هَمًّا مُسْتَكْنًا وَظَاهِرًا

-
- (١) هذا مطلع معلقته ، وعجزة * بسقط اللوى بين الدخول فحول *
وقد نسب بعض أهل العلم مدح هذا للبدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم .
(٢) تمامه * وهل يعمن من كان في العصر الحالى *
(٣) تمامه * وإن بليت وإن طالت بك الطيل *

هذا بعض ما اختير للقدمات .. وما اختير لهم في الرثاء قول أوس بن حجر :
أيتها النفسُ أجلي جزعا إن الذي تحذرين قد وقعا
وما اختير للمحدثين قول بشار بن برد :

* أبى طلل بالجزع أن يتكلما^(١) *

وهو عندهم أفضل ابتداء صنعه محدث ، وقول أبي نواس :
لمن دمن تزداد طيب نسيم على طول ما أقوت وحسن رسوم
وقوله :

رسم الكرى بين الجفون محيل عني عليه بكى عليك طويل
وقوله :

أعطتكَ ريمحانها العقار وحن من ليلنا انسفار
وقوله :

دع عنك لومي فإنَّ اللومَ إغراء ودأوني بالتي كانت هي الداء
وما أشبه ذلك مما لو تفحصيته لطلال وكثر ..

بين دعبل
وديك الجن

وليرغب عن التعقيد في الابتداء ؛ فإنه أول العي ، ودليل الفهمة ، فقد حكى
أن دعبل بن علي الخزاعي ورد حمص فقصده دار عبد السلام ابن رغبان ديك
الجن ، فكتم نفسه عنه خوفاً من قوارصه ومشارته ، فقال : ماله يستتر وهو أشعر
الجن والإنس ؟ أليس هو الذي يقول ؟ :

(١) تمامه * وماذا عليه لو أجاب متبياً * وبعده :

وبالقاع آثار بقين ، وباللوى ملاعب لا يعرفن إلا توها
وانظر الأغاني (ج ٣ ص ١٤٨) طبعة دار المكتبة المصرية .

بها غَيْرَ مَعْدُولٍ^(١) فَدَاوِ خُهَا وَصِلْ بِعَشِيَّاتِ الْغُبُوقِ ابْتِكَارَهَا
وَنَلْ مِنْ عَظِيمِ الرَّدْفِ كُلِّ عَظِيمَةٍ إِذَا ذُكِرَتْ خَافَ الْحَفِظَانِ نَارَهَا
فَظَهَرَ إِلَيْهِ ، وَاعْتَذَرَ لَهُ ، وَأَحْسَنَ نَزْلَهُ ، ثُمَّ تَنَاشَدَا فَأَشَدَّ دِيكَ الْجَنِّ ابْتِدَاءَ
قَصِيدَةٍ :

كَأَنَّهَا مَا كَانَهُ خَلَلُ الْخَلَّةِ وَقَفَّ الْمَلُوكُ إِذْ بَغَمًا^(٢)
فَقَالَ لَهُ دَعْبِلُ : أُمْسِكْ ، فَوَاللَّهِ مَا ظَنَنْتُكَ تَتِمُّ الْبَيْتَ إِلَّا وَقَدْ غَشَى عَلَيْكَ ،
أَوْ تَشَكَّيْتُ فَكَيْكَ ، وَلَكَأَنَّكَ فِي جَهَنَّمَ تَخَاطَبُ الزَّبَانِيَّةَ ، أَوْ قَدْ تَخَبَّطَكَ
الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ الدِّيكُ أَنْ يَهْوَلَ عَلَيْهِ ، وَيَقْرَعَ سَمْعَهُ ، عَسَى أَنْ
يَرُوعَهُ وَيَرُدَّعَهُ ، فَسَمِعَ مِنْهُ مَا كَرِهَ أَنْ يَسْمَعَهُ ، وَلَعَمْرِي مَا ظَلَمَهُ دَعْبِلُ ، وَلَقَدْ أَبْعَدَ
مَسَافَةَ الْكَلَامِ ، وَخَالَفَ الْعَادَةَ ، وَهَذَا بَيْتٌ قَبِيحٌ مِنْ جِهَاتٍ : مِنْهَا إِضْمَارُ مَا لَمْ
يَذْكَرْ قَبْلُ ، وَلَا جَرَتْ الْعَادَةُ بِمِثْلِهِ فَيَعْذَرُ ، وَلَا كَثُرَ اسْتِعْمَالُهُ فَيَشْتَهَرُ ، مَعَ إِحَالَةِ
تَشْبِيهِهِ عَلَى تَشْبِيهِهِ ، وَثَقُلَ تَجَانُّسُهُ الَّذِي هُوَ حُشْوُ فَاغِرٍ ، وَلَوْ طَرَحَ مِنَ الْبَيْتِ لَكَانَ
أَحْزَمَ ، وَاسْتَدْعَى قَافِيَتَهُ لِأَشْيَاءٍ إِلَّا لِفْسَادِ الْمَعْنَى وَاسْتِحَالَةِ التَّشْبِيهِ ، مَا الَّذِي يَرِيدُ
بِـ « بَغَمًا » فِي تَشْبِيهِهِ الْوَقْفَ - وَهُوَ السَّوَارُ - وَلَمْ يَكُنْ وَقَفَّ الْمَلُوكُ خَاصَّةً ؟
وَمَعْنَى الْبَيْتِ أَنَّ عَشِيقَتَهُ كَأَنَّهَا فِي جِيدِهَا وَعَيْنِهَا الْغُرَالُ الَّتِي كَأَنَّهَا بَيْنَ نَبَاتِ الْخَلَّةِ
سَوَارُ الْجَارِيَةِ الْحَسَنَةِ الْمَشَى الْمَتَهَالِكَةِ فِيهِ - وَقِيلَ : الْمَلُوكُ الْبَغِيُّ الْفَاجِرَةُ - فَمَا
هَذَا كُلُّهُ ؟ وَأَيُّ شَيْءٍ تَحْتَهُ ؟ .

ومثله قول محمد بن عبد الملك الزيات يصف ناقته أول قصيدة مدح بها الحسن
أبن سهل :

(١) في المصريتين * بها غير معلول . . . *
(٢) حل ألغاظه هكذا : كأنها التي كأنه في حال وجوده خلل الخلّة وقت
بغامه وقف الملوك ، وهو شيء في غاية الثقل .

كأنها - بين تناءى خطوها - أخنس مطوي الشوى يرعى القلل
 فالعيب الأول فى مخالفة العادة لازم له ، ومع ذلك قوله « حين تناءى
 خطوها » مقصر بها ، وهو يقدر أن يقول « حين تدانى خطوها » وخالف جميع
 الشعراء بذلك ؛ لأنهم إنما يصفون الناقة بالظليم والجمار والثور بعد السكّال غلوا
 فى الوصف ومبالغة ، هذا هو الجيد ، فإن لم يفعلوا لم يذكروا أنها بذلت جهدها ،
 واستفرغت جميع ما عندها ، بل يدعون التأويل محتملا للزيادة ، ثم قال « يرعى
 القلل » والثور لا يرعى قلل الجبال ، وإنما ذلك الوعل ؛ فإنه لا يسهل ، والثور
 فى السهول والدماث ومواضع الرمال ، إلا أن يريد قلل النبات [أى] أعاليه ،
 فربما أن تكون القلل نبتا بعينه أو مكانا فقد يمكن ، وما سمعت بهما .

ومن الشعراء من يقطع المصراع الثانى من الأول إذا ابتدأ شعراً ، من عيوب
المطالع
 وأكثر ما يقع ذلك فى النسيب ، كأنه يدل بذلك على ولّة وشدة حال ، كقول
 أبى الطيب :

جَلَلًا كما بِي فَلَيْكَ التَّبْرِيحُ أَغْذَاهُ ذَا الرِّشَاءِ الْأَغْنُ الشَّيْحُ ؟

فهذا اعتذار من اعتذر له ، ولو وقع مثل هذا فى الرثاء والتفجع لكان موضعه
 أيضاً ، وكذلك عند العظام من الأمور والنوازل الشديدة .

وليحترس مما تناله فيه بادرة ، أو يقع عليه مطعن ؛ فإن أبا تمام امتدح أبا دُفّ
 بحضرة من كان يكرهه ، فافتتح ينشد قصيدته المشهورة :

* عَلَى مِثْلِهَا مِنْ أَرْبُعٍ وَمَلَأَ عَيْبٍ ^(١) *

وكانت فيه حبسة شديدة فقال الرجل : « لعنة الله والملائكة والناس
 أجمعين » فدهش أبو تمام حتى تبين ذلك عليه ، على أنه غير مأخوذ بما قيل ،

ولا هو مما يُدْخِلُ عليه عيباً ، ولا يلزمه ذنباً على الحقيقة ، إلا أن الحوطة والتحفظ
من خجلة البادرة أفضل وأهيب ، والتفريط أرذل وأخذل .
مأخذ على جرير ودخل جرير على عبد الملك بن مروان فابتدأ ينشده :
* أَتَضَحُّوْا أَمْ فُوَادُكْ غَيْرُ صَاحٍ ^(١) *

فقال له عبد الملك : « بل فؤادك يا بن الفاعلة » كأنه استنقل هذه المواجهة
وإلا فقد علم أن الشاعر إنما خاطب نفسه .

مأخذ على المتنبي ومن هذه الجهة بعينها عابوا على أبي الطيب قوله لسكفور أول لقائه مبتدئاً ،
وإن كان إنما يخاطب نفسه لا كافوراً :

كفى بك داء أن ترى الموت شافياً وحسبُ المنايا أن يَكُنَّ أمانياً
فالعيب من باب التأدب للملوك ، وحسن السياسة لازم لأبي الطيب في هذا
الابتداء ، لا سيما وهذا النوع - أعني جودة الابتداء - من أجل محاسن أبي
الطيب ، وأشرف ما أثر شعره إذا ذكر الشعر .

مأخذ على ودخل ذو الرمة على عبد الملك بن مروان ، فاستنشدته شيئاً من شعره ، فأنشده
ذى الرمة قصيدته :

ما بال عينك منها الماء ينسكب ^(٢)

وكانت بعين عبد الملك ريشة ، وهى تَدَمَعُ أبدأ ، فتوهم أنه خاطبه أو عرض
به ، فقال : وما سؤالك عن هذا يا جاهل ؟ !! ففخته وأمر بإخراجه .

مأخذ على وكذلك فعل ابنه هشام بأبي النجم وقد أنشده في أرجوزة :
أبي النجم والشمسُ قد كادت ولماً تَفْعَلِ كأنها في الأفقِ عَيْنُ الأَحْوَلِ
وكان هشامُ أَحْوَلَ ، فأمر به فحجب عنه مدة ، وقد كان قبل ذلك من
خاصته : يسمر عنده ، ويمارحه .

سبب وقوع وإنما يؤتى الشاعر في هذه الأشياء ؛ إما من غفلة في الطبع وغلط ، أو من
الشاعر فيه

(١) تتمته * عشية هم صجبك بالرواح *

(٢) تتمته * كأنه من كل مفرية سرب *

استغراق في الصنعة وشغل هاجس بالعمل يذهب مع حسن القول ابن ذهب .
والفطن الحاذق يختار للأوقات ما يشاء كلها ، وينظر في أحوال المخاطبين ؛ فيقصد
مَحَابَّتَهُمْ ، ويميل إلى شهواتهم وإن خالفت شهوته ، ويتفقد ما يكرهون سماعه
فيجتنب ذكره . . ألا ترى أن بعض الملوك قال لأحد الشعراء وقد أورد بيتاً
ذكر فيه « لو خلد أحد بكرم لكنت مخلداً بكرمك » وقال كلاماً نحو هذا ،
فقال الملك : إن الموت حق ، وإن لنا منه نصيباً ، غير أن الملوك تكبره ذكر
ما ينسكد عيشها ، وينغص لذتها ، فلا تأتينا بشيء مما نكره ذكره . .

ومن المشهور أن النعمان بن المنذر رأى شجرة ظليلة ملتفة الأغصان ، في مرج
حسن كثير الشقائق ، وكان مُعْجَباً بها ، وإليه أضيفت « شقائق النعمان » فنزل وأمر
بالطعام والشراب فأحضر ، وجلس للذته ، فقال له عدى بن زيد العبادي وكان كاتبه :
أتعرف أبيت اللعن ما تقول هذه الشجرة ؟ فقال : وما تقول ؟ قال : تقول :

رُبَّ رَكْبٍ قَدْ أَنَاخُوا حَوْلَنَا يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ بِالمَاءِ الزُّلَالِ
عَطَفَ الدَّهْرُ عَلَيْهِمْ فَتَوَّأُوا وَكَذَلِكَ الدَّهْرُ حَالٌ بَعْدَ حَالٍ ^(١)
مَنْ رَأَانَا فَلْيُؤْطِنْ نَفْسَهُ إِنَّمَا الدُّنْيَا عَلَى قَرَبٍ زَوَالٍ ^(٢)

كأنه قصد موعظته ، فتنغص عليه ما كان فيه ، وأمر بالطعام والشراب فرفعا
من بين يديه ، وارتحل من قَوْرِهِ ، ولم ينتفع بنفسه بقية يومه وليلته ، وكانا جميعاً ^(٣)
نصرانيين ؛ فهذا شأن الملوك قديماً وحديثاً .

(١) يروى صدره * عصف الدهر بهم فانقرضوا * وفي التونسية

* عكف الدهر عليهم فتووا * وفي المصريتين * ... فتووا * بالمثلثة

(٢) في المصريتين « فرط زوال » وفي التونسية « قرني زوال » ولكن

المعروف في الرواية « قرب زوال » كما أثبتناه ، ويرى أيضاً « قرن زوال » .

(٣) يقول بعض الناس : إن النعمان كان إلى ذلك العهد وثنياً ، وإنه تنصر على

يدى عدى بن زيد بعد هذه الموعظة وأشباهها ، ويحيكون مع هذا قصصاً وروايات
كثيرة .

من دعاء الشعراء للملوك
ومن هذه الجهة أكثر الناس من الدعاء لهم بطول العمر ، حتى بلغوا بهم
مالا يمكن ، فقالوا : عش أبداً ، وأسلم مدى الدهر ، وأبق نقاء الزمان ، ودم مدة
الأيام .

واعترض النقاد في ذلك واختلفوا بحسب ما يستحل كل واحد منهم في قول
أبي نواس للأمين :

يا أمين الله عِشْ أبدا دُمْ عَلَى الْأَيَّامِ وَالزَّمَنِ
أَنْتَ تَبْقَى وَالْفَنَاءُ لَنَا فَإِذَا أَفْنَيْتَنَا فَكُنْ

وفي كثير من مثله . وإذا خرج الكلام عن حد الإمكان فإنما يراد به بلوغ
الغاية لا غير ذلك .

من إساءات أبي نواس
ومن قبيح ما وقع لأبي نواس الذي أساء فيه أدبه ، وخالف فيه مذهبه ؛ أن
بعض بني بَرَمَكِ بْنِ دَاراً استفرغ فيها مجهوده ، وانتقل إليها ، فصنع أبو نواس
في ذلك الحين أو قريباً منه قصيدة يمدحها بها يقول أولها :

أَرْبُعَ الْبَلَى ، إِنْ الْخُشُوعَ لِبَادِ عَلَيَّكَ ، وَإِنِّي لَمْ أَخُنْكَ وَدَادِي
وختمها أو كاد بقوله :

سلامٌ عَلَى الدُّنْيَا إِذَا مَا فَقَدْتُمْ بَنِي بَرَمَكٍ مِنْ رَأْمَيْنِ وَغَادِي

فتطير منها البرمكى ، واشمأز حتى كالح وظهرت الوجعة عليه ، ثم قال :
حيث إلينا أنفسنا يا أبا نواس ، فما كانت إلا مُدَيِّدَةً حتى أوقع بهم الرشيد
وصحت الطيرة . . وزعم قوم أن أبا نواس قصد التشاؤم لهم لشيء كان في نفسه
من جعفر ، ولا أظن ذلك صحيحاً ؛ لأن القصيدة من جيد شعره الذي
لا أشك أنه يحتفل له ، اللهم إلا أن يصنع ذلك حيلة منه ، وسُتِراً على ما قصد
إليه بذلك .

وللشعراء مذاهب في افتتاح القصائد بالنسيب ؛ لما فيه من عطف القلوب ، مذهب الشعراء واستدعاء القبول بحسب مافي الطباع من حب الغزل ، والميل إلى اللهو والنساء ، في الافتتاح وإن ذلك استدراج إلى ما بعده .

ومقاصد الناس تختلف : فطريق أهل البادية ذكر الرحيل والانتقال ، وتوقع البين ، والإشفاق منه ، وصفة الطلول والحول ، والنشوق بحنين الإبل ولمع البروق ومر النسيم ، وذكر المياه التي يلتقون عليها والرياض التي يهللون بها من خزامى ، وأقحوان ، وبهار ، وحنوة ، وظيان ، وعرار ، وما أشبهها من زهر البرية الذي تعرفه العرب . وتنبتة الصحارى والجبال وما يلوح لهم من النيران في الناحية التي بها أحبابهم ، ولا يعدون النساء إذا تغزلوا ونسبوا ، فإن وقع مثل قول طرفة :
وفي الحى أخوى ينقصُ الرُدْشَادِنْ مَظَاهِرُ سَمَطِيْ لُؤْأَوْرَ بَرْجَدِ
فإنما هو كناية بالغزل عن المرأة .

وأهل الحاضرة يأتى أكثر تغزلهم في ذكر الصدود ، والهجران ، والواشين ، والرقباء ، ومنعة الحرّس والأبواب ، وفي ذكر الشراب والندامى ، والورد والنسرين والنيلوفر ، وما شاكل ذلك من النواير البلدية ، والياحين البستانية ، وفي تشبيه التفاح والتحية به ، ودس الكتب ، وما شاكل ذلك مما هم به منفردون . وقد ذكروا الغلمان تصرّيحاً ، ويذكرون النساء أيضاً : منهم من سلك في ذلك مسلك الشعراء اقتداء بهم ، وأتباعاً لما ألفته طباع الناس معهم ، كما يذكر أحدهم الإبل ، ويصف المفاوز على العادة المعتادة ، وأعله لم يركب جملاً قط ، ولا رأى ما وراء الجبابة ، ومنهم من يكون قوله في النساء اعتقاداً منه ، وإن ذكر جرياً على عادة المحدثين ، وسلكوا لطريقتهم ؛ لئلا يخرج عن سلك أصحابه ، ويدخل في غير سلكه وبابه ، أو كناية بالشخص عن الشخص لرقته ، أوجب رشاقتة . وهذا مما لا يطلب عليه شاهد لكثرتة ، إلا أنى أتلح في هذا المكان بقول أبى نواس :

على عين وأذن من مذكرة موصولة بهوى اللوطى والغزل
 كلاهما نحوها سام بهمتيه على اختلافهما فى موضع العمل
 والعادة أن يذكر الشاعر ما قطع من المفاوز ، وما أنفى من الركائب ،
 وما تجشم من هول الليل وسهره ، وطول النهار وهجيره ، وقلة الماء وغوره ، ثم
 يخرج إلى مدح المقصود ؛ ليوجب عليه حق القصد ، وذمّ القاصد ، ويستحق
 منه المكافأة .

يذكر الشاعر
 المفاوز والركاب
 قبل المدح

وكانوا قديماً أصحاب خيام : ينتقلون من موضع إلى آخر ؛ فذلك أول
 ما تبدأ أشعارهم بذكر الديار ، فتلك ديارهم ، وليست كأبنية الحاضرة ؛ فلأ معنى
 لذكر الحضرى الديار إلا مجازاً ؛ لأن الحاضرة لا تنسفها الرياح ، ولا يمحوها
 المطر ، إلا أن يكون ذلك بعد زمان طويل لا يمكن أن يعيشه أحد من أهل
 الجيل ، وأحسن ما استعمله المولدون المحدثون ما ناسب قول على بن العباس
 الرومى :

سقى الله قَصْرًا بِالرَّصَافَةِ شَاقِنِي بِأَعْلَاهُ قَصْرِي الدَّلَالِ رِصَافِي^(١)
 أَشَارَ بِقُتْنِيَانٍ مِنَ الدَّرِّ قَمْعَتَ يَوَاقِيتَ مُهْرًا فَاسْتَبَاحَ عَقَافِي

وكانت دوابهم الإبل لكثرتها ، وعدم غيرها ، ولصبرها على التعب وقلة
 الماء والعلف ، فلهذا أيضاً خصوها بالذكر دون غيرها ، ولم يكن أحدهم يرضى
 بالكذب فيصف ما ليس عنده كما يفعل المحدثون ؛ ألا ترى أن أمراً القيس لما
 كان ملكاً كيف ذكر خيل البريد والفرائق - يعنى البريد - على أنه لم
 يستغن عن ذكر الإبل للعادة التى جرت على ألسنتهم ، فقال يصف رحيله إلى
 قيصر ملك الروم :

(١) هكذا فى التونسية ، وفى المصريتين « قصرى الديار » .

إذا قلت رَوْحَنَا أَرَنَّ فَرَانِقَ^(١) على جلعدٍ واهى الأباجل أبترا^(٢)
 على كل مقصوص الذَّنَابِي معاودٍ بريد السرى بالليل من خيل برِّ برِّا^(٣)
 إذا زُعْتُهُ مِنْ جَانِبَيْهِ كَلِيهَما مَشَى الْمَيْدَبَى فِي دَفِهِ ثُمَّ فَرَفَرَا^(٤)
 أَقْبَ كَسِرْحَانَ الْغَضَا مُتَمَطِّرٍ ترى الماءَ من أعطافه قد تحدرأ^(٥)

وكانت الخيل البربرية تهلب أذنانها كالبنغال ؛ لتدخل مداخلها في خدمة
 البريد ، وليعلم أنها للعلك . وقال الفرزدق :

راحت بمسلة البغال عَشِيَّةً فَارَعَى فَزَارَةُ لَاهَنَّاكَ الْمَرْتَعُ

لما كان الذي راحت به البغال أميراً يذكر رحيله وقد عُزِلَ
 وقال ابن ميادة في ابن هبيرة لما كان أميراً أيضاً :

(١) روحنا : أرحنا من تعب السير . أرن : أعلن بالصياح . فرانق — بوزان
 علابط — الأسد وهو معرب ، قاله الوزير أبو بكر . جلعد : غليظ قوى . الأباجل :
 جمع أبجل ، وهو عرق الأكل . أبترا : محذوف الذنب ، وكذلك خيل البريد .
 (٢) الذنابي : الذنب ، وخيل البريد من علاماتها حذف أذنانها كما قلنا ، وبريد
 السرى : معمول لمعاود فهي بالنصب ، وذكر أبو بكر فيه رواية بالجر ، على أنه
 نعت لما قبله . وخص خيل بربر لأنها عندهم أصلب الخيل ، قال أبو بكر : وبربر :
 قبيلة .

(٣) زعته : حذبه باللجام ، وفي المصريتين « زعته » بالراء مهملة ، وهو
 تحريف ، والميدبي — بالبدال المهملة وبالذال المعجمة — من الإهذاب وهو سرعة السير
 ورواه ابن دريد « المهربدى » وهو مشى في تبختر ، والذف : الجنب ، وورفر :
 نقص رأسه ، ومنهم من يرويه « قرفر » بقافين .

(٤) أقب : ضامر . السرحان : الذئب ، والغضا : شجر ، وذئابه أخبت الذئاب
 متمطر : سباق ، الماء : أراد به العرق ، وكفى بذلك عن أنه يجهد .

جاءت به مُعْتَجِرًا يَبْزِدُهُ سفواءُ تردى بنسيجٍ وحده

تقدحُ قيسٌ كُلُّها بَزْنِدِهِ

إلا أن مهم من خالف هذا كله فوصف أنه قصد الممدوح راجلاً : إما
إخباراً بالصدق ، وإما تعاطيً صعلكةً ورجلة . .
قال أبو نواس للفضل بن يحيى بن خالد :

إليك أبا العباس من بين من مشى عليها امتطينا الخُضْرَمِيَّ الْمَسْنَا

قلائصُ لم تعرف حنيناً على طَلَا^(١) ولم تدر ما قرعُ القَنِيْقِ ولا الهِنَا

فذكر أن قلائصهم التي امتطوها إليه نعالهم ، فأخرجه كما ترى مخرج اللغز،
وأتبعه أبو الطيب فقال :

لا ناقتي تحمل الرديف ، وَلَا بالسَّوْطِ يوم الرِّهَانِ أَجْهَدُهَا

شراً كَهْمَا كُورُهَا ، وَمِنْفَرُّهَا زِمَامُهَا ، وَالشُّسُوعِ مِقْوَدُهَا

وقال كَرَّةً أُخْرَى في مثل ذلك يتشكى :

وَحُبَيْتُ مِنْ خُوصِ الرِّكَابِ بِأَسْوَدٍ مِنْ دَارِشٍ فَعَدَوْتُ أَمْشِي رَاكِبًا^(٢)

وقال أيضاً يتصعلك ويتفقر :

وَمَهْمَةٌ جُبْتُهُ عَلَى قَدَمِي تَعْجِزُ عَنْهُ الْعَرَامِسُ الدُّلُّ

(١) في الديوان * لم تسقط جنينا من الوجى * والمخفوظ * لم تعرف
حنيناً إلى طلال *

(٢) البيت من قصيدة له يمدح فيها طي بن منصور الحاجب (ج ١ ص ٨٨)
والخوص : جمع خوصاء ، وهي الناقة الفائرة العينين من الإعياء . والركاب : الإبل
والدارش : ضرب من السختيان ، وهو جلد أسود ، يقول : أعطيت بدلا من النياق
الخوص جلدا أسود - وهو الخف - فأنا راكب ماش .

بَصَارِمِي مُرْتَدٍ ، بِمَخْبَرَتِي مُجْتَزِيٍّ ، بِالظَّلَامِ مُشْتَمِلٌ^(١)
 ولو شاء قائل أن يقول : إن أبا نواس لم يرد ما ذهب إليه أبو الطيب ،
 لكن أراد أنه معه في بلدة واحدة قصده في حاجته محتذياً نعليه ؛ لكان ذلك
 أظهر وجهاً ، ما لم يكن الحضرمي من الجلود مخصوصاً به المسافر دون الحاضر ،
 وظاهر الكلام أن مقصد الشاعرين واحد .

وقد ذكر أبو الطيب الخليل أيضاً في كثير من شعره ، وكان يؤثرها على
 الإبل ؛ لما يقوم في نفسه من التهيّب بذكر الخليل ، وتعاطى الشعاعة ، فقال^(٢)
 المتنبي يذكر
 الخليل بدل
 الإبل
 يذكر قدومه إلى مصر على خوف من سيف الدولة :

وَبِوَيْمِ كَلِيلِ الْعَاشِقِينَ كَمَنْتُهُ أَرَأَيْتَ فِيهِ الشَّمْسُ أَيَّانَ تَغْرُبُ
 وَعَجَبَنِي إِلَى أُذُنِي أَغْرَ كَأَنَّهُ مِنَ اللَّيْلِ بَاقٍ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَوْكَبُ
 لَهُ فَضْلَةٌ عَنْ جِسْمِهِ فِي إِهَابِهِ تَجِيءُ عَلَى صَدْرٍ رَحِيبٍ وَتَذْهَبُ
 شَقَقْتُ بِهِ الظُّلُمَاءَ أُذُنِي عِفَانَهُ فَيَطْفِئُ ، وَأَرْخِيهِ مِرَاراً فَيَلْمَبُ
 وَأُصْرِعُ أَيَّ الْوَحْشِ قَفَيْتُهُ بِهِ وَأَنْزِلُ عَنْهُ مِثْلَهُ حِينَ أَرْكَبُ
 وَمَا الْخَلِيلُ إِلَّا كَالصَّدِيقِ قَلِيلُهُ وَإِنْ كَثُرَتْ فِي عَيْنٍ مَنْ لَا يُجَرِّبُ
 إِذَا لَمْ تَشَاهِدْ غَيْرَ حُسْنِ شَيَاتِمِهَا وَأَعْضَائِهَا فَالْحُسْنُ عَنْكَ مُقْتَبُ

(١) البيتان من قصيدة يمدح فيها بدر بن عمار (ج ٢ ص ١٥٠) والمهمه :
 الفلاة . جفته : قطعه وسرت فيه . العرامس : النوق الصلاب الشديدة . القدال :
 المذلة بالعمل « بصارمي مرتد » متناً مؤخر وخبر مقدم « بمخبرتي مجتزي » :
 مثله أيضاً ، والمخبرة - بالحاء معجمة - المعرفة . يقول : قد قطعت هذا للكان
 الفقير وأنا متقلد سيفي مكتف بعلى وخبرتي فلم أحتج إلى دليل .

(٢) انظر الديوان (ج ١ ص ١٢٤) .

وليس في زماننا هذا ولا من شرط بلدنا خاصة شيء من هذا كله ، إلا ما [لا] يعد قلة ؛ فالواجب اجتنابه ، إلا ما كان حقيقة ، لا سيما إذا كان المادح من سكان بلد المدوح : يراه في أكثر أوقاته ، فما أقبح ذكر الناقة والفلاة حينئذ ! .

من شعر
مؤلف
الكتاب
وقد قلت أنا - وإن لم أدخل في جملة من تقدم ، ولا بلغت خطته - من قصيدة
اعتذرت بها إلى مولانا خلا الله أيامه من طول غيبة غبتها عن الديوان :

إليك يُخاضُ البحرُ فَعَمَّا كَأَنه	بأواجه جيشٌ إلى البر زاحفُ
ويبعث خلف النجج كل منيفة	تريك يداها كيف تطوى التنايفُ
من الموجفات اللأ يقذفن بالحصى	ويرمى بهن المهمة المتقاذفُ
يطير اللغام الجفد عنها كَأَنه	من القطن أو ثلج الشتاء ندائفُ ^(١)
وقد نازعت فضل الزمام ابن نكبة	هو السيف لاما أخلصته المشارفُ
فكيف تراني لو أعنت على الغنى	يحدّ ، وإني للغنى لمشارفُ
وقد قرب الله المسافة بيننا	وأجزنى الوعد الزمان السارفُ
ولولا شقائي لم أغيب عنك ساعة	ولا رام صر في عن جنابك صارفُ
ولكنني أخطأت رشدي فلم أصب	وقد يخطئ الرشداً الفتى وهو عارفُ

فذكرت قرب المسافة بيني وبينه حوطة وإخباراً أن خوض البحر وجوب
الفلاة من صفة غيرى من القصاد والغرباء والمنتجعين من الأمصار .

(١) اللغام : الزبد الذي يخرج من الجمل من فيه ، وقد لغم من باب منع . والندائف : جمع نديفة ، وهى القطعة من القطن تضرب بالندف ، وهى الحشبة التى يضرب بها الوتر ليرق القطن .

ومن قصيدة صنعتها بديهة بالمهدية ساعة وصولي إليه - أدام الله عزه - عن اقتراح بعض شعراء وقتنا هذا :

وذيال له رَجُلٌ طَحُونٌ لما نزلت به ، وَيَدُّ زَجْجُجُ
يَطِيرُ بِأَرْبَعٍ لَا عَيْبَ فِيهَا لظهران الصفا منها عَجِيجُ
خرجت به عن الأوهام سَبَقًا وَقَلَّ له عن الوهم الخُروجُ
إلى الملك المعز أبي تميم أمرُ بمن سواه فَلَأ عَجِجُ

ومن أخرى في معنى التفقر والرحلة :

وماء بعيد الغَوْرِ كالنجم في الدُّجَى وَرَدْتُ طَرُوقًا أو وَرَدْتُ مُهَجَّرًا^(١)
على قدم أخت الجناح وأخص يخال حمى المعزاء جمرًا مسعرا
فريد آمن الأصحاب صلتا من الكسا كما أسلم النعمدُ الحُسامَ المذكرا

ومن الشعراء مَنْ لا يجعل لكلامه بسطا من النسيب ، بل يهجم على ما يريده مكافئة ، ويتناوله مصافحة ، وذلك عندهم هو : الوئب ، والبتة ، والقطع ، والكسع ، والافتضاب ، كل ذلك يقال . . والقصيدة إذا كانت على تلك الحال من النسيب بتراء كالخطبة البتراء والقطعاء ، وهي التي لا يبتدأ فيها بحمد الله عز وجل على عادتهم في الخطب . قال أبو الطيب :

إِذَا كَانَ مَذْحُ فَالنَّسِيبُ الْمُتَقَدِّمُ أَكُلْتُ فَصِيحٍ قَالَ شِعْرًا مُتِّمٌ ؟
فأنكر النسيب ، وزعموا أن أول من فتح هذا الباب وفتح هذا المعنى أبو نواس بقوله :

لَا تَبْكُ لَيْلِي ، وَلَا تَطْرَبْ إِلَى هِنْدٍ وَاشْرَبْ عَلَى الْوَرْدِ مِنْ خَمْرَاءِ كَالْوَرْدِ

(١) الطرق - بفتح فسكون - ومثله الطروق - بضم الطاء والراء جميعاً - الإتيان بالليل ، والطروق - بفتح الطاء - الوصف منه . ومهجراً : اسم فاعل من هجر ، إذا أتى وقت الهجرة .

طريق أبي
نواس في
الابتداء

وقوله وهو عند الخاتمي فيما روى عن بعض أشياخه أفضل ابتداء صنعه شاعر
من القدماء والمحدثين :

صِفَةُ الطُّلُولِ بِلاغةُ الْقُدَمِ فَاجْعَلْ صِفَاتِكَ لَابِنَةَ الْكَرَمِ

ولما سجنه الخليفة على اشتهاره بالخر ، وأخذ عليه أن لا يذكرها في شعره قال :

أَعْرِشِيكَ الْأَطْلَالَ وَالْمَنْزِلَ الْقَفْرَا قَدَّ طَالَمَا أُرَى بِهِ نَفْتُكَ الْخُمْرَا
دَعَانِي إِلَى نَفْتِ الطُّلُولِ مُسَلِّطُ تَضَيِّقُ ذِرَاعِي أَنْ أُرَدَّ لَهُ أُمْرَا
فَسَمِعًا أَمِيرَ الْمُؤْمَنِينَ وَطَاعَةً وَإِنْ كُنْتَ قَدْ جَشِمْتَنِي مَرْكَبًا وَعَرَا

فجاءه بأن وصفه الأطلال والقفر إنما هو من خشية الإمام ، وإلا فهو عنده
فراغ وجهل ، وكان شعوى اللسان ، فما أدري ما وراء ذلك ، وإن في اللسان
وكثرة ولوعه بالشئ لشاهداً عدلاً لا ترد شهادته . وقد قال أبو تمام :

* لِسَانُ الْمَرْءِ مِنْ خَدَمِ الْفُؤَادِ * (١)

ومن عيوب هذا الباب أن يكون النسب كثيراً والمدح قليلاً ، كما يصنع
بعض أهل زماننا هذا ، وسنبين وجه الحكم والصواب من هذا في باب المدح إن
شاء الله تعالى .

من الشعراء
من لا يجيد
الابتداء

ومن الشعراء من لا يجيد الابتداء ، ولا يتكلف له ، ثم يجيد باقي القصيدة
وأكثرهم فعلاً لذلك البحتري : كان يصنع الابتداء سهلاً ، ويأتي به عفواً ،
وكلماته قوى كلامه ، وله من جيد الابتداءات كثير ؛ لكثرة شعره ،
والغالب عليه ما قدمت ، غير أن القاضي الجرجاني فضله بجودة الاستهلال -
وهو الابتداء - على أئى تمام وأبى الطيب ، وفضلهما عليه بالخروج والخاتمة ،
ولست أرى لذلك وجهاً ، إلا كثرة شعره كما قدمت ؛ فإنه لو حاسبهما ابتداء

(١) هذا عجز بيت من قصيدة له يمدح فيها أبا عبد الله أحمد بن أبي دؤاد ،
وصدره * ومما كانت الحكماء قالت * انظر الديوان (ص ٨٠) .

جيداً بابتداء مالأرْبِي عليهما وقصرا عن عذره . . فأما الخاتمي فإنه يغض من أبي عبادة غصاً شديداً ، ويجور عليه جوراً بيداً لا يقبل منه ولا يسلم إليه .

من ابتداءات
أبي تمام الجيدة

وكان أبو تمام فَخَمَ الابتداء ، له روعة ، وعليه أبهة ، كقوله :
الحَقُّ أَبْلَجُ ، وَالسَّيُوفُ عَوَارٍ فَحَذَّارٍ مِنْ أَسَدِ الْعَرَبِ حَذَّارٍ

وقوله :

السَّيْفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجُدِّ وَاللَّعِبِ

وقوله :

أَصْنَعِي إِلَى الْبَيْنِ مُغْتَرًّا فَلَا جَرَمًا^(١)

وقوله :

يَا رَبِّعُ لَوْ رَبَعُوا عَلَى ابْنِ هُمُومٍ^(٢)

والغالب عليه محت اللفظ . وجهارة الابتداء . .

وكان أبو القاسم الحسن بن بشر الأمدى يفضل ابتداءات البحترى جداً ، وهو الذي وضع كتاب الموازنة والترجيح بين الطائيين ، ونوه فيه بالبحترى أعظم تنويه . . ومن جيد ابتداءاته قوله :

من جيد
ابتداءات
البحترى

عَارَ ضَنْفًا أَصْلًا فَقُلْنَا الرَّبُّ حَتَّى أَضَاءَ الْأَفْحُوانُ الْأَشْنَبُ

وقوله :

مَا عَلَى الرَّكَبِ مِنْ وَقُوفِ الرَّكَّابِ فِي مَعَانِي الصَّبَا وَرَمَمِ التَّصَانِي ؟

(١) هذا مطلع قصيدة له يمدح فيها إسحاق بن إبراهيم المصمى ، وعجزه *

إن النوى أسارت في عقله لما * انظر الديوان (ص ٣٠١) .

(٢) وهذا صدر مطلع قصيدة له يمدح فيها إسحاق السابق ، وعجزه * مستسلم

لجوى الفراق سقيم * انظر الديوان (ص ٣٠٥) .

وقوله :

ضَمَانٌ عَلَى عَيْنَيْكَ أَنِّي لَا أُسْلُو ^(١)

وقوله :

تُرَى عِنْدَهُ عِلْمٌ بِشَجْوَى وَأَذْمِى وَأَنَّى مَتَى أَسْمَعُ بِذِكْرَاهُ أَجْزَعُ ؟
 وأما الخروج فهو عندهم شبيه بالاستطراد ، وليس به ؛ لأن الخروج إنما هو
 أن تخرج من نسيب إلى مدح أو غيره بلطف تحيل ، ثم تتأدى فيما خرجت إليه
 كقول حبيب في المدح :

الخروج
أمثله

صَبَّ الْفِرَاقُ عَلَيْنَا ، صَبَّ مِنْ كَتَبَ عَلَيْهِ إِسْحَاقُ يَوْمَ الرُّوعِ مُنْتَقِمًا
 سَيْفُ الْإِمَامِ الَّذِي تَمَّتْهُ هَيْبَتُهُ لَمَّا تَخَرَّمَ أَهْلُ الْأَرْضِ مُخْتَرِمًا ^(٢)
 ثم تتأدى في المدح إلى آخر القصيدة .

وكقول أبي عبادة البحتري :

سُقِّيتَ رَبَّاكَ بِكُلِّ نَوْءٍ عَاجِلٍ مِنْ وَبَلِهِ حَقًّا لَهَا مَقْلُومًا
 وَلَوْ أَنِّي أُعْطِيتُ فِيهِنَّ الْمُنَى لَسَقَّيْتُهُنَّ بِكَفِّ إِبْرَاهِيمَا ^(٣)

وأكثر الناس استعمالا لهذا الفن أبو الطيب ؛ فإنه ما يكاد يفلت له ، ولا
 يشذ عنه ، حتى ربما قبح سقوطه فيه ، نحو قوله :

هَافًا نَظَرِي أَوْ قَطَطِي بِي تَرَى حُرْقًا مَنْ لَمْ يَذُقْ طَرَفًا مِنْهَا فَقَدْ وَالَا

(١) هذا صدر مطلع قصيدة له يمدح فيها الفتح بن خاقان ، وعجزه :

* وَأَنْ فَوَادِي مِنْ جَوَى بَكَ لَا يَخْلُو * وَانْظُرْ دِيْوَانَهُ (ج ١ ص ٣٧ طبع الجوائب) .

(٢) في الديوان (ص ٣٠٢) * سمته همته تخرم أهل الشرك *

(٣) البيتان من قصيدة له يمدح فيها إبراهيم بن الحسن بن سهل ، انظر الديوان

(ج ١ ص ١٨٦) .

عَلَّ الْأَمِيرَ يَرَى ذُلِّي فَيَشْفَعُ إِلَى إِلَى الَّتِي تَرَكَتْنِي فِي الْهُوَى مَثَلًا^(١)
 فقد تمنى أن يكون له الأمير قواداً ، وليس هذا من قول أبي نواس :
 سأشكو إلى الفضل بن يحيى بن خالد هواناً ؛ لعل الفضل يجمع بيننا
 في شيء ؛ لأن أبا نواس قال « يجمع بينا » ثم أتبع ذلك ذكر المال والسخاء
 به ، فقال :

أَمِيرٌ رَأَيْتُ الْعَالَ فِي نَعْمَائِهِ مَهِينًا ذَلِيلَ النَّفْسِ بِالضَّيْمِ مُوقِنًا
 فكأنه أشار إلى أن جمعه بينهما بالمال خاصة : يُفْضِلُ عَلَيْهِ ، وَيُجْزِلُ عَطِيئَتِهِ ،
 فيتزوجها أو يتسرّى بها ، وأبو الطيب قال : « يشفع » والشفاعة رغبة وسؤال ،
 ثم أتبع بيته بما هو أقوى لمعناه في القيادة فقال :
 أَيْقَنْتُ أَنَّ سَعِيدًا طَالِبٌ بِدَحْيٍ لَمَّا بَصُرْتُ بِهِ بِالرُّمَحِ مُعْتَقَلًا^(٢)
 فدل على أنه يشفع ، فإن أجيب إلى مساعدة أبي الطيب فذاك ، وإلا رجع
 إلى القهر . .

والذى يشاكل قول أبي نواس قوله :

أَحَبُّ الَّتِي فِي الْبَدْرِ مِنْهَا مَشَابَهُ وَأَشْكُو إِلَى مَنْ لَا يُصَابُهُ شَكْلُ^(٣)
 فلفظة « الشكوى » تحمل عنه كما حملت عن أبي نواس
 وبما سقط فيه — وإن كان مليح الظاهر — قوله يخاطب امرأة نسب بها :

(١) ثلاثة الأبيات — هذان والذى سيذكره بعد عدة أسطر — من كلمة له يمدح فيها سعيد بن عبد الله بن الحسن السكلابي المنبجى ، وهى مما قاله فى صباه (انظر الديوان : ج ٢ ص ١٢٣) وها : حرف دال على التنبيه . ووأل : نجا
 (٢) البيت من قصيدة له يمدح فيها شجاع بن محمد الطائى المنبجى (الديوان : ج ٢ ص ١٣٣) .

لَوْ أَنَّ فَنَّا خُسْرَ صَبَحَكُمْ وَبَرَزْتَ وَحَدَكِ عَاقَةُ الْعَزَلِ^(١)
وَتَفَرَّقَتْ عَنْهُ كَتَائِبُهُ إِنَّ الْمِلَاحَ خَوَادِعُ قُتِلَ^(٢)
مَا كُنْتَ فَاعِلَةً وَضَيْفُكُمْ مَلِكُ الْمُلُوكِ وَشَأْنُكَ الْبَخْلُ
أَتَمْنَعِينَ قِرَى فَتَفْتَضِحِي أَمْ تَبْذُلِينَ لَهُ الَّذِي يَسَلُ
بَلَّ لَا يَحُلُّ بِحَيْثُ حَلَّ بِهِ بَخْلٌ وَلَا جَوْرٌ وَلَا وَجَلُ

فتم على فنا خسرو بأن الغزل يعوقه ، وأن كتائبه تفرق عنه ، وجعله يسأل هذه المرأة ، وتشكك هل تمنعه أم تبذل له ، ثم أوجب أن البخل لا يحل بحيث حل ؛ فأوقعه تحت الزنى أو قارب ذلك ، ولعل هذا كان اقتراحا من فنا خسرو ؛ وإلا فما يجب أن يقابل مَنْ هو ملك الملوك بمثل هذا ، وما أسرع ما انحط أبو الطيب : بينا هو يسأل الأمير أن يشفع له إلى عشيقته صار يشفع للأمير عندها . .

الاستطراد

والاستطراد : أن يبنى الشاعر كلاماً كثيراً على لفظة من غير ذلك النوع ، يقطع عليها الكلام ، وهي مراده دون جميع ما تقدم ، ويعود إلى كلامه الأول ، وكأما عثر بتلك اللفظة عن غير قصد ولا اعتقاد نية ، وجُلُّ ما يأتي تشبيهاً ، وسيرد عليك في بابهِ مبيناً إن شاء الله تعالى ..

التخلص

ومن الناس من يسمى الخروج تخلصاً وتوسلاً ، وينشدون أبياتاً منها :
إِذَا مَا اتَّقَى اللَّهَ الْفَقَى وَأَطَاعَهُ فَلَيْسَ بِهِ بِأَسْوَأَ لَوْ كَانَ مِنْ جَرَمِ

(١) هذه الأبيات من قصيدة له مدح بها عضد الدولة ، وذكر وقعة وهذان بالطرم ، وكان ركن الدولة أبو عضد الدولة قد أنفذ إليه جيشاً من الرى فهزمه وأخذ بلده (انظر الديوان : ج ٢ ص ٢١٣ وما بعدها)

(٢) في الديوان * وتفرقت عنكم كتائبه *

ولو أن جرماً أطمعوا شحم جفرة لبكأوا بطناً يضطرون من الشحم

وأولى الشعر بأن يسمى تخلصاً ما تخلص فيه الشاعر من معنى إلى معنى ، ثم عاد إلى الأول وأخذ في غيره . ثم رجع إلى ما كان فيه . كقول النابغة الذبياني آخر قصيدة اعتذر بها إلى النعمان بن المنذر :

وكفـكفتُ منى عبرةً فرددتها إلى النحر منها مُستَهِلٌّ ودائع^(١)

على حين عاتبتُ المشيبَ على الصبا وقلتُ لما أصبحُ والشيبُ وازع!!

ثم تخلص إلى الاعتذار فقال :

ولكنَّ همًّا دونَ ذلكَ شاعِلٌ مَكَانَ الشَّغافِ تَبْتَغِيهِ الأصابعُ^(٢)

وعِيدُ أَى قَابُوسَ في غيرِ كُنْهِهِ أَتَانِي وَدُونِي رَاكِسٌ فَالصَّوَاجِعُ^(٣)

ثم وصف حاله عند ما سمع من ذلك فقال :

فَبِتُّ كَأَنِّي سَاوَرْتَنِي ضَيْبِلَةٌ مِنَ الرُّقْشِ فِي أُنْيَا بِهَا السُّمُّ نَاقِعٌ
يُسَهِّدُ فِي لَيْلِ التَّامِ سَلِيمُهَا لِحَلِي النَّسَاءِ فِي يَدَيْهِ قَعَا قِعُ^(٤)

(١) في الديوان (ص ٦٨) * وكفكفت على النحر . *

(٢) في الديوان * وقد حال هم دون ذلك والجمع . *

والشغاف : حجاب القلب ، أوجبته ، وهو بزنة سحاب .

(٣) في غير كنهه : أى : في غير وقته . وراكس والضواجع : موضعان .

(٤) في الديوان * يسهد من ليل التام . . . * ويسهد : يمنع النوم .
وليل التام - بكسر التاء - ليل الشقاء الطوال . والقعا قع : جمع قعقة ، وهو الصوت ،
والسليم : اللديغ ، سموه بذلك تفاؤلاً له بالسلامة ، وكان من عادة العرب إذا لدغ
أحدهم علقوا عليه حلى النساء ؛ ليسمع صوته فلا ينام ، ومن أمثالهم « السليم لا ينام
ولا ينيم » .

تَنَازَرَهَا الرَّاقُونَ مِنْ سُوءِ سَمْعِهَا تَطْلُقُهُ طَوْرًا ، وَطَوْرًا تُرَاجِعُ^(١)
فوصف الحية والسليم الذي شبه به نفسه ما شاء ، ثم تخلص إلى الاعتذار
الذي كان فيه فقال :

أَتَانِي - أَبَيْتَ اللَّعْنَ - أَنْكَ لُمْتَنِي وَتِلْكَ الَّتِي تَسْتَكُ مِنْهَا الْمَسَامِعُ^(٢)
ويروى * وَخُبِّرْتُ خَيْرَ النَّاسِ أَنْكَ لُمْتَنِي * ثم اطرده ما شاء من
تخلص إلى تخلص ، حتى انقضت القصيدة ، وهو مع ما أشرت إليه غير خاف إن
شاء الله تعالى .

وقد يقع من هذا النوع شيء يعترض في وسط النسيب من مدح من يريد
الشاعر مدحه بتلك القصيدة ، ثم يعود بعد ذلك إلى ما كان فيه من النسيب ،
ثم يرجع إلى المدح ، كما فعل أبو تمام وإن أتى بمدحه الذي تبادى فيه منقطعا ،
وذلك قوله في وسط النسيب من قصيدة له مشهورة :

ظَلَمْتُكَ ظَالِمَةً الْبَرِيءِ ظَلَمْتُ وَالظُّلْمُ مِنْ ذِي قُدْرَةٍ مَذْمُومٌ
زَعَمْتَ هَوَاكَ عَفَا الْعِدَاةَ كَمَا عَفَتْ مِنْهَا طُلُولُ بِاللَّوَى وَرُسُومٌ
لا ، وَالَّذِي هُوَ عَالِمٌ أَنَّ النَّوَى أَجَلٌ وَأَنَّ أَبَا الْحُسَيْنِ كَرِيمٌ^(٣)

(١) يروى « من سوء سمعها » تناذرها الراقون : أنذر بعضهم بعضها ،
والراقون : جمع راق . وهو الذي يفعل الرقية ، وسوء سمعها : أى أنها لا تسمع
فلا تحيب إلى رقية الراقى ، ومن روى « من سوء سمعها » فهو ظاهر المعنى .

(٢) كرر الباقية هذا المعنى بهذه الألفاظ في كلمات من اعتذاراته : منها هذا في
هذه القصيدة ، ومنها قوله في أخرى :

أَتَانِي - أَبَيْتَ اللَّعْنَ - أَنْكَ لُمْتَنِي وَتِلْكَ الَّتِي أَهْتَمُّ مِنْهَا وَأَنْصِبُ

(٣) يذكر علماء المعاني هذا البيت هكذا * لا ، والذي هو عالم أن النوى *
صبر - إلخ .

مَا زُلْتُ عَنْ سَنَنِ الْوِدَادِ وَلَا غَدَتُ نَفْسِي عَلَى الْإِلْفِ سِوَاكَ تَعُومُ
ثم قال بعد ذلك :
لِمُحَمَّدِ بْنِ الْهَيْثَمِ بْنِ شَبَابَةَ مَجْدُ إِلَى جَنْبِ السَّمَاءِ مُقِيمٌ
ويسمى هذا النوع الإلمام .

وكانت العرب لا تذهب هذا المذهب في الخروج إلى المدح ، بل يقولون عند طريق العرب :
فراغهم من نعت الإبل وذكر القفار وما هم بسبيله : « دع ذا » و « عدّ عن ذا » في الخروج
ويأخذون فيما يريدون أو يأتون بأن للشدة ابتداء للكلام الذي يقصدونه ،
فإذا لم يكن خروج الشاعر إلى المدح متصلاً بما قبله ولا منفصلاً بقوله « دع ذا »
و « عدّ عن ذا » ونحو ذلك سمى طغراً وانقطاعاً . وكان البحتري كثيراً ما يأتي به ، نحو قوله
لَوْلَا الرَّجَاءُ لَمُتْ مِنْ أَلَمِ الْهَوَى لَكِنْ قَلَسِي بِالرَّجَاءِ مُوَكَّلُ
إِنَّ الرَّعِيَّةَ لَمْ تَزَلْ فِي سِيرَةٍ عُمرِيَّةٍ مُذْ سَاسَهَا الْمُتَوَكَّلُ
ولربما قالوا بعد صفة الناقة والمفازة « إلى فلان قصدت » و « حتى نزلت
بفناء فلان » وما شاكل ذلك .

وأما الانتهاء فهو قاعدة القصيدة ، وآخر ما يبقى منها في الأسجاع ، وسبيله
أن يكون محكما : لا تمكن الزيادة عليه ، ولا يأتي بعده أحسن منه ، وإذا كان
أول الشعر مفتاحاً له وجب أن يكون الآخر قفلاً عليه .

وقد أرنبى أبو الطيب على كل شاعر في جودة فصول هذا الباب الثلاثة ، إلا
أنه ربما عقد أوائل الأشعار ثقةً بنفسه ، وإغراباً على الناس ، كقوله أوله قصيدة :
وَفَاؤُكُمْ كَمَا كَالَرَّبْعِ أَشْجَاءُ طَائِمُهُ بَأْنُ تُسَمِّدُ أَوَّالِ الدَّمْعِ أَشْفَاءُ سَاجِحُهُ^(١)

(١) هذا البيت مطلع قصيدة له يمدح فيها سيف الدولة ، وهى أول ما أنشده ،
وتقديره مع شيء يسير من المخالفة : وفاؤكم كما (والخطاب لعينيه) بإسعادى مثل الربع
أشدّه تهيبجا للأسى ما كان طامسا - أى : طامس الآثار خافى المعالم - والدمع أشفاه
لقلب المحزون ما كان مدرارا .

فإن هذا يحتاج الأصمى إلى أن يفسر معناه .

وَيَقَعُ لَهُ فِي الْخُرُوجِ مَا كَانَ تَرْكُهُ أَوَّلَى بِهِ ، وَأَشْعَرُ لَهُ ، وَإِنَّمَا أُدْخِلَهُ فِيهِ حَبْ ^{من سمي} ^{خروج النبي} ^{أيضا} الْإِغْرَابُ فِي بَابِ التَّوْلِيدِ ، حَتَّى جَاءَ بِالْغَثِ الْبَارِدِ ، وَالْبَشْعِ الْمَتَكَلِّفِ ، نَحْوُ قَوْلِهِ :

أُحِبُّكَ أَوْ يَقُولُوا جَرَّ نَمْلٍ ثَبِيرًا ، وَابْنُ إِبْرَاهِيمَ رِيحًا

فهذا من البشاعة والشناعة بحيث لا يخفى على أحد ، وما أظنه مرق هذا المعنى الشريف إلا من كذبة كذبها أبو العباس الصَّيْمَرِيُّ عن لسان رجل زعم أنه قال : رأيت رجلا نام ويده غَمْرَةٌ ^(١) حجره النمل ثلاثة فراسخ ، فقد جعل أبو الطيب مكان الرجل جَبَلًا ، وإن أعلنا الإغراق في مراده ولفظه . . وقال :

أَعَزُّ مَكَانٍ فِي الدُّنْيَا سَرَجٌ سَابِحٌ وَخَيْرُ جَلِيسٍ فِي الزَّمَانِ كِتَابٌ
وَبَحْرٌ أَبُو الْمِسْكِ الْخَضَمُ الَّذِي لَهُ عَلَى كُلِّ بَحْرٍ زَخْرَةٌ وَعُيَابٌ
يريد وخير بحر ^(٢) أبو المسك ، وهذه غاية التصنع والتكلف .

ومن العرب من يحتم القصيدة فيقطعها والنفس بها متعلقة ، وفيها رغبة مشتهية ، ويبقى الكلام مبتورا كأنه لم يتعمد جعله خاتمة : كل ذلك رغبة في أخذ العفو ، وإسقاط الكلفة ، ألا ترى معلقة امرئ القيس كيف ختمها بقوله يصف السيل عن شدة المطر :

(١) غمرة - بفتح العين المعجمة وكسر الميم - أى : دنسة من دسم اللحم ، وفعله من باب فرح .

(٢) تقدير المؤلف لهذا البيت على أن قوله « وبحر » بالجر ، وهو عليه معطوف على « جليس » في البيت الذي قبله ، ولـكنا لانوافقه على ذلك ؛ وقد ضبطناه برفع « بحر » على أنه خبر مقدم ، وقوله « أبو المسك » مبتدأ مؤخر ، و « الخضم » صفة له . وهذا قول شراحه المتقدمين ، وزجرة : امتداد ماء وكثرته ، وعياب : كثرة موج .

كَأَنَّ السَّبَّاعَ فِيهِ غَرْقَى غُدِيَّةٌ بِأَرْجَائِهِ الْقُصُوَى أَنَا يَشْ عُنْصُلٍ^(١)

فلم يجعل لها قاعدة كما فعل غيره من أصحاب المعلقات ، وهي أفضلها .
وقد كره الخذاق من الشعراء ختم القصيدة بالدعاء ؛ لأنه من عمل أهل الضعف ، إلا للملوك ؛ فإنهم يشتهون ذلك كما قدمت ، ما لم يكن من جنس قول أبي الطيب يذكر الخليل لسيف الدولة :

فَلَا هَجَمْتَ بِهَا إِلَّا عَلَى ظَفَرٍ وَلَا وَصَلْتَ بِهَا إِلَّا إِلَى أَمَلٍ
فإن هذا شبيه ما ذكر عن بغيض : كان يصاح الأمير فيقول : لا صَبَّحَ اللهُ
الأمير بعافية ، ويسكت ثم يقول : إِلَّا وَمَسَّاهُ بِأَكْثَرِ مِنْهَا ، ويماسيه فيقول :
لا مَسَّى اللهُ الأمير بنعمة ، ويسكت سكنة ثم يقول : إِلَّا وَصَبَّحَهُ بِأَتَمِّ مِنْهَا ،
أو نحو هذا ، فلا يدعو له حتى يدعو عليه ؛ ومثل هذا قبيح ، لا سيما عن
مثل أبي الطيب .

(٣١) - باب البلاغة

تكلم رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له النبي صلى الله عليه منزه الإيجاز
وسلم : « كم دون لسانك من حجاب ؟ » فقال : شفتاي ، وأسنانى ، فقال له :
« إن الله يكره الانبعاث في الكلام ، فَتَضَرَّ اللهُ وجهه رجل أَوْجَزَ في كلامه
واقصر على حاجته » .

وسئل النبي صلى الله عليه وسلم : فيم الجلال ؟ فقال : « في اللسان »
يريد البيان .

(٢) يروى * ... غرقى عشية * والأنابيش : جماعات من العنصل
تجمعها الصبيان ، ويقال : الأنابيش العروق ، سميت بذلك لأنها تنبش أى تخرج من
تحت الأرض ، والعنصل - بوزن قنفذ وجندب - يصل برى يعمل منه خل شديد
المخوطة .

وقال أصحاب المنطق : حد الإنسان : الحى الناطق ؛ فمن كان فى المنطق
أعلى رتبة كان بالإنسانية أولى.

حدود للبلاغة
والبلغاء

وقالوا : الروح عماد الجسم ، والعلم عماد الروح ، والبيان عماد العلم .
وسئل بعض البلغاء : ما البلاغة ؟ فقال : قليل يفهم ، وكثير لا يسأم .
وقال آخر : البلاغة إجاعة اللفظ ، وإشباع المعنى .
وسئل آخر فقال : معان كثيرة ، فى ألفاظ قليلة .
وقيل لأحدهم : ما البلاغة ؟ فقال : إصابة المعنى وحسن الإيجاز .
وسئل بعض الأعراب : من أبلغ الناس ؟ فقال : أسهلهم لفظاً ، وأحسنهم
بديهة ..

وسأل الحجاج ابن القبة ثرى : ما أوجز الكلام ؟ فقال : ألا تبطىء ، ولا
تخطىء ، وكذلك قال صحار^(١) العبدى لمعاوية بن أبى سفيان .
وقال خلف الأحمر : البلاغة لمحة دالة .

وقال الخليل بن أحمد : البلاغة كلمة تكشف عن البقية .
وقال المفضل الضبي : قلت لأعرابى : ما البلاغة عندهم ؟ فقال : الإيجاز من
غير عجز ، والإطناب من غير خطل .

وكتب جعفر بن يحيى بن خالد البرمكى إلى عمرو بن مسعدة : إذا كان
الإكثار أبلغ كان الإيجاز تقصيراً ، وإذا كان الإيجاز كافياً كان الإكثار عيياً .
وأنشد المبرد فى صفة خطيب :

طَيِّبٌ يَدَاءُ فُنُونِ الْكَلَا مَ لَمْ يَنْعَى يَوْمًا وَلَمْ يَهْزِرْ

(١) صحار - بضم الصاد المهملة وتخفيف الحاء - رجل من عبد القيس ، وفى
التونسية « سحر » بالسين ، وليس بشيء .

فَإِنْ هُوَ أَطْنَبَ فِي خُطْبَةٍ قَضَى الْمَطِيلَ عَلَى الْمُنْزِرِ
وَإِنْ هُوَ أَوْجَزَ فِي خُطْبَةٍ قَضَى لِلْمُقِلِّ عَلَى الْمُكْثَرِ

قال أبو الحسن على بن عيسى الرُّمائي : أصل البلاغة الطبع ، ولها مع ذلك آلات تعين عليها ، وتوصل للقوة فيها ، وتكون ميزاناً لها ، وفاصلة بينها وبين غيرها ، وهي ثمانية أضرب : الإيجاز ، والاستعارة ، والتشبيه ، والبيان ، والنظم ، والتصرف ، والمشاكلة ، والمثل ، وسيرد كل واحد منها بمكانه من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

وقال معاوية لعمر بن العاص : مَنْ أبلغ الناس ؟ فقال : من اقتصر على الإيجاز ، وتناكب الفضول .

وسئل ابن المقفع : ما البلاغة ؟ فقال : اسم لمعانٍ تجري في وجوه كثيرة : فيها ما يكون في السكوت ، ومنها ما يكون في الاستماع ، ومنها ما يكون في الإشارة ، ومنها ما يكون شعراً ، ومنها ما يكون سجعاً ، ومنها ما يكون ابتداءً ، ومنها ما يكون خَوَّاباً ، ومنها ما يكون في الحديث ، ومنها ما يكون في الاحتجاج ، ومنها ما يكون خطباً ، ومنها ما يكون رَسَائِلَ ؛ فعامة هذه الأبواب الوُخْيُ فيها والإشارة إلى المعنى والإيجاز هو البلاغة .

قال صاحب الكتاب : فهذا ابن المقفع جعل من السكوت بلاغة رغبة في الإيجاز وقال بعض الكتابيين :

وَاعْلَمْ أَنَّ مِنَ السُّكُوتِ إِبَانَةً وَمِنَ التَّسْكُلِمِ مَا يَكُونُ خَبَالاً
وَقُلْتُ أَمَا فِي مِثْلِ ذَلِكَ :

وَأَحْرَقَ أَكْثَرُ النَّاسِ لَحْمَ صَدِيقِهِ وَلَيْسَ لِجَارِي رَيْقِهِ بِمُسْتَعِينٍ
سَكَتَتْ لَهُ صَبْرٌ بِرَضَى فَلَمْ أَحِبْ وَرُبَّ جَوَابٍ فِي السُّكُوتِ بَلِيجٍ
وَقُلْتُ أَيْضاً وَلَمْ أَذْكَرْ بِلَاغَةَ :

أيهـا الموحى إلينا نفثة الصلّ الصموتِ

ما سككتنا عنك عيّا ربّ نطقٍ في السكوتِ

لك بيت في البيوت مثل بيت العنكبوتِ

إن يهنّ وهنّا ففيه حيلتنا سكنى وقوتِ

وقيل لبعضهم : ما البلاغة ؟ فقال : إلباغ المتكلم حاجته بحسن إفهام السامع ، ولذلك سميت بلاغة .

وقال آخر : البلاغة أن تُفهم المخاطب بقدر فهمه ، من غير تعب عليك .

وقال آخر : البلاغة معرفة الفصل من الوصل .

وقيل : البلاغة حسن العبارة ، مع صحة الدلالة .

وقيل : البلاغة أن يكون أول كلامك يدلّ على آخره ، وآخره يرتبط بأوله .

وقيل : البلاغة القوة على البيان ، مع حسن النظام .

ومن قول السيد أبي الحسن — أدام الله عزه — في صفة كاتب بالبلاغة وحسن الخط :

من شعر أبي
الحسن في
البلاغة

فَضَلَ الْأَنَامَ بِفَضْلِ عِلْمِهِ وَاسِعٍ وَعَلَا مَقَالَهُمْ بِفَضْلِ الْمَنَطِقِ

وَحَكَى لَنَا وَشَى الرِّيَاضَ وَقَدَوَشَتْ أَقْلَامُهُ بِالنَّقْشِ بَطْنَ الْمُهَرَقِ

فبلغ ما أراد من الوصف في اختصار وقلة تكلف . ونحو ذلك قوله أيضاً :

إِذَا مَشَقَّتْ يَمْنَاكَ فِي الطَّرْسِ أَسْطُرًا حَكَيْتَ بِهَا وَشَى الْمَلَاءِ الْمُعْضَدَ^(١)

يُرُوقُ مُجِيدَ الْخَطِّ حُسْنُ حُرُوفِهَا وَيُعْجَبُ مِنْهَا بِالْمَقَالِ الْمُسَدَّدِ

وهذا الشعر كالأول في الحز ، وإصابة المفصل ، وإن أبا الحسن لكما قال

سمّيه أبو الطيب خاتم الشعراء :

عَلِمَ بِأَسْرَارِ الدِّيَانَاتِ وَاللُّغَى لَهُ خَطَرَاتٌ تَفْضَحُ النَّاسَ وَالْكِتَابَا

بل كما قال ولي نعمته ، وشاكر مئته :

(١) اتفقت الأصول على هذه الكلمة ، وأظنها « المنضد » بالنون بدل العين .

إِنِّي لَأَعْجَبُ كَيْفَ يُحْسِنُ عُقْدَهُ شِعْرٌ مِنَ الْأَشْعَارِ مَعَ إِحْسَانِهِ
مَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّهُ دُرٌّ النِّهَى يَقْدُ التَّجَارُ بِهِ عَلَى دِهْقَانِهِ
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِلَّا أَجْجَدَ أَبَا الطَّيِّبِ حَقَّهُ ، وَلَا أَنْكَرُ فَضْلَهُ ، وَقَدْ قَالَ :
مَلَأْتُ مُنْشِدُ الْقَرِيضِ لَدَيْهِ يَضَعُ الثُّوبَ فِي يَدَيَّ بَرَّازٍ

ثم نرجع إلى وصف البلاغة ، بعد ما أفضنا ووشحنا هذا الباب من ذكر عود إلى حد
السيد ، فنقول : وقالوا : البلاغة ضد العي ، والعي : العجز عن البيان .

وقيل : لا يكون الكلام يستوجب اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ،
ولفظه معناه ، ولا يكون لفظه أسبق إلى سمعك من معناه إلى قلبك .

وسأل عامر بن الظرب العدواني حمادة بن رافع الدوسي بين يدي بعض ملوك
حمير فقال : من أبلغ الناس ؟ قال : من حلّى المعنى المزيّر^(١) باللفظ الوجيز ، وطبق
الفصل قبل التخرير .

قيل لأرسطاطاليس : ما البلاغة ؟ قال : حسن الاستعارة .

وقال الخليل : البلاغة ما قرّب طرفاه ، وبعد منتهاه .

وقيل لخالد بن صفوان : ما البلاغة ؟ قال : إصابة المعنى ، والقصد إلى الحجة

وقيل لإبراهيم الإمام : ما البلاغة ؟ قال الجزالة ، والإطالة ، وهذا مذهب

جماعة من الناس جلة ، وبه كان ابن العميد يقول في منثوره .

وقيل لبعض الجلة : ما البلاغة ؟ فقال : تقصير الطويل ، وتطويل القصير ،

يعنى بذلك القدرة على الكلام .

وقال أبو العيّن : من أجزأ بالقليل عن الكثير ، وقرّب البعيد إذا شاء ،

وبعد القريب ، وأخفى الظاهر ، وأظهر الخفى .

(١) المزيّر - بزاءين - اللذيذ الطعم ، مأخوذ من تسميتهم الحجر مزة ، والمعنى

على التشبيه ، وهو واضح .

وقال البحتري يمدح محمد بن عبد الملك الزيات حين استوزر ، ويصف
بلاغته :

ومعان لو فضلتها القوافي ^(١) هجنت شعر جرؤل ولبيد
حزن مستعمل الكلام اختياراً وتجنن ظلمة التعقيد
وركن اللفظ القريب فأدر كن به غاية المراد البعيد

والبيت الأول من هذه القطعة يشهد ^(١) بفضل الشعر على النثر .
وحكى الجاحظ عن الإمام إبراهيم بن محمد قوله : كفى من حظ البلاغة
ألا يؤتى السامع من سوء إفهام الناطق ، ولا يؤتى الناطق من سوء فهم السامع .
ثم قال الجاحظ : أما أنا فأستحسن هذا القول جداً .

ومن كلام ابن المعتز : البلاغة بلوغ المعنى ، ولما يطل سفر الكلام .
وقال ابن الأعرابي : البلاغة التقرب من البغية ، ودلالة قليل على كثير .
وقال بعض المحدثين : البلاغة إهداء المعنى إلى القلب في أحسن صورة
من اللفظ .

ومن كلام أبي منصور عبد الملك بن إسماعيل الشعالي ، قال : قال بعضهم :
البلاغة ماصعب على التعاطى وسهل على الفطنة . وقال : خير الكلام ما قل
ودل ، وجل ولم يمل . وقال : أبلغ الكلام ما حسن إيجازه ، وقل مجازه ، وكثر
إعجازه ، وتناسبت صدوره وأعجازه . قال : وقيل : البليغ من يجتنى من الألفاظ
نوازلها ، ومن المعاني ثمارها .

(١) أراد المؤلف أن يجد لمذهبه دليلاً ، وإن لم يكن في معرض الاستدلال
عليه ، فتصحفت عليه الكلمة ، وصوابها * ومعان لوفصاتها القوافي *
بالصاد المهملة .

وهذا الذي حكاه الثعالبي مما يدل على حذق أبي الطيب في قوله لابن العميد:
قَطَفَ الرَّجَالُ الْقَوْلَ قَبْلَ نَبَاتِهِ وَقَطَفْتَ أَنْتَ الْقَوْلَ لَهَا نَوْرًا
وكان يمكنه أن يقول « لما أثمر » لكن ذهب إلى ما قدّمتُ ، وإنما اقتدى
بقول أبي تمام :

وَيَجِفُّ نَوَارُ الْكَلَامِ ، وَقَلَمًا يُلْفَى بقاء الغرسِ بعد الماء
وكان بعضهم يقول : تلخيص المعاني رَفَقَ ، والاستعانة بالغريب عَجَزَ ،
والتشادق في غير أهل البادية نقص ، والخروج مما بنى عليه الكلام إسهاب .
وقال العتّابي : قَيِّمَ الكلام العقل ، وزينت الصواب ، وحليت الإعراب ،
ورائضه اللسان ، وجسمه القرينة ، وروحه المعاني . .

وقال عبد الله بن محمد بن جميل المعروف بالباحث : البلاغة الفهم والإفهام وكشف
المعاني بالكلام ، ومعرفة الإعراب ، والاتساع في اللفظ ، والسداد في النظم ،
والمعرفة بالقصد ، والبيان في الأداء ، وصواب الإشارة ، وإيضاح الدلالة ، والمعرفة
بالقول ، والاكتفاء بالاختصار عن الإكثار ، وإمضاء العزم على حكومة الاختيار .
قال : وكل هذه الأبواب محتاج بعضها إلى بعض ، كحاجة بعض أعضاء
البدن إلى بعض ، لا غنى لفضيلة أحدها عن الآخر ؛ فمن أحاط معرفة بهذه الخصال
فقد كل كل الكمال ، ومن شدَّ عنه بعضها لم يبعد من النقص بما اجتمع
فيه منها .

قال : والبلاغة تحخير اللفظ في حسن إفهام .

وسئل الكندي عن البلاغة ، فقال : ركنها اللفظ ، وهو على ثلاثة أنواع :
فروع لا تعرفه العامة ولا تتكلم به ، ونوع تعرفه وتتكلم به ، ونوع تعرفه ولا تتكلم
به ، وهو أحدها .

ومن كتاب عبد الكريم قالوا : حسن البلاغة أن يصور الحق في صورة
الباطل ، والباطل في صورة الحق .

قال : ومنهم مَنْ يعيب ذلك المعنى ، ويعده إسهاباً ، وآخره يعده نفاقاً .
 قال : ومر غيلان بن خرشة الضبي مع عبد الله بن عامر بنهر أم عبد الله الذي
 يشق البصرة فقال عبد الله بن عامر : ما أصلح هذا النهر لأهل هذا المصر !! فقال
 غيلان : أجل والله أيها الأمير : يتعلم فيه العوم صبيانهم . ويكون لسقياهم ،
 ومسيل مياههم ، ويأتيهم بميرتهم . . قال : ثم مر غيلان يسايرز ياداً على ذلك
 النهر وقد كان عادى ابن عامر . فقال له : ما أضر هذا النهر لأهل هذا المصر !!
 فقال غيلان : أجل والله أيها الأمير : تَدَدَى منه دورهم ، وَيَغْرُق فيه صبيانهم ،
 ومن أجله يكثر بَعْوُضُهُمْ ؛ ففكره الناس من البيان مثل هذا ، انقضى كلام
 عبد الكريم .

والذي أراه أنا أن هذا النوع من البيان غير مَعِيب بأنه نفاق ؛ لأنه لم يجعل
 الباطل حقاً على الحقيقة ، ولا الحق باطلاً ، وإنما وصف محاسن شيء مرة ،
 ثم وصف مساويه مرة أخرى : كما فعل عمرو بن الأهتم بين يدي رسول الله صلى
 الله عليه وسلم — وقد سأله عن الزُّبْرَقَانِ بن بدر ، فأثنى خيراً — فقال : مانع
 لحوزته ، مطاع في أذنيته — ويروى في أذنيه — فلم يرض الزُّبْرَقَانِ بذلك ،
 وقال : أما إنه قد علم أكثر مما قال ، ولكن حَسَدَنِي لشرفي — وفي رواية
 أخرى حسدني مكاني منك ، يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم — فأثنى عليه
 عمرو شراً ، وقال : أما لئن قال ما قال لقد علمته ضَيِّقَ الصدر ، زَمَرَ
 المروءة ، أحق الأب ، لئيم الخال ، حديث الغنى ، ثم قال : والله يا رسول
 الله ما كذبت عليه في الأولى ، ولقد صدقت في الآخرة ، ولكن أرضاني
 فقلت بالرضا ، وأنسخني فقلت بالسخط ، فقال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم : « إن من البيان لسحراً^(١) » قال أبو عبيد القاسم بن سلام : وكأن المعنى —
 والله أعلم — أنه يبلغ من بيانه أنه يمدح الإنسان فيصدق فيه حتى يصرف
 (١) انظر ص ١٧ و ٢٧ و ٢٥٤ من هذا الجزء ، وانظر المثل رقم ١ في مجموع
 الأمثال بتحقيقنا .

القلوب إلى قوله ، ثم يذمه فيصدق فيه حتى يصرف القلوب إلى قوله الآخر ، فكأنه سَحَرَ السامعين بذلك .

وقال الجاحظ : العربى يعاف البذاء ، ويهجو به غيره ، فإذا ابتلى به فخر به ، كلام فى البذاء ولكنه لا يفخر به لنفسه من جهة ما هجا به صاحبه .

ودخل أبو العيناء على المتوكل ، فقال له : بلغنى عنك بذاء ، قال : إن يكن البذاء صفة المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته ؛ فقد زكّى الله وذم فقال : (نعم العبد إنه أواب) وقال : (هازٍ مَشَاء بنميم ، مَنَاجٍ للخير مُعْتَدٍ أثيم ، عَتَل بعد ذلك زَنِيم) فذمه حتى قذفه ، وأما أن أكون كالعقرب التى تلسع النبى والذى فقد أعاذ الله عبدك من ذلك ، وقد قال الشاعر :

إذا أنا بالمعروف لم أثن صادقاً ولم أشتم الجبّس اللئيم المذمماً
فقيم عرفتُ الخَيْرَ والشرَّ بأُسميه وشقَّ لى الله المسامع والقما؟

قال الجاحظ : قال ثمامة بن أشرس : قلت لجعفر بن يحيى : ما البيان ؟ قال : وصف البيان أن يكون اللفظ يحيط بمعناك ، ويخبر عن مَعزَاك ، ويخرجه من الشركة ، ولا يستعين لجعفر بن يحيى عليه بالكثرة ، والذى لا بد منه أن يكون سليماً من التكلف ، بعيداً من الصنعة ، برياً من التعقيد ، غنياً عن التأويل . قال الجاحظ : وهذا هو تأويل قول الأصمى : البليغ من طبق المفصل ، وأغناك عن المفسر .

قال أبو عبيدة : البليغ : البَلُغُ ، بفتح الباء ، وقال غيره : البَلُغُ : الذى الكلام البليغ يبلغ ما يريد من قول وفعل ، والبَلُغُ : الذى لا يبالى ما قال وما قيل فيه ، كذلك قال أبو زيد ، وحكى ابن دريد كلام بَلُغ و بليغ ، وقال ابن الأعرابى : يقال بَلُغٌ و بَلُغٌ ، ولا شك أن ابن الأعرابى قال : إما هو فى الأهوج الذى لا يبالى حيث وقع من القول .

وقد تكرر فى هذا الباب من أقاويل العلماء ما لم يخف عنى ، ولا غفلته ، لكن اغتفرت ذلك لاختلاف العبارات ، ومدار هذا الباب كله على أن البلاغة

وَضَعُ الْكَلَامَ مَوْضِعَهُ مِنْ طَوْلٍ أَوْ إِيْجَازٍ ، مَعَ حَسَنِ الْعِبَارَةِ ، وَمِنْ جَيِّدٍ مَا حَفِظْتَهُ قَوْلَ بَعْضِهِمْ : الْبَلَاغَةُ شِدَّةُ الْكَلَامِ مَعَانِيَهُ وَإِنْ قَصُرَ ، وَحَسَنُ التَّأْلِيفِ وَإِنْ طَالَ .

(٣٢) — باب الإيجاز

حد الإيجاز عند الرُّمَّانِي على ضربين : مطابق لفظه لمعناه : لا يزيد عليه ، ولا ينقص عنه ، كقولك : « سَلْ أَهْلَ الْقَرْيَةِ » ، ومنه ما فيه حذف للاستغناء عنه في ذلك الموضع ، كقول الله عز وجل : (وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ) وعبر عن الإيجاز بأن قال : هو العبارة عن الغرض بأقل ما يمكن من الحروف ، ونعم ما قال ، إلا أن هذا الباب متسع جداً ، ولكل نوع منه تسمية سماها أهل هذه الصناعة . .

للمساواة فأما الضرب الأول مما ذكر أبو الحسن فهم يسمونه المساواة . ومن بعض ما أنشدوا في ذلك قول الشاعر :

يَا أَيُّهَا الْمَتَحَلَّى غَيْرَ شَيْمَتِهِ إِنَّ التَّخَلُّقَ يَأْتِي دُونَهُ الْخُلُقُ
وَلَا يُؤَاتِيكَ فِيمَا نَابَ مِنْ حَدَثٍ إِلَّا أَخُو ثِقَةٍ ، فَانْظُرْ بِمَنْ تَثِقُ
فهذا شعر لا يزيد لفظه على معناه ، ولا معناه على لفظه شيئاً . . ومثله قول أبي العتاهية — ورواه بعضهم للحطيئة ، وهذا شرف عظيم لأبي العتاهية إن كان الشعر له ، ولا أشك فيه :

الْحَمْدُ لِلَّهِ إِنِّي فِي جِوَارِفَتِي حَامِي الْحَقِيقَةِ نَفَّاعٍ وَضَرَّارِ
لَا يَرْفَعُ الطَّرْفَ إِلَّا عِنْدَ مَكْرَمَةٍ مِنْ الْحَيَاءِ ، وَلَا يُبْغِضِي عَلَى عَارِ
وَأُنْشِدُ عَبْدَ الْكَرِيمِ فِي اعْتِدَالِ الْوِزْنِ :

إِنَّمَا الذَّلْفَاءُ هَمِّي فَلْيَدْعِنِي مَنْ يَلُومُ
أَحْسَنُ النَّاسِ جَمِيعًا حِينَ تَمْشِي وَتَقُومُ

مثال من
اعتدال الوزن

أَصِلُ الْخَبَلِ لَتَرْضَى وَهِيَ لِلْخَبَلِ صَرُومٌ
ثم قال : عندهم أنه ليس في هذا الشعر فضلة عن إقامة الوزن ، وهذه الأبيات
وأشكالها داخلة في باب حسن النظم عند غير عبد الكريم .

والضرب الثاني مما ذكر الرماني -- وهو قول الله عز وجل (واسأل القرية) - الاكتفاء
يسمونه الاكتفاء ، وهو داخل في باب المجاز ؛ وفي الشعر القديم والحديث منه
كثير ، يحذفون بعض الكلام لدلالة الباقي على الذهاب : من ذلك قول الله
عز وجل : (وَلَوْ أَنَّ قَرَأْنَا سُورَةَ الْجَبَالِ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلَّمَ بِهِ
الْمَوْتُ) كأنه قال : لكان هذا القرآن . ومثله قولهم : لو رأيت علياً بين
الصفين ، أى : رأيت أمراً عظيماً ، وإنما كان هذا معدوداً من أنواع البلاغة لأن
نفس السامع تتسع في الظن والحساب ، وكل معلوم فهو هين ؛ لكونه محصوراً ،
وقال امرؤ القيس :

فَلَوْ أَنَّهَا نَفْسٌ تَمُوتُ سَوِيَّةً وَلَكِنَّهَا نَفْسٌ تَسَاقُطُ أَنْفُسًا^(١)

كأنه قال : لمان الأمر ، ولكنها نفس تموت موتات ، ونحو هذا ، ومن الحذف
قول الله عز وجل : (فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ) أى :
فيقال لهم : أ كفرتكم بعد إيمانكم ؟ . ومن كلام النبي صلى الله عليه وسلم قوله للمهاجرين
وقد شكروا عنده الأنصار : « أليس قد عرفتم ذلك لهم ؟ » قالوا : بلى ، قال :

(١) في الديوان تموت جمعة * وقدروى « تساقط » بفتح
التاء على أن الأصل « تساقط » خذف إحدى التاءين ، وهذه رواية الأصمعي ،
وقال في معناها : لو أنى أموت بدفعة واحدة ، ولكن نفسى لما بي من المرض تخرج
شيئاً فشيئاً ، وتفسير المؤلف من هذا القليل ، وأنكر الوزير أبو بكر هذا التفسير
وهذه الرواية ، فروى « تساقط » بضم التاء ، وقال : معناه يموت بموتها بشر كثير ،
كما قال عبدة بن الطبيب :

فَمَا كَانَ قَيْسٌ هَلَكَةً وَاحِدَةً وَلَكِنَّهُ بَنِيَانٌ قَوْمٌ تَهْدِمَا

« فإن ذلك » يريد فإن ذلك مكافأة لهم . وروى أبو عبيدة أن سفيان الثوري قال : جاء رجل من قريش إلى عمر بن عبد العزيز يكلمه في حاجة له ، فجعل يحث بقرابته ، فقال عمر : « فإن ذلك » ثم ذكر حاجته ، فقال : « لعل ذلك » .. وقال الطرماح يوماً للفرزدق : يا أبا فراس ، أنت القائل :

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بَيْتًا دَعَاؤُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ
أَعَزُّ مِمَّا ذَا وَأَطْوَلُ مِمَّا ذَا؟ وَأَذْنُ الْمُؤَذِّنِ ، فقال له الفرزدق : يَا لُسُكْعُ لَا تَسْمَعْ
مَا يَقُولُ الْمُؤَذِّنُ « اللَّهُ أَكْبَرُ » أَكْبَرُ مِمَّا ذَا أَعْظَمُ مِمَّا ذَا؟ فَانْقَطَعَ الطَّرْمَاحُ انْقِطَاعًا قَاضِحًا
وَزَعَمَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ أَنَّ مَعْنَى قَوْلِ الْفَرَزْدَقِ عَزَّ يَزْطَوِيلُ ، وَلَكِنَّهُ بَنَاهُ عَلَى أَفْعَلٍ مِثْلِ أَبِيضٍ
وَأَحْمَرٍ وَمَا شَاكَهُمَا ، فَجَعَلَهُ لَازِمًا لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْفَخَامَةِ فِي اللَّفْظِ وَالِاسْتِظْهَارِ فِي الْمَعْنَى .

من الإيجاز

ومن الإيجاز قول الأعرابي في صفة الذئب :

أَطْلَسَ يُخْفِي شَخْصَهُ غُبَارُهُ فِي شِدْقِهِ شَفَرَتُهُ وَبَارُهُ

فقوله في الشفرة والنار إيجاز مليح .

وقال آخر في صفة مهم صادر :

* غادر داءً ونجاصتيحاً *

وقال آخر في صفة ناقة :

* خرقاء إلا أنها صنّاع *

وقال أبو نواس يصف جنين ناقة مُخْدَجًا (١) :

* مَيِّتُ النِّسَاءِ حَيُّ الشَّعْرِ *

وقال ابن المعتز يصف بازياً :

* مباركٌ إذا رأى فقد رُزِقَ *

(١) يقال : خدحت الناقة ، إذا ألقت ولدها قبل أوانه ، وإن كان تام الحلق ، ويقال : أخذحته - بالهمزة - إذا ولدته ناقص الحلق ، وإن كان لتمام الحمل ، ومُخْدَجٌ : اسم مفعول من ذى الهمز ، والنساء : عرق يخرج من الورك فيستبطن الفخذ ، هذا أصله .

ومن الإيجاز: البديع قول الله عز وجل : (وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ ،
ويا سماء أقلعي ، وغِيضَ المَاءِ ، وَقُضِيَ الأَمْرُ ، واستوت على الجودي ، وقيل :
بُعْدًا للقوم الظالمين) وقوله تعالى : (خُذِ الْعَفْوَ ، وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ، وأعرض عن
الجاهلين) فكل كلمة من هذه الكلمات في مقام كلام كثير ، وهي على ما ترى
من الإحكام والإيجاز ، ومثل ذلك قوله تعالى : (يحسبون كل صيحة عليهم ،
هُمُ العدو ، فاحذَرُهُمْ ، قَاتِلْهُمْ اللهُ أَنَّى يَوْفَكُونَ) وقوله تعالى : (وأخرى لم
تقدروا عليها قد أحاط الله بها) وقوله : (إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا هُوَ بِأَنفُسِ)
وقال النبي صلى الله عليه وسلم للأَنْصار : « إِنكُمْ لَتَكْثُرُونَ عِنْدَ الْفَزَعِ ، وَتَقْلُونَ
عِنْدَ الطَّمَعِ » وقال « كَفَى بِالسَّلَامَةِ دَاءً » ومثل هذا كثير في كلامه صلى الله عليه وسلم ،
وَمَنْ أُولَى مِنْهُ بِالْفَصَاحَةِ وَأَحَقُّ بِالْإِيجَازِ ؟ وقد قال : « أُعْطِيتُ جَوَامِعَ السَّكَمِ »

فأما قوله عليه الصلاة والسلام : « كَفَى بِالسَّيْفِ شَأْنٌ » يريد « شاهدًا »
فقد حكاه قوم من أصحاب الكتب : أحدهم عبد الكريم ، والذي أرى أن
هذا ليس مما ذكرنا في شيء ؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما قطع الكلمة
وأمسك عن تمامها لثلاث تصير حكا ، ودليل ذلك أنه قال : « لَوْلَا أَن يَتَّبَعَ
فِيهِ الْغَيْرَانِ وَالسَّكْرَانِ » فهذا وجه الكلمة والله أعلم ، لا كما قال علقمة
ابن عبدة :

كَأَنَّ إِبْرِيْقَهُمْ ظَبْيٌ عَلَى شَرْفٍ مُّقَدَّمٌ بِسَبَابِ الْكَتَّانِ مَلْثُومٌ

يريد « بسباب الكتان » فحذف اضطراراً ؛ لأن الوزن لا يستقيم له إلا
بعد الحذف ، وكذلك قول لبيد ^(١) :

(١) قد ذكر سيبويه في أول كتابه باباً سماه « باب ما يحتمل الشعر » وذكر
فيه أمثلة من هذا النوع ، وبينها الأعلام شارح شواهد بياننا واضعاً فارجع إليه إن شئت

* دَرَسَ الْمَنَّا بِمَتَالَعِ قَابَانَ *

يريد « النازل » فحذف للضرورة أيضاً ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم غير متكلف ولا مضطر . فأما سائر العرب فالحذف في كلامهم كثير ؛ لحب الاستخفاف ، وتارة للضرورة ، وسيرد عليك في باب الرخص ، إن شاء الله تعالى .

(٣٣) — باب البيان

حد البيان

قال أبو الحسن الرماني في البيان^(١) : هو إحضار المعنى للنفس بسرعة إدراك ، وقيل ذلك لثلاث يلتبس بالدلالة ؛ لأنها إحضار المعنى للنفس وإن كان بإبطاء .

وقال : البَيَانُ : الكشف عن المعنى حتى تدركه النفس من غير عقلة ، وإنما قيل ذلك لأنه قد يأتي التعقيد في الكلام الذي يدل ، ولا يستحق اسم البيان .

قال صاحب الكتاب : وقد مرّ بي في باب البلاغة قول غيلان بن خرشة في صفة نهر أم عبد الله مادحاً وذاتاً ، وهو من جيد البيان عندهم ، وكذلك قول عمرو بن الأهتم في الزبرقان بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن من البيان لسحرا » وقال مثل ذلك للعلاء ابن الحصين^(٢) وقد سأله : هل تروى من الشعر شيئاً ؟ فأنشد :

حَتَّى دَوَى الْأَضْغَانِ تَسْبِ عُقُولَهُمْ تَحْمِيَتِكَ الْحُسْنَى وَقَدْ يُزْقَعُ النَّعْلُ

(١) انظر ص ١٧ و ٢٧ و ٢٤٨ من هذا الجزء .

(٢) الذي في اللسان (مادة دحس) : « قال الأزهري : وأنشد أبو بكر لأبي العلاء الحضرمي أنشده للنبي صلى الله عليه وسلم » .

فَإِنْ دَحَسُوا بِالْكَرِهِ فَأَعْفُ تَكْرِمًا وَإِنْ خَنَسُوا عَنْكَ الْحَدِيثَ فَلَا تَسَلْ^(١)
فَإِنَّ الَّذِي يُؤْذِيكَ مِنْهُ سَمَاعُهُ وَإِنَّ الَّذِي قَالُوا وَرَاءَكَ لَمْ يُقَلْ
فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنْ مِنْ الشَّعْرِ لِحَكْمًا » وَرَوَى « لِحَكْمَةً » .

وَمِنْ الْبَيَانِ الْمَوْجِزِ الَّذِي لَا يَقْرَنُ بِهِ شَيْءٌ مِنَ الْكَلَامِ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : أَمْثَلَةٌ مِنَ
(وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ) وَقَوْلُهُ فِي الْإِعْرَابِ عَنْ صِفَتِهِ : (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ،
اللَّهُ الصَّمَدُ ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) فَبَيْنَ تَعَالَى أَنَّهُ وَاحِدٌ لَا ثَانِي
مَعَهُ ، وَأَنَّهُ صَمَدٌ لَا جَوْفَ لَهُ - وَقِيلَ : الصَّمَدُ السَّيِّدُ الَّذِي يُضَمُّدُ إِلَيْهِ فِي الْأُمُورِ
كُلِّهَا ، وَلَا يَعْدَلُ عَنْهُ ، وَقِيلَ : الْعَالِي الْمَرْتَفِعُ - وَأَنَّهُ غَيْرُ وَالِدٍ وَلَا مَوْلُودٍ ، وَأَنَّهُ لَا شِبَهَ
لَهُ وَلَا مِثْلَ - وَقِيلَ : إِنْ الْكَفُوُ هَهُنَا الصَّاحِبَةُ تَعَالَى اللَّهُ - وَإِنَّمَا نَزَلَتْ هَذِهِ
السُّورَةُ لَمَّا سَأَلَتِ الْيَهُودُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا لَهُ : صِفْ لَنَا رَبَّكَ
وَأَنْسُبْهُ فَقَدْ وَصَفَ نَفْسَهُ فِي التَّوْرَةِ وَنَسَبَهَا ، فَأَكْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
ذَلِكَ ، وَقَالَ : لَوْ سَأَلْتُمُونِي أَنْ أَصِفَ لَكُمْ الشَّمْسَ لَمْ أَقْدِرْ عَلَى ذَلِكَ ، فَبَيْنَمَا هُوَ
كَذَلِكَ إِذْ هَبَّ طَائِفٌ عَلَيْهِ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) السُّورَةُ .
وَمِنْ كَلَامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَحَابَتِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قَوْلُهُ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لِلْمُسْلِمِينَ تَكْفَافٌ دِمَاؤُهُمْ ، وَيُسَمَّى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ ،
وَهُمْ يَدُّ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ » وَ« الْمَرْءُ كَثِيرٌ بِأَخِيهِ » فَهَذَا كَلَامٌ فِي نَهَايَةِ الْبَيَانِ
وَالِإِيجَازِ .

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي بَعْضِ مَقَامَاتِهِ « وَلَيْتَ أُمُورَكُمْ وَلَيْتَ بَخِيرَكُمْ ،

(١) فِي الْإِسَانِ « فَإِنْ دَحَسُوا بِالْشَّرِّ » ، وَكَانَ فِي الْأَصْلِ « وَإِنْ خَنَسُوا عِنْدَ
الْحَدِيثِ » وَكُتِبَ فِي هَامِشِهِ « وَفِي نَسْخَةٍ : حَبَسُوا عَنْكَ » وَالصَّوَابُ مَا أُثْبِتْنَاهُ كَمَا
فِي الْإِسَانِ ، وَقَالَ بَعْدَ إِِنْشَادِهِ : « وَهَذَا حَبْجَةٌ لِمَنْ جَعَلَ خَنَسَ وَاقِعًا » أَهْ أَرَادَ :
مَتَعَدِيًا ، وَمَعْنَى دَحَسُوا أَفْسَدُوا .

أطيعوني ما أطعتُ الله ورسوله ، فإن عصيت [الله] فلا طاعة لي عليكم » فقد بلغ بهذه الألفاظ الموجزة غاية البيان .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى بعض خطبه « أيها الناس ، إنه والله ما فيكم أحدٌ أقوى عندي من الضعيف حتى آخذ الحق له ، ولا أضعف عندي من القوى حتى آخذ الحق منه » روى ذلك المبرد عن العتبي ، ودكر الأخفش عن على بن سليمان هذه الخطبة فقال : الصحيح عندي أنها لأبي بكر ..

ومن كلام عمر رضى الله عنه « كفى بالمرء غيياً أن تكون فيه خلة من ثلاث : أن يعيب شيئاً ثم يأتى مثله ، أو يبدوله من أخيه ما يخفى عليه من نفسه ، أو يؤذى جليسه فيما لا يعنيه » .

وكتب عثمان بن عفان إلى على بن أبى طالب رحمة الله عليهما لما أحيط به « أما بعد فإنه قد جاوز الماء الزبى ، وبلغ الحزام الطَّبَّيَّين ، وتجاوز الأمر بى قدره ، وطمع فى مَنْ لا يدفع عن نفسه .

فإن كنتُ ما كُولاً فَكُنْ أنت آكِلي

وإلا فَأَدْرِكى ولما أَمْرُق »

البيت الذى [قد] تضمنته الرسالة من شعر المَرْقِ العبدى ، يقوله لعمر بن هند فى قصيدة مشهورة ، وبه سُمى المرق ، واسمه شاس بن نهار .

وخاطب عثمان علياً يعاتبه وهو مُطْرِق ، فقال له : ما بَالُكَ لا تقول ؟ فقال على : إن قلت لم أقل ، إلا ما تكره ، وليس لك عندي إلا ما تحب ، قال المبرد : تأويل ذلك : إن قلت اعتدَدْتُ عليك بمثل ما اعتددت به على ، فلدغك عتابى ، وعقدى ألا أفعل - وإن كنت عاتباً - إلا ما تحب .

وهذا قليل ^(١) من كثير يستدل به عليه ، ولو تفصيت ما وقع من ألفاظ التابعين ، وما تقدمت به شعراء الجاهلية والإسلام ؛ لأنيت العمر دون

(١) تجسداً أكثر الأمثلة التى أثارها المؤلف فى هذا الفصل فى مطلع كتاب « الكامل » لأبى العباس المبرد .

ذلك ، وقد استفرغ أبو عثمان الجاحظ - وهو علامة وقته - الجهدَ وصنعَ كتاباً لا يُبْلَغُ جودُهُ وفضلاً ، ثم ما ادعى إحاطة بهذا الفن لكثرته وأن كلام الناس لا يحيط به إلا الله عز وجل .

٣٤ — باب النظم

قال أبو عثمان الجاحظ : أجود الشعر ما رأيتُه مُتَلَاحِمَ الأجزاء ، سهل أجود الشعر الخارج ، فتعلم بذلك أنه أفرغ إفراغاً واحداً ، وسبك سبكاً واحداً ؛ فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان .

وإذا كان الكلام على هذا الأسلوب الذي ذكره الجاحظ لَدِّ سَمَاعِهِ ، وَخَفَّ مُحْتَمَلُهُ ، وقرب فهمه ، وعذب النطق به ، وحلّى في فهم سامعه ، فإذا كان متنافراً متبايناً عسر حفظه ، وثقل على اللسان النطق به ، وَتَجَتَّهُ السامع فلم يستقر فيها منه شيء .

وأنشد^(١) الجاحظ قال : أشدنى أبو العاصي قال : أنشدني خلف :
وَبَعْضُ قَرِيضِ الْقَوْمِ أَبْنَاهُ عَالَهُ يُكِدُّ لِسَانَ النَّاطِقِ الْمُتَحَفِّظِ
وأنشد عنه عن أبي البداء الرياحي :
وَشِعْرٌ كَبَعْرٍ الْكَبْشِ فَرَقَ بَيْنَهُ لِسَانُ دَعِيٍّ فِي الْقَرِيضِ دَخِيلِ
واستحسن أن يكون البيت بأشْرِهِ كأنه لفظة واحدة تخففته وسهولته ، واللفظة كأنها حرف واحد ، وأنشد قول الثقي :
مَنْ كَانَ ذَا عَضْدٍ يُدْرِكُ ظِلَامَتَهُ إِنَّ الذَّلِيلَ الَّذِي لَيْسَتْ لَهُ عَضْدُ
تَغْبُو يَدَاهُ إِذَا مَا قَلَّ نَاصِرُهُ وَيَأْنَفُ الضَّيْمَ إِنْ أَثَرَى لَهُ عَدْدُ

(١) انظر البيان والتبيين (ج ١ ص ٧٠ و ٧١) .

مثل من
مزاجه
الألفاظ

والناس مختلفو الرأي في مزاجه الألفاظ : منهم من يجعل الكلمة وأختها ،
وأكثر ما يقع ذلك في ألفاظ الكتاب ، وبه كان يقول البحتري في أكثر
أشعاره ، من ذلك قوله :

تَطْيِبُ بِمَسْرَاهَا الْبِلَادُ إِذَا سَرَتْ فَيَفْغَمُ رِيَّاهَا وَيَصْفُو نَسِيمَهَا^(١)
ففي القسم الآخر تناسب ظاهر . . . وكذلك قوله :
ضَاقَ صَدْرِي بِمَا أُجِنُّ وَقَلْبِي بِمَا أُجِدُّ
وقوله أيضاً في مدح المتوكل :

لَقَدْ اصْطَفَى رَبُّ السَّمَاءِ لَهُ الْخَلَائِقَ وَالشَّيَمَ

ومنهم من يقابل لفظتين بلفظتين ، ويقع في الكلام حينئذ تفرقة وقلة
تكلف : فمن المتناسب قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه في بعض كلامه
« أين من سعى واجتهد ، وجمع وعدد ، وزخرف ونجد ، وبني وشيد » فأتبع
كل لفظ ما يشاكلها ، وقرنها بما يشبهها . ومن الفرق المنفصل قول امرئ
القيس :

كَأَنِّي لَمْ أَزْكَبْ جَوَاداً لِلذِّقَّةِ وَلَمْ أَتَبَطَّنْ كَاعِباً ذَاتَ خَلْخَالٍ
وَلَمْ أُسَبِّحِ الزُّقَّ الرَّوِّيَّ ، وَلَمْ أَقُلْ لِخَيْلِي كُرِّي كَرَّةً بَعْدَ إِجْفَالٍ

وكان قد ورد على سيف الدولة رجل بغدادى يعرف بالمنتخب ، لا يكاد
يسلم منه أحد من القدماء والمحدثين ، ولا يذكر شعر بحضرته إلا عابه ، وظهر على
صاحبه بالحجة الواضحة ، فأنشد يوماً هذين البيتين ، فقال : قد خالف فيهما
وأفسد ، لو قال :

كَأَنِّي لَمْ أَرْكَبْ جَوَاداً ، وَلَمْ أَقُلْ نَخْلِي كَرِي كَرَةً بَعْدَ إِجْفَالٍ
وَلَمْ أُسَبِّحِ الزُّقَّ الرَّوِّيَّ لِلذِّقَّةِ وَلَمْ أَتَبَطَّنْ كَاعِباً ذَاتَ خَلْخَالٍ
لكان قد جمع بين الشيء وشكله ؛ فذكر الجواد والكر في بيت ،
(١) فغمه الطيب : سد خياشيمه وملاؤها ، ووقع في كل الأصول « فينعم » .

وذكر النساء والخمر في بيت ، فالتبس الأمر بين يدى سيف الدولة ، وسأموا له ما قال ، فقال رجل من حضر : ولا كرامة لهذا رأى ، الله أصدق منك حيث يقول : (إن لك ألا تجوع فيها ولا تعزى ، وأنت لا تظما فيها ولا تضحى) فأتى بالجوع مع العزى ولم يأت به مع الظما ، فسُرَّ سيف الدولة ، وأجازه بصلة حسنة .

قال صاحب الكتاب : قول امرئ القيس أصوب ، ومعناه أعر وأغرب ؛ لأن اللذة التى ذكرها إنما هى الصيد ، هكذا قال العلماء ، ثم حكى عن شبيب غشيانة النساء : لجمع فى البيت معنيين ، ولو نظمه على ما قال المعترض لنقص فائدة عظيمة ، وفضيلة شريفة تدل على السلطان ، وكذلك البيت الثانى : لو نظمه على ما قال لكان ذكر اللذة حشواً لا فائدة فيه ؛ لأن الزق لا يسبأ إلا للذة ، فإن جمل الفتوة كما جعلناها فيما تقدم الصيد قلنا : فى ذكر الزق الروى كفاية ولكن امرأ القيس وصف نفسه بالفتوة والشجاعة بعد أن وصفها بالتملك والرفاهة .

وأما احتجاج الآخر بقول الله عز وجل فليس من هذا فى شيء ؛ لأنه أجرى الخطاب على مستعمل العادة ، وفيه مع ذلك تناسب ؛ لأن العادة أن يقال : جائع عريان ، ولم يستعمل فى هذا الموضع عطشان ولا ظمآن ، وقوله تعالى « تظماً » و « تضحى » متناسب ؛ لأن الضاحى هو الذى لا يستره شيء عن الشمس ، والظمأ من شأن مَنْ كانت هذه حاله .

وقال الجاحظ : فى القرآن معانٍ لا تكاد تفترق ، من مثل : الصلاة والزكاة ، والخوف والجوع ، والجنة والنار ، والرغبة والرهبة ، والمهاجرين والأنصار ، والجن والإنس ، والسمع والبصر .

ومن الشعراء مَنْ يضع كل لفظة موضعها لا يعدّوه ؛ فيكون كلامه ظاهراً

فى القرآن
ألفاظ لا تكاد
تفترق

عيب التقديم
والتأخير
فى الكلام

غير مشكل ، وسهلا غير متكلف ، ومنهم من يُقدّم ويؤخر : إما لضرورة وزن ، أو قافية وهو أعذر ، وإما ليدل على أنه يعلم تصريف الكلام ، ويقدر على تعقيده ، وهذا هو العى بعينه ، وكذلك استعمال الغرائب والشذوذ التى يقل مثلها فى الكلام ، فقد عيب على مَنْ لا تعلق به التهمة نحو قول الفرزدق :

عَلَى حَالَةٍ لَوْ أَنَّ فِى الْبَحْرِ حَاتِمًا عَلَى جُودِهِ مَا جَادَ بِالْمَاءِ حَاتِمٌ^(١)

فخض حاتمًا على البدل من الماء التى فى «جوده» حتى رأى قوم من العلماء أن الإقواء فى هذا الموضع خير من سلامة الإعراب مع الكلفة ، وكذلك قوله :

نَفَلَقُ هَامًا لَمْ تَنْلَهُ أَكُفْنَا بِأَسْيَافِنَا هَامَ الْمُلُوكِ الْقَاقِمِ

أراد : نفاق بأسيا فناهام الملوك القاقم ، ثم نبه وقرر فقال : هاما لم تنله أكفنا ، يريد أى قوم لم نملكهم ونقهرهم ، وهذا عند الصدور المذكورين بالعلم تكلف وتعمل ، لاتعرفه العرب المطبوعون ، وكذلك :

إِنَّ الْفَرَزْدَقَ صَخْرَةٌ عَادِيَّةٌ طَالَتْ فَلَيْسَ تَنَالُهَا الْأَوْعَالُ

نصب الأوعال بطالت ، ويروى «عزت» . وأكثر شعر أبى الطيب من هذه العلامة ، ومما لا بأس به قول الخنساء :

فَتَعِمَّ الْفَتَى فِى غَدَاةِ الْهِجَابِ إِذَا مَا الرَّمَّاحَ نَجِيعًا رَوَيْنَا

فقدمت «نجيعا» على «روينا» مبادرة للخبر بالرى من أى شىء هو، وكذلك

قول أبى السفاح بكير بن معدان اليربوعى :

نَهْنَهْتُهُ عَنْكَ فَلَمْ يَنْهَهُهُ بِالسَّيْفِ إِلَّا جَلَدَاتٌ وَجَاعُ

(١) يروى هذا البيت هكذا :

على حالة لو أن فى القوم حاتمًا على جوده ضنت به نفس حاتم

أراد نههته عنك بالسيف ، أو أراد فلم ينهه إلا جلدات وجاع بالسيف ،
وكلاهما فيه تقديم وتأخير .

ورأيت من علماء بلدنا مَنْ لا يحكم للشاعر بالتقدم ، ولا يقضى له بالعلم ، إلا
أن يكون في شعره التقديم والتأخير ، وأنا أستنقل ذلك من جهة ما قدمت ، وأكثر
ما تجده في أشعار النحويين

ومن الشعر ما تتقارب حروفه أو تتكرر فتثقل على اللسان ، نحو قول ابن بشر :
لم يَصِرْهَا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ شَيْءٌ وَأَنْثَنَتْ نَحْوَ عَزَفِ نَفْسٍ ذَهُولٍ
فإن القسم الآخر من هذا البيت ثقیل ؛ لقرب الحاء من العين ، وقرب الزاي
من السين .

وقال آخر :

وَقَبْرٌ حَرْبٍ فِي مَكَانٍ قَفْرِ وَلَيْسَ قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرِ
فتكررت الألفاظ ، وترددت الحروف ، حتى صار ألقية^(١) يختبر به الناس ،
ولا يقدر أحد أن ينشده ثلاث مرات إلا عثر لسانه فيه وغلط .

وقال كعب بن زهير :

تَجْلُو عَوَارِضَ ذِي ظَلَمٍ إِذَا ابْتَسَمَتْ كَأَنَّهُ مُنْهَلٌ بِالرَّاحِ مَعْلُولٌ
فجمع بين الضاد والذال والطاء ، وهي متقاربة متشابهة .

ومن حسن النظم أن يكون الكلام غير مُتَّبِعٍ ، والتثبيج : جنس من التثبيج
المعاظلة ترد في بابها إن شاء الله تعالى .

ومن الناس من يستحسن الشعر مبنيًا بعضه على بعض ، وأنا أستحسن أن
يكون كل بيت قائمًا بنفسه لا يحتاج إلى ما قبله ولا إلى ما بعده ، وما سوى ذلك
فهو عندي تقصير ، إلا في مواضع معروفة ، مثل الحكايات وما شاكلها ، فإن بناء
(١) الألقية - على مثال أفعولة - ما يلقي من مسائل العاياة ، ومثلها الأحجية .

والأدعية ، ورناء ومعنى .

قيام كل
بيت بنفسه

اللفظ على اللفظ أجود هنالك من جهة السرد ، ولم أستحن الأول على أن فيه بعداً ولا تنافراً ، إلا أنه إن كان كذلك فهو الذي كرهت من التشبيح .

(٣٥) — باب المخترع والبديع

حد المخترع من الشعر هو : ما لم يُسَبِّقْ إليه قائله ، ولا عمل أحد من الشعراء قبله نظيره أو ما يقرب منه ، كقول امرئ القيس :

سَمَوْتُ إِلَيْهَا بَعْدَ مَا نَامَ أَهْلُهَا سُمُوَ حَبَابِ الْمَاءِ حَالاً عَلَى حَالٍ

فإنه أول من طَرَّقَ هذا المعنى وابتكره ، وسلم الشعراء إليه ، فلم ينازعه أحد إليه ، وقوله :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابِسًا لَدَى وَكْرِهَا الْعُنَابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي
وله اختراعات كثيرة يضيق عنها الموضع ، وهو أول الناس اختراعاً في الشعر ، وأكثرم توليداً .

ومن الاختراع قول طرفه :

وَلَوْلَا ثَلَاثُ هُنَّ مِنْ لَذَّةِ الْفَتَى ^(١) وَجَدَّكَ لَمْ أَخْفِلْ مَتَى قَامَ عُودِي
فَمِنْهُمْ سَبَقُ الْعَاذِلَاتِ ^(٢) بِشَرِّبَةٍ كَمَيْتِ مَتَى مَا تُثَلِّبُ الْمَاءَ تُزِيدُ
وَكَرِّي إِذَا نَادَى الْمُضَافُ مُحْتَبَاً كَسِيدِ الْفَضَاذِي الطَّخِيَةِ الْمُتَوَرِدِ ^(٣)

(١) بروي * ... هن من عيشة الفتى *

(٢) بروي * سبقى العاذلات ... *

(٣) بروي * كسيد الغضائبه المتورد * والمخب - بالحاء المهملة ، ووقع في الأصول بالجيم موحدة وهو تحريف - فرس أقي الدراع ، ونصبه بكرى . والسيد : الذئب ، والغضا : شجر ، وذئابه أخبت الذئاب . ونهته : هيجته . والمتورد : الذي يطلب ورود الماء .

وَتَقْصِيرُ يَوْمِ الدَّجْنِ وَالِدَجْنُ مُعْجِبٌ بِبَهْكَنَةٍ تَحْتَ الطَّرَافِ لِلْعَمَدِ^(١)

وقوله يصف السفينة في جريها :

يَشُقُّ حَبَابَ الْمَاءِ حَيْزُومَهَا بِهَا كَمَا قَسَمَ الثَّرْبُ الْمَقَائِلُ بِالْيَدِ

وله أيضا اختراعات أكثرها من هذه القصيدة . وقال نابغة بن ذبيان :

سَقَطَ النَّصِيفُ وَلَمْ تُرْذِ إِسْقَاطُهُ فَتَنَّاوَلْتُهُ وَاتَّقَتْنَا بِالْيَدِ

وقوله أيضا من الاختراعات :

لَوْ أَنَّهَا عَرَضَتْ لِأَشْمَطِ رَاهِبٍ عَبْدَ إِلَهٍ صَرُورَةٍ مُتَعَبِّدٍ

كَرْنَا لِرُؤُوسِهَا وَحَسَنَ حَدِيثِهَا وَنَخَالَهُ رَشْدًا وَإِنْ لَمْ يَرْشُدِ

وما زالت الشعراء تخرج إلى عصرنا هذا وتولد ، غير أن ذلك قليل في الوقت

التوليد

والتوليد : أن يستخرج الشاعر معنى من معنى شاعر تقدمه ، أو يزيد فيه زيادة ؛ فلذلك يسمى التوليد ، وليس باختراع ؛ لما فيه من الاقتداء بغيره ، ولا يقال له أيضا « سرقة » إذا كان ليس آخذاً على وجهه ، مثال ذلك قول

امرىء القيس :

سَمَوْتُ إِلَهًا بَعْدَ مَا نَامَ أَهْلُهَا سُمُوَّ حَبَابِ الْمَاءِ حَالًا عَلَى حَالِ

فقال عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة ، وقيل : وَضَّاحُ الْبَيْنِ :

فَأَسْقُطْ عَلَيْنَا كَسُقُوطِ النُّوَى لَيْلَةً لَأَنَاهِ وَلَا زَاجِرُ

فولد معنى مليحاً اقتدى فيه بمعنى امرىء القيس ، دون أن يشركه في شيء

من لفظه ، أو ينحو نحوه إلا في الحصول ، وهو لطف الوصول إلى حاجته في خفية .

وأما الذي فيه زيادة فكقول جرير يصف الخليل :

(١) الدجن : إلباس الغيم السماء وإن لم يكن مطر ، أو هو الندى والطر

الخفيف ، والبهكنة : الجارية الخفيفة الروح ، والطراف للعمد : الحباء ذى العمد .

يَخْرُجْنَ مِنْ مُسْتَعِيلِ النَّقْعِ دَامِيَةً كَأَنَّ أَذَانَهَا أَطْرَافُ أَقْلَامٍ

فقال عدى بن الرقاع يصف قرن الغزال :

تُزْجِي أَغْنًى كَأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ قَلَمٌ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا

فولد بعد ذكر القلم لإصابته مداد الدواة بما يقتضيه المعنى ؛ إذ كان القرن .

أسود . وقال العُماني الراجز بين يدي الرشيد يصف الفرس :

تَخَالُ أُذُنِيهِ إِذَا تَشَوَّفَا قَادِمَةً أَوْ قَلَمًا مُحَرَفًا^(١)

فولد ذكر التحريف في القلم ، وهو زيادة صفة .

ومن التوليد قول أمية بن أبي الصلت يمدح عبد الله بن جُدعان :

لِسُكْلِ قَبِيلَةِ ثُبَجٍّ وَصَلَبٍ وَأَنْتَ الرَّأْسُ أَوَّلُ كُلِّ هَادٍ

فقال نصيب لمولاه عمر بن عبد العزيز :

فَأَنْتَ رَأْسُ قَرَّيشٍ وَابْنُ سَيِّدِهَا وَالرَّأْسُ فِيهِ يَكُونُ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ

فولدت هذا الشرح وإن كان مجملا في قول أمية بن أبي الصلت . . . ثم أتى

على بن جبلة فقال يمدح حميد بن الحميد :

فَالنَّاسُ جِسْمٌ ، وَإِمَامٌ مُهْدَى رَأْسٌ ، وَأَنْتَ الْعَيْنُ فِي الرَّاسِ

فأوقع ذكر العين على مشبه معين ، ولم يفعل نصيب كذلك ، لكن أتى

بالسمع والبصر على جهة التعظيم ؛ لأن من ولد عمر ولي عهد ، ففي قول على بن

جبلة زيادة . . وجاء ابن الرومي فقال :

عَيْنُ الْأَمِيرِ هِيَ الْوَزِيرُ ، وَأَنْتَ نَاطِرُهَا الْبَصِيرُ

فرتب أيضاً ترتيباً فيه زيادة ، فهذا مجرى القول في التوليد .

(١) يروى النحويون هذا البيت * كأن أذنيه ... قادمة أو قلما محرفا *

ويستدلون به على أن من الناس من ينصب المبتدأ والخبر جميعاً بعد كان .

وأكثر المولدين اختراعاً وتوليداً — فيما يقول الحذاق — أبو تمام ،
وابن الرومي .

والفرق بين الاختراع والإبداع — وإن كان معناها في العربية واحداً — أن
الاختراع : خَلَقُ المعاني التي لم يُسَبِّق إليها ، والإتيان بما لم يكن منها قط ، والإبداع
إتيان الشاعر بالمعنى المستظرف ، والذي لم تجر العادة بمثله ، ثم لزمته هذه التسمية حتى
قيل له بديع وإن كثرت وتكرر ، فصار الاختراع للمعنى ، والإبداع للفظ ؛ فإذا تم للشاعر
أن يأتي بمعنى مخترع في لفظ بديع فقد استولى على الأمد ، وحاز قصب السبق .

واشتقاق الاختراع من التلين يقال « بيت خرع » إذا كان ليناً ، والخروع
فِعْوَل منه ، فكأن الشاعر سهل طريقة هذا المعنى ولينه حتى أبرزه .

وأما البديع فهو الجديد ، وأصله في الحبال ، وذلك أن يقتل الحبل جديداً
ليس من قَوَى حبلٍ نقضت ثم قتلت فتلا آخر . وأشدوا للشَّماخ بن ضرار :
أطار عقيقه عنه نسلاً وأدمج دمج ذى شطر بديع

والبديع ضروب كثيرة ، وأنواع مختلفة ، أنا أذكر منها ما وسعته القدرة
وساعدت فيه الفكرة ، إن شاء الله تعالى ، على أن ابن المعتز — وهو أول من جمع
البديع ، وألف فيه كتاباً — لم يعده إلا خمسة أبواب : الاستعارة أولها ، ثم
التجنيس ، ثم المطابقة ، ثم رد الأعجاز على الضدور ، ثم المذهب الكلامي ، وعدَّ
ما سوى هذه الخمسة أنواع محاسن ، وأباح أن يسميها مَنْ شاء ذلك بديعاً ، وخالفه
من بعده في أشياء منها يقع التنبيه عليها والاختيار فيها حينما وقعت من هذا
الكتاب ، إن شاء الله تعالى .

العرب كثيراً ما تستعمل المجاز ، وتعدده من مفاخر كلامها ؛ فإنه دليل منزلة المجاز
الفصاحة ، ورأس البلاغة ، وبه بانت لغتها عن سائر اللغات

معنى المجاز

ومعنى المجاز طريق القول ومأخذه ، وهو مصدر « جُزْتُ مجازاً » كما تقول « قمت مقاماً ، وقلت مقالا » حكى ذلك الحاتمي ، ومن كلام عبد الله بن مسلم ابن قتيبة في المجاز قال : لو كان المجاز كذباً لكان أكثر كلامنا باطلاً ؛ لأننا نقول : نَبَتَ البَقْلُ ، وطالت الشجرة ، وأينعت الثمرة ، وأقام الجبل ، ورخص السعر ، ونقول : كان هذا الفعل منك في وقت كذا ، والفعل لم يكن وإنما يكون ، وتقول : كان الله ، وكان بمعنى حدث ، والله قبل كل شيء ، وقال في قول الله عز وجل : (فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ) لو قلنا المنكر هذا كيف تقول في جدار رأيته على شفا نهيار ؟ لم يجد بداً من أن يقول : يهيم أن يَنْقَضَ ، أو يكاد ، أو يقارب ، فإن فعل فقد جعله فاعلاً ، ولا أحسبه يصل إلى هذا المعنى في شيء من السنة المعجم إلا بمثل هذه الألفاظ .

المجاز أبلغ من الحقيقة

والمجاز في كثير من الكلام أبلغ من الحقيقة ، وأحسن موقعاً في القلوب والأسماع ، وما عدا الحقائق من جميع الألفاظ ثم لم يكن مُحَالاً مُحَضّاً فهو مجاز ؛ لاحتماله وجوه التأويل ، فصار التشبيه والاستعارة وغـيرهما من محاسن الكلام داخلة تحت المجاز ، إلا أنهم خصوا به — أعنى اسم المجاز — باباً بعينه ؛ وذلك أن يسمى الشيء باسم ما قاربه أو كان منه بسبب ، كما قال جرير ابن عطية :

إِذَا سَقَطَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ^(١) رَعَيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا غَضَابًا
أَرَادَ الْمَطَرُ لِقَرْبِهِ مِنَ السَّمَاءِ ، ويجوز أن تريد بالسما السحاب ؛ لأن كل ما أظلك فهو سماء ، وقال « سقط » يريد سقوط المطر الذي فيه ، وقال « رعيناه » والمطر لا يُرْعَى ، ولكن أراد النبات الذي يكون عنه ؛ فهذا كله مجاز ، وكذلك قول العتّابي :

(١) يروى * إذا نزل السماء . . . *

يَالَيْلَةَ لِي بِجَوَّارِينَ سَاهِرَةً حَتَّى تَكَلِّمَ فِي الصَّبْحِ الْعَصَافِيرُ
فَجَعَلَ اللَّيْلَةَ سَاهِرَةً عَلَى الْمَجَازِ ، وَإِنَّمَا يُسْمَرُ فِيهَا ، وَجَعَلَ لِلْعَصَافِيرِ كَلَامًا ،
وَلَا كَلَامَ لَهَا عَلَى الْحَقِيقَةِ . وَمِثْلُهُ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِخْبَارًا عَنْ سُلَيْمَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَى
سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَيْهِ : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ) وَإِنَّمَا الْحَيَوَانُ النَّاطِقُ الْإِنْسُ
وَالْجِنُّ وَالْمَلَائِكَةُ ، فَأَمَّا الطَّيْرُ فَلَا ، وَلَكِنَّهُ مَجَازٌ مَا يَحِجُّ وَاتِّسَاعٌ ، وَهَذَا أَكْثَرُ مَنْ
أَنْ يَحْصِرَهُ أَحَدٌ ، وَمِثْلُهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كَثِيرٌ ، مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : (وَأَسْأَلُ
الْقَرْيَةَ) وَمِثْلُهُ (وَأُثْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ) يَعْنِي حُبَّهُ ، وَمِنْهُ : (فَتَبَارَكَ
اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ) وَهُوَ الْخَالِقُ حَقًّا وَغَيْرُهُ خَالِقٌ مَجَازًا ، وَقَوْلُهُ : (وَاللَّهُ خَيْرُ
الْمَاكِرِينَ) وَإِنَّمَا سُمِّيَ ذَلِكَ مَكْرًا لِكَوْنِهِ مُجَازَاةً عَنْ مَكْرٍ ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ :
(فَنَبِّئْهُمْ بِعَذَابِ أَلِيمٍ) وَالْعَذَابُ لَا يُدَبَّرُ بِهِ ، وَإِنَّمَا هُوَ أَمَّا مَكَانُ الْبَشَارَةِ .
وَمِنْ أَنَاشِيدِ هَذَا الْبَابِ قَوْلُ الْفَرَزْدَقِ :

وَالشَّيْبُ يُنْهَضُ فِي الشَّبَابِ كَأَنَّهُ لَيْلٌ يَصْبِحُ بِجَانِبِهِ نَهَارٌ
وَقَالَ يَعْقُوبُ بْنُ السَّكَيْتِ : الْعَرَبُ تَقُولُ : بَارِضُ بَنِي فَلَانٍ شَجَرٌ قَدْ صَاحَ ؛
إِذَا طَالَ ، وَأَنْشَدُوا لِلْعِجَاجِ :

* كَالْكَرْمِ إِذَا نَادَى مِنَ الْكَافُورِ *

قَالَ ابْنُ قَتِيْبَةَ : لَمَّا تَبَيَّنَ الشَّجَرُ بَطُولَهُ وَدَلَّ عَلَى نَفْسِهِ جَعْلَهُ كَأَنَّهُ صَاحٌ ؛
لَأَنَّ الصَّاحَّ يَدُلُّ عَلَى نَفْسِهِ بِصَوْتِهِ . وَأَنْشَدَ غَيْرُهُ قَوْلَ سُوَيْدِ بْنِ كُرَاعٍ فِي
نَحْوِ هَذَا :

رَعَى غَيْرَ مَذْعُورٍ بِهِنَّ ، وَرَاقَهُ لُعَاعُ تَهَادَاهِ الدَّكَادِكُ وَاعْدَ
يُقَالُ : نَبَاتٌ وَاعْدٌ ، إِذَا أَقْبَلَ كَأَنَّهُ قَدْ وَعَدَ بِالْتِمَامِ ، وَكَذَلِكَ إِذَا نَوَّرَ أَيْضًا
قِيلَ : قَدْ وَعَدَ . وَمِنْ الْمَجَازِ عِنْدَهُمْ قَوْلُ الشَّاعِرِ وَغَيْرِهِ : فَعَلْتُ ذَلِكَ وَالزَّمَانُ غَرًّا ،
وَالزَّمَانُ غُلَامٌ ، وَمَا شَبَّهَ ذَلِكَ ، وَهُوَ يَرِيدُ نَفْسَهُ لَيْسَ الزَّمَانُ ، وَلَا أَرَى ذَلِكَ مُسْتَقِيمًا

بل عندى الصواب ونفس الاستعارة أن يبقى الكلام على ظاهره مجازاً ؛ لأننا نجد في هذا النوع ما لا ينساغ فيه هذا التأويل ، كقول بعضهم :
سألتني عن أناس هلكوا شرب الدهر عليهم وأكل
فليس معناه شربتُ وأَكَلْتُ عليهم ؛ لأنه إما يعني بعد العهد لا السلووقلة
الوفاء . وقال أبو الطيب :

أفنت مودَّتَهَا إليّ إلى بعدنا ومشى عليها الدهر وهو مقيّد
فإما أراد الدهر حقيقة . وقال الصنوبري :

كان عَيْشى بِهِمْ أُنَيْقاً فَوَلَّى وزماني فيهم غلاماً فشاخا
فليس مراده كُنْتُ فيهم غلاماً فَشِخْتُ ، ولكل موضع ما يليق به من
الكلام ويصح فيه من المعنى .

وأما كون التشبيه داخل تحت المجاز فلأن المتشابهين في أكثر الأشياء إنما
يتشابهان بالمقاربة على المسامحة والاصطلاح ، لا على الحقيقة ، وهذا يبين في بابه
إن شاء الله تعالى .

التشبيه من
المجاز

وكذلك الكناية في مثل قوله عز وجل إخباراً عن عيسى ومريم عليهما
السلام : (كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ) كناية عما يكون عنه من حاجة الإنسان ، وقوله
تعالى حكاية عن آدم وحواء صلى الله عليهما : (فَلَمَّا تَفَشَّاهَا) كناية عن
الجماع ، وقول النبي صلى الله عليه وسلم : « العَيْنُ وَكَأَنَّ السَّهْمَ » وقوله لحادٍ
كان يحدو به « إِيَّاكَ وَالْقَوَارِيرَ » كناية عن النساء لضعف عزائهن ، إلى أكثر
من هذا .

الكناية

٣٧ — باب الاستعارة

الاستعارة أفضل المجاز ، وأول أبواب البديع ، وليس في حلي الشعر
أعجب منها ، وهي من محاسن الكلام إذا وقعت مَوْقِعَهَا ، ونزلت موضعها ،

منزلة
الاستعارة

والناس مختلفون فيها : منهم من يستعير للشيء ما ليس منه ولا إليه ،
كقول لييد :

وَعَدَاةٍ رِيحٍ قَدْ وَزَعَتْ وَقَرَّةٍ إِذْ أَصْبَحَتْ بِيَدِ الشَّمَالِ زِمَامُهَا^(٧)

فاستعار للريح الشمال يداً ، وللعداة زِمَاماً ، وجعل زمام العداة ليد الشمال
إذ كانت الغالبة عليها ، وليست اليد من الشمال ، ولا الزمام من العداة . ومنهم
من يخرجها مخرج التشبيه كما قال ذو الرمة :

أَقَامَتْ بِهِ حَتَّى ذَوَى الْعُودِ وَالتَّوَى وَسَاقَ الثُّرَيَّا فِي مُلَاءَتِهِ الْفَجْرُ

فاستعار للفجر مُلَاءَةً ، وأخرج لفظه مخرج التشبيه .. . وكان أبو عمرو بن
الْعَلَاءِ لا يرى أن لأحد مثل هذه العبارة ، ويقول : ألا ترى كيف صير له ملأة ،
ولا ملأة له ، وإما استعار له هذه اللفظة ؟ وبعض المتعقبين يرى ما كان من نوع
بيت ذى لمة ناقص الاستعارة ؛ إذ كان محمولا على التشبيه ، ويفضل عليه ما كان
من نوع بيت لييد ، وهذا عندي خطأ ؛ لأنهم إما يستحسنون الاستعارة القريبة ،
وعلى ذلك مضى جِلَّةُ العلماء ، وبه أتت النصوص عنهم ، وإذا استعير لشيء
ما يقرب منه ويليق به كان أولى مما ليس منه في شيء ، ولو كان البعيداً حسن استعارة
من القريب لما استهجنوا قول أبي نَوَّاس :

(١) وزعت : كفت ، وروى « كشفت » يريد أنه وزع القر وكفه بإطعام
الطعام وإيقاد النيران . وقوله « إذ أصبحت بيد الشمال زمامها » أى : إذ أصبحت
الغداة الغالب عليها ربح الشمال وهى أبرد الرياح ، قال التبريزى « وجعل للرياح بدا
وللعداة زماما » اهـ وقال الشيخ عبد القاهر : « ليس فى بيت لييد شيء أكثر من
أن ينخل إلى نفسك أن الشمال فى تصريف العداة على حكم طبيعتها كالمدير المصرف
لها فى رماحه يده ومقاداته فى كفه ، وذلك كله لا يتعدى النجيل والتوهم » اهـ

من معيب
الاستعارة

بُحَّ صَوْتُ الْمَالِ مِمَّا مِنْكَ يَشْكُو وَيَصِيحُ

فأى شيء أبعد استعارة من صوت المال ؟ فكيف حتى بُحَّ من الشكوى والصياح مع ما أن له صوتاً حين يوزن أو يوضع ؟ ولم يردده أبو نواس فيما أقدر ؛ لأن معناه لا يتركب على لفظه إلا بعيداً ، وكذلك قول شار :

وَجَذَتْ رِقَابَ الْوَصْلِ أَسْيَافُ هَجْرِهَا وَقَدَّتْ لِرَجُلٍ الْبَيْنَ نَعْلَيْنِ مِنْ خَدَّيْ
فَمَا أَهْجَنَ « رجل البين » وأقبح استعارتها ! ! ولو كانت الفصاحة بأسرها فيها ، وكذلك « رقاب الوصل » ولا مثل قول ابن المعتز وهو أنقد النقاد :

* كُلَّ وَقْتٍ يَبُولُ زُبُّ السَّحَابِ *

فهذا أردأ من كل ردى ، وأمقت من كل مقيت .

حدود مختلفة
للاستعارة

قال القاضي الجرجاني : الاستعارة ما اكتفى فيها بالاسم المستعار عن الأصلي ، ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها ، وملاً كها بقرب التشبيه ، ومناسبة المستعار للمستعار له ، وامتزاج اللفظ بالمعنى حتى لا يوجد بينهما منافرة ، ولا يتبين في أحدهما إعراض عن الآخر وقال قوم آخرون منهم أبو محمد الحسن بن علي بن وكيع : خير الاستعارة ما بعد ، وعلم في أول وهلة أنه مستعار ، فلم يدخله لبس ، وعاب على أبي الطيب قوله :

وَقَدْ مَدَّتِ الْخَيْلُ الْعِتَاقُ عِيُونَهَا إِلَى وَقْتِ تَبْدِيلِ الرِّكَابِ مِنَ النُّعْلِ

إذ كانت الخيل لها عيون في الحقيقة ، ورجح عليه قول أبي تمام :

سَاسَ الْأُمُورَ سِيَاسَةَ ابْنِ تَجَارِبٍ رَمَقَتْهُ عَيْنُ الْمَلِكِ وَهُوَ جَنِينُ

إذ كان الملك لا عين له في الحقيقة .

وقال أبو الفتح عثمان بن جنى : الاستعارة لا تكون إلا للمبالغة ، وإلا فهي

حقيقة ، فإله في شرح بيت أبي الطيب :

فَتَى يَمْلَأُ الْأَفْعَالَ رَأْيَا وَحَكْمَةً وَبَادِرَةً أَحْيَاناً يَرْضَى وَيَفْضَبُ

وكلام ابن جني أيضاً حَسَنٌ في موضعه ؛ لأن الشيء إذا أعطى وصف نفسه لم يسم استعارة ، فإذا أعطى وصف غيره سمي استعارة ، إلا أنه لا يجب للشاعر أن يبعد الاستعارة جداً حتى ينافر ، ولا أن يقربها كثيراً حتى يحقق ، ولكن خير الأمور أوسطها .. قال كثير يمدح عمر بن عبد العزيز واستعار حتى حقق :

وَقَدْ لَبِستُ لبسَ الهُلُوكِ ثيابها وَأَبَدَتُ لك الدنيا بكف ومعصم
وترمق أحياناً بعين مريضة وتَبَسُّمُ عَنْ مثلي الجُمانِ المُنْظَمِ

وحَسْبُكَ أنه وصف العين التي استعار بالمرض ، وشبهه للبسم بالجمان ، وهذا إفراط غير جيد ههنا .

قال أبو الحسن الرماني : الاستعارة استعمال العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة ، وذكر قول الحجاج « إني أرى رؤوساً قد أُنِعتَ وُحانَ قِطافُها » .

وقد يأتي القدماء من الاستعارات بأشياء يجتنبها المحدثون ، ويستهنون بها ، مما يجتنبه المحدثون
ويعافون أمثالها ظرفاً واطافة ، وإن لم تكن فاسدة ولا مستحيلة . ؛ فنها قول الاستعارة
امرئ القيس :

وَهَرْتُ تَصِيدُ قُلُوبَ الرِّجَالِ وَأُفَلَّتْ مِنْهَا ابْنُ عَمْرِو حُجْرٍ

فكان لفظة « هر » واستعارة الصيد معها مضحكة هجينة ، ولو أن أبا هر حُجراً من فارات بيته مأسِفٌ على إفلاته منها هذا الأَسَفُ ، وأين هذه الاستعارة من استعارة زهير حين قال يمدح :

لَيْثٌ بَعَثَ يَصْطَادُ الرِّجَالَ إِذَا مَا كَذَبَ اللَّيْثُ عَنْ أَقْرَابِهِ صَدَقاً

لاعلى أن امرأ القيس أتى بالخطأ على جهته ، ولكن لاسكلام قرآن تحسنه ، وقرائن تقبحه ، كذكر الصيد في هذين البيتين .

واعلم معترضاً يقول : العرب لا تعرف إلا الحقائق ، ولا تلتفت إلى كلام

السفلة ، فقد قدمت هذا في أول كلامي ، وعرفت أنه لا يلزم ، ولكن يرغب عنه في الواجب ، ألا ترى أن بعض الوزراء — وقيل : بل هو المأمون — غَيَّرَ الْمَسْلَحَةَ^(١) واستهجنها لما فيها فقال : قولوا المصلحة ، وليس ذلك لعله إلا موافقة كلام السفلة .

وقال الرماني : الاستعارة الحسنة ما أوجب بلاغة ، ببيان لا تنوب منابه الحقيقة ، كقول امرئ القيس :
* قَيْدِ الْأَوَابِدِ^(٢) *
واسترذل قول بعض المولدين :

* اسْفِرِي لِي النِّقَابَ بِأَضْرَةِ الشَّمْسِ *

بأن قال : أترأى ظن أن الضرة لا تكون إلا حسنة ؟ ! وإلا فأئى وجه لاختياره هذه الاستعارة .

ومثل قول امرئ القيس المتقدم ذكره في القبح قول مسلم بن الوليد :
وَلَيْلَةً حُلِمْتُ لِلْعَيْنِ مِنْ سَنَةٍ هَتَكْتُ فِيهَا الصَّبَا عَنْ بَيْضَةِ الْحَجَلِ
فاستعار للحجل — يعني السكل — بيضة ، كما استعارها امرؤ القيس للخدر في قوله :

* وَبَيْضَةَ خِذْرِ لَا يُرَامُ خِبَاؤُهَا^(٣) *

وكلاهما يعنى المرأة ، فاتفق لمسلم سوء الاشتراك في اللفظ ؛ لأن بيضة الحجل من الطير تشاركها ، وهى لعمرى حسنة المنظر كما عرفت . . وقال في موضع آخر :

(١) المسلحة : موضع السلاح ، وهى أيضا الثغر أى للموضع الذى يخاف أن يأتى منه العدو . وإعما كره لفظها لأنه يأتى من السلاح — بصم السين — وهو التعوط (٢) ذلك في قوله من المعلقة :

وقد أغتدى والطير فى وكساتها بمنجرد قد الأوابد هيكلا

(٣) تمامه : * تمتعت من لهوبها غير معجل *

رُمْتُ السُّلُوَّ وناجاني الضميرُ به فاستعطفني على بيضاتها الحجلُ
فما الذي أعجبه من هذه الاستعارة قبحها الله !!!؟ ولو قال «الكلل» لتخلصَ
وأبدع فكان تبعاً لامرئ القيس في جودة هذه الاستعارة ..

وقال حبيب على بصره بهذا النوع :

* والله مفتاحُ باب المعقلِ الأشيبِ *

فجعل الله تعالى اسمه مفتاحاً ، وأئى طائل في هذه الاستعارة مع ما فيها من
البشاعة والشناعة !!!؟ وإن كنا نعلم أننا أراد أمر الله وقضاه .

واعترض بعض الناس على قول أبي تمام :

للجودِ بابٌ في الأنام ولم تزل مُذْ كنتَ مفتاحاً لِدَاكَ البابِ

بمحضرة بعض أصحابنا ، وقال : أتى إلى ممدوحه فجعله مفتاحاً ، فهلا قال

كما قال ابن الرومي :

قَبْلُ أَنَامِلِهِ فَلَسَنَ أَنَامِلَا - كَيْكُنْهُنَّ مَفَاتِحُ الْأَرْزَاقِ

فقال له الآخر : عجبت منك تعيب أن يجعل ممدوحه مفتاحاً وقد جعل ربه

كذلك ، وأنشد البيت للتقدم مجزه .

وقال في ممدوح ذكر أنه يعطيه مرة ويشفع له أخرى إلى من يعطيه :

فَإِذَا مَا أَرَدْتَ كُنْتَ رِشَاءً وَإِذَا مَا أَرَدْتَ كُنْتَ قَلِيْبًا

فجعله مرة حبلاً ومرة بئراً .. وقال الآخر هو أبو تمام :

ضاحي المحيا للهجير وللقنا تحت العجاج تخاله محراثاً

فلعن الله على المحراث ههنا ، ما أقبحه وأركه !!!؟ وأين هذا كله من قوله

المليح البديع :

أَوْ مَا رَأَتْ بَرْدَى مِنْ نَسْجِ الصَّبَا وَرَأَتْ خَضَابَ اللَّهِ وَهُوَ خَضَابِي

وإن كان إنما أخذه من قول الله عز وجل : (صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً) قالوا : يريد الختان ، وقيل : الفطرة .

والاستعارة إنما هي من اتساعهم في الكلام اقتداراً ودالة ، ليس ضرورة ؛ لأن ألفاظ العرب أكثر من معانيهم ، وليس ذلك في لغة أحد من الأمم غيرهم ، فإنما استعاروا مجازاً واتساعاً . ألا ترى أن للشئ عندهم أسماء كثيرة وهم يستعيرون له مع ذلك ؟ على أنا نجد أيضاً اللفظة الواحدة يُعبر بها عن معاني كثيرة ، نحو « العين » التي تكون جارحة ، وتكون الماء ، وتكون الميزان ، وتكون المطر الدائم الغزير ، وتكون نفس الشئ وذاته ، وتكون الدينار ، وما أشبه ذلك كثير ، وليس هذا من ضيق اللفظ عليهم ، ولكنه من الرغبة في الاختصار ، والثقة بفهم بعضهم عن بعض . ألا ترى أن كل واحد من هذه التي ذكرنا له اسم غير العين أو أسماء كثيرة ؟

السرف في
استعارتهم لفظ
الشئ لغيره

ومما اختاره ابن الأعرابي وغيره قول أُرطاة بن سُهَيْبَة .

فقلتُ لها يا أمَّ بيضاء^(١) إني هريقَ شبابي واستشنَّ أديمي

أمثلة من
الاستعارة
المختارة

فقال * هريقَ شبابي * لما في الشباب من الرونق والطراوة التي هي كالماء ، ثم قال * استشنَّ أديمي * لأن الشَّنَّ هو القرية الياسة ؛ فكأن أديمه صار شناً لما هريق ماء شبابه ؛ فصحت له الاستعارة من كل وجه ولم تبعد . ومثل ذلك في الجودة ما اختاره ثعلب وفضله جماعة ممن قبله ، وهو قول طَفِيل الغنَوِي :

فوضعتُ رجلي فوقَ ناجيةٍ يَتَقَتَاتُ شَحْمَ سَنَامِهَا الرَّحْلُ^(٢)

(١) في نسخة « يا أم عمران »

(٢) الناجية : الناقة السريعة ، والرحل : ما يقتعد عليه الراكب ، يريد أن الرحل فوقها دائماً - كساية عن طول ما يسافر عليها - فينتقص شحم سنامها .

فجعل شحم سنامها قوتاً للرحل ، وهذه استعارة كما تراها كأنها الحقيقة
لتمسكها وقربها ، وقد تناولها جماعة منهم كثنوم بن عمرو العتّابي : قال في قصيدة
يعتذر فيها إلى الرشيد :

ومن فوق أكوار المهارى^(١) لبانة أحلّها أكل الذرى والغوارب

ثم أتى أبو تمام وعوّل على العتّابي وزاد المعنى زيادة لطيفة بينة فقال :
وقدأكلوا منها الغوارب بالشرى فصارت لها أشباحهم كالغوارب

وكان ابن المعتز يفضل ذا الرمة كثيراً ، ويقدمه بحسن الاستعارة والتشبيه ،
لا سيما بقوله :

فلما رأيت الليل والشمس حية حياة الذى يقضى حُشاشة نازع

لأن قوله * والشمس حية * من بديع الكلام والاستعارة ، وباقي البيت
من عجيب التشبيه . واختار الحاتمي في باب الاستعارة في وصف سحائب - وأظنه
لابن ميادة ، واسمه الرّمّاح بن أبرّد من بني مرة ، وميادة أمه :

إذا ما هبّطن القاع قد مات بقله بكين به حتى يعيش هشيم

ورواه قوم لأبي كبير ، وابن ميادة أولى به وأشبهه .

والاستعارة كثيرة في كتاب الله عز وجل وكلام نبيه صلى الله عليه وسلم :
من ذلك قوله تعالى : (لما طغى الماء) وقوله : (فلما سكّت عن موسى الغضب)
وقوله : (سمعوا لها شهيقاً وهى تفرور ، تكاد تميز من الغيظ) ، فالشهيق والغيط
استعارتان ، وقوله تعالى : (يا أرض ابلعي ماءك) وكثير من هذا لو تقصى لطلال
جداً . وقول النبي صلى الله عليه وسلم : « الدنيا حُلوة خَضِرَة » ، وقوله لحالب
حلب ناقة : « دَعْ داعي اللبن » يعنى بقية من اللبن في الحلب ، وقوله : « تمسحوا

أمثله من
الاستعارة
في القرآن
والحديث

(١) في نسخة « المطايا »

بالأرض فإنها بكم برة . قال أبو عبيد : يريد أنها منها خلقهم ، ومنها معادهم ،
وهى بعد الموت : كِفَاتُهُمْ^(١) وقوله : « رب تقبل تَوْبَتِي ، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي »
فغسل الحوبة استعارة مليحة .

ومن أناشيد هذا الباب — وهو فيما زعم ابن وكيع أول استعارة وقعت —
قول امرئ القيس يصف الليل :

وَأَيْلِ كَوْجِ الْبَحْرِ أَرْخَى سُدُوتَهُ عَلَى أَنْوَاعِ الْهَمُومِ لَيْتِي لِي
فَقَلْتُ لَهُ لِمَا تَمَطَّى بِجَوْرِهِ^(٢) وَأَرْدَفَ أَعْجَازاً وَنَاءً بِكُلِّ كَلِّ

فاستعار الليل سدولا يرخيها ، وهو الستور ، وصُلْبًا يتمطى به ، وأعجازاً يردفها ،
وكل كلاً ينوء به ، وقال حسان بن ثابت يذكر قتلة عثمان رحمة الله عليه :
ضَحَّوْا بِأَشْمَطِ عُنْوَانِ السَّجُودِ بِهِ يُقَطِّعُ اللَّيْلَ تَسْبِيحًا وَقَرَأَنَا
فَالاستعارة قوله * عُنْوَانُ السَّجُودِ بِهِ * وقد أخذ من قول الله تعالى :
(سَيَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السَّجُودِ) وقال جميل العدري :

أَكَلَمَا بَانَ حَتَّى لَا تُلَاقِيَهُمْ وَلَا يَبَالُونَ أَنْ يَشْتَاقَ مَنْ فَجَعُوا
عَلَقَتْنِي بِهِوًى مِنْهُمْ ، فَقَدْ جَعَلَتْ مِنْ الْفِرَاقِ حَصَاةَ الْقَلْبِ تَنْصَدِعُ

البديع « حَصَاةُ الْقَلْبِ » . ومن كلام المولدين قول أبي نواس :
بَصَحْنِ خَدَّيْ لَمْ يَغْضُ مَاؤُهُ وَلَمْ تَخْضُهُ أَعْيُنُ النَّاسِ
البديع كل البديع عجز البيت . وقال أيضاً :

فَإِذَا بَدَأَ اقْتَادَتْ مُحَاسِنُهُ قَسْرًا إِلَيْهِ أَعْنَةُ الْحُدُقِ

(١) الكفات - بكسر الكاف - الموضع يضم فيه الشيء ويجمع .

(٢) في إحدى روايات المعلقة * فقلت له لما تمطى بصلبه * وهى رواية

الخطيب والأعلم ، والذي رواه المؤلف رواية الأصمعي ، والمعنى لما تمدد بوسطه .

البديع « أعنة الحدق » وقوله « اقتادت » . وقال أبو الطيب :
 ضممتَ جناحيهم على القلب ضمة تموت الخوا في تحتها والقوادم
 أراد بالجناحين مئمنة العسكر وميسرته ، وبالقلب موضع الملك ، وبالخوا في
 والقوادم السيوف والرماح ، وهذا تصنيع بديع ، كله حسن الاستعارات .. وقال :
 صدمتهم بحميس أنت غرته وسهريته في وجهه شمم
 وهذا كالأول جودة .. وقال السري الموصلی :
 يشق جيوب الورد في شحراته نسيم متى ينظر إلى الماء يبرد
 فالبديع قوله « متى ينظر » .

(٣٨) - باب التمثيل

ومن ضروب الاستعارة التمثيل ، وهو المماثلة عند بعضهم ، وذلك أن تمثل
 شيئاً بشيء فيه إشارة^(١) ، نحو قول امرئ القيس وهو أول من ابتكره ، ولم يأت
 أملح منه :

حد التمثيل
 وأوله من
 ابتكره

وَمَا ذَرَفَتْ عَيْنَاكَ إِلَّا لَتَمْدَحِي سَهْمَيْكَ فِي أَعْشَارِ قَلْبٍ مُّقْتَلٍ^(٢)
 فمثل عينيها بسهمي الميسر - يعني الملقى ، وله سبعة أنصباء ، والرقيب ، وله
 ثلاثة أنصباء - فصار جميع أعشار قلبه للسهمين اللذين مثل بهما عينيها ، ومثل
 قلبه بأعشار الجزور ؛ فتمت له جهات الاستعارة والتمثيل .

وقال حريث بن زيد الخليل :

أَبَانَا^(٣) بِقَتْلَانَا مِنَ الْقَوْمِ عُصْبَةٌ كَرَامًا ، وَلَمْ نَأْكُلْهُمْ حَشَفَ النَّخْلِ

(١) كذا ، وربما كان صوابها « فيه استعارة » ويؤيده قوله في آخر تعليقه على

بيت امرئ القيس « فتمت له جهات الاستعارة والتمثيل »

(٢) ذرفت : دمعت ، إلا لتمدحى : يروى في مكانه « إلا لتضربني » في أعشار

قلب : أى في قلب معتبر ، أى : مكسر ، مقتل ، مذل ، منقاد ، يقول : ما بكيت
 إلا لتجرحني قلباً قد ذلله العشق . (٣) في الأصول « أفأنا » .

فقتل خساس الناس بحشف النخل ، ويجوز أن يريد أخذ الدية فيكون حينئذ حذفاً أو إشارة . . وقال الأخطل لنا بعة بنى جعدة :

لَقَدْ جَازَى أَبُو لَيْلَى بِقَحْمٍ وَمُنْتَسِكٍ عَنِ التَّقْرِيبِ وَإِنْ
إِذَا هَبَطَ الْخَبَارَ كِبَا لَفِيهِ وَخَرَّ عَلَى الْجَحَافِلِ وَالْجِرَانِ

وإنما غيره بالكبر ، وإنما هو شاب حديث السن . . وقل بعض الرواة :
إنما تهاجيا في مسابقة فرسين ، وهو غلط عند الخذاق .

ومن التمثيل أيضا قوله :

فَنَحْنُ أَخٌ لَمْ تَلَقَ فِي النَّاسِ مِثْلَنَا أَخَا حِينَ شَابَ الدَّهْرُ وَابْيَضَّ حَاجِبُهُ
ومعنى التمثيل اختصار قولك مثل كذا وكذا وكذا وكذا . . .

وقال أبو خِرَاشٍ في قصيدة رثى بها زهير بن عجردة ، وقد قتله جميل بن
معمر يوم حنين مأسوراً :

فَلَيْسَ كَعَهْدِ الدَّارِ يَا أُمَّ مَالِكٍ وَلَكِنْ أَحَاطَتْ بِالرَّقَابِ السَّلَاسِلُ
يقول : نحن من عهد الإسلام في مثل السلاسل ، وإلا فكنا نقتل قاتله ،
وهو من قول الله عز وجل في بني إسرائيل (وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي
كَانَتْ عَلَيْهِمْ) يريد بذلك الفرائض المانعة لهم من أشياء رَخَّصَ فيها لأمة محمد
صلى الله عليه وسلم ، وإلى نحو ذلك ذهب عمرو بن معدى كرب حين خَفَقَهُ عُمَرُ
رضي الله عنه بالدَّرَّةِ ، فقال له : اَلْحُمَى أَضْرَعَتْنِي لَكَ ، يعنى الدين ، وإن كان المثل
قديما إنما [هو] الحمى أضرعتنى للنوم .

ومن جيد التمثيل قول ضُبَاعَةَ بِنْتِ قُرْطَرْنَى زَوْجِهَا هِشَامِ بْنِ الْمَغِيرَةِ الْخَزَوِيِّ :

إِنَّ أَبَا عَثْمَانَ لَمْ أَنْسَهُ وَإِنْ صَمَتًا عَنْ بَكَاهِ لِحُوبِ

تفاقدوا من معشر! ما لهم أَى ذُنُوبٍ صَوَّبُوا فِي الْقَلِيبِ؟

ومن كلام النبي صلى الله عليه وسلم في التمثيل قوله : « الصوم في الشتاء
الغنيمة الباردة » وقوله : « ظَهَرُ الْمُؤْمِنِ مِشْجَبُهُ ، وَخَزَانَتُهُ بَطْنُهُ ، وَرَاحِلَتُهُ رَجُلُهُ ،

وذخيرته ربه » وقوله : « المؤمن في الدنيا ضيف ، وما في يديه عارية ، والضيف
مرتحل ، والعارية مؤدّاة ، ونعم الصهر القبر » .

ومن مليح أناشيد التمثيل قول ابن مُقْبَل :

إني أقيدُ بالمأثور راحلتى ولا أبالى وإن كنا على سفر

فقوله * أقيدُ بالمأثور * تمثيل بديع ، والمأثور هو السيف الذى فيه أثرٌ ،
وهو الفرند ، وقوله * ولا أبالى * حشو مليح ، أفاد مبالغة عجيبة ، وقوله * وإن

كنا على سفر * زيادة فى المبالغة ، وهذا النوع يسمى إيفالاً ، وبعضهم يسميه
التبليغ ، وهو يرد فى مكانه من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .
(أو التبليغ) الإيفال

ومما اختاره عبد الكريم وقدمه قولُ ابن أبي ربيعة :

أيها المنكحُ الثريّاً سهيلاً عمرَكَ اللهَ كيف يلتقيان!!؟

هى شاميّة إذا ما استقلتُ وسهيلٌ إذا استقلَّ يمانى

يعنى الثريا بنت على بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر ، وكانت نهاية
فى الحسن والكمال ، وسهيل بن عبد الرحمن بن عوف ، وكان غاية فى القبح
والدمامة . فمثل بينهما وبين سميتهما ، ولم يرد إلا بُعد ما بينهما وتفاوتة خاصة ،
لا أن سهيلاً يمانى قبيح ولا دميم ، ولا أدرى هل هذا الرأى موافق لرأى
عبد الكريم أم لا ؟ وحسبك أن الشاعر لم يفكر إلا التقاءهما .

وقال أبو الطيب وذكر نزاراً :

فأقرحت المقادُ ذِفْرَ يَها وصعّرَ خدّها هذا العذار

ووصف ربحاً فقال ، وهو مليح متمكن جداً :

يفادر كلّ ملتفتٍ إليه ولبته لشعلبه وجارٌ

وقال يخاطب سيف الدولة :

بنو كعب وما أترتَ فيهم يدٌ لم يذمها إلا السَّوارُ

بها من قطعها ألمٌ وَنَقْصٌ وفيها من جلالتها افتخار
والتمثيل والاستعارة من التشبيه ، إلا أنهما بغير أدواته ، وعلى غير أسلوبه ،
والمثل المضروب في الشعر نحو قول طرفة :

الفرق بين
الاستعارة
والتشبيه
والتمثيل

سَتُبْدَى لَكَ الْأَيَّامَ مَا كُنْتَ جَاهِلًا وَيَأْتِيكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تَزُودِ
راجع إلى ما ذكرته ؛ لأن معناه ستبدي لك الأيام كما أبدت غيرك ويأتيك
بالأخبار من لم تزود كما حرت عادة الزمان . . وتسمية المثل دالة على ما قلته ؛
لأن المثلَ والمِثْلَ التشبيه والنظير ، وقيل : إنما سمي مثلاً لأنه مائل لخاطر الإنسان
أبداً ، يتأذى به ، ويعظ ويأسر ويزجر ، والمائل : الشاخص المنتصب ، من قولهم
« طَلَّلَ مائلٌ » أى : شاخص ، فإذا قيل « رسم مائل » فهو الدارس ، والمائل من
الأضداد . . وقال مجاهد في قول الله عز وجل (وقد خلت من قبلهم المثلثات) :
هى الأمثال . وقال قتادة : هى العقوبات . وقال قوم : إنما معنى المثل المثل المائل الذى
يُحْدِثُ عليه ، كأنه جعله مقياساً لغيره ، وهو راجع إلى ما قدمت . . وقال بعضهم :
فى المثل ثلاث خلال : إيجاز اللفظ ، وإصابة المعنى ، وحسن التشبيه ، وقد يكون
المثل بمعنى الصفة ، من ذلك قول الله تعالى : (مثل الجنة التى وَعِدَ الْمُتَّقُونَ) أى :
صفة الجنة ، وقوله : (وله المثل الأعلى فى السموات والأرض) أى : الصفة العليا ،
وهى قولنا « لا إلهَ إِلاَّ الله » وقوله تعالى : (ذلك مثلهم فى التوراة ، ومثلهم فى
الإنجيل كزراع أخرج شَطَأً) أى : صفتهم .

(٣٩) — باب المثل السائر

المثل السائر فى كلام العرب كثير نظماً ونثراً ، وأفضله أَوْجَزُهُ ، وأحكمه
أَصْدَقُهُ ، وقولهم « مِثْلُ شَرُودٍ وَشَارِدٌ » أى سائر لا يُرَدُّ كالجلج الصَّعْبِ الشارد الذى
لا يكاد يعرض له ولا يرد . . وزعم قوم أن الشرود مالم يكن له نظير كالشاذ
والنادر ، فأما قول أبى تمام وكان إمام الصنعة ورئيسها :

أفضل المثل

لَا تُنْكِرُوا ضَرْبِي لَهُ مَنْ دُونَهُ مَثَلًا شَرُّودًا فِي النَّدَى وَالْبَاسِ

حين عيب عليه قوله في ابن المعتصم :

إِقْدَامُ عَمْرٍو فِي سَمَاحَةِ حَاتِمٍ فِي حِلْمِ أُحْنَفَ فِي ذِكَاةِ إِبَّاسِ
فإنه يشهد للقول الأول ؛ لأن المثل بعمره وحاتم مضروب قديماً ، وليس
بمثل لا نظير له كما زعم الآخر .

وقد تأتى الأمثال الطوال محكمة إذا تولاهما الفصحاء من الناس ، الأمثال الطوال
فأما ما كان منها في القرآن فقد ضمن الإيجاز ، قال الله عز وجل : (كمثل
العنكبوت اتخذت بيتاً ، وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت) وقال :
(فمثل كمثل العنكبوت : إن تحمل عليه يلهث ، أو تتركه يلهث) وقال :
(كمثل الحمار يحمل أسفاراً) فهذه أمثال قصار . . وقال : (إن الله لا يستحي
أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها) ومن الأمثال الطوال قوله تعالى : (ضرب
الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط) الآية (وضرب الله مثلاً للذين آمنوا
امرأة فرعون) الآية (ومريم ابنة عمران) الآية ، وقال : (فمثل كمثل صفوان
عليه تراب) الآية ، وقال (والذين كفروا بربههم أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه
الظمان ماء ، حتى إذا جاءهم لم يجده شيئاً) الآية ، ثم قال : (أو كظلمات في بحر لجي)
الآية . . ومن كلام النبي صلى الله عليه وسلم في الأمثال قوله : « كل الصيد في
جوف القرأ » قاله لأبي سفيان بن حرب حين أسلم ، وقوله : « مثل المؤمن كمثل الخامة
من الزرع تملأها الرياح مرة هكذا ومرة هكذا ، ومثل المنافق مثل الأرزة المجذبة ^(١) »

(١) في الصريتين « الأرزة الحرية » وفي التونسية « المجذبة » وكل هذا
تصنيف ، وإنما هو « مثل الأرزة المجذبة » كما أثبتناه ، قال ابن الأثير : « الأرزة
بسكون الراء وفتحها - شجرة الأرزن وهو حشب معروف ، وقيل : هو الصنوبر ،
وقال في بعضهم . هي الأرزة - بوزن فاعلة - وأسكرها أبو عبيد » اهـ ، وقال في
موضع آخر : « المجذبة : هي الثابتة المنتصبه ، يقال : جدت تجذو ، وأنجذت
تجذى » اهـ

على الأرض حتى يكون انجمافها مرة « وقوله حين ذكر الدنيا وزينتها فقال :
« وإن مما ينبت الربيع ما يقتل حَبَطًا أو يُيْلَمُ » وقوله : « وإياكم وخَضْرَاءُ الدَّمَنِ »
قيل : وما خضراء الدمن ؟ قال : « المرأة الحسناء في اللَّئِنَةِ السَّوْءِ »
والأنشيد في هذا الباب كثيرة : فمنها ما فيه مثل واحد ، ومنها ما فيه مثلان ،
ومنها ما فيه ثلاثة أمثال ، ومنها ما فيه أربعة أمثال ، وهو قليل جداً ، وكل نوع
من هذه الأنواع فيه احتياج واستغناء .

لم نظم للمثل ؟ والمثل إنما وزن في الشعر ليكون أشدَّ دلالة ، وأخف للنطق به ، فتي لم يتزن
كان الإتيان به قريباً من تركه .. وقد حكى الخاتمي أشياء لا أدرى كيف وجهها ،
وزعم أن حمادا الراوية سئل : بأي شيء فضل النابغة ؟ فقال : إن النابغة
إن تمثلت بيت من شعره اكتفيت به ، مثل قوله :

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيْبَةً وَلَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ لِلْمَرْءِ مَذْهَبٌ

بل لو تمثلت بنصف بيت من شعره اكتفيت به ، وهو قوله * وليس وراء
الله للمرء مذهب * بل لو تمثلت بربع بيت من شعره اكتفيت به ، وهو قوله
* أي الرجال المهذب ؟ * ^(١) ولا أعرف كيف يجعل حماد هذا ربع بيت وفيه
زيادة سببين وهما أربعة أحرف ؟ إلا أن يُريد التقريب ، فهذا من الاحتياج
الذي ذكرته ؛ لأنه لا يتمثل به على أنه شعر إلا احتاج إلى ما قبله واستغنى
ما قبله عنه ، ألا ترى [أنه] لو قال * ولست بمستبق أخاً لا تلته * أنه يكون
مثلاً كافياً ، ثم لا يتعلق قوله * على شعث * بشيء من المثل الثاني وإن بقي
موزوناً ، فإذا رده على الصدر تعلق به وبقي المثل الثاني مكسوراً .

ومثله قول القطامي ، واسمه عُمَيْرُ بْنُ شُعَيْمٍ التُّغَلَيْي :

(١) البيت بتمامه هو قوله :

ولست بمستبق أخاً لا تلته على شعث ، أي الرجال المهذب ؟
ويستقف على هذا البيت مفرقا في كلام المؤلف .

وَالنَّاسُ مَنْ يَبْلُقَ خَيْرًا قَانِلُونَ لَهُ مَا يَشْتَهُى ، وَلَا مَ الْمُخْطِىءِ الْهَبَلُ
 فقوله * ولأَمِ الْخَطِيءِ الْهَبَلُ * مثل ، إلا أنه غير موزون حتى يتصل بقوله
 * ما يشتهى * وذلك من تمام المثل الأول الذى فى صدر البيت ، وهذا كله احتياج
 ومما لا احتياج فيه قول امرىء القيس :

اللَّهُ أَتَجَحَّ مَا طَلَبْتَ بِهِ وَالْبِرُّ خَيْرُ حَقِيقَةِ الرَّحْلِ
 فى كل قسم من هذين مثل قائم بنفسه ، غير محتاج إلى صاحبه . .
 وكذلك قول الخطيئة :

مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَا يَغْدِمُ جَوَازِيَهُ لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ
 وقال عبید بن الأبرص الأسدى :

الخير يَبْقَى وإن طال الزمان به وَالشَّرُّ أَخْبَثُ مَا أَوْعَيْتَ مِنْ زَادٍ
 ومما فيه مثل واحد قول عنترة العبسى :

نُبِئْتُ نَحْمَرًا غَيْرَ شَاكِرٍ نَعْمَتِي وَالْكَفَرُ مَحْبَبَةٌ لِنَفْسِ الْمَنَعَمِ
 فجاء بالمثل غير محتاج إلى ما قبله . . وقال أبو ذؤيب :

تَرْكُوا هَوًى وَأَعْنَقُوا لَهْوَاهُمْ فَتَخِرُّمُوا ، وَلِكِلِّ جَنْبٍ مَضْرَعُ

فإن بدأت بالقسم الثانى كان مثلاً سائراً ، وإن أسقطت جزءاً منه بقى المثل
 سائراً غير موزون ، إلا أن يكون فى المرفوع من الأمثال مُصَمَّت يأتى فى البيت
 بأشريه كقول الأول :

وَإِنَّكَ لَنْ تَرَى طَرْدًا لِحُرٍّ كَأَلْصَاقٍ بِهِ طَرَفَ الْهَوَانِ

وقول أبى نواس :

إِذَا امْتَحَنَ الدُّنْيَا لَيْبٌ تَكْشَفَتْ لَهُ عَنْ عَدُوٍّ فِي ثِيَابِ صَدِيقٍ

ومما فيه ثلاثة أمثال قول زهير :

وفى الحلم إذ عَاَنُ ، وفى العفود دُرْبَةٌ ، وفى الصدق منجاة من الشر فأصدق

فأتى بكل مثل في ربع بيت ، ثم جعل الربع الآخر زيادة في شرح معنى ما قبله . وكذلك قول النابغة الذبياني :

الرفق يُمنُّ ، والأناة سلامة فاستأن في رفقٍ تلاقٍ نجاحاً
فجاء بثلاثة أمثال إلا أنها مُدَاخِلَةٌ لم تسلم سلامة ما قبلها من كلام زهير .
وقال ابن عبد القدوس :

كُلُّ آتٍ لَا بَدَأَتْ ، وَذُو الْجَهْلِ مُعْنَى ، وَالنِّعَمَ وَالْحُزْنَ فَضْلُ
فأتى بثلاثة أمثال مداخللة الوزن أيضاً ، وكان قول ضابيء بن الحارث :
وفي الشك تفريط ، وفي الحزم قوة ، ويخطيء في الخدس الفتي وَيُصِيبُ
أحسن تعديلاً في القسمة ؛ لأن شطره الأول مشتمل على مثلين ، وشطره
الثاني مشتمل على مثل قائم بنفسه . وقال عبد الله بن المعتز :

والعيش هر ، والموت مر مستكره ، والمئى ضالال
والحرص ذل ، والبخل فقد وآفة النائل المطال

ففي البيت الأول ثلاثة أمثال في أحدها احتياج ، وفي البيت الثاني ثلاثة أمثال
لا احتياج فيها على حَدِّ ما أتى به ضابيء ، ولم أر بيتاً فيه أربعة أمثال كل
واحد منها قائم بنفسه إلا قليلاً ، أنشد الأصمعي :

فالهمُّ فَضْلٌ ، وطول العيش منقطعٌ ، والرزق آتٍ ، وَرَوْحُ اللَّهِ منتظر

وقال أبو الطيب وحكم عليه الوزن أيضاً :

والمرء يأملُ ، والحياة شهية ، والشيبُ أقر ، والشبية أنزقُ
فأتى بمثلين في كل قسم ، وصنعت أنا :

كلُّ إلى أجلٍ ، والدمر ذو دُول والحرص مخيبة ، والرزق مقسوم
وأقل من ذلك ما كان فيه خمسة أمثال ، ولا أعرف منه في حفظي إلا بيتاً

واحداً للقرّاز السناط في بسط قصيدة مدح بها الأمير تميم بن [اللعز] معد ، وهو قوله :

خَاطِرٌ تُفِدُّ، وَارِثٌ تَدْتَجِدُّ، وَآكِرٌ تَسُدُّ وَانْقُدْ تُقُدُّ ، وَاصْفَرُّ تُعَدُّ الْآكِرَا

وأما ما فيه ستة فإني صنعت :

خُذِ الْعَفْوَ ، وَأَبِ الضَّيْمَ ، واجتنب الأذى

وَأَغْضِ تَسُدُّ ، وَارْفُقْ تَنْلُ ، وَاسْخُ مُحَمَّدٍ

ومن الأمثال أيضاً كلمات سارت على وجه الدهر : كقولهم « نسمع بالمعيدي خير من أن تراه » يضرب مثلاً للذي رؤيته دون السماع به ، وفي كل ما جرى هذا الجرى ، وكذلك قولهم : « عَلَى أَهْلِهَا جَنَّتْ بَرَاقِشٌ » يضرب مثلاً للرجل يهلك قومه بسببه . وأما قولهم في تفسير ما يقع في الشعر من جنس قول الخطيئة :

* شَدُّوا الْعِنَاجَ شَدُّوا فَوْقَهُ الْكَرْبَا *

هو مثل ؛ فإما ذلك مجاز ، أرادوا التمثيل .

وهذه الأشياء في الشعر إنما هي نبذ تستحسن ، ونكت تستظرف ، مع القلة ، وفي الندرة ، فأما إذا كثرت فهي دالة على الكلفة ، فلا يجب للشعر أن يكون مثلاً كله وحكمة ك شعر صالح بن عبد القدوس ؛ فقد قعد به عن أصحابه وهو يقدمهم في الصناعة لإكثاره من ذلك ، وما نص عليه العلماء في كتبهم ، وكذلك لا يجب أن يكون استعارة وبتة يعاكش شعر أبي تمام ؛ فقد رأيت ما صنع به ابن المعتز ، وكيف قال فيه ابن قتيبة ، وما ألف عليه المتعقبون كالجرجاني وأبي القاسم بن بشر الأمدى وغيرهما ، وإنما هرب الخذاق عن هذه الأشياء ؛ لما تدعو إليه من التكلف لا سيما إن كان في الطبع أيسر شيء من الضعف والتخلف . وأشد ما تكلمه الشاعر صعوبة التشبيه ؛ لما يحتاج إليه من شاهد العقل واقتضاء العيان . ولا ينبغي للشعر

أن يكون أيضاً خالياً مغسولاً من هذه الحليّ فارغاً كثير من شعر أشجع وأشباهه من هؤلاء المطبوعين جملة ، مع أنه لا بد لكل شاعر من طريقة تغلب عليه فينقاد إليها طبعه ، ويسهل عليه تناولها : كأبي نُوَاس في الخمر ، وأبي تمام في التصنيع ، والبحترى في الطيف ، وابن المعتز في التشبيه ، وديك الجن في المرائي ، والصنوبري في ذكر النور والطير ، وأبي الطيب في الأمثال وذم الزمان وأهله . وأما ابن الرومي فأولى الناس باسم شاعر ؛ لكثرة اختراعه ، وحسن افتنائه ، وقد غلب عليه الهجاء حتى شهر به ؛ فصار يقال : أهجى من ابن الرومي ، ومن أكثر من شيء عُرِفَ به ، وليس هجاء ابن الرومي بأجودَ من مدحه ولا أكثر . ولكن قليل الشر كثير .

ما اشتهر به
جماعة من
المحدثين

(٤٠) — باب التشبيه

التشبيه : صفة الشيء بما قاربه وشاكله ، من جهة واحدة أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته ؛ لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه ، ألا ترى أن قولهم « خذْ كالورد » إنما أرادوا حمرة أوراق الورد وطراوتها ، لا ما سوى ذلك من صفرة وسطه وخضرة كائمه ، وكذلك قولهم « فلان كالبحر ، وكالليث » إنما يريدون كالبحر سَمَاحَةً وعلماً ، وكالليث شَجَاعَةً وقرماً ، وليس يريدون ملوحة البحر وزعوقته ، ولا شَتَامَةَ الليث وزهومته ؛ فوقع التشبيه إنما هو أبداً على الأعراض لا على الجواهر ؛ لأن الجواهر في الأصل كلها واحد ، اختلفت أنواعها أو اتفقت ؛ فقد يشبهون الشيء بسميه ونظيره من غير جنسه ، كقولهم « عين كعين المَهْمَاة ، وجيدٌ كجيد الرِّيمِ » فاسم العين واقع على هذه الجارحة من الإنسان والمَهْمَاة ، واسم الجيد واقع على هذا العضو من الإنسان والريم ، والكاف للمقاربة ، وإنما يريدون أن هذه العين لكثرة سوادها قاربت أن تكون سوداء كلها كعين المَهْمَاة ، وأن هذا الجيد لانتصابه وطوله كجيد الريم ، ألا ترى أن الأصمعي

حد التشبيه

سئل عن الحَوَرِ فقال : أن تكون العين سوداء كلها كعيون الظباء والبقر ، ولا حور في الإنسان ، هذا أحد أقوال الأُصمى في الحور ، ويدلّك على أن التشبيه إنما هو بالمقاربة كما قلنا .

والتشبيه والاستعارة جميعاً يُخْرِجان الأغمض إلى الأوضح ، ويقربان فائدة التشبيه البعيد ، كما شرط الرمانى في كتابه ، وهما عنده في باب الاختصار .

قال : واعلم أن التشبيه على ضربين : تشبيه حسن ، وتشبيه قبيح ؛ فالتشبيه الحسن أنواع التشبيه هو الذى يخرج الأغمض إلى الأوضح فيفيد بياناً ، والتشبيه القبيح ما كان على خلاف ذلك ، قال : وشرح ذلك أن ما تقع عليه الحاسة أوضح في الجملة مما لا تقع عليه الحاسة ، والمشاهد أوضح من الغائب ؛ فالأول في العقل أوضح من الثانى ، والثالث أوضح من الرابع ، وما يدركه الإنسان من نفسه أوضح مما يعرفه من غيره ، والقريب أوضح من البعيد في الجملة ، وما قد ألف أوضح مما لم يؤلف ؛ ثم عاب على بعض شعراء عصره :

صَدَّغَهُ ضِدُّ خَدِّهِ مِثْلُ مَا الْوَعْدُ - إِذَا مَا عَتَبْتَ - ضِدُّ الْوَعْدِ

من قبل أنه شبه الأوضح بالأغمض ، وما تقع عليه الحاسة بما لا تقع عليه ، وكذلك قوله :

وَلَهُ غُرَّةٌ كَلَوْنٍ وَصَالٍ فَوْقَهَا طُرَّةٌ كَلَوْنٍ صُدُودٍ

وقال في موضع آخر : التشبيه على ضربين والأصل واحد : فأحدهما التقدير ، والآخر التحقيق ؛ فالذى يأتى على التقدير التشبيه من وجه واحد دون وجه ، والذى يأتى على التحقيق التشبيه على الإطلاق ، وهو التشبيه بالنفس ، مثل تشبيه الغراب بالغراب ، وحجر الذهب بحجر الذهب إذا كان مثله سواء ، وحمرة الشقائق بحمرة الشقائق .

قال صاحب الكتاب : أما ما شرّط في التشبيه فهو الحق الذى لا يدفع ،

لا أنه قد حمل على الشاعر فيما أخذ عليه ؛ إذ كان قصد الشاعر أن يشبه ما يقوم في النفس دليله بأكثر مما هو عليه في الحقيقة ، كأنه أراد المبالغة ، ولعله يقول أو يقول المحتج له : معرفة النفس والمعلوم أعظم من إدراك الحاسة ، لاسيما وقد جاء مثل هذا في القرآن وفي الشعر الفصيح : قال الله عز وجل : (طلعهما كأنه رهوس الشياطين) فقال قوم : إن شجرة الزقوم - وهي أيضا الأستن^(١) - لها صورة منكورة وثمرة قبيحة يقال لها : رؤوس الشياطين ، وقال قوم : الشياطين الحيات في غير هذا المكان ، والأجود الأعرف أنه شبه بما لا يشك أنه منكر قبيح ؛ لما جعل الله عز وجل في قلوب الإنس من بشاعة صُورِ الجن والشياطين ، وإن لم يروها عيانا ، فخوفنا تعالى بما أعد للعقوبة ، وشبهه بما نخاف أن نراه ، وقال امرؤ القيس :

أَيَقْتُلِي وَالْمَشْرِفِي مُضَاجِي وَمَسْنُونَةُ زُرْقٍ كَأَنْيَابِ أَغْوَالِ

فشبه نصال الثنبل بأنياب الأغوال لما في النفس منها . وعلى هذا التأويل قال أبو تمام وفيه عكس :

وَأَحْسَنُ مِنْ نَوْرِ يُفْتَحُهُ النَّدَى^(٢) بَيَاضُ الْعَطَايَا فِي سَوَادِ الْمَطَالِبِ

وقال أعرابي قديم :

يَزْمَلُونَ حَدِيثَ الضَّغْنِ بَيْنَهُم وَالضَّغْنَ أَسْوَدَ أَوْ فِي وَجْهِهِ كَلَفٌ

فوصفه بما يتصور ويقوم في النفس ، كأنه يقول : لو كان صورة لكان هكذا ، وقال بعض المولدين :

(١) قال الجحد : الأستن والأستان - بفتح الهمزة وسكون السين فيهما - أصول الشجر يفشو في منابته فإذا نظر الناظر إليه شبهه بشخص الناس أ ه .
(٢) في نسخة « تفتقه الصبا » .

وَتُدْبِرُ عَيْنًا فِي صَفِيحَةٍ فَضَّةٍ كَسَوَادِ يَأْسٍ فِي يَكَاضِ رَجَاءٍ
فالْيَأْسُ على الحقيقة غير أَسْوَدَ ؛ لأنه لا يُدْرِكُ بِالْعَيَانِ ، لكن صورته في
المعقول وتمثيله كذلك مجازاً ، والرجاء أيضاً على هذا التقدير في البياض .
وقد يقول المحتج الأول : إن هذا داخل في باب الاستطراد ، كأن الشاعر
لم يقصد الإخبار عن الغرة والطرة وشبههما ، لكن عن الوصال والصدود ، وعكس
التشبيه ثقة بأن ما أشبه شيئاً من جهة فقد أشبهه الآخر من تلك الجهة .
فأما قول ابن المعتز يصف شرب حمار :

وَأَقْبَلَ نَحْوَ الْمَاءِ يَسْتَلُّ صَفْوَهُ كَأَنَّ غَمَدَتِ أَيْدِيَ الصِّبَا قُلَّ مُنْصُلًا
فإنه بديع ، يشبه فيه انسياب الماء في شذقيه إلى حلقه بمنصل يُغْمَدُ ، وهذا
تشبيه مليح يدرك بالحس ، ويتمثل في المعقول ، وكرر هذا التشبيه فقال يذكر
إبل سفر :

وَأَغْمَدَنَ فِي الْأَعْنَاقِ أَشْيَافَ جُلَّةٍ مَصْقَلَةً تُتَفَرَّى بِهِنَّ الْمَفَاوِزُ
وزعم قدامة أن أفضل التشبيه ما وقع بين شيئين اشتراكهما في الصفات
أكثر من انفرداها ، حتى يدنى بهما إلى حال الاتحاد ، وأنشد في ذلك وهو عنده
أفضل التشبيه كافة :

لَهُ أَیْطَلَا ظَبِي ، وَسَاقَا نَعَامَةٍ وَإِرْخَاءَ سِرْحَانٍ ، وَتَقَرِيبُ تَنْفُلٍ
وهذا تشبيه أعضاء بأعضاء هي بعينها ، وأفعال بأفعال هي أيضاً بعينها ،
إلا أنها من حيوان مختلف كما قدمت ، والأمر كما قال في قرب التشبيه ، إلا أن فضل
الشاعر فيه غير كبير حينئذ ؛ لأنه كتشبيه نفس الشيء المُشَبَّه الذي ذكره الرمانى
في تشبيه الحقيقة ، وإنما حُسِّنَ التشبيه أن يقرب بين البعيدين حتى يصير بينهما
مناسبة واشتراك ، كما قال الأشجعي :

كَأَنَّ أَرْبَرَ السَّكِيرِ إِرْزَامَ شَجَبِهَا إِذَا امْتَاَحَهَا فِي مَحْلَبِ الْحَيِّ مَاتَحُ

فشبه ضرع العنز بالسكر، وصوت الحلب بأزيزه ، فقرب بين الأشياء البعيدة بتشبيهه حتى تناسبت ، ولو كان الوجه ما قال قدامة لكان الصواب أن يشبه الأشجعي ضرع عنزة بضرع بقرة ، أو خلف ناقه ؛ لأنه إنما أراد كبره وكثرة ما فيه من اللبن ، وكان يعدل عن ذكر السكر وأزيزه الذي دل به على أعظم ما يكون من صفة كبر الضرع وكثرة لبنه .

سبيل التشبيه

وسبيل التشبيه - إذ كانت فائدته إنما هي تقريب المشبه من فهم السامع ، وإيضاحه له - أن تشبه الأدون بالأعلى إذا أردت مدحه ، وتشبه الأعلى بالأدون إذا أردت ذمه ، فتقول في المدح : تراب كالمسك ، وحصى كالياقوت ، وما أشبه ذلك ، فإذا أردت الذم قلت : مسك كالسك^(١) أو التراب ، وياقوت كالزجاج أو كالحصى ؛ لأن المراد في التشبيه ما قدمته من تقريب الصفة وإفهام السامع ، وإن كان ما شابه الشيء من جهة فقد شابهه الآخر منها، إلا أن المتعارف وموصوع التشبيه ما ذكرت .

أصل التشبيه
وفيه تشبيه
متعدد بمتعدد

وأصل التشبيه مع دخول الكاف وأمثالها أو كأن وما شاكلها شيء بشيء في بيت واحد ، إلى أن صنع امرؤ القيس في صفة عُمَاق :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابَسًا لَدَى وَكْرِهَا الْعُنَابُ وَالْحُشَفُ الْبَالَى

فشبه شيئين بشيئين في بيت واحد ، واتبعه الشعراء في ذلك ؛ فقال لبيد ابن ربيعة

وَجَلَا السَّيُولُ عَنِ الطُّلُولِ كَأَنَّهَا زُبُرٌ تَجِدُ مَتَوْنَهَا أَقْلَامَهَا

فشبه الطلول بالزبر والسيول بالأقلام ، بل زاد فشبه جلاء هذه عن هذه

(١) السك : إلقاء النعام ما في بطنه ، أو الرمي بالسلح رقيقا ، وقد أراد به المؤلف نفس السلح أو ما في بطن النعام ، وهو ظاهر .

بتجديد تلك لتلك . وحكى عن بشار أنه قال : ما قرّبى القرار مذ سمعت قول
امرىء القيس * كأن قلوب الظير رطباً ويابساً * حتى صنعت :

كَأَنَّ مُنَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رَهْوسِنَا وَأَسْيَافَنَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبَهُ

فإن كان مراده الترتيب فصديق ، ولم يقع بعد بيت امرىء القيس فى ترتيبه
ككيبته ، وإن كان المراد تشبيهين فى بيت فقد قال الطّير مَاح فى صفة نور
وحشى :

يَبْدُو وَتَصْمِرُهُ الْبِلَادُ كَأَنَّهُ سَيْفٌ عَلَى شَرَفٍ يُسَلُّ وَيُقَمَدُ

وهذا نهاية فى الجودة . وأما قول من قال فى بيت الحارث بن حلزة .
وَحَسِبْتُ وَقَعَ سَيْوفُنَا بَرءَ وَسْهُمْ وَقَعَ السَّحَابَةُ بِالطَّرَافِ الْمُشْرِجِ
إن فيه تشبيهين من جهة الكثرة والحس أو السرعة والحس ؛ فمحتمل ،
إلا أن الشاعر لم يصرح إلا بالوقع خاصة ، يريد بذلك الحس وحده . ظاهر الأمر
ولذلك خص الطرف ؛ لكونه من الأديم ، فصوت القطر عليه أشد منه على
غيره من سائر البيوت . وقال بشار أيضاً :

خَلَقْنَا سَمَاءَ قَوْقُهُمْ بِنُجُومِهَا سَيْوْفَاوْ نَقْعًا يَقْبِضُ الطَّرْفُ أَقْتَمَا

وقال فشيء شيتين مختلفين بشيتين من جنس واحد :
من كل مشتهر فى كف مشتهر كأن غرته والسيف نجمان
وربما شبهوا شيئاً بشيتين كقول القطامى :

فَهِنْ كَالْحَلْلِ الْمَوْشَى ظَاهِرُهَا أَوْ كَالْكِتَابِ الَّذِى قَدَمَتْهُ الْبَلَلُ

وربما شبهوا بثلاثة أشياء كما قال البحترى :

كَأَنَّمَا يَبْسِمُ عَنْ لَوْ لَوْ مُنْظَمٌ ، أَوْ بَرْدٌ ، أَوْ أَقَاحٌ

فقول الشاعر « أو » زيادة تشبيه وإن لم يصح من جميع المشتبه بها إلا
شيء واحد من جهة الحكم فى « أو » . ومن الناس من يرويه :

كأما يبسم عن لؤلؤ أوفضة ، أو برد ، أو أقاح
وهي - زعموا - رواية أكثر أهل الأندلس والمغرب ؛ فيكون حينئذ الثغر مشبها
بأربعة أشياء ، وقد تقدم أبو تمام فقال :

وثناياك إنَّها إغريضٌ ولآلِ تومٌ وبرقٌ وميصٌ

فشبها بثلاثة أشياء حقيقة ؛ لأن حكم الواو غير حكم « أو » لا سيما وقد أتى
التشبيه بغير كاف ولا شيء من أخواتها ، فجاء كأنه إيجاب وتحقيق .
وكثر تشبيههم شيئين بشيئين حتى لم يصِرْ عجبا ، وقد جاءوا بتشبيه ثلاثة
أشياء بثلاثة أشياء في بيت واحد : بالكاف ، وبغير كاف ؛ فقال مرقش :

تشبيه
ثلاثة بثلاثة

النشْرُ مسكٌ ، والوجوه دنا نير ، وأطراف الأكف عَنَمٌ

وقال ابن الرومي :

كأن تلك الدموعَ قَطْرُ نَدَى يَقْطُرُ من نرجسٍ على ورد

وقال أيضا ويدخل في باب قول مرقش :

إن أقبلتْ فالبدْرُ لاح ، وإن مَشَتْ قالعِصن مَادَ ، وإن رَنَتْ فالرَّيْمُ

وقال ابن المعتز :

بدرٌ وليلٌ وعُصْنٌ وجهٌ وشَعْرٌ وَقَدْ

خمرٌ ودرٌ ووُردٌ ريقٌ وثَغْرٌ وَخَدْ

وقال صاحب الكتاب :

كأن ثناياه أقاحٌ ، وخَدَّه شَقِيقٌ ، وعينيهِ بَقِيَّةُ نَرْجِسٍ

وقال أيضا على جهة التفسير :

بكووس حَكَّيْنِ من شَفِّ قَلْبِي شَقَّةٌ لم تذقِ وثَغْرًا وريقًا

يريد حافة الكأس والحباب والخمر .

ثم أتوا بتشبيه أربعة بأربعة : بالكاف أيضاً ، وبغير كاف ، فقال ^{تشبيه} أربعة بأربعة
امرؤ القيس وهو أول من فتح هذا الباب :

له أَيْطَلَاظِي ، وساقا نعامة ، وإرخاء سِرْحَانٍ ، وَتَقْرِيْبٌ تَنْفُلُ
فجاء بتشبيه إضافة كما ترى حتى جعله تحقيقاً لولا مفهوم الخطاب .
وقال أبو الطيب :

بَدَتْ قَمَرًا ، ومالت خُوطَ بَانَ ، وَفَاحَتْ عَذْبَرًا ، وَرَنْتُ غَزَا لَا
فجاء بالتشبيه على إسقاط الكاف . وقال أيضاً :

تَرْنُوْ إِلَى بَعَيْنِ الظُّبَى مُجْهِشَةً وَتَمْسَحُ الطَّلَّ فَوْقَ الْوَرْدِ بِالْعَسَمِ
فشبه في القسم الأول عينها بعين الظبي ، وشبه في القسم الآخر ثلاثة بثلاثة ،
وقد تقدم أبو نواس فقال :

يَبْكِي فَيُذِرِي الدَّرَمَ مِنْ نَرْجِسٍ وَيَلْطُمُ الْوَرْدَ بِعُنَابٍ
وهذا مليح جداً . سئل ابن منذر : مَنْ أشعر الناس ؟ فقال : الذي يقول :
يَا قَمَرًا أَبْصَرْتُ فِي مَا أَنْتُمْ يَنْدُبُ شَجْوًا بَيْنَ أَتْرَابِ
يَبْكِي فَيُذِرِي الدَّرَمَ مِنْ نَرْجِسٍ وَيَلْطُمُ الْوَرْدَ بِعُنَابِ

هذا أشعر الجن والأنس . وقد جاء بالشعر على سجيته - أعنى أبا نواس -
وشاهد ذلك ظاهر في لفظه ، وإلا فهو قادر أن يجعل مكان الدر الطل حتى
يتناسب الكلام ، لكنه لم يكن يؤثر التصنيع ولا يراه فضيلة ؛ لما فيه من البكفة
ومن الناس من يرويه كذلك ، ومنهم من يرويه * فيذري الدر من جفنه *
ومما شبه أربعة بأربعة مع الكاف قول ابن حاجب - وهو عبد العزيز

وزير القادر بالله أبي العباس النعمان - :

فَغَرُّ وَخَدٌّ وَنَهْدٌ وَاخْتِضَابٌ يَدِ كَالطَّلْعِ وَالْوَرْدِ وَالرُّمَّانِ وَالْبَلَحِ

وقال صاحب الكتاب :

بِفَرْجٍ وَوَجْهِ وَقَدَرٍ وَرَدْفٍ كَلِيلٍ وَبَذَرٍ وَغُصْنٍ وَحِثْفٍ

ومما وقع فيه تشبيهه خمسة بخمسة قول أبي الفرج الواواء ، وأتى به بغير آلة تشبيهه :
خمسـة بخمسـة

فَأَنْشَبَتْ لَوْلَا مِنْ نَرْجِسٍ وَسَقَتْ وَرَدًا وَعَصَّتْ عَلَى الْمُنَابِ بِالْبَرَدِ

وقال أبو الفتح البُستى شاعر مصر في وقتنا هذا يصف شمعة :
قد شابهتني في لونٍ وفي قُضْفٍ وفي احتراقٍ وفي دمعٍ وفي سهرٍ

فقوله * قد شابهتني * أظهر مقدرة من المجيء بالكاف ؛ لأنهم إنما استصعبوا ذلك مع الكاف وأخواتها من جهة ضيق الكلام بها ، فهذا الذي أتى به البستى أشد ضيقا ، ألا ترى أنه لو قال « كأنها أنا » لكان هو الصواب ويكون قد أتى بكأن وضميرين بعدها فضلا عن الكاف .

ومنهم من يأتي بالتشبيه الواحد بغير كاف كقول امرئ القيس :
سَمَوْتُ إِلَيْهَا بَعْدَ مَا نَامَ أَهْلُهَا سُمُوَ حَبَابِ الْمَاءِ حَالًا عَلَى حَالٍ
وقوله أيضا :

إِذَا مَا الثُّرَيَّا فِي السَّمَاءِ تَعَرَّضَتْ تَعَرَّضَ أَثْنَاءِ الْوِشَاحِ الْمُفْضَلِ

يريد كسمو حَبَابِ الْمَاءِ ، وكتعرض أثناء الوشاح .
وأبدع من هذا عندهم وأغرب قول المنخل اليشكري :
دَافَقْتُهَا فَتَدَافَعَتْ مَشَى الْقَطَاةِ إِلَى الْغَدِيرِ
وإنما برأعته عندهم لما لم يكن قبله فعلٌ من لفظه .

ومن مליح التشبيه قول أبي كبير الهذلي :
فَالطَّنُ شَفَعَفَتْ ، وَالضَّرْبُ هَيْقَعَةٌ ضَرْبُ الْمَعْوَلِ تَحْتَ الدِّيمَةِ الْعَضْدَا
من مـليـح التشبيه

وَلِلْقَيْسِ أَزَامِيْلٌ وَغَمَمَةٌ حِسَّ الْجَنُوبِ تَسُوقُ الْمَاءَ وَالْبَرْدَا^(١)

فالأول من نوع بيتي امرئ القيس ، والثاني من نوع بيت المنخل ، وأنا
أستحسن هذين البيتين جداً.

وقد يقع التشبيه بين الضدين والمختلفين : كقولك « العسل في حلاوته تشبيه المختلفين
والضدين كالصبر في مرارته ، أو كالخل في حموضته » .

قال أبو الحسن الرماني : وهذا الضرب من التشبيه لا يقال إلا بتقييد وتفسير
ومن هذا النوع الذي ذكره الرماني قول ابن المهدي للمأمون يعتذر :

لَئِنْ جَعَدْتُكَ مَمْرُوفًا مَنَنْتَ بِهِ إِنِّي لَفِي الْأَوْثَمِ أَحْظَى مِنْكَ فِي الْكَرَمِ
وكذلك قول أبي نواس :

أَصْبَحَ الْخُسْنُ مِنْكَ يَا أَحْسَنَ الْأُمَمَةِ يَحْكِي سَمَاجَةَ ابْنِ حَيْشٍ
يريد أن هذا غاية كما أن ذاك غاية .

قال الجرجاني : التشبيه والتمثيل يقع مرة بالصورة والصفة ، وأخرى بالحالة
والطريقة ، اعتذر بذلك عن قول أبي الطيب :

بَلَيْتُ بَلَى الْأَطْلَالِ إِنْ لَمْ أَقِفْ بِهَا وَقُوفَ شَجِيحٍ ضَاعَ فِي التُّرْبِ خَاتَمُهُ
إنه إنما أراد وقوفاً خارجاً عن المتعارف . وأنشد :

رُبَّ لَيْلٍ أَمَدُّ مِنْ نَفْسِ الْعَا شَقِي طَوْلًا قَطَعْتُهُ بِانْتِحَابِ

(١) نسب صاحب اللسان البيتين لعبد مناف بن ربيع الهذلي . والشغشغة : ضرب
من الهدير ، وحكاية صوت الطعن على التشبيه بالأول . والهيعة : ضرب الشيء
اليابس على مثله كالحديد ، وهي أيضاً حكاية لصوت الضرب . والمعول : الذي
يسى العالة ، وهو شجر يقطعه الراعي فيجعله على شجرتين يستظل تحته من المطر .
والعضد - بفتحين - ماعضد من الشجر ، أي : قطع . والقسي : جمع قوس .
والعمعة - في الأصل - كلام عبري . والجنوب : الريح المعروفة .

فهذا والله هو النقد العجيب الذى غفل الناس عنه ، بل عَمُوا وَصَمُوا .
والبيت لمحمد بن عبد الملك الزيات ، ويروى لمائى الموسوس . ومثله قولُ
أبي تمام :

وَمَسَافَةٍ كَمَسَافَةِ الْهَجْرِ ارْتَسَقَى فِي صَدْرِ بَاقِي الْحُبِّ وَالْبَرْحَاءِ
وَأَنشَدَ الرَّمَانِي لَذَى الرِّمَةِ :

كَأَنَّهُ كَوَكَبٌ فِي إِثْرِ عَفْرِيتٍ مُسَوِّمٌ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ مُنْقَضِبٌ

ثم قال : قد اجتمع الثور والكوكب فى السرعة إلا أن انقضاء
الكوكب أسرع ، واستدل بهذا على جودة التشبيه .

وأنا أرى أن فيه دركا على الشاعر ، وإغفالا من الشيخ المفسر ، وذلك أن
الثور مطلوب ، والكوكب طالب ، فشبهه به فى السرعة والبياض ، ولو شبهه
بالعفريت وشبه الكلب وراءه بالكوكب لكان أحسن وأوضح ، لكنه
لم يتمكن له للمعنى الذى أراده من فوت الثور الذى شبه به راحلته ؛ وأما ما أغفله
الشيخ فإن الشاعر إنما رغب فى تشبيه الثور بالكوكب ، واحتمل عكس التشبيه :
بأن جعل المطلوب طالبا لبياضه فإن الثور لم يقا له محالة ؛ وأما السرعة التى زعم فإن
العفريت لو وصفه به وشبهه بسرعته لما كان مقصرا ، ولا متوسطا ، بل فوق ذلك .

التشبيهات العقيم ومن التشبيهات عقيم لم يُسَبِّقْ أصحابها إليها ، ولا تعدى أحد بعدهم عليها ،
واشتقاقها فيما ذُكِرَ من الريح العقيم ، وهى التى لا تلقح شجرة ولا تنتج ثمرة ، نحو
قول عنقرة العسى يصف ذباب الروض :

وَحَلَا الذُّبَابُ بِهَا فليس بَارِحَ غَرْدًا كَفِعَلِ الشَّارِبِ الْمُتَرَنِّمِ
هَزَجًا يَحْكُ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ قَدَحَ الْمَكْبَعِ عَلَى الزَّنَادِ الْأَجْذَمِ
وقوله أيضا فى صفة الغراب :

خَرِقُ الْجَنَاحِ كَأَنَّ لَحْيِي رَأْسِيهِ جَلَمَانِ^(١) بِالْأَخْيَارِ هَشٌّ مُوَلَعٌ
وقال الخطيئة يصف لغام ناقته :

تَرَى بَيْنَ لَحْيَيْهَا إِذَا مَا تَرَعَمَتْ لُغَامًا كَبَيْتِ الْعَنْكَبُوتِ الْمَمْدُودِ
وقال الشماخ يصف آثار ريش نعامة :

كَأَنَّمَا مُنْثَنِي أَقْمَاعٍ مَا مَرَّطَتْ مِنْ الْعَقَاءِ بِلَيْتَيْهَا الثَّالِثِ لَيْلٍ^(٢)
وقول عدى بن الرقاع يصف قرن ظبي :

تُرْجِي أَغْنً كَأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ قَلَمٌ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا^(٣)
وقول الراعي يصف جعد الرأس :

جَدَلَا أَسْكً كَأَنَّ فَرْوَةَ رَأْسِهِ بَذَرَتْ فَأَنْبَتَ جَانِبَاهَا فُلُفْلًا
وقول بشر بن أبي خازم يصف عروق الأزطى وقد كشفها نور :

يُثِيرُ وَيُبْدِي عَنْ عُرُوقٍ كَأَنَّهَا - أَعْنَةُ خِرَازٍ تَخْطُ وَتَنْشُرُ
وقول الطرمح في صفة الظليم :

(١) جلمان : مثني جلم ، وهو المقرض ، وقوله « بالأخيار » بالياء المثناة ، وفي نسخة « بالأخبار » بالباء اللوحدة ،

(٢) المنثى : المنثى . والأقماع : جمع قمعة ، وهى برة تخرج فى أصول الأشجار يريد أن ريشها يشبهها ، وروى « كأنما منثى أقمام » والأقمام : جمع قيم ، وهو يابس البقل ، وقوله « مرطت » معناه أسرع ، وروى فى مكانه « مرحت » من المرح وهو النشاط ، والثالث ليل : البثور التى تسكون فى الجسد . روى أن الرشيد سأل الأصمعى : هل تعرف تشبيهها أبدع وأرق من تشبيه الشماخ لنعامة سقط ريشها وبقي أثره ؟ وأنشده هذا البيت ، فقال له الأصمعى : لا والله يا أمير المؤمنين .

(٣) ترجى : تسوق ، والروق : القرن من كل ذى حافر .

مُجْتَنَّبُ شَمْلَةِ بُرْجُودٍ لِسِرَاتِهِ قَدَدًا ، وَأَسْلَمَ مَا سِوَاهُ الْبَرْجِدِ^(١)

وقول ذي الرمة في صفة الليل :

وَلَيْلٌ كَجَلْبَابِ الْعُرُوسِ قَطَعَتْهُ^(٢) بِأَرْبَعَةٍ وَالشَّخْصُ فِي الْعَيْنِ وَاحِدٌ

وقول مُصَرِّسٍ بنِ رَبِيعٍ في صفة رأس النعامة :

سَكَّاءُ عَارِيَةٌ الْأَخَادِعِ رَأْسُهَا مِثْلُ الْمَدْقِ وَأَنْفُهَا كَالْمِسْرَدِ^(٣)

وقال النابغة في صفة السور :

تَرَاهُنَّ خَلْفَ الْقَوْمِ خُزْرًا عِيُوهَا مُجْلُوسَ الشَّيُوخِ فِي ثِيَابِ الْمَرَانِبِ^(٤)

وهذا التشبيه عندهم عقيم ، إلا ألى أقول : إنه من قول طرفة يصف عقاباً :

وَعَجْزَاءُ دَفَّتْ بِالْجَنَاحِ كَأَنَّهَا مَعَ الصَّبِيحِ شَيْخٌ فِي بَجَادٍ مَقْنَعٍ^(٥)

(١) يروى « مجتنب حلة برجد » والبرجد : كساء من صوف أحمر ، وقيل : كساء مخطط ضخم ، وسراته : ظهره ، وقدا : فرقا ، ويروى « وأحلف ماسواه البرجد » وبعد هذا البيت قوله :

يبدو وتضمه البلاد كأنه * سيف على شرف يسيل ويغمد

وقد تقدم ذكره (ص ٢٩١) أول الباب ، وكان أبو عبيدة والأصمعي يعضلان الطرمح بهذين البيتين وبزعمان أنه أشعر الناس بهما .

(٢) يروى * ليل كجلباب العروس ادرعته *

(٣) سكاء : مقطوعة الأذنين ، المدق : حجر يدق به الطيب ، وقياسه كسر الميم ، ولكن المسموع ضمها وضم الدال . والمسرَد : المثقب .

(٤) خزرا : جمع أخزر ، وهو الذي ينظر بمؤخر عينه ، ثياب المرانب - بالنون موحدة - ثياب إلى السواد أقرب ، ويقال : كساء مرنباني . أى : أخذ من جلد الأرنب ، شبه ألوان النسور بها .

(٥) دفّت - بالدال المهملّة - دنت في طيرانها من الأرض ، وبالمعجمة حرّكته وضربت به ، والبجاد : الكساء ، ومقنع : متغشى به ، وأراد عقابا ؛ لأن في عجزها يابضا ، ويقال : لأنها شديدة الداريتين .

و ينظر أيضاً إلى قول امرئ القيس قبله :

كَأَنَّ تَبِيرًا فِي عَرَانِينَ وَبَلِّهِ كَبِيرُ أَنْاسٍ فِي بَجَادٍ مُزْمَلٍ
وقال عبد الله بن الزبير الأسدي في تشبيه رأس القطاة :

تَقَلَّبُ لِلْإِصْغَاءِ رَأْسًا كَأَنَّهَا يَتِيْمَةٌ جَوْزٍ أَغْبَرَتْهَا الْمَكَاسِرُ

وفي الشعر من هذا صدر جيد ، وفي القرآن تشبيه كثير كقوله تعالى : (والقمر قدرناها منازل حتى عاد كالعُرْجُونِ الْقَدِيمِ) وقوله تعالى : (والذين كفروا أعمالهم كسَرَابٍ بَقِيْعَةٍ يَحْسِبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا) وقوله : (وإذا غشيهم موج كالظلل) وقوله : (كأنهم جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ) ومن كلام النبي صلى الله عليه وسلم « الناس كأسنان المشط ، وإنما يتفاضلون بالعافية » وقال « الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » وكثير من هذا يطول تفصيله .

وقد أنت القدماء بتشبيهات رغب المولدون إلا القليل عن مثلها استبشاعاً لها ، وإن كانت بديعة في ذاتها ، مثل قول امرئ القيس :

تشبيهات
للقداحى تركها
المولدون

وَتَعْطَوُ بِرُخْصٍ غَيْرِ شَتْنٍ كَأَنَّهُ أَسَارِيعُ ظُبْيٍ أَوْ مَسَاوِيكُ إِسْحَلٍ^(١)

فالبناية لا محالة شبيهة بالأسرعة ، وهى دودة تكون فى الرمل ، وتسمى جماعتها بنات النقا ، وإياها عنى ذو الرمة بقوله :

حَرَاعِيبُ أَمْثَالُ كَأَنَّ بِنَانَهَا بَنَاتُ النَّقَا تَخْفَى مِرَاراً وَتَظْهَرُ

وهى كأحسن البنات : ليناً ، وبياضاً ، وطولاً ، واستواءً ، ودقةً ، وجمرة رأس ، كأنه ظفر قد أصابه الخناء ، وربما كان رأسها أسود ، إلا أن نفس الحضري المولد إذا سمعت قول أبى نؤاس فى صفة الكاس :

(١) تعطو : تتناول . برخص : أراد به بنانا رخصاً لنا ، غير شتن : ليس يحسن . أساريع : دود صفار ، ظبي : اسم رملة بعينها ، إسحل : شجر تتخذ من عروقه مساويك كالأراك .

تُعَاطِيكَهَا كَفْتُ كَأَنَّ بَنَانَهَا إِذَا اعْتَزَّضَتْهَا الْعَيْنُ صَفْتُ مَدَارِي
أَوْ قَوْلَ عَلِيِّ بْنِ الْعَبَّاسِ الرُّومِيِّ :
سَقَى اللَّهُ قَصْرًا بِالرَّصَافَةِ شَاقَنِي بِأَعْلَاهُ قَصْرِي الدَّلَالِ رَصَافِي
أَشَارَ بِقُضْبَانٍ مِنَ الدُّرِّ قُمَعَتُ يَوَاقِيتَ حُمْرًا وَاسْتَبَاحَ عَفَافِي
أَوْ قَوْلَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمَعْتَزِ :

أُسْرُنَ عَلَى خَوْفٍ بِأَغْصَانِ فِضَّةٍ مُتَوَمَّةٍ أُنْمَارُهُنَّ عَقِيقُ
كَانَ ذَلِكَ أَحَبَّ إِلَيْهَا مِنْ تَشْبِيهِ الْبَنَانِ بِالذُّودِ فِي بَيْتِ امْرِئِ الْقَيْسِ ، وَإِنْ
كَانَ تَشْبِيهِهُ أَشَدَّ إِصَابَةً . وَفِي قَوْلِ الطَّائِي أَبِي تَمَامٍ :
بَسَطْتَ إِلَيْكَ بَنَانَةً أُسْرُوعَا تَصِفُ الْفِرَاقَ وَمُقَلَّةً يَنْبُوعَا
وَقَرَّبَ هَذَا عَفْدَهُ وَهُوَ مَدَحٌ مِنْ قَوْلِ حَسَنِ بْنِ الْحَبَرِ :

وَأُمُّكَ سَوْدَاءُ نُوْبِيَّةٌ كَأَنَّ أَنْامِلَهَا الْخُنْطَبُ (١)

إِذْ كَانَا جَمِيعًا مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ . فَأَمَّا قَوْلُ امْرِئِ الْقَيْسِ * أَوْ مَسَاوِيكَ
لِاسْحَلِ * فَجَارٍ مَجْرَى غَيْرِهِ مِنْ تَشْبِيهِاتِهِمْ ؛ لِأَنَّهُمْ يَصِفُونَهَا بِالْعَسَمِ وَالْأَقْلَامِ
وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ، وَالْبَنَانُ قَرِيبُ الشَّيْءِ مِنْ أَعْوَادِ الْمَسَاوِيكَ : فِي الْقَدْرِ ، وَالِاسْتَوَاءِ ،
وَالِامْلَاسِ ، إِلَّا أَنَّ الْأَوَّلَ عَلَى كِرَاهَتِهِ أَشْبَهَ بِهَا ، وَالِاسْحَلِ : شَجَرُ الْخَيْطِ ،
وَقَدْ اسْتَبْشَعَ قَوْمٌ قَوْلَ الْآخِرِ يَصِفُ رَوْضًا :

كَأَنَّ شَقَائِقَ النُّعْمَانِ فِيهِ ثِيَابٌ قَدْ رَوَيْنَ مِنَ الدَّمَاءِ

فَهَذَا وَإِنْ كَانَ تَشْبِيْهَا مُصِيبًا فَإِنْ فِيهِ بَسَاعَةٌ ذَكَرَ الدَّمَاءَ ، وَلَوْ قَالَ مِنَ الْعَصْفَرِ
مِثْلًا أَوْ مَا شَاكَهُ لَسَكَانٌ أَوْ قَعٌ فِي النَّفْسِ وَأَقْرَبُ إِلَى الْإِنْسِ .
وَكَذَلِكَ صَفَّتْهُمْ الْخَمْرُ فِي حَبَابِهَا بِسَلَخِ الشُّجَاعِ وَمَا جَرَى هَذَا الْمَجْرَى مِنَ التَّشْبِيْهِ ،

(١) الخنطوب : دابة مثل الخنفساء ، وفيل : هو صرب من الخنافس طويل

فإنه وإن كان مصيباً لعين الشبه فإنه غير طيب في النفس، ولا مستقر على القلب،
ومن ذلك قول أبي عون الكاتب:

تلاعبها كف المزاج محبة لها، وليجري ذات بينهما الأثر
فتزبد من تيه عليها كأنها غريرة خذر قد تحببها المس
فلو أن في هذا كل بديع لكان مقيماً بشعاً، ومن ذا يطيب له أن يشرب
شيئاً يشبه بزبد المصروع وقد تحببته الشيطان من المس؟!

وكأنى أرى بعض من لا يحسن إلا الاعتراض بلا حجة قد نعى على هذا
المذهب، وقال: رد على امرئ القيس، ولم أفعل، ولكني بينت أن طريق العرب
القدماء في كثير من الشعر قد خولفت إلى ما هو أليق بالوقت وأشكل بأهله.
وقد عاب الأصمعي بين يدي الرشيد قول النابغة:

نظرت إليك بحاجة لم تقضها نظرت السقيم إلى وجوه العود
على أنه تشبيه لا يلحق، ولا يشق غبار صاحبه، ولم يجد فيه المطن إلا
بذكر السقيم؛ فإنه رغب عن تشبيه المحبوبة به، وفضل عليه قول عدى بن
الرقاع العاملي:

وكانها وسط النساء أعارها عيني أخور من جاذر جاسم
وسنان أقصده الثعاس فرقت في عيني سنة وليس بنائم
وأجري الناس هذا المجري قول صريع الغواني على أنه لم يقع لأحد مثله،

وهو:

فلطت بأيديها ثمار نخورها كأيدي الأسارى أثقلتها الجوامع^(١)
فهذا تشبيه مصيب جداً، إلا أنهم عابوه بما بينت، وإنما أشار إلى قول

النابغة:

(١) الجوامع: الأكبال، قال النابغة:

وذلك أمر لم أكن لأقوله ولو جمعت في ساعدي الجوامع

[و] يَخْطِطْنَ بِالْعِيدَانِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ وَيَخْبَأْنَ رُمَّانَ الثَّدْيِ النَّوَاهِدِ

ومثله قول أبي محجن الثقفي في وصف قَيْنَةَ :

[و] تَرْفَعُ الصَّوْتِ أَخْيَانًا وَتَخْفِضُهُ كَمَا يَطْنُ ذُبَابُ الرُّوضَةِ الْفَرْدِ

فأى قينة تحب أن تشبه بالذباب ؟ وقد سرق بيت عنتره وقلبه فأفسده .

٤١ — باب الإشارة

منزلة الإشارة والإشارة من غرائب الشعر وملحه ، وبلاغة عجيبة ، تدل على بعد المرمى وفُرْطِ المقدرة ، وليس يأتى بها إلا الشاعر المبرز ، والحاذق الماهر ، وهى فى كل نوع من الكلام لمحة دالة ، واختصار وتلويح يعرف مجملا ومعناه بعيد من ظاهر لفظه ؛ فمن ذلك قول زهير :

فإني لو لقيتــــــــــــــــك واتَّجَّهْنَا لكان لكل مُنْكَرَةٍ كفاء^(١)

فقد أشار له بقبح ما كان يصنع لو لقيه ، هذا عند قدامة أفضل بيت فى الإشارة . . . وقول الآخر :

جَعَلْتُ يَدَيَّ وَشَاحًا لَهُ وَبَعْضُ الْفَوَارِسِ لَا يَمْتَنِقُ

وهذا النوع من الشعر هو الوَحْيُ عندهم . . وأنشد الخاتمي عن علي بن هارون عن أبيه ، عن حماد ، عن أبيه إسحاق بن إبراهيم الموصلي :

جعلنا السيفَ بينَ أَخْلَدٍ مِنْهُ وبين سوادِ لِمَّتِهِ عُدَارَا

(١) رواية البيت فى الديوان هكذا :

وإني لو لقيتك فاجتمعنا لكان لكل مندية لقاء

والمندية : الداهية التى تندى صاحبها عرقا لشدها ، ولقاء أى : شىء تلاقى به حتى يصلح الله أمرها .

فأشار إلى هيئة الضربة التي أصابه بها دون ذكرها إشارة لطيفة دلت على
كيفيةها، وإنما وصف أنهم ضربوا عنقه ، وروى * بين الجيد * ومثله
قول الآخر :

وَيَوْمَ يُبِيلُ النِّسَاءُ الدِّمَاءَ جعلت رداءك فيه خَمَارًا
يريد بالرداء الحسام كما قال مُتَمِّمُ بْنُ نُؤَيْرَةَ :

لَقَدْ كَفَّنَ الْمُنْهَالُ تَحْتَ رَدَائِهِ فتى غَيْرَ مِبْطَانِ الْعَشِيَّاتِ أَرْوَعًا
وقوله إنه جعله خماراً أى قنعت به الفرسان ، وأشار بقوله * يُبِيلُ النِّسَاءُ
الدِّمَاءَ * إلى وضع الحوامل من شدة الفزع .

ومما جاء من الإشارة على معنى التشبيه قول الراجز يصف لبناً ممدوقاً
مما جاء من
الإشارة على
معنى التشبيه

* جَاءُوا بِمَذْقِ هَلْ رَأَيْتَ الذُّبَّ قَطْ *
فإنما أشار إلى تشبيه لونه ؛ لأن الماء غلب عليه فصار كلون الذئب .

ومن أنواع الإشارة التفعيم والإيماء ؛ فأما التفعيم فكقول الله تعالى :
(القارعة ما القارعة) وقد قال كعب بن سعد الغنوي :

أَخِي مَا أَخِي لَا فَاحِشٌ عِنْدَ بَيْتِهِ وَلَا وَرِعٌ عِنْدَ اللَّقَاءِ هَيُوبُ
وأما الإيماء فكقول الله عز وجل : ﴿ فغشيه من اليم ماغشيه ﴾ فأوما إليه
وترك التفسير معه . . وقال كثير :

تَجَافَيْتَ عَنِّي حِينَ لَا لِي حِيلَةٌ وَخَلَفْتَ مَا خَلَفْتَ بَيْنَ الْجَوَانِحِ
فقوله * وخلفت ما خلفت * إيماء مليح . . ومثله قول ابن ذريح :

أَقُولُ إِذَا نَفْسِي مِنَ الْوَجْدِ أَضْعَدَتْ بِهَا زَفْرَةٌ تَعْتَادُنِي هِيَ مَا هِيََا

ومن أنواعها التعريض : كقول كعب بن زهير لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

وَفِتْيَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَالَتْ لَهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا زُولُوا

ومعرض بعمر بن الخطاب — وقيل : بأبي بكر رضى الله عنهما ، وقيل :

برسول الله صلى الله عليه وسلم — تعرض مدح ، ثم قال :

يَمْشُونَ مَشْيَ الْجَمَالِ الزُّهْرِ يَعْصِمُهُمْ ضَرْبٌ إِذَا عَرَّ السُّودُ التَّنَائِيلُ

فَقِيلَ : إنه عرض في هذا البيت بالأنصار ، فغضبت الأنصار ، وقال المهاجرون : لم تمدحنا إذ ذمتهم ، حتى صرح بمدحهم في أبيات يقول فيها :

مَنْ سَرَّهُ كَرَمُ الْحَيَاةِ فَلَا يَزَلْ فِي مَقْنَبٍ مِنْ صَالِحِي الْأَنْصَارِ
وَمِنْ مَلِيحِ التَّعْرِيزِ قَوْلُ أَيْمَنَ بْنِ خَرِيمٍ الْأَسَدِيِّ لِبَشْرِ بْنِ مِرْوَانَ يمدحه
ويعرض بكلف كان بوجه أخيه عبد العزيز حين تفاه من مصر على يد نصيب
الشاعر مولاه :

كَأَنَّ التَّاجَ تَاجَ بَنِي هِرَقْلٍ جَلَّوهُ لِأَعْظَمِ الْأَعْيَادِ عِيدًا
يُصَافِحُ خَدَّ بَشِيرٍ حِينَ يُنْسَى إِذَا الظُّلَمَاءُ بَاشَرَتِ الْخُلْدُودَا

فهذا من خفي التعريض ؛ لأنه أوهم السامع أنه إنما أراد المبالغة بذكر الظلماء
لا سيما وقد قال * حين يمسى * وإنما أراد الكلف ، هكذا حكى الرواة .

ومن أفضل التعريض ما يحل عن جميع الكلام قول الله عز وجل : (ذُقْ
إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ السَّكْرِيمُ) أى : الذى كان يقال له هذا أو يقوله ، وهو أبو
جَهْل ؛ لأنه قال : ما بين جيليهما - يعنى مكة - أعز منى ولا أكرم ، وقيل : بل
ذلك على معنى الاستهزاء به .

التلويح

ومن أنواعها التلويح ، كقول المجنون قيس بن معاذ العامري :
لَقَدْ كُنْتُ أَعْلُو حُبِّ لَيْلَى فَلَمْ يَزَلْ^(١) بِي النَقْضُ وَالْإِبْرَامُ حَتَّى عَلَانِيَا
فلوح بالصحة والكتمان ثم بالسقم والاشتهار تلويحاً عجيباً ، وإياه قصد أبو
الطيب بعد أن قلبه ظهراً لبطن فقال :

كَتَمْتُ حُبَّكَ حَتَّى مِنْكَ تَكْرِمَةٌ ثُمَّ اسْتَوَى فِيكَ إِسْرَارِي وَإِعْلَانِي

(١) يروى * لقد كنت أعلو الحب حينئذ فلم يزل *

لأنه زَادَ حَتَّى فَاضَ عَنْ جَسَدِي فَصَارَ سُقْمِي بِهِ فِي جِسْمِ كَثَانِي
إِلَّا أَنَّهُ أَخْفَاهُ وَعَقَدَهُ كَمَا تَرَى ، حَتَّى صَارَ أَخْجِيَّةً يَتَلَقَّاهَا النَّاسُ .

ومن أجود ما وقع في هذا النوع قولُ النابغة يصف طول الليل :
تَقَاعَسَ حَتَّى قُلْتُ : لَيْسَ بِمُنْقَضٍ وَلَيْسَ الَّذِي يَرَعَى النُّجُومَ بِآيِبٍ ^(١)
« الذي يرعى النجوم » يريد به الصبح ، أقامه مقام الراعى الذي يغدو
فيذهب بالإبل والماشية ؛ فيكون حينئذ تلويحه هذا عجباً في الجودة ، وأما من
قال : إن الذي يرعى النجوم إنما هو الشاعر الذي شكا السَّهَرَ وطول الليل ؛ فليس
على شيء . وزعم قوم أن الآيب لا يكون إلا بالليل خاصة ، ذكره عبدالكريم .
ومن أنواع الإشارات الكناية والتمثيل ، كما قال ابن مقبل — وكان جافياً
في الدين : يبكي أهل الجاهلية وهو مسلم ، فقل له مرة في ذلك — فقال :

وَمَالِي لَا أَبْكِي الدِّيَارَ وَأَهْلَهَا وَقَدْ رَادَهَا رُودًا عَكَتْ وَحَيْرًا
وجاء قطاً لأحباب من كل جانب فَوَقَعَ فِي أُعْطَانَا ثُمَّ طَيَّرَا
فكفى عما أحدثه الإسلام ومثل كما ترى .

ومن أنواعها الرمز : كقول أحد القدماء يصف امرأة قتل زوجها وسبيت :
عَقَلْتُ لَهَا مِنْ زَوْجِهَا عَدَدَ الْحَصَى مَعَ الصَّبْحِ أَوْ مَعَ جُنْحِ كُلِّ أَصِيلِ
يريد أنى لم أعطاها عقلاً ولا قوداً بزوحها ، إلا الهم الذي يدعوها إلى عَدِّ
الحصى ، وأصله من قول امرئ القيس :

ظَلَلْتُ رِدَائِي فَوْقَ رَأْسِي فَاَعْدَا أَعْدُ الْحَصَى مَا تَنْقُضِي عَهْرَاتِي ^(٢)

(١) في رواية الديوان * تطاول حتى ولبس الذي يهدى
النجوم *

(٢) يريد أنه لما عشى ديار الحى فلم يجد أحداً وضع رداءه فوق رأسه
وحلس مفكراً بعد الحصى ودموعه لا ترقأ .

ومن مליح الرمز قول أبي نواس يصف كؤوساً ممزوجة فيها صور منقوشة :

قَرَارَتْهَا كَسْرَى، وَفِي جَنْبَاتِهَا مَهَا تَدْرِيبُهَا بِالْقَيْسِ الْفَوَارِسُ
فَللْخَمْرِ مَا زُرَّتْ عَلَيْهِ جُيُوبُهَا وَلِلْمَاءِ مَا دَارَتْ عَلَيْهِ الْقَلَانِسُ

يقول : إن خَدَّ الخمر من صُور هذه الفوارس التي في الكؤوس إلى التراقي
والثُخُور ، وزيد الماء فيها مزاجاً ، فانتهى الشراب إلى فوق رؤوسها ، ويجوز
أن يكون انتهاء الحباب إلى ذلك الموضع لما مزجت فأزادت ، والأول
أملح ، وفائدته معرفة حدها صرفاً من معرفة حدها ممزوجة ، وهذا عندهم
مما سَبَقَ إليه أبو نواس ، وأرى — والله أعلم — أنما تحلق على المعنى من قول
امرئ القيس :

فَلَمَّا اسْتَطَابُوا صُبَّ فِي الصَّحْنِ نِصْفُهُ وَوَافَى بِمَاءٍ غَيْرِ طَرَقٍ وَلَا كَدِيرٍ^(١)
ويروى « ووافوا » وإياه أردت ، ويروى « استظلوا » من الظل مكان
« استطابوا » : جعل الماء والشراب قسمين لقوة الشراب ، فنسَلَقَ الحسنُ عليه^(٢) ،
وأخفاه بما شغل به الكلام من ذكر الصورة المنقوشة في الكؤوس ، إلا أنها
سرقة ظريفة مليحة ، ولم يكن أبو نواس يرضى أن يتعلق بمن دون امرئ
القيس وأصحابه .

وأصل الرمز الكلام الخفي الذي لا يكاد يفهم ، ثم استعمل حتى صار الإشارة
وقال الفراء : الرمز بالشفقتين خاصة .

ومن الإشارات اللَّمَحَةُ ، كقول أبي نواس يصف يوماً مطيراً :

اللمحة

(١) استطابوا : أخذوا أطيب الماء وأعدبه ، والصحن : قدح كبير ، ويروى *
وشجت بماء * أى : مزجت ، وغير طرق : لم تطرقه الإبل لتبول فيه ، فهو يريد
أنه نظيف نقي لا كدر فيه ، وبعد هذا البيت قوله :

بماء سحب زل عن متن صخرة إلى بطن أخرى طيب ماؤها خصر
(٢) الحسن : هو أبو نواس .

وَشَمْسُهُ حُرَّةٌ مُخَدَّرَةٌ لَيْسَ لَهَا فِي سَمَائِهَا نُورٌ

فَقوله «حررة» يدل على ما أراد في باقي البيت ؛ إذ كان من شأن الحررة أَنْخَفَرُ والحياء ، ولذلك جعلها مخدرة، وشأن القيان والملوكات التبذل والتبرج، وأما زَعَمُ مَنْ زَعَمَ أن قوله «حررة» إنما يريد خلوصها كما تقول : هذا العَلَقُ من حُرِّ المتاع ؛ فخطأ ؛ لأن الشاعر قد قال : «ليس لها في سمائها نور» فأى خلوص هناك ؟ وكذلك قول حَسَّانَ ويكون أيضاً تنبيهاً :

أَوْلَادُ جَفْنَةٍ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمْ قَبْرِ ابْنِ مَارِيَةَ الْكَرِيمِ الْمُفْضِلِ
يريد أنهم ملوك ذوو حاضرة ومُسْتَقَرٍّ عز ، ليسوا أصحاب رحلة وانتجاع .
ومن أخفى الإشارات وأبعدها اللغز ، وهو : أن يكون للكلام ظاهر عجب اللغز
لا يمكن ، وباطن ممكن غير عجب ، كقول ذي الرمة يصف عين الإنسان :
وأصغر من قَسْبِ الْوَلِيدِ تَرَى بِهِ بِيوتاً مبناة وأودية قَفَرًا
فالباء في «به» للإصاق كما تقول «لمسته يدي» أى : ألصقتها به وجعلتها آلة
اللمس ، والسامع يتوهمها بمعنى فى ، وذلك ممتنع لا يكون ، والأول حسن غير ممتنع
ومثله قول أبى المقدام :

وَعَلَامَ رَأَيْتَهُ صَارَ كَلْبًا ثُمَّ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ صَارَ غَزَالًا

فَقوله : «صار» إنما هو بمعنى عَظِفَ وما أشبهه من قول الله عز وجل : (فخذ أربعة من الطير فصرهنَّ إليك) ، ومستقبله يَصُورُ ، وقد قيل «يصير» وهى لغة قليلة ، وليس صار التى هى من أخوات كان مستقبلها يصير فقط ومعناها استقر بعد تحول

واشتقاق اللغز من الْغَزَّ اليربوع والغز ، إذا حفر لنفسه مستقياً ثم أخذ يمتنع ويسر ، يورى ذلك ويعمى على طالبه .

ومن الإشارات الأَحْنُ ، وهو كلام يعرفه المخاطب بفَحْوَاهُ ، وإن كان على اللحر

غير وجهه ، قال الله تعالى : (ولتعرفنهم في لحن القول) وإلى هذا ذهب الحدّاق في تفسير قول الشاعر :

مَنْطِقٌ صَائِبٌ وَتَلَحَّنَ أَحْيَا نَا ، وَخَيْرُ الْحَدِيثِ مَا كَانَ لَحْنَا

ويسميه الناس في وقتنا هذا الحاجة لدلالة الحجا عليه . وذلك نحو قول الشاعر يحذر قومه :

خَلَّوْا عَلَى النَّاقَةِ الْحَمَاءَ أَرْحَلَكُمْ وَالْبَازِلَ الْأَصْهَبَ الْمَقُولَ فَاصْطَنِعُوا
إِنَّ الذَّنَابَ قَدْ اخْضَرَّتْ بَرَائِنُهَا وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ بَكْرٌ إِذَا شَبَعُوا
أراد « بالناقاة الحمراء » الدهناء ، و « بالجل الأصهب » الصمان ، « وبالذئاب »
الأعداء ، يقول : قد اخضرت أقدامهم من المشي في السكّاء والخصب ، والناس
كلهم إذا شبعوا طلبوا الغزو فصاروا عدواً لكم كما أن بكر بن وائل عدوكم . .
ومثل ذلك قول مهلهل لما غدره عبده وقد كبرت سنه وشق عليهما ما يكلفهما من
الغارات وطلب الثارات ، فأرادا قتله ، فقال : أوصيكما أن ترويا غنى بيت شعر ،
قالا : وما هو ؟ قال :

مَنْ مُبْلَغُ الْحَيَيْنِ أَنْ مَهْلَهْلَا اللَّهُ دَرَكَا وَدَرِ أَيْيَكَا

فلما زعما أنه مات قيل لهما : هل أوصى بشيء ؟ قالا : نعم ، وأنشدا البيت
المتقدم ، فقالت ابنته : عليكم بالعبدین فإنما قال أبی :

مَنْ مَبْلَغُ الْحَيَيْنِ أَنْ مَهْلَهْلَا : أَمْسَى قَتِيلًا بِالْفَلَاةِ مَجْنَدَلَا

لِلَّهِ دَرَكَا وَدَرِ أَيْيَكَا لَا يَبْرَحُ الْعَبْدَانِ حَتَّى يَقْتَلَا

فاستقرّوا العبدین فأقرا أنهما قتلاه ، ورويت هذه الحكاية لمرفش .

وسبيل الحاجة أن تكون كالتعريض والكناية ، وكل لغز داخل في الأحاجي ،

وقد حاجني شيخنا أبو عبد الله بعض تلاميذه فقال له :

أَحَاجِيكَ عَبَادُ كَرْيَنْبٍ فِي الْوَرَى وَلَمْ تَوْتَ إِلَّا مِنْ حَمِيمٍ وَصَاحِبِ

فأجابه التلميذ بأن قال :

سأ كتم حتى ما تحسُّ مدامعى بما انهلَّ منها من دموع سواكب
فكان معكوس قول أبى عبد الله « عباد كزيب » سرك ذائع ، فقال
الآخر « سأ كتم » فأجابه على الظاهر إجابة حسنة ، ومعكوس سأ كتم « منك
أتيت » فكانه قابل به قول الشيخ « ولم تؤت إلا من صديق وصاحب » وهذا
كله مليح .

ومنها التعمية ، وهذا مَثَلٌ للطير وما شا. كله ، كقول أبى نواس :

التعمية

* واسم عليه خبن للصفا *

وما أشبهه ، وهو معنى مشهور .

ومن الإشارات مصحوبة ، وهى عند أكثرهم معيبة كأنها حشو واستعانة من الإشارات
مصحوبة على الكلام ، نحو قول أبى نواس :

قال إبراهيم الماسي ل كذا غربا وشرقا

ولم يأت بها أبو نواس حشواً ، ولكن شطارة وعبثاً بالكلام ، وإن شئت
قلت بياناً وتثقيفاً ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو
ابن العاص : « وكيف بك إذا بقيت في حُثالة من الناس ، قد مرجت عهودهم
وأمانتهم ، واختلفوا فكانوا هكذا ؟ وشبك بين أصابع يديه » ، ولا أحد أفصح
من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا أبعد كلاماً منه من الحشو والتكلف .

وقالوا : مبلغ الإشارة أبلغ من مبلغ الصوت ، فهذا باب تتقدم الإشارة
فيه الصوت ، وقيل : حسن الإشارة باليد والرأس من تمام حسن البيان باللسان ،
جاء بذلك الرماني نصاً ، وقاله الجاحظ من قبل ، وأخذ على بعض الشعراء
في قوله ^(١) :

أشارت بطرف العين خيفة أهلها إشارة مذعور ولم تتكلم

(١) هـا لعمر بن أبى ربيعة الخزوى

فأيقنت أن الطرف قد قال : مرحبا وأهلا وسهلا بالحبيب المقيم

إذ كان هذا كله مما لا تحمله إشارة خائف مذعور .

ولما أقام معاوية الخطباء لبيعة يزيد قام رجل من ذى السكلاع فقال : هذا أمير المؤمنين ، وأشار بيده إلى معاوية ، فإن مات فهذا ، وأشار إلى يزيد ، فَنَ أُنِي فهذا ، وأشار إلى السيف ، ثم قال :

مُعَاوِيَةُُ الْخَلِيفَةُُ لَا نَمَارَى فَإِنْ يَهْلِكُ فَسَائِسُنَا يَزِيدُ
فَنَ غَلَبَ الشَّقَاءُ عَلَيْهِ جَهْلًا تَحْكَمُ فِي مَفَارِقِهِ الْحَدِيدُ

وقد جاء أبو نواس بإشارات أحر لم تجر العادة بمثلها ، وذلك أن الأمين ابن زبيدة قال له مرة : هل تصنع شعراً لا قافية له ؟ قال : نعم ، وصنع من فوره ارتجالاً :

ولقد قلت للمليحة قولي من بعيد لمن يحبك : (إشارة قبلة)
فأشارت بمعصم ثم قالت من بعيد خلاف قولي : (« لا لا »)
فتنفست ساعة ثم إلى قلت للبغل عند ذلك : (« امش »)

فتعجب جميع من حضر المجلس من اهتدائه وحسن تأتبه ، وأعطاه الأمين صلة شريفة .

الحذف

ومن الإشارات الحذف ، نحو قول نعيم بن أوس يخاطب امرأته :

إِنْ شِئْتَ أَشْرَفْنَا جَمِيعًا فَدَعَا اللَّهَ كُلُّ جَهْدَةٍ فَأَسْمَعَا
بِالْخَيْرِ خَيْرًا وَإِنْ شَرًّا فَا لَا أُرِيدُ الشَّرَّ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَا

كذا رواه أبو زيد الأنصاري ، وساعده من المتأخرين علي بن سليمان الأخفش ، وقال : لأن الرجز يدل عليه ، إلا أن رواية النحويين « وإن شراً فا » و « إلا أن تا » قالوا : يريد وإن شراً فشر ، وإلا أن تشأى .. وأنشدوا :

نَم تَنَادَوْا بَعْدَ تِلْكَ الضُّوْضَا مَسْهُمٌ بِهَاتٍ وَهَلْ وَيَا
 نَادَى مُنَادٍ مِنْهُمْ أَلَا تَا قَالُوا جَمِيعًا كُلُّهُمْ بَلَى فَا
 وَأَشَدُّ الْفِرَاءِ :

قُلْتُ لَهَا : قَوْمِي ، فَقَالَتْ : قَاف

يريد قد قمت .

التورية
 ومن أنواعها التورية كقول عُلَيَّة بنت المهدي في طَلِّ الخادم :
 أَيَا سَرْحَةَ الْبِسْتَانِ طَال تَشَوْقِي فَهَلْ لِي إِلَى ظِلِّ إِلَيْكَ سَبِيلُ
 مَتَى يَشْتَفِيَنَّ لَيْسَ يُرْجَى خُرُوجُهُ وَلَيْسَ لِمَنْ يَهْوَى إِلَيْهِ دُخُولُ ؟
 فَوَرَّتْ بِظِلِّ عَنْ طَال ، وَقَدْ كَانَتْ تَجِدُّ بِهِ ، فَفَنَعَهُ الرَّشِيدُ مِنْ دُخُولِ الْقَصْرِ ،
 وَنَهَاها عَنْ ذِكْرِهِ ، فَسَمِعَهَا مَرَّةً تَقْرَأُ : (فَإِنْ لَمْ يَصْبِهَا وَابِلٌ) فَمَا نَهَى عَنْهُ أَمِيرُ
 الْمُؤْمِنِينَ ، أَيْ (فَطَلَّ) فَقَالَ : وَلَا كُلْ هَذَا .

وأما التورية في أشعار العرب فإنما هي كناية : بشجرة ، أو شاة ، أو بيضة ،
 أو ناقة ، أو ماهرة ، أو ما شا كل ذلك كقول المسيب بن عَدَس :
 دَعَا شَجَرَ الْأَرْضِ دَاعِيَهُمْ لِيَنْصُرَهُ السَّدْرُ وَالْأَنْابُ
 فَكَبَى بِالشَّجَرِ عَنِ النَّاسِ ، وَهُمْ يَقُولُونَ فِي الْكَلَامِ لِلنَّشُورِ : جَاءَ فُلَانٌ
 بِالشُّوكِ وَالشَّجَرِ ، إِذَا جَاءَ بِجَيْشٍ عَظِيمٍ .

وكان عمر رضي الله عنه -- أو غيره من الخلفاء -- قد حُظِرَ عَلَى الشُّعْرَاءِ ذِكْرُ
 النِّسَاءِ ، فَقَالَ حَمِيدُ بْنُ ثَوْرٍ الْهَلَالِيُّ :

تَجَرَّمُ أَهْلُهَا لِأَن كُنْتَ مَشْعَرًا جَنُوبًا بِهَا ، يَأْطُولُ هَذَا التَّجَرُّمُ
 وَمَالِي مِنْ ذَنْبٍ إِلَيْهِمْ عِلْمَتُهُ سَوَى أَنِّي قَدْ قُلْتُ يَا سَرْحَةَ اسْمِي
 بَلَى وَاسْمِي ثُمَّ اسْمِي نَمَّتَ اسْمِي ثَلَاثَ تَحِيَّاتٍ وَإِنْ لَمْ تَكَلِّمْ
 وَقَالَ أَيْضًا فِي مِثْلِ ذَلِكَ :

أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ سَرْحَةَ مَالِكٍ عَلَى كُلِّ أَفْنَانٍ الْعَصَا تَرْوِفُ

فيا طيبَ رِيَّاهَا ، وَيَا بَرْدَ ظِلِّهَا إِذَا حَانَ مِنْ شَمْسِ النَّهَارِ شُرُوقُ
 فَهَلْ أَنَا إِنْ عَلَلْتُ نَفْسِي بِسَرِّ حَاحَةٍ مِنَ السَّرِّحِ مَسْدُودٌ عَلَى طَرِيقِ ؟
 حَتَّى ظَلَّمَا شَكْسَ الْخَلِيقَةِ خَائِفَ عَلَيْهَا غَرَامُ الطَّائِفِينَ شَفِيقُ
 يَرِيدُ بِذَلِكَ بَعْلَهَا أَوْ ذَا مَحْرَمِهَا
 فَلَا الظِّلَّ مِنْ بَرْدِ الضَّمْحَى سَتَظْلِمُهُ وَلَا الْفَيْءُ مِنْهَا فِي الْعَشِيِّ نَذُوقُ
 وَقَالَ عَنَتَةُ الْعَبْسِيِّ :

يَا شَاةَ مَا قَنَصِي لِمَنْ حَلَّتْ لَهُ حَرُمْتُ عَلَى وَلَيْتَهَا لَمْ تَحْرُمِ
 وَإِنَّمَا ذَكَرَ امْرَأَةً أَبِيهِ ، وَكَانَ يَهْوَاهَا ، وَقِيلَ : بَلْ كَانَتْ جَارِيَتَهُ ؛ فَلِذَلِكَ
 حَرَمَهَا عَلَى نَفْسِهِ ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ :

* وَالشَّاةُ مِمَّا كُنَّ لِمَنْ هُوَ مَرْتَمَى *

وَالْعَرَبُ تَجْعَلُ الْمَاهَةَ شَاةً ؛ لِأَنَّهَا عِنْدَهُمْ ضَائِنَةُ الظُّبَاءِ ، وَلِذَلِكَ يَسْمُونَهَا نَعِجَةً ،
 وَعَلَى هَذَا الْمُتَعَارَفِ فِي الْكُنْيَةِ جَاءَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي إِخْبَارِهِ عَنْ خَصْمِ دَاوُدَ
 عَلَيْهِ السَّلَامُ : (إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعِجَةً وَلِيَ نَعِجَةً وَاحِدَةً) كُنْيَاةً
 بِالنَّعِجَةِ عَنِ الْمَرْأَةِ ، وَقَالَ امْرَأَةُ الْقَيْسِ :

وَبَيْضَةَ خِدْرِ لَا يُرَامُ خِيَاؤُهَا تَمَتَّعْتُ مِنْ لَهْوِ بَهَا غَيْرِ مُعْجَلِ
 كُنْيَاةً بِالْبَيْضَةِ عَنِ الْمَرْأَةِ . . . وَرَوَى ابْنُ قَتَيْبَةَ أَنَّ رَجُلًا كَتَبَ إِلَى عَمْرِ بْنِ
 الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

أَلَا أَبْلُغُ أَبَا حَقِصٍ رَسُولًا فِدَى لَكَ مِنْ أَخِي ثِقَةٌ لِإِزَارِي
 قَلَانُصْنَا هَذَاكَ اللَّهُ ، إِنَّا شَغَلْنَا عَنْكُمْ زَمَنَ الْحَصَارِ
 فَا قُلُوصَ وَجِدْنِ مَعْقَلَاتِي قَفَا سَلْعٍ بِمُخْتَلَفِ النَّجَارِ

يَعْقِلُهُنَّ جَعْدٌ شَيْظَمِيٌّ وَبُئْسَ مُعَقِّلُ الذَّوْدِ الظُّوَارِ^(١)

وإنما كنى بالقلمص - وهى النوق الشواب - عن النساء ، وعرضَ برجل يقال له « جعدة » كان يخالف إلى المغيبات من النساء ، ففهم عمر ما أراد ، وجلد جعدة ونفاه .

ومن الكناية اشتقاق الكنية ؛ لأنك تَكْنِي عن الرجل بالأبوة ، فتقول : أبو فلان ، باسم ابنه ، أو ما تعورف في مثله ، أو ما اختار لنفسه ؛ تعظيماً له وتفخيماً ، وتقول ذلك للصبي على جهة التفاؤل بأن يعيش ويكون له ولد .

قال المبرد وغيره : الكناية على ثلاثة أوجه : هذا الذى ذكرته آنفاً أحدها ، الكناية ثلاثية والثانى : التعمية والتغطية التى تقدم شرحها ، والثالث : الرغبة عن اللفظ الخسيس ^{أضرب} كقول الله عز وجل : (وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا) فإنها فيما ذكر كناية عن الفروج . ومثله فى القرآن وفى كلام الفصحاء كثير .

(٤٢) - باب التتبيع

ومن أنواع الإشارة التتبيع ، وقوم يسمونه الجاوز ، وهو : أن يريد الشاعر ^{حد} التتبيع ذكر الشيء فيتجاوزه ، ويذكر ما يتبعه فى الصفة وينوب عنه فى الدلالة عليه ، وأول من أشار إلى ذلك امرؤ القيس يصف امرأة :
وَيُضْحِي فَتَيْتُ الْمِسْكِ فَوْقَ فَرَاشِهَا نَوْمُ الضُّحَى لَمْ تَنْتَطِقْ عَنْ تَفَضُّلٍ
فقوله « يضحى فتيت المسك » تتبيع ، وقوله « نؤوم الضحى » تتبيع ثان ، وقوله « لم تنتطق عن تفضل » تتبيع ثالث ، وإما أراد أن يصفها بالترفة ، والنعمة ،

(١) شيطمى : الشيطم الطويل ، وقيل : الجسيم ، والياء زائدة . وقيل : الشيطم الطائق الهش الوجه الذى لا انقباض له اه عن اللسان .

وقلة الامتهان في الخدمة ، وأنها شريفة مكفية المؤنة ، فجاء بما يتبع الصفة ويدل عليها أفضل دلالة .. ونظيره قول الأخطل يصف نساء :

لَا يَصْطَلِينَ دُخَانَ النَّارِ شَاتِيَةً إِلَّا بُعُودٍ يَلَنُجُوجٍ عَلَى فَحْمٍ

فذكر أنهم ذوات تملك وشرف حال . وأين من هذا قول النابغة في معناه

وقصده :

لَيْسَتْ مِنَ السُّودِ أَعْقَابًا إِذَا انْصَرَفَتْ وَلَا تَبِيعُ بِجَنَسِي نَخْلَةَ الْبُرْمَا^(١)

كأنها إن لم تكن سوداء العقبين ببيعة للبرم كانت في نهاية الحسن والشرف والدعة .

وقال النابغة وأراد أن يصف طول العنق . وتماثل الحلقة فيها فذكر القرط ؛ إذ كان مما يتبع وصف العنق ، ولم يسبقه إلى ذلك أحد من الشعراء :

إِذَا ارْتَعَشَتْ خَافَ الْجُبَّانُ رِعَاثَهَا وَمَنْ يَتَعَلَّقُ حَيْثُ عَلَّقَ يَفْرُقُ^(٢)

فجعل رعائها يخاف ويفرق ، وعذره ببعده مسقطه ، فتناول هذا المعنى عمر ابن أبي ربيعة فأوضحه بقوله :

بَعِيدَةٌ مَهْوَى الْقُرْطِ إِمَّا لِنُوفَلٍ أَوْهَا ، وَإِمَّا عَبْدَ شَمْسٍ وَهَاشِمٍ

وتبعه ذو الرمة فزاد المعنى وضوحاً بقوله :

(١) الأعقاب : جمع عقب ، إذا انصرفت : يريد أنها إن انصرفت عنك فنظرت إليها لم تجد عقبها أسود ، بل هي بيضاء ناعمة رخصة القدم ، والعرب تستدل بحسن قدم المرأة على حسن سائرها ، ويقولون : إذا حسن موقف المرأة حسن سائرها . ونخلة : بستان عبد الله بن معمر . والبرم : جمع برمة ، وهي قدر النحاس يريد أنها مصنوعة مخدرة لآتمنهن بخدمة .

(٢) ارتعشت : لبست الرعاش ، وهو القرط .

وَالْقُرْطُ فِي حُرَّةِ الذِّفْرِى مُعَلَّقَةٌ تَبَاعَدَ الْحَبْلُ مِنْهُ فَهُوَ يَضْطَرِبُ^(١)

وقال طِفْئِلُ الغَنَوَى يَصِفُ فَرَسًا ، وَيُرَوِّى لغيره :

هَرَبْتُ قَصِيرَ عَذِيرِ اللِّجَامِ أَسِيلٌ طَوِيلٌ عِذَارِ الرَّسَنِ

فلو ترك الهرت والأسالة لكان من هذا الباب ، لكنه الآن لم يقصد التتبع ، وإنما جاء به كالتوكيد لما قبله ، هذه رواية ابن قتيبة ، وأما رواية النحاس عن شيوخه عن الأصمعي فإنها :

وَأَحْوَى قَصِيرَ عَذَارِ اللِّجَامِ وَهُوَ طَوِيلٌ عِذَارِ الرَّسَنِ

وهذا تتبع لا شك فيه . وأما قول الأخطل :

أَسِيلَةٌ مَجْرَى الدَّمْعِ ، أَمَّا وَشَاحُهَا فَجَارٍ ، وَأَمَّا الْحَبْلُ مِنْهَا فَمَا يَمْجَرِي

ففيه التتبع في ثلاثة مواضع ، وهى صفة الخلد بالسهولة ، وصفة الخضر بالركة ، والساق بالغلظ . ومثله قول الأعشى :

صِفْرُ الْوَشَاحِ ، وَمِلءُ الدَّرْعِ ، خَرْعَةٌ إِذَا تَأْتَى يَكَادُ الْخَصْرُ يَنْخَزِلُ^(٢)

فقوله « صفر الوشاح » دال على رقة الخصر ، « وملىء الدرع » دال على تمام الخلق من طول وسمن وامتلاء صدر وعجيزة ، وكل ما وقع من قولهم : طويل

(١) القرط : من حلى الأذن ؛ قيل : عام ، وقيل : خاص بما كان فى شحمتهما فإن كان فى أعلاها فهو الشنف ، بفتح فسكون ، والذفرى : عظم فى أعلى العنق من الإنسان ، وهما ذفريان ، عن يمين النقرة وشمالها ، قاله فى اللسان عن القتيبي .

(٢) صفر الوشاح : يريد أنها حميصة البطن دقيقة الخصر ؛ فوشاحها يعلق عنها ويضطرب لذلك ، ملىء الدرع : يريد أنها ضخمة ، خرعية : يروى فى مكانه « بهكنة » والبهكنة : الجارية الخفيفة الروح الطيبة الرائحة المليحة الحلوة . والخرعية : الرخصة اللينة الحسنة الخلق . وتأنى : ترفق ، من قولك : هو يتأنى للأمر ، وقيل : تأنى أى تنهياً للقيام ، وأصله بناء بن خذف إحداهما ، ينحزل : يتثنى ، وقيل : ينقطع

التَّجَاد ، وكثير الرماد ، وما يشا كلهما فهو من هذا الباب . وقالت ليلي الأخليلية :
وَمُخْرِقٌ عَنْهُ الْقَمِيصُ تَخَالُهُ وَسَطَ الْبُيُوتِ مِنَ الْحَيَاءِ سَقِيمًا
أرادت أنه يجذب ويتعلق به للحاجات لجوده وسؤدده وكثرة الناس حوله ،
وقيل : إنما ذلك لعظم مناكبه ، وهم يحمدون ذلك .

ومن عجيب ما وقع في هذا الباب من التجاوز قول أوس بن حَجَر :
حَتَّى يَلْفَ نَحْيِلَهُمْ وَيَبُوتَهُمْ لَهَبٌ كَنَاصِيَةِ الْحِصَانِ الْأَشْقَرِ
أراد الحرب التي هي المقصود بالصفة ، هكذا الرواية الصحيحة ، وبهذا
التفسير فسرته جملة العلماء وهم الأكثر ، وقال آخرون : بل إنما أغراه بإحراق
النخل والبيوت ففعل ، ولا يكون على هذا الرأي الآخر من هذا الباب .
ومن التجاوز قول رؤبة بن العجاج يصف حوافر الخيل :

* سَوَّى مَسَاجِيهِنَّ تَقْطِيطُ الْحَقِّقِ *

أراد أن يشبهها بالمساحي فجعلها أنفسها مساحي ، يريد العظم .
ومثله قول ابن دريد :

يَدِيرُ إِعْلِيطِينَ فِي مَلُومَةٍ إِلَى لَمُوحَيْنِ بِالْحَاطِظِ الْأَلَايِ
أراد أن يشبه أذن الفرس بالإعريط - وهو وعاء ثمر المرخ - فجعل الأذن
نفسها إعريطًا ، كما فعل رؤبة في المساحي ، ومثله كثير .
ومما يدخل في باب التجاوز قول النابغة :

تَقْدُّ السَّلَوقِ الْمَضَاعَفَ نَسْجُهُ وَتُوقِدُ الصُّفَّاحَ نَارَ الْحُبَابِ (١)

(١) تقد : الضمير المستتر فيه عائد على السيوف التي ذكرها في قوله قبل ذلك :
ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب
والسلوقي : نسبة إلى سلوق ، وهي مدينة بالروم ، وإليها تنسب أجود الدروع

وإنما أراد السلوقي مع ما فيه من الجسد وما تحت لابس زعموا من السرج والفرس ، فعدا عن الجميع ، وجاء بما يتبعه ، ويستغنى به عن ذكره ، إذ^(١) كانت لا تقد السلوقي إلا أن تقد ما فيه ، ولا تنتهى إلى الصفاح على ما فسروا من أنه يريد الفارس بأداته - إلا بعد أن تأتى على السرج والفرس ، على أن من الناس من رد « يوقدن » على الخليل . . وإلى مثل هذا الإفراط ذهب النمر بن تولب في صفة السيف الذى شبه به نفسه فقال :

تَظَلُّ تَحْفَرُ عَنْهُ إِنْ ضَرَبْتَ بِهِ بَعْدَ الدَّرَاعِينَ وَالسَّاقِينَ وَالْهَادَى^(٢)

وروى الخذاق « القينين والهادى » وهو واضح فى المعنى .

ومن التتبع قول زهير :

وَمُلْجِمُنَا مَا إِنْ يَنْالُ قَذَالَهُ وَلَا قَدَمَاهُ الْأَرْضَ إِلَّا أَنْامِلَهُ^(٣)

فأشار إلى طول عنقه وقوائمه بذكر تطاول اللجم إشارة عجيبة ، وتبعه ابن

مقبل فقال :

تَمَطَّيْتُ أَخْلِيهِ الْأَجَامَ فَبَذَنِي وَشَخَصِي يُسَامِي شَخَصَهُ وَهُوَ طَائِلُهُ

= وأفضلها ، المضاعف نسجه : أراد الذى نسج حلقتين حلقتين . الصفاح : ما يجعل على الدارع من الحديد ، ونار الجباحب : هو ما اقتدح من شرر النار فى الهواء ، وقيل : ذباب له شعاع بالليل .

(١) فى للصريتين « إذا » وهو تحريف .

(٢) القينان فى رواية الخذاق التى ذكرها المؤلف : مثنى قين ، وهو موضع القيد من الفرس ومن كل ذى أربع يكون فى اليدين والرجلين ، والهادى : العنق سميت بذلك لأنها تتقدم على البدن وتهديه .

(٣) ملجمنا : يريد الذى يلجم خيلهم ، وقوله « ما إن ينال قذاله » يريد أنه لا يسكاد ينال قذال الفرس لطوله ، وقوله « ولا قدماء » هو على تقدير ولا تنال قدماء الأرض ، أى : أنه قد قام على أطراف أصابعه فلا ينال من قدميه الأرض إلا أنامله يرفع نفسه ليدرك قذال الفرس فلا يبلغه .

وإنما تناول زهير هذا المعنى من أبي دؤاد الإيادي ، ويروى لعبد بن ثعلبة الأسدى حيث يقول :

لَا يَكَادُ الطَّوِيلُ يَبْلُغُ مِنْهُ حيث يثنى على المقص العذار
وأنا أقول : إن نيت الديباني في الرعاث مأخوذ من قول عبيد بن الأبرص :
مَاطُوا الرعاثَ بِنَهْدٍ لَوْ يَزِلُّ بِهِ لاندقّ دون تلاقى اللبة القرط
وقال ابن دريد وأتى ببديع مليح :
قَرِيبُ مَا بَيْنَ الْقَطَاةِ وَالْمَطَا بَعِيدُ مَا بَيْنَ الْقَذَالِ وَالصَّلَا
فدل بهذا على قصر الظهر وطول العنق . .

وقال بعض الشعراء فلح وظرف :
فَمَا يَكُ فِيَّ مِنْ عَيْبٍ فَإِنِّي جَبَانُ الْكَلْبِ مَهْزُولُ الْفَصِيلِ
أشار إلى كثرة غشيان الضيوف ، حتى إن الكلب ما أنس جُبْنَ أن ينبح
فضلا عما سوى ذلك ، وهُزَّال فصيله دال على أن الألبان مبدولة للضيغان ، فقل
ما بقي له منها .

وقد قال امرؤ القيس :

* سِمَانُ الْكِلَابِ عِجَافُ الْفِصَالِ *

فعمجف الفصال للعملة التي قدمت ، وسمن الكلاب لكثرة ما ينمحرون
ويذبجون .

ومن أعجب التتبع قوله :

أَمْرُخٌ خِيَامُهُمْ أَمَّ عَشْرُ أُمِّ الْقَلْبِ فِي إِثْرِهِمْ مُنَحْدَرُ^(١)
يقول : أنزلوا نجداً الذي من نباته المرخ أم الغور الذي من نباته العشر ؟

(١) انظر (ص ١٧٤) من هذا الجزء تجد نفس هذا البيت في تعليقاتنا هناك

وإن الأعراب يعملون خيامهم من نبات الأرض التي ينزلونها ، فإذا رحلوا تركوه واستأنفوا غيره من شجر البلد الذي ينزلون به ، هكذا شرح العلماء هذا البيت المتقدم ، ولا أرى الأعراب تذكر ذلك كثيراً في أشعارها ، وإنما يتعاورون ذكر الوَيْدِ ، اللهم إلا أن تكون الأعمدة وما شاكلها تنتخب وتحمل وإنما المطرَحُ^(١) ما جعل فوقها وسُدَّ به خصاصُها فدفع الحر والبرد فنعم ، ولا شك أن هذا هو الصحيح ، ويدل عليه قول جرير يذكر منزلاً :

فَلَا عَهْدَ إِلَّا أَنْ تَذَكَّرَ أَوْ تَرَى ثُمَامًا حَوَّالِي مَنْصَبِ الْخَيْمِ بَالِيَا
فَذَكَرَ النَّمَامَ مُطَرَّحًا ، وقال أبو دوداد :

عَهْدَتْ لَهَا مَنَزِلًا دَائِرًا وَالْأَعْلَى الْمَاءُ يَحْمِلُنَ آلا

فالآل الأول : أعمدة الأخبية ، والآل الثاني : الشخص الذي يرتفع عند اشتداد الحر ، هكذا فسروه ، منهم قدامة ، والذي قال الخذاق : يعني أعمدة تحمل أعمدة مثلها ذكره أبو حنيفة ، وقوله « على الماء » يعني الماء العِدَّ الذي هو المحضر يرجعون إليه بعد تبديهم وانقطاع ماء السماء ، وقد أخبرك الشاعر على القول الأول أنهم يحملون أعمدة الأخبية والبيوت .

ومن أحسن ما وقع في هذا الباب من التتبع قول حسان بن ثابت :

أَوْلَادُ جَفْنَةٍ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمْ قَبْرُ ابْنِ مَارِيَةَ الْكَرِيمِ الْمَفْضَلِ

فقوله « حول قبر أبيهم » تتبع مليح ، أشار به إلى أنهم ملوك مقيمون لا يحافون فينتقلون من مكان إلى مكان ، وأنهم في مستقر عز وأرض خصب

(١) المطروح : الذي يتركه القوم عند رحيلهم ، وفي نسخة « المرخ » وما أثبتناه أولى ؛ فإن المرخ إذ اتخذ لسد خصاص البيوت فغيره يتخذ لذلك كالثمام في كلام جرير ، وغيره .

لا تجذب ، أراد الشام ، وأن ذلك دأبهم من القدم ، فهم حول قبر أبيهم ، وهذا كما قال ابن مقبل :

نَحْنُ الْمُقِيمُونَ لَمْ تَبْرَحْ ظَعَانُنَا لَا نَسْتَجِيرُ، وَمَنْ يَخْلُلُ بِنَا يُجَرِّ

ومن هذا الباب أيضاً قول عنبرة بن شداد العبسي :

بَطَلٌ كَانَ ثِيَابُهُ فِي سَرَحَةٍ يُحَذِي نَعَالِ السَّبْتِ لَيْسَ بِتَوَامٍ

أراد أنه ملك ؛ لأن نعال السبت لا يحتذيها عندم إلا كل شريف ، يدل ذلك على ذلك قول عتيبة بن مرداس المعروف بابن فسوة يذكّر آل رسول الله صلى الله عليه وسلم في قصيدة لام فيها عبد الله بن عباس وشكر الحسن بن علي عليهما السلام وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهما :

إِلَى نَفَرٍ لَا يَخْصِفُونَ نَعَالَهُمْ وَلَا يَلْبَسُونَ السَّبْتَ مَا لَمْ يُخْصَرْ

ومن التتبع قول الخطيئة :

لَعَمْرُكَ مَا قَرَّادُ بَنِي كَلِيبٍ إِذَا تُرِعَ الْقَرَّادُ بِمُسْتَطَاعٍ

وذلك أن الفحل إذا منع الخطام نزعوا من قردانه شيئاً فلذّ ذلك ، وسكن إليه ، ولأن لصاحبه حتى يلقي الخطام في رأسه ، فزعم الخطيئة أن هؤلاء لا يخذعون عن عزهم وإباةهم فيقدر عليهم .

وأما قول ذي الأصبع العدواني واسمه حرثان بن الحارث :

يَا عَمْرُو ، إِلَّا تَدْعُ شَتْمِي وَمَنْقَصَتِي أَضْرَبُكَ حَيْثُ تَقُولُ الْهَامَةُ اسْقُونِي

فيجوز أن يكون أراد أضربك على الرأس الذي تصيح منه الهامة اسقوني على زعم الأعراب ، فيكون من هذا الباب ، ويجوز أن يكون مراده أضربك فلا يؤخذ بشارك وتكون حيث ههنا مثلها في قول زهير :

* لَدَى حَيْثُ أَلْقَتْ رَحْلَهَا أُمُّ قَشْعَمٍ *

فيخرج عن هذا الباب . . . وإلى نحو التأويل الأول قصد أبو الطيب بقوله :

فَيَابَنَ الطَّاعِنِينَ بِكُلِّ لَذَنٍ مَوَاضِعَ يَشْتَكِي الْبَطْلُ الشُّعَالَا
أَرَادَ الصَّدْرَ ، أَوِ النَّحْرَ . .

وَيَبْتَهِمُ الْبَحْتَرَى فِي صِفَةِ الذُّئْبِ ، وَيُرْوَى لِعَامِرَةَ بْنِ عَقِيلٍ :
فَأَوْجَرْتُهُ أُخْرَى فَأَظْلَمْتُ رِيْشَهَا بِمِثْ يَكُونُ اللَّبُّ وَالرَّغْبُ وَالْحَقْدُ
خَيْرٌ مِنْ بَيْتِ أَبِي الطَّيِّبِ وَأَجْمَعَ لِلصِّفَةِ ، وَقَوْلُهُ « أَظْلَمْتُ » بِمَعْنَى صَارَتْ
وَيُرْوَى بِالضَّادِ .

٤٣ — باب التجنيس

التجنيس ضروب كثيرة : منها المماثلة ، وهي : أن تكون اللفظة واحدة
باختلاف المعنى ، نحو قول زياد الأعجم ، وقيل : الصَّلَتَانِ الْعَبْدِي يَرْتِي لِلْمَغِيرَةِ
ابن المهلب :

فَانْعَ الْمَغِيرَةَ لِلْمَغِيرَةِ إِذْ بَدَتْ شَعَاءُ مَشْعَلَةٍ كَنْبَجِ النَّابِجِ

فَالْمَغِيرَةُ الْأُولَى : رَجُلٌ ، وَالْمَغِيرَةُ الثَّانِيَةُ : الْفَرَسُ ، وَهُوَ ثَانِيَةُ الْخَيْلِ الَّتِي تَغْيِرُ .
وَقَالَ صَاحِبُ الْكِتَابِ : قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ) وَقَالَ
تَعَالَى : (ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ) وَفِي كَلَامِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
« سَلِّمَ سَالِمُهَا اللَّهُ ، وَغَفَّارَ غَفَرَ اللَّهُ لَهَا ، وَعُصْبَةَ عَصَتِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ » وَإِنْ كَانَ
مِنْ غَيْرِ هَذَا الْبَابِ . . وَأَنْشُدْ^(١) سَيَبُويَه :

أُنِيخَتْ فَأَلَقَتْ بِلَدَةٍ فَوْقَ بَلَدَةٍ قَلِيلٍ بِهَا الْأَصْوَاتُ إِلَّا بُغَامُهَا

(١) انظر كتاب سيبويه (ج ١ ص ٢٧٠) ونسبه لذي الرمة ، والرواية برفع
« بُغَامِ » عَلَى جَعْلٍ « إِلَّا » صِفَةً بِمَعْنَى « غَيْرِ » ظَهَرَ إِصْرَابُهَا عَلَى مَا بَعْدَهَا كَمَا هُوَ
مَعْرُوفٌ فِي كُتُبِ النَّحْوِ .

البلدة الأولى : صدر الناقة ، والثانية : المسكان من الأرض .

ومثله [ما] أنشد[ه] ثعلب :

وَتَذْنِيَّةٌ جَاوَزَتْهَا بِذَنْيَةٍ حَرْفٌ يُعَارِضُهَا نِيَّةٌ أَذْهَمُ

فالثنية الأولى : عقبة ، والثانية : ناقة ، والثنى الأدهم : الظل ، استعار له

هذا الاسم . . . ويروى « حبيب أدهم » .

ومثله أنشد أبو عمرو بن العلاء :

* عَوْدٌ عَلَى عَوْدٍ عَلَى عَوْدٍ خَلَقَ *

وقال : الأول الشيخ ، والثاني : الجمل المسن ، والثالث : الطريق القويم قد

ذُلَّ بكثرة الوطاء عليه .

ويجربى هذا المجربى قول الأودى :

وَأَقْطَعُ الْهُوْجَلَ مُسْتَأْنَسًا بِهِوْجَلٍ عَيْرَانَةٍ عَيْطَمُوسُ^(١)

أنشده قدامة على أنه طباق ، وسائر الناس يخالفونه في هذا المذهب ، وقد

جاء رد الأخفش على بن سليمان عليه في ذلك وإنكاره على رأى الخليل

والأصمعي في كتاب حلية المحاضرة للحاتمي .

وعلى القول الأول قال أبو نواس في ابن الربيع :

عَبَّاسُ عَبَّاسٌ إِذَا حَضَرَ الْوَعْيُ وَالْفَضْلُ فَضْلٌ وَالرَّبِيعُ رَّبِيعٌ

وقال أبو تمام :

لِيَا لَيْنَا بِالرَّقَمَتَيْنِ وَأَهْلُنَا سَقَى الْعَهْدَ مِنْكَ الْعَهْدُ وَالْعَهْدُ وَالْعَهْدُ

فالعهد الأول المسقى : هو الوقت ، والعهد الثاني : هو الحِفَاطُ ، من قولهم « فلان

ماله عهد » والعهد الثالث : الوصية من قولهم « عهد فلان إلى فلان » ، وعهدت

(١) الهوجل الأول : الأرض التي لانبت فيها ، ومنه قول ابن مقبل :

وجرداء خرقاء المسارح هوجل بها لاستدعاء الشعشعانات مسبح

والهوجل الثاني : الناقة السريعة .

إليه « أى : وصانى ووصيته ، والعهد الرابع : المطر ، وجمعه عَهَادٌ ، وقيل : أراد مطراً بعد مطر بعد مطر ، وفسر ذلك بقوله :

سَحَابٌ مَتًى يَسْحَبُ عَلَى النَّبْتِ ذَيْلَهُ فَلَ رَجُلٌ يَنْبُو عَلَيْهِ وَلَا جَفْدٌ
واستثقل قوم هذا التجنيس ، وحُقَّ لهم .

ومن مליح هذا النوع قول ابن الرومى :

للسود فى السود آثار تركن بها لمعاً من البيض تَذْنِي أعين البيض

فالسود الأول : اللبالي ، والسود الآخر : شَعَرَاتُ الرَّأْسِ واللحية ، [و] البيض

الأول : الشيبات ، والبيض الآخر : النساء . .

وزعم الحاتمى أن أفضل تجنيس وقع لحدث قول عبد الله بن طاهر :

وَأِنِّى لِلنَّغْرِ الْخَفِيفِ لِكَالِى وَلِلنَّغْرِ يَجْرِى ظَلْمُهُ لَرَشُوفٍ^(١)

فهذا وما شا كله التجنيس المحقق ، والجرجانى يسميه المستوفى .

ويقرب منه — وليس محضاً — قول ابن الرومى :

له نائل ما زال طالب طالبٍ ومُرتاد مُرتادٍ وخاطبَ خاطبٍ

أدخل التردد ، والترديد : نوع من المجانسة يفرد له باب إن شاء الله تعالى .

والتجنيس المحقق : ما اتفقت فيه الحروف دون الوزن ، رجع إلى الاشتقاق أو لم

يرجع ، نحو قول أحد بني عبس :

وَذَلِكُمْ أَنْ ذُلَّ الْجَارُ حَالَفَكُمْ وَأَنْ أَنْفَكُمْ لَا يَعْرِفُ الْأَنْفَا

فاتفقت الأنف مع الأنف فى جميع حروفهما^(٢) دون البناء ، ورجعاً إلى أصل

(١) النغر الأول : نغر البلاد الذى يحافظ عليه من غارة العدو . وكالىء : حافظ

وراع . والنغر الثانى : قم المحبوب ، والظلم — بفتح الظاء — ريقه .

(٢) فى المصريتين « فاتفقت الأنف فى الأنف فى جميع حروفها » وفى هذا

تحرير فان لا يخفيان

واحد ، هذا عند قدامة أفضل تجنيس وقع ، [و] مثله في الاشتقاق قول جرير -
والجرجاني يسميه التجنيس المطلق ، قال : وهو أشهر أوصافه :

وما زال مَعْقُولًا عَقَالٌ عن الندى وما زال محبوبًا عن الخير حَابِسٌ
وقال جرير أيضاً ، وفيه المضارعة والمائلة والاشتقاق ، وأنشده ابن المعتز :
تَقَاعَسَ حَتَّى فَاتَهُ الْمَجْدُ فَتَقَعَسَ وَأَعْيَا بَنُو أَعْيَا وَضَلَّ الْمَضِلُّ
وقال خلف بن خليفة الأقطع :

فَإِنْ بَشَّعَلُونَا عَنْ أَذَانِ فَإِنَّا شَغَلْنَا وَلِيدًا عَنْ غَنَاءِ الْوَلَائِدِ
يعنى الوليد بن يزيد بن عبد الملك . وقال أبو تمام فأحكم المجانسة بالاشتقاق :
بِحَوَافِرِ حُفَيْرٍ وَصُلْبِ صُلْبٍ وَأَشَاعِرِ شُعْرٍ وَخَلْقِ أَخْلَقِ
تجنس بثلاث لفظات ^(١) . ومثله قول البهتري :

صَدَقَ الْغَرَابُ ، لَقَدْ رَأَيْتُ شَمُوسَهُمْ بِالْأَمْسِ تَغْرُبُ عَنْ جَوَانِبِ غَرْبٍ
ويقرب من هذا النوع قول ذى الرمة * وَاسْتَرْجَعَتْ هَامَهَا الْمَيْمُ الشَّعَائِمُ *
فالهم والهام قريبان في اللفظ بعيدان في الاشتقاق ، وربما جعلهما بعض الناس من
أصل واحد ، وكذلك قوله :

كَانَ الْبُرَى وَالْعَاجَ عَيْبَتْ مُتَوْنَهَا عَلَى عُشْرِ نَهْيٍ بِهِ السَّيْلُ أَبْطَحَ ^(٢)
قال ابن المعتز « نهى به السيل » أى : بلغ به إليه فهو أنعم له وأكثر لدونه .

(١) بل بأربع لفظات ، كما هو ظاهر ، وانظر ص ١٣٢ من هذا الجزء

(٢) قال أبو حنيفة : « العشر من العضاء ، وهو من كبار الشجر وله صمغ
حلو ، وهو عريض الورق ، ينبت صعدا في السماء ، وله سكر يخرج من شعبه
ومواضع زهره يقال له سكر العشر ، وفي سكره شيء من مرارة ، ويخرج له تقاخ
كأنها شقاشق الجمال التي تهرق فيها ، وله نور مشرب مشرق حسن للنظر » اهـ

وأنا أقول : معناه ترك به السيل نهياً ، وهو الغدير ، وذلك أتم لما أراد ابن المعتز ،
اللهم إلا أن يكون معناه جعل نهايته هناك فإنه أتم وأجود ، أى : لم يجد مُنْصَرَفًا
فأقام . وقال البحتري :

وَذَكَّرَ نِيكَ وَالذَّكْرَى عَنَاءَ مَشَابِهِ مِنْكَ بَيِّنَةُ الشُّكُولِ
نَسِيمُ الرِّوْضِ فِي رِيحِ شِمَالٍ وَصَوْبُ الْمِزْنِ فِي رَاحِ شَمُولِ
وقال أبو تمام :

مِلْيَتِكَ الْأَحْسَابُ ، أَيْ حَيَاة وَحَيَا أَرْزَمَةٍ وَحَيَاةً وَادٍ^(١)

ويقرب من هذا النوع نوع يسمونه المضارعة ، وهو على ضروب كثيرة : من التجنيس
منها أن تزيد الحروف وتنقص ، نحو قول أبي تمام — والجرجاني : يسميه
التجنيس الناقص — :

* يَمْدُونُ مِنْ أَيْدٍ عَوَاصٍ عَوَاصِمٍ *^(٢)

وهما سواء لولا الميم الزائدة . وكذلك قوله * قَوَاضٍ قَوَاضٍ * سواء لولا
الباء ، ومع ذلك فإن الباء والميم أختان . ومثله قولُ البحتري :
فِيَالِكَ مِنْ حَزِيمٍ وَعَزْمٍ طَوَاهِمَا جَدِيدُ الْيَلِي تَحْتَ الصَّفَا وَالصَّفَاحِ
ومنها أن تتقدم الحروف وتتأخر ، كقول الطائي :
بِيضُ الصَّفَاحِ ، لَاسُودَ الصَّحَائِفِ ، فِي مُتُونِهِنَّ جَلَاءُ الشَّكِّ وَالرَّيْبِ
فقوله « الصَّفَاحِ ، لَاسُودَ الصَّحَائِفِ » هو الذي أردت . وقال البحتري :
شَوَاجِرَ أَرْمَاحٍ تَقْطَعُ بَيْنَهُمْ شَوَاجِرَ أَرْحَامٍ مَلُومٌ قَطُوعُهَا

(١) مليتك : متعتك ، حيا أرزمة : مطر شدة ، يريد أنه يكشف الشدة بوجوده

(٢) تمامه * تصول بأسياف قواض قواضب * وسيدكر المؤلف بعض هذا

ومثله قول أبي الطيب :

مُمَنِّعَةٌ مُمَنِّعَةٌ رَدَّاحٌ يُكَلِّفُ لَفْظَهَا الطَّيْرَ الْوُقُوعَا
وحكى ابن دريد أن أعرابياً شتم رجلاً فقال : ملج أمه ، فقدم إلى السلطان
فقال : إنما قلت : ملج أمه ، فدرأ عنه . .

قال أبو بكر : لمجها : أتاها ، وملجها : رضعها .

وأصل المضارعة أن تتقارب مخارج الحروف ، وفي كلام العرب منه كثير غير
متكلف ، والحدثون إنما تكلفوه ؛ فمن المعجز قول الله عز وجل : (وَهُمْ يَنْهَوْنَ
عنه وَيَنْأَوْنَ عنه) . وقال النبي صلى الله عليه وسلم لرجل سمعه وهو ينشد على سبيل
الافتخار — وقيل : بل سأله عن نسبه فقال :

إني امرؤٌ خَيْرِيٌّ حين تنسبني لا من ربيعة آبائي ولا مضر
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم — : « ذلك والله الأم لجذك ، وأضرع لجذك ،
وأقل لجذك ، وأقل لجذك ، وأبعد لك عن الله ورسوله » وقوله عليه الصلاة والسلام
« نعوذ بالله من الأيمة والعيمة والغيمة والسكرم والقزم » الأيمة : الخلو من النساء ،
والعيمة : شهوة اللين ، والغيمة : العطش ، والسكرم : قصر اللبان خلقة أو من
بخل ، ويقال : السكرم شدة الأكل ، والقزم : شهوة اللحم .

وهذا النوع يسميه الرماني المشاكلة ، وهي عنده ضروب : هذا أحدها ، وهي
المشاكلة في اللفظ خاصة ، وأما المشاكلة في المعنى فننبه عليها في أما كتبها إن شاء
الله تعالى . .

الرماني يسميه
المشاكلة

وقال ابن هرمة :

وَأَطْعَنُ لِلْقِرْنِ يَوْمَ الْوَعَى وَأَطْعَمُ فِي الزَّمَنِ الْمَاحِلِ
وقل أبو تمام :

رُبُّ خَفَضٍ تَحْتَ الثَّرَى وَغَنَاءٍ مِنْ عَنَاءٍ وَنَضْرَةٍ مِنْ شُحُوبِ
وأبعد من هذا قليلاً قول ساعدة بن جوءية الهذلي :

رَأَى شَخْصَ مَسْعُودِ بْنِ بَشْرِ بِكَفِّهِ حَدِيدٌ حَدِيثٌ بِالْوَقِيعَةِ مُعْتَدٌ^(١)

من المضارعة
بالتصحيف
ونقص
الحروف

ومن المضارعة بالتصحيف ونقص الحروف قول بعضهم :

فَإِنْ حَلَّوْا فَلَيْسَ لَهُمْ مَقَرٌّ وَإِنْ رَحَلُوا فَلَيْسَ لَهُمْ مَقَرٌّ

وقال البحتري يمدح المعتز بالله :

وَلَمْ يَكُنِ الْمُعْتَزُّ بِاللَّهِ إِنْ سَرَى لِيَعْجَزَ وَالْمُعْتَزُّ بِاللَّهِ طَالِبُهُ

لجاء بتصحيف مستوفٍ . وقال :

مَا بَعَيْنِي هَذَا الْغَزَالُ الْغَرِيرُ مِنْ فَتُونٍ مُسْتَجَلِبٍ مِنْ فَتُورٍ

وقال غيره - وأظنه قابوس بن وشمكير - :

إِنَّ الْمَكَارِمَ فِي الْمَكَارِمِ رَهْ وَالْغَنَائِمَ فِي الْمَغَارِمِ

وقال بعض العلماء : ربما أسْفَرَ السَّقَرُ عَنْ الظَّفَرِ ، وتعذر في الوطن قضاء

الوطر . [و] قال آخر : خُلِفَ الْوَعْدُ خُلُقُ الْوَعْدِ . وقال ابن المعتز :

لَنْ نَزَهْتَ سَمْعَكَ عَنْ كَلَامِي لَقَدْ نَزَهْتُ فِي خَدَّيْكَ طَرَفِي

لَهُ وَجْهُ بِهِ يُضَيِّبِي وَيُضَيِّبِي وَمُبْتَسِّمٌ بِهِ يُشْقِي وَيُشْقِي

وقال آخر أيضا في مثل ذلك ، وفيه تغيير كثير بتصحيف :

فَمَنْ دَاعٍ وَمَنْ رَاعٍ وَمَنْ مَطَرٍ وَمَنْ مُطَرِقٍ

وَكُلُّ خَاشِعٍ الطَّرْفِ لَدَيْهِ خَاضِعُ الْمَطْقِ

أعني بالتغيير ضاد « خاضع » ليست مناسبة لشين « خاشع » فيكون

تصحيفا ، وإنما التصحيف فيما تناسب من الخط ، ومن هذا قوله « داع »

(١) في الديوان (ص ٣٧ طبع أوربة) * رأى شخص مسعود بن

سعد . . . * وبعد هذا البيت قوله :

فَجَالَ وَحَالَ أَنَّهُ لَمْ يَقْعَ بِهِ وَقَدْ خَلَّاهُ سَهْمٌ صَوِيبٌ مُعَرَّدٌ

و « راع » لبعد ما بينهما في اللفظ والمجاء .
ومن الإسقاط الذي لا يظهر إلا في الخط قول شمس المعالي قابوس بن وشمكير :
وَمَنْ يَسْرِفُ فَوْقَ الْأَرْضِ يَطْلُبُ غَايَةً من المجدِ نَسْرِي فوق جمجمة النَّسْرِ
ومن يَخْتَلِفُ في العالمينَ نِجَارُهُ فإننا مِنِ العلياءِ نَجْرِي على نَجْرِ
فِياء الوصل في « النسر » جانست به « نسري » وصار لقاء النون كسرة
الماء من جمجمة كالتنوين في الماء ، وكذلك صلة « نجر » جانست به « نجرى »
فإذا صرت إلى الخط زالت المجانسة .

وقد أحدث المولدون تجانساً منفصلاً يظهر أيضاً في الخط كقول أبي تمام :
رَفْدُوكَ في بومِ الكَلَّابِ ، وَشَقَّوْا فِيهِ المِزَادَ بِمِحْفَلِ كَانَلَّابِ^(١)
الكاف للتشبيه ، واللاب : جمع لابة ، وهي الحرة ذات الحجارة السود .
هذا أصح الروايتين ، وأما قوله بمحفل كلاب أي كان به كلباً فليس بشيء ،
وإنما القول ما قدمناه ، وليس بتجانس صحيح على ما شرطه المتقدمون ، ولكنه
استظرف فأدخل في هذا الباب تملحاً . وأكثر من يستعمله : الميكالي ، وقابوس ،
وأبو الفتح البُستِي ، وأصحابهم ؛ فمن ذلك قوله :

عَارِضَاهُ بِمَا جَنَى عَارِضَاهُ أَوْ دَعَانِي أُمْتُ بَمَا أَوْ دَعَانِي

فقوله « أو دعاني » إما هي « أو » التي لامطف ، نسق بها « دعاني » وهو
أمر الاثنين من « دع » على قوله « عارضا » الذي في أول البيت ، وقوله « أو دعاني »
الذي في القافية فعل ماض من اثنين ، تقول في الواحد « أودعَ يودِعُ » من
الوديعة . وقال أيضاً :

(١) انظر (ص ٥٩ من هذا الجزء) ؛ فقد رسمت هذه الكلمة هناك « كلاب »
على أنها صفة مبالغة ، وهي الرواية الأخرى ، وفي الديوان « بمحفل غلاب » وهي
ترجيح ما ضعفه .

وإن أقرَّ على رَقٍّ أَنَامِلَهُ أَقرَّ بالرقِّ كَتَابُ الأَنَامِلِ

وربما صنعوا مثل هذا في القوافي فتأتى كالإيطاء وليس بإيطاء إلا في اللفظ
مجازاً ، ولا بتجنيس إلا كذلك . . قال عمر بن علي المطوعى :
القافية جاء
كالإيطاء

أَمِيرٌ كُلُّهُ كَرَمٌ سَعِدْنَا بِأَخْذِ الْجَدِّ مِنْهُ وَاقْتِبَاسِهِ
يُحَاكِي النَّيْلَ حِينَ يُسَامُ نَيْلًا وَيَحْكِي بِاسْلًا فِي وَقْتِ بَاسِهِ

[أراد أن] يناسب فجاء القافيتان كما ترى في اللفظ ، وليس بينهما في الخط
إلا مجاورة الحروف ، وهذا أسهل معنى لمن حاوله ، وأقرب شيء ممن تناوله ، من
أبواب الفراغ وقلة الفائدة ، وهو مما لا يُشَكُّ في تكلفه ، وقد أكثر منه هؤلاء
الساقية المتعقبون في نثرهم ونظمهم حتى بردوا ، بل تَدَرَّكُوا ، فأين هذا العمل من
قول المقاتل ، وهو أبو فراس :

سَكِرْتُ مِنْ لَحْظِهِ لَا مِنْ مُدَامَتِهِ وَمَالَ بِالنَّوْمِ عَنْ عَيْنِي تَمَائِلِهِ
وَمَا السَّلَافُ دَهْتَنِي بَلْ سَوَّافَهُ وَلَا الشَّمُولُ زَهْتَنِي بَلْ شَمَائِلُهُ
أَلَوِي بِصَبْرِي أَصْدَاغُ لَوَيْنَ لَهُ وَغَلَّ صَدْرِي مَا تَحْوَى غَلَائِلُهُ
فما كان من التجنيس هكذا فهو الجيد المستحسن ، وما ظهرت فيه الكلفة
فلا فائدة فيه .

وقد يحىء التجنيس على غير قصد كقول أبي الحسن في مقطعاته التي تردفيا بعدد:
ما ترى الساقى كشمسٍ طلعت تحمل المريح في برج الحمل
فهذا التجنيس تم المعنى وظهر حسنه ؛ إذ كان برج الحمل بيت المريح
وموضع شرف الشمس ، فصار بعض الكلام مرتبطاً ببعضه ، ومظهراً لخفي
محاسنه ، وحصل التجنيس فضلة على المعنى ؛ لأنه لو قال في موضع الحمل «المنطح»^(١)

(١) المنطح - ومثله الناطح - السرطان ، وهما قرنا الحمل . وفي المصرية
« المنطح » بالجيم ، وهو تصحيف ، والكبش : الحمل ، إذا أثنى ، أو إذا خرجت
رباعيته .

أو «الكبش» لكان كلاماً مستقيماً ؛ فهذا التجنيس كما ترى من غير تكلف ولا قصد ، ولكن الأكثر أن يكون التجنيس مقصوداً إليه ، مأخوذاً منه ما سمحت فيه القرينة ، وأعان عليه الطبع . .

وقد يعد قوم من المضارعة ما ناسب اللفظة في الخط فقط ، كقوله تعالى : (وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا) وهي مضارعة بعيدة ألا يجب أن يعد مثلها . . واختلف الناس في قول الأعشى :

كما يعبه
قوم من
المضارعة

إِنْ تَسُدُّ الْحُوصَ فَلَمْ تَعُدْهُمْ وَعَامِرٌ سَادَ بَنِي عَامِرٍ

فقال الجرجاني على بن عبد العزيز القاضي : هو مجانسة ؛ لأن أحدهما رجل ، والآخر قبيلة ، وقال غيره : بل معناهما واحد ، وأنا على خلاف رأي الجرجاني لأن الشاعر قال بني عامر وأضاف بني إليه ، ولو قال ساد عامراً يعني القبيلة لكان تجنيساً غير مدفوع . قال الجرجاني : وأراه - يعني بيت الأعشى - يخالف قول الآخر :

قَتَلْنَا بِهِ خَيْرَ الضَّبِيعَاتِ كُلِّهَا ضَبِيعَةُ قَيْسٍ لَا ضَبِيعَةُ أَضْحَمَا

لأن كليهما قبيلتان ، فكأنه جمع بين رجلين متفقين الاسم ، انتهى كلامه ، وهو يشهد بما قلته في بيت الأعشى إذا حققه من له مِيزٌ وتدبير . .

وقد ذكروا تجنيساً مضافاً ، أنشده جماعة من المتعقبين منهم الجرجاني :

أَيَا قَمَرَ التَّمَامِ أَعَنْتَ ظَلَمًا عَلَى تَطَوَّلِ اللَّيْلِ التَّمَامِ

فهذا عندهم وما جرى مجراه إذا اتصل كان تجنيساً ، وإذا انفصل لم يكن تجنيساً ، وإنما كان يتمكن ما أراد لو أن الشاعر ذكر الليل وأضافه فقال « ليل التمام » كما قال « قمر التمام » والرماني سمي هذا النوع مزاجاً ، ومثله عنده قول الآخر :

التجنيس
المضاف
(والمزاج)

حتنى مياه الوفر منها مواردى فلا تحمىاني وزد ماء العناقد

ومن المزاوجة عندهم قول الله تعالى: (يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ) وقوله: (مَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ) وقوله: (إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزُونَ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ) وكل هذه استعارات [و] مجاز؛ لأن المراد المجازاة فزواج بين اللفظين .

وكان الأصمعي يدفع قول العامة « هذا مجانس لهذا » إذا كان من شكله، يقول: ليس بعربي خالص، حكى ذلك ابن جني . . . فأما ابن المعتز فقال - وهو أول من نحا هذا النحو وجهه - والمجانسة: أن تشبه اللفظة اللفظة في تأليف حروفها على السبيل الذي ألف الأصمعي كتاب الأجناس عليها، قال: والجنس أصل لكل شيء: تتفرع منه أنواعه، وتعود كلها إليه، كالإنسان وهو جنس وأنواعه عربي ورومي وزنجي، وأشباه ذلك، ولم تكن القدماء تعرف هذا اللقب - أعني التجنيس - بذلك على ذلك ما حكى عن رؤبة بن العجاج وأبيه، وذلك أنه قال له يوماً: أنا أشعر منك، قال: وكيف تكون. أشعر مني وأنا علمتك عطف الرجز؟ قال: وما عطف الرجز؟ قال * عاصم يا عاصم لو أعتصم * قال: يا أبت، أنا شاعر ابن شاعر، وأنت شاعر ابن معجم^(١)، فغلبه، فأنت ترى كيف مماه عطفًا، ولم يسمه تجانسا، اللهم إلا أن يذهب بالعطف إلى معنى الالتفات فنعم

ومن أناشيد هذا الباب قول الشنفرى - واسمه عامر^(٢) بن عمرو الأزدي:

وبتنا كأن البيت حُجْرٌ فوقنا بريحانة ريحت عشاء وظلت

وقال علي بن محمد بن نصر بن بسام:

فاشربْ على الوردِ منْ وَرْدِيَّةٍ عَمِقت كأنها خدُّ رِيمٍ رِيمٍ فامتنعَا

وقال الفرزدق:

(١) ربما قرئت « ابن مفعم » .

(٢) في اسمه خلاف طويل ذكرناه في شرحنا على ديوان شعره وأخباره .

أمثلة يظن
أنها من
المزاوجة

مق كانت
تسمية
التجنيس؟

من أمثلة
هذا الباب

ألم يأتته أنى تخللُ ناقتى بنعمانَ أطرافَ الأراكِ النواعم
وحقيقة المجانسة عند الرمانى المناسبة بمعنى الأصل ، نحو قول أبى تمام:
* فى حدّه الحدُّ بين الجد واللعب *^(١)

قال : لأن معناها جميعاً أبلغ ، وأما قولك قرب واقترب، والطلع والمطلع ،
وما شاكل هذا ؛ فهو عنده من تصرف اللفظ ، ولا يعبده تجنيساً ، ومن تصرف
المعنى عنده قولك : عين الميزان ، وعين الإنسان ، وعين الماء ، ونحو ذلك . . ومن
التصرف فى اللفظ والمعنى جميعاً قولك : الضرب والمضاربة والاستضراب ، وما
أشبه ذلك ، كل هذه الأنواع عنده من باب التصرف .
وما أكثر ما يستعمل هذا النوع بعض شعراء وقتنا المذكورين ، ويظن أنه
فدأتى بشيء من غرائب التجنيس .

وأما قول دعبل فى امرأته سلمى :
أَحِبِّكَ حُبًّا لَوْ تَضَمَّنَهُ سَلْمَى^(٢) سَمِيكَ ذَاكَ الشَّاهِقُ الرَّاسِ
فقد جنس من غير ذكر جنس ؛ لأن قوله « سميك » دال على مراده .
ومثله قول الآخر :

ضيعتى مثل اسمها العا م ودارى مسترمة

أنشده الرمانى . . وقال الآخر ، وهو أبو تمام :

إذ لا صدوق ولا كَنُودَ اسمها كاللعنيين ولا النوار نوارا
المراد صدر البيت لا معجزه .

وإذا دخل التجنيس نَفَى عُدَّ طباقا ، وكذلك الطباق يصير بالنفى تجنيسا،
وسأفرد لها بابا إن شاء الله تعالى فيما بعد باب التردد .

التجنيس
والطباق

(١) صدره * السيف أصدق إنشاء لفحق الكتب *

(٢) يريد به « سلمى » أحد جبلى طيء .

(٤٤) — باب الترديد

حد
الترديد

وهو أن يأتي الشاعر بلفظة متعلقة بمعنى ، ثم يردّها بعينها - متعلقة بمعنى آخر في البيت نفسه ، أو في قسم منه ، وذلك نحو قول زهير :

مَنْ يَلْقَى يَوْمًا عَلَى عِلَاتِهِ هَرَمًا يَلْقَى السَّمَاحَةَ مِنْهُ وَالنَّدَى خُلُقًا
فعلق « يلقى » بهرم ، ثم علقها بالسماحة . وكذلك قوله أيضاً :

وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ الْمَنَآيَا يَنْلَنهُ وَلَوْ رَامَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسُلْمٍ
فردد « أسباب » على ما بينت . ول بعض الحجازيين :

ومن لا مني فيهم حبيبٌ وصاحبٌ فَرُدَّ بِغَيْظٍ صَاحِبٌ وَحَمِيمٌ
وقال مجنون بني عامر :

قَضَاهَا لَفِيْرِي وَأَبْتَلَانِي مُجْبَهًا قَهْلًا بِشَيْءٍ عَـيْرِ لَيْلَى ابْتِلَانِيَا
وقال أبو تمام :

خَفْتُ دُمُوعَكَ فِي إِثْرِ الْقَطِيعِ لَدُنْ خَفْتُ مِنَ الْكُثْبِ الْقَضْبَانِ وَالْكَثْبِ
الترديد في « خفت » ولو جعلت الكثيب ترديدا لجاز . . وقال ابن المعتز

لَوْ شِئْتُ لَأَشِئْتُ خَلَيْتُ الشُّلُوكَ وَكَانَ لَا كَانَ مِنْكُمْ فِي مُعَافَاتِي
وقال أيضاً في مثل ذلك :

أَتَعَذِّلُنِي فِي يُوسُفٍ وَهُوَ مَنْ تَرَى وَيُوسُفُ أَضْنَانِي وَيُوسُفُ يُوسُفُ
ول بعضهم - وأظنه الصنوبري :

أَنْتَ عُذْرِي إِذَا رَأَوْكَ ، وَلَكِنْ كَيْفَ عُذْرِي إِذَا رَأَوْكَ تَجُونُ
الترديد في قوله « إذا رأوك » . . وقال أبو الطيب وأحسن ما شاء :

أَمِيرٌ أَمِيرٌ عَلَيْهِ النَّدَى جَوَادٌ بَخِيلٌ بَأْنُ لَا يَجُودَا

الترديد في أول البيت ، وهذا النوع في أشعار المحدثين أكثر منه في أشعار القدماء جدا .

والعلماء بالشعر مجمعون على تقديم أبي حية النخري وتسليم فضيلة هذا الباب إليه في قوله :

الْأَخَى مِنْ أَجْلِ الْحَبِيبِ الْمَغَانِيَا لَبَسْنَ الْبِلَى مِمَّا لَبَسْنَ اللَّيَالِيَا
إِذَا مَا تَقَاضَى الْمَرْءُ يَوْمًا وَلَيْلَةً تَقَاضَاهُ شَيْءٌ لَا يَمِلُ التَّقَاضِيَا
والترديد الذي انفرد فيه بالإحسان عندهم قوله * لبسن البلى مما لبسن الليالي
وكذلك قوله * إذا ما تقاضى المرء يوما وليلة * ثم قال * -تقاضاه
شئ لا يمل التقاضيا * لأن الهاء كناية عن المرء ، وإن اختلف اللفظ .
ويلحق بهذا قول أبي نواس :

* لَوْ مَسَّهَا حَجَرٌ مَسَّتْهُ سَرَّاءُ * (١)

وقول الحسين بن الضحاك الخليم :

لَقَدْ مَلَأْتُ عَيْنِي بُغْرًا مَحَاسِنِ مَلَأَنْ فُؤَادِي لَوْعَةً وَمُهِمًا

أقرب ما بين اللفظتين ، وكذلك قول الطائي :

رَاحُ إِذَا مَا الرَّاحُ كَانَ مَطِيَّهَا كَانَتْ مَطَايَا الشُّوقِ فِي الْأَحْشَاءِ

ردد مطيها ومطايا الشوق . وعلى هذا يحمل قول الجحاف بن حكيم ، وقيل :

العباس بن مرداس :

تَعْرِضُ لِلسُّيُوفِ بِكُلِّ ثَغْرِ وَجُوهًا لَا تَعْرِضُ لِلْطُّسَامِ (٢)

(١) هذا عجز بيت له ، وقبلة :

دع عنك لومي فإن اللوم إغراء وداوني بالتي كانت هي الداء

صفراء لا تنزل الأكدار ساحتها لومسها

(٢) الطسام - بزنة غراب وسحاب وشداد ورماد - كثير الغبار وشديده ،

ومرادده بذلك أن يكتفى عنهم بالتنعم والترفة .

وحمل قوم. قول امرئ القيس * فَثَوْبًا لَسْتُ وَثَوْبًا أَجْرُ^(١) * على أنه تكرار لا ترديد فيه ، وهذا هو الخطأ البين ، وأى ترديد يكون أحسن من هذا ؟ وقد أفاد الثانى غير إفادة الأول حسب ما شرطوا .

ومثله قول بعض الأعراب فى مدح هارون الرشيد :

جَهِيرُ الْكَلَامِ جَهِيرُ الْمُطَاسِ جَهِيرُ الرُّوَاءِ جَهِيرُ النَّعَمِ

ومن أملح ما سمعته قول ابن العميد :

فَإِنْ كَانَ مَسْخُوطًا فَقَلَّ شَعْرُ كَاتِبٍ وَإِنْ كَانَ مَرْضِيًّا فَقَلَّ شَعْرُ كَاتِبٍ

وهو داخل عندى فى باب الترديد ؛ إذ كان قوله عند السخط * شعر كاتب * إنما معناه التقصير به ، وبسط العذر له ؛ إذ ليس الشعر من صناعته كما حكى ابن النحاس أنهم يقولون « نحو كتابى » إذا لم يكن مجوداً ، وقوله عند الرضا * شعر كاتب * إنما معناه التعظيم له ، وبلوغ النهاية فى الظرف والملاحة ؛ لمعرفة الكتاب باختيار الألفاظ وطرق البلاغات ، فقد ضادَّ وطابق فى المعنى ، وإن كان اللفظ تجنيساً مردداً .

وسمع أبو الطيب باستحسان هذا النوع فجعله نصب عينه حتى مَقَّتَهُ وَزَهَّدَ فيه ، ولو لم يكن إلا بقوله :

فَقَلَقْتُ بِالْهَمِّ الَّذِي قَلَقَ الْحِشَا قَلَا قَلَّ عَيْشٍ كُلَّهِنَّ قَلَا قَلَّ

فهذه الألفاظ كما قال كلهن قلاقل ، ونحو ذلك قوله :

أَسْدُ فِرَاسِهَا الْأُسُودُ ، يَقُودُهَا أَسَدٌ ، تَكُونُ لَهُ الْأُسُودُ ثَعَالِبَا

فما أدرى كيف تخلص من هذه الغابة المملوءة أسوداً ؟ ولا أقول إنه بيت

شعر ، وأين يقع هذا من قول غيره :

فَصُبْحُ الْوِصَالِ وَلَيْلُ الشَّبَابِ وَصُبْحُ الْمَشِيبِ وَلَيْلُ الصَّدُودِ

(١) يروى صدر هذا البيت * فَأَقْبَلْتُ زَحْفًا عَلَى الرُّكْبَتَيْنِ * ويروى

صدره * فَلَمَّا دَنَوْتُ تَسْدِيتَهَا .

تم - بحمد الله وتوفيقه - الجزء الأول من كتاب « العمدة »
لابن رشيح القيرواني ، ويليه - إن شاء الله تعالى -
الجزء الثاني منه ، وأوله (٤٥ - باب التصدير)
أعان الله تعالى على إكماله ، بمنه وفضله .

فهرس

الجزء الأول من كتاب

الجميلة

في محاسن الشعر وتقده

فهرس الجزء الأول من كتاب

« العمدة ، في محاسن الشعر وتقده »

لأبي على الحسن بن رشيق ، القيروانى ، الأزدي

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٣	مقدمة محقق الكتاب	٢٧	باب في الرد على من يكره الشعر
١٠	ترجمة مؤلف الكتاب	٢٨	الرسول (ص) وأصحابه يمدحون الشعر
١٥	خطبة مؤلف الكتاب	٢٩	معاوية تمنعه من الفرار أبيات عمرو
	باب فضل الشعر		ابن الإطابة
١٩	فضل العرب	—	بين على وأعرابي سأله حاجة
—	الكلام نوعان : منظوم، ومثور	—	سعيد بن المسيب يعيب من يكره الشعر
٢٠	النثر يسبق الشعر	٣٠	رأى ابن سيرين في الشعر
—	الشعر أفضل أم النثر ؟	—	العمري يحض على رواية الشعر
٢٢	من فضل الشعر أن الكذب فيه غير معيب	—	ابن عباس يسخر بمن يكره الشعر
—	قصة إسلام كعب بن زهير	—	كانت عائشة كثيرة الرواية للشعر
٢٤	الأحوص يذكر عمر بن عبد العزيز	٣١	أبو السائب المخزومي وجهه للشعر
—	عطاء الرسول صلى الله عليه وسلم للشعراء	—	الرد على حجة من يكره الشعر
—	حسان بن ثابت واعتذاره إلى أم المؤمنين عائشة	—	باب في أشعار الخلفاء والقضاة والفقهاء
٢٥	أحد المتقدمين يصف الشعراء	٣٢	شعر ينسب إلى أبي بكر الصديق
—	كعب الأحبار يخبر عمر بن الخطاب	٣٣	أبيات تنسب إلى عمر بن الخطاب
—	بما ذكرته التوراة عن الشعراء	٣٤	شعر ينسب إلى عثمان بن عفان
—	ليس لأحد أن يطرى نفسه إلا في الشعر	—	من شعر على بن أبي طالب
—	العلم ثلاث طبقات	٣٥	من شعر للحسن بن علي بن أبي طالب
٢٦	قيد اليونانيون علوهم بالشعر	—	من شعر لمعاوية بن أبي سفيان
—	الشعر معيار الألحان	—	من شعر الحسين بن علي بن أبي طالب
—	لمادا ينشد الشاعر شعره قائما ؟	٣٦	من شعر حمزة بن عبد المطلب بن هاشم
		—	من شعر العباس بن عبد المطلب بن هاشم

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٣٧	من شعر عبد الله بن العباس	٥٠	جرير وبنو نمير
—	» » جعفر بن أبي طالب	٥١	الربيع بن زياد العبسي وليد بن ربيعة
—	» » عبد الله بن عبد المطلب	٥٢	النجاحشي وبنو العجلان
—	» » عمر بن عبد العزيز بن مروان	٥٣	باب من قضى له الشعر ومن قضى عليه
٣٨	» » عبد الله بن الزبير بن العوام	٥٣	الرسول (ص) يدعو للباضة الجعدى
٣٩	» » القاضي شريح	—	ويدعو لحسان بن ثابت
—	» » الققيه عبيد الله بن عبد الله	—	الأعشى وعلقمة بن علاثة وعامر بن
—	ابن عتبة بن مسعود	الطفيل	
—	رأى جماعة من أصحاب مالك في الغناء	٥٤	أبو دلامة والقاضي ابن أبي ليلى
٤٠	من شعر الإمام محمد بن إدريس الشافعي	٥٥	جرير والحامى الشاعر بين يدي
—	باب من رفعه الشعر ومن وضعه	قاضي اليمامة	
٤٠	الشعر يرفع ويضع ، وسر ذلك	—	الحسن البصري يفتى بقول الفرزدق
٤١	رأى لعل بن أبي طالب في امرئ القيس	—	في شعر له
٤٢	علي بن الجهم يصف مادعاة إلى قول الشعر	—	عمر بن الخطاب يتعجب من بيت لزهير
—	أبو تمام الطائي يقول في هذا المعنى	٥٦	قتيلة بنت النضر تعتب على رسول الله
—	أبو نجيعة السعدي هو السابق إلى	لأنه قتل أباه (ويقال : بل المقتول	
—	هذا المعنى	أخوها)	
٤٣	السبب الذي من أجله نفى امرأ	٥٧	علقمة بن عبدة يشفع عند الحارث
—	القيس أبوه	ابن أبي ثمر فيشفعه	
—	الحارث بن حازة اليشكري ممن	٥٨	أمية بن حرثان يشفع عند عمر
—	رفعه الشعر	ابن الخطاب	
٤٤	وممن بلغ رضوان الله بالشعر حسان	—	العاني يشفع عند هارون الرشيد
—	ابن ثابت	٥٩	أبو تمام يشفع عند المعتصم للوائح
—	وممن رفعه الشعر الأخطل التغلبي	—	أبو تمام يستعطف مالك بن طوق على
—	وممنهم الحسن بن هانئ أبو نواس	بني تغلب	
٤٥	وممنهم أبو الطيب المتنبي	٦٠	أبو قابوس الشاعر يشفع عند الرشيد
٤٦	بعض الذين لقبوا بشيء من الشعر قالوه	٦١	المتنبي يشفع لبني كلاب عند سيف الدولة
٤٨	المخلق رفعه ما قال الأعشى فيه من الشعر	—	بين النبي صلوات الله عليه وأبي
٥٠	الخطيئة وبنو أنف الناقة	عزة الشاعر	

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٦٢	أوس بن حجر يحرض على بني حنيفة	٧٠	يزيد بن معاوية يسوغ قاطع طريق
—	سديف يحرض السفاح على بني أمية	—	بشعر له رواء
—	شبل بن عبد الله يحرض عبد الله بن	٧٠	أبو الشمقمق واثنان من عمال يحيى
—	على ، على بني أمية	—	بن خالد
٦٣	العبدى الشاعر يغري ببني أمية	٧١	مصعب بن الزبير وأسير من أصحاب المختار
٦٤	الأحوص يغري الوليد بن عبد الملك	—	يزيد بن عبد الملك يطلق الأحوص
—	باب حزم وآله	—	من الحبس بسبب بيتين من شعره
—	ابن الزيات يغري المأمون بعمه إبراهيم	٧٢	موت ابن الزوى مسموما
—	ابن المهدي الذي كان قد خرج عليه	—	موت دعبل بن طي الحزامي ، وسببه
—	وعفا عنه	٧٣	الرشيد يمنع والبة بن الحباب من
—	باب احتفاء القبائل بشعرائها	—	الدخول عليه بسبب بيتين من شعره
٦٥	من مظاهر تمجيد العرب للشعراء	—	يزيد بن أم الحكم الثقفي والحجاج
—	زياد الأعجم حمى قبيلته من الفرزدق	—	ابن يوسف
—	عبد الله بن الزبير السهمي وبنو قصي	—	الفرزدق مع نصيب بين يدي سليمان
٦٦	بنو حرام والفرزدق	—	ابن عبد الملك ينشدانه
—	الأحوص ورجل من الأنصار	٧٤	ممن ضربه شعره سديف
—	جرير يمتن على أبيه وجده بنفسه	٧٥	قتل المتنبي بسبب بيت من شعره
—	باب من قال الشعر وطيرته	—	وحرمة كافور الولاية لتعاظمه في شعره
٦٧	حسان يتفاءل في شعره بفتح مكة	—	تنبؤه
٦٨	كان رسول الله يتفاءل ولا يتطير	—	باب تعرض الشعراء
—	أبو الشمقمق يتفاءل لحالد بن يزيد	٧٦	عمر بن الخطاب والنجاشي وكان هجا
—	موسى بن عبد الملك وجماعة من الكتاب	—	بني العجلان
—	مجنون ليلى يتعنى في شعره فيبتلى	—	عمر والحطيئة وكان هجا الزرقان بن بدر
٦٩	والمؤمل بن أميل أيضاً	—	أبو عبيدة كان لا يحكم بين الأحياء
—	أبو الهول يتطير على جعفر بن يحيى البرمكي	—	من الشعراء
—	ابن الرومي ، وتطيره	—	أول من لقب قريشا « سحينة » هو
—	باب في منافع الشعر ومضاره	—	خداش بن زهير
٧٠	المأمون ويبيت من شعر عمارة بن عقيل	٧٧	كان الأشراف يتحنون بمأثرة الشعراء
—	المنصور يهجو عن كاتب ببيت من الشعر	٧٨	للشعراء السنة حداد

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٧٨	بين الفرزدق ورجل مر به	٨٨	من شعراء قيس
—	بين الفرزدق والكميت	—	من شعراء تميم
٧٩	بين الفرزدق ومضرس الفقعسي	—	أشعر الناس حيا هذيل
—	الفرزدق والخطيئة	٨٩	منزلة اليمن في الشعر
—	أبو السمط مروان بن أبي الجنوب وعلى	—	باب في القدماء والمحدثين
—	ابن الجهم	٩٠	المحدث والمولد
—	باب التكسب بالشعر والألفة منه	—	رأى أبي عمرو بن العلاء في المحدثين
٨٠	ما كانت العرب تتكسب بالشعر	—	والمولدين
—	أول المتكسبين بالشعر النابغة الذبياني	٩١	لولا أن الكلام يعاد لنقد
٨١	الأعشى جعل الشعر متجرا	٩٢	مثل القدماء والمحدثين
—	عمر بن الخطاب يتحدث عن زهير	—	لأبي نواس في معنى هذا المثل
—	الخطيئة أكثر من السؤال بالشعر	٩٣	قد يصلح في وقت مالا يصلح في آخر
٨٢	بين الوليد بن عقبة وليد بن ربيعة	—	بم يتقدم القديم والمحدث ؟
—	الشعر أعلى أم الخطابة ؟	—	باب المشاهير من الشعراء
٨٣	مثل من كبر نفس ابن ميادة	٩٤	سر تقديم امرئ القيس
—	صلوات الملوك ، ومن أخذها من	٩٥	أقوال للعلماء في السابقين من الشعراء
—	جلة العلماء	٩٦	المعلقات وأصحابها
—	لم يعدح جميل بن عبد الله أحدا قط	—	جرير يتحدث عن أشعر الناس
٨٤	يقال : إن جميلا مدح عبد العزيز	—	وقتية بن مسلم يتحدث
—	ابن مروان	—	والخطيئة يتحدث
—	موازنة بين عمر بن أبي ربيعة وعباس	٩٧	أقاويل مختلفة في أشعر الناس
—	ابن الأحنف	٩٨	رأى عمر بن الخطاب في زهير بن
٨٥	بين سلم الخاسر ومروان بن أبي حفصة	—	أبي سلمى
٨٦	أنفة بعض الشعراء من عطايا غير الملوك	٩٩	حجة من قدم النابغة الذبياني
—	باب تنقل الشعر في القبائل	—	حجة من قدم الأعشى ميمون بن قيس
٨٦	كان الشعر في ربيعة	١٠٠	رأى طائفة في أشعر شعراء كل طبقة
٨٧	من أخبر مهلهل بن ربيعة	—	باب المقلين من الشعراء والمغلبين
—	المرقشان : الأصغر ، والأكبر	١٠٢	ذكر جماعة من المقلين
—	جملة من شعراء ربيعة	١٠٦	ذكر معنى المغلب من الشعراء

ص	الموضوع	ص	الموضوع
١٠٦	الناطقة الجعدي	١١٩	باب حد الشعر وبنيته
١٠٧	من المغليين الزبرقان بن بدر	١٢٠	حد الشعر
--	ذكر جماعة من المغليين	١٢٠	أركان الشعر
١٠٨	جماعة من مغلي المولدين	--	قواعد الشعر
باب من رغب من الشعراء عن		--	أغراض الشعر
ملاحظة غير الأكفاء		١٢١	بيت الشعر كبيت البناء
--	الزبرقان بن بدر	--	رأى القاضي الجرجاني
١٠٩	سحيم بن وثيل	١٢٢	رأى دعبيل
--	الفرزدق وعمر بن لجأ	--	آراء مختلفة
--	الفرزدق والطرماح		باب في اللفظ والمعنى
١١٠	جرير وبشار بن برد	١٢٤	الارتباط بين المعنى واللفظ
--	بشار وحمام عجرد	--	أيهما أثر : اللفظ أم المعنى ؟
--	ابن الرومي والبحري	--	رأى في ابن هاني المغربي
١١٠	أبو تمام ومخلد بن بكار	١٢٦	من يؤثر سهولة اللفظ
١١١	المتنبي وابن حجاج البغدادي	--	رأى في أبي العتاهية
--	ابن هاني وشعراء إفريقية	--	من يؤثر المعنى
--	من الشعراء من لا يهجو قط	١٢٧	حجة من أثر اللفظ
باب في الشعراء والشعر		١٢٨	للشعراء ألفاظ معروفة وأمثلة مألوفة
١١٣	طبقات الشعراء أربع		باب في المطبوع والمصنوع
--	اشتقاق الخضر	١٢٩	حد المطبوع والمصنوع ، وأمثلة
١١٤	الشعراء أربعة أنواع		للمطبوع
--	أشعر بيت	١٣٠	رأى في أبي تمام والبحري
--	بيان الشعراء الأربعة	--	رأى في ابن المعتز
١١٦	بسمي الشاعر شاعرا ؟	١٣١	رأى في مسلم بن الوليد
--	ابن الرومي يهجو ابن طيفور الشاعر	--	أول من فتح البديع
١١٧	صعوبة عمل الشعر	--	الأعشى وبشار بن برد (موازنة)
--	نقطة الشعر أبصر به	--	مق يكون التصنيع مقبولا ؟
--	من شعر الأصمعي	١٣٣	رأى الجاحظ فيما يجب أن يكون
١١٨	الشعر أربعة أصناف		عليه الكلام
--	للشعر صناعة وثقافة	--	موازنة بين المتنبي وأبي تمام الطائي

ص	الموضوع	ص	الموضوع
١٣٣	عبيد الشعر	١٥٤	آراء أخرى
١٣٤	من شعر أبي الحسن	—	لم سميت القافية قافية ؟
	باب في الأوزان	—	حروف القافية وحركاتها
١٣٤	الوزن ركن الشعر المهم	١٦٠	كان ابن الرومي يلتزم في القافية
—	الشاعر المطبوع يستغنى عن معرفة		مالا يلزم
	الأوزان	١٦١	المؤسس من الشعر
١٣٥	أول من ألف في موازين الشعر	١٦٤	عدة ما يلحق القوافي من الحروف
	الخليل بن أحمد		والحركات
—	الجوهري صاحب الصحاح له مذهب	—	عيوب الشعر
	في الأوزان يذهب إليه حذاق أهل	١٦٥	الإقواء
	هذه الصناعة	١٦٦	الإكفاء
١٣٦	علة تسمية بحور الشعر	—	الإجازة ، والإجارة
١٣٧	كيفية تقطيع الأجزاء	١٦٧	الإصراف
١٣٨	أجزاء التفاعيل	—	السناد
—	الزحاف	١٦٩	الإبطاء
١٣٩	من الزحاف ما يستحسن قليله	١٧١	التضمين
١٤٠	الحزم	١٧٢	ألقاب القوافي
١٤١	الحزم		باب التفقية والتصريع
١٤٣	الإقعاد	١٧٣	التصريع
١٤٤	مهمات الزحاف أربعة أشياء	—	التفقية
١٤٧	المطلق والمقيد من القوافي	١٧٤	اشتقاق التصريع ، وأمثلة له
١٤٩	زحاف الحشو (المعاقبة)	١٧٦	يقع في التصريع ما يقع في القافية
—	المراقبة		من العيوب ، وأمثلة لذلك
١٥٠	الفرق بين المعاقبة والمراقبة	١٧٧	من ابتداء القصائد التجميع
	باب القوافي	—	المداخل من الأبيات
١٥١	منزلة القافية من الشعر	١٧٨	القواديبي من الشعر
—	حد القافية ، واختلاف العلماء فيه	—	للمسمط من الشعر
١٥٢	ترجيح رأى الخليل على رأى	١٨٠	اشتقاق التسميط
	الأخفش ، ووجهه	—	الخمس من الشعر
١٥٣	رأى آخر في القافية نقله الزجاجي	١٨١	المشطور والمنهوك

ص	الموضوع	ض	الموضوع
١٨٢	المتقدمون لا يخمسون ولا يسمطون	١٩٤	عبيد بن الأبرص
	باب في الرجز والقصيد	—	تميم بن جميل بين يدي المعتصم وقد
١٨٢	الرجز وأنواعه		أمر بقتله
١٨٣	مشطور السريع من القصيد	١٩٥	علي بن الجهم
١٨٤	منهوك المنسرح	—	اشتقاق البديهة
—	القريض	١٩٦	اشتقاق الارتجال
١٨٥	الشعراء والرحاز ومن جمع بينهما		باب في آداب الشاعر
	باب في القطع والطوال	١٩٦	الصفات التي يجب أن يتحل بها الشاعر
١٨٦	متى تحسن الإطالة ؟	—	حاجة الشعر إلى مواد الثقافة
—	رأى في الفرزدق	١٩٧	الرواية أو ثقب آلات الشاعر
—	حاجة الشاعر إلى القطع	١٩٨	رواية بعض الشعراء عن بعض
١٨٧	منزلة القطع القصار	—	حاجة الشاعر المولد إلى أشعار المولدين
—	فرق ما بين المطيل والموجز من الشعراء	١٩٩	أول ما يحتاجه الشاعر معرفة مقاصد
١٨٨	المشهورون بالمقطعات من الشعراء		الكلام
—	متى تسمى القصيدة قصيدة ؟	—	لكل مقام مقال
١٨٩	متى قصد الشعر ؟	٢٠٠	يجب أن يتفقد الشاعر شعره
—	أول من طول الرجز الأغلب العجلى	٢٠١	لا يجوز أن يكون الشاعر معجبا بنفسه
—	من يستحق لقب «الكامل» من الشعراء	٢٠٢	بين امرئ القيس والتوأم البشكري
	باب في البديهة والارتجال	٢٠٣	بين جرير وشاعر يقال له البردخت
١٨٩	البديهة ، والفرق بينها وبين الارتجال	—	بين عتبة بن ربيعة بن العجاج وبشار بن برد
١٩٠	أعظم ما وقع من الارتجال	٢٠٤	إعجاب البحري بنفسه
—	قدرة أبي نواس على البديهة والارتجال		باب عمل الشعر وشحن القريحة له
١٩١	مسلم بن الوليد وأبو نواس (موزانة)	٢٠٤	لكل شاعر فترة
—	أبو العتاهية	٢٠٥	رأى في أشجع السلي
١٩٢	حد البديهة	—	وسائل الشعراء لاستدعاء الشعر
—	بديهة الجواز	٢٠٨	أوقات صنعة الشعر
—	بديهة أبي تمام	٢٠٩	بعض أحوال أبي تمام في صنعة الشعر
١٩٣	بديهة المتنبي ، وارتجاله	—	بين جرير والفرزدق
—	شعراء بديهتهم مكروريتهم	—	كيف كان أبو تمام ينظم الشعر ؟
		٢١٠	عبد الله بن رواحة

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٢١٠	طريقة جماعة من الشعراء في النظم	٢٣٢	من الشعراء من لا يجيد الابتداء ولا يتكلف له
٢١٢	صحيفة بشر بن المعتز في البلاغة	٢٣٣	من جيد ابتداءات أبي تمام
٢١٤	أفضل ما استعان به شاعر على صناعة الشعر	—	من جيد ابتداءات البحري
	باب في المقاطع والمطالع	٢٣٤	حد الخروج ، وأمثله
٢١٥	حد المقاطع والمطالع	—	من ردىء الخروج في شعر المتنبي
٢١٦	حد البلاغة للعتابي	(وانظر ص ٢٤٠)	
	باب المبدأ والخروج والنهاية	٢٣٦	الاستطراد
٢١٧	منزلة هذه الأمور الثلاثة	—	التخلص
٢١٨	مختار من المطالع الجيدة	٢٣٩	طريق العرب في الخروج
٢١٩	بين دعبل الخزاعي وديك الجن	—	الانتهاء
٢٢١	من عيوب المطالع	٢٤٠	من سبىء الخروج في شعر المتنبي أيضا
٢٢٢	مأخذ على جرير	٢٤١	رأى الخذاق في ختم القصيدة بالدعاء
—	مأخذ على المتنبي		باب البلاغة
—	مأخذ على ذى الرمة	٢٤١	منزلة الإيجاز
—	مأخذ على أبي النجم	٢٤٢	حدود للبلاغة والبلغاء
—	سبب وقوع الشاعر في عيوب المطالع	٢٤٤	من شعر أبي الحسن في البلاغة
٢٢٣	نصيحة لمن يريد أن يجود شعره	٢٤٥	عود إلى حد البلاغة والبلغاء
—	بين النعمان بن النذر وعدي بن زيد	٢٤٩	كلام في البذاء
٢٢٤	من دعاء الشعراء للولوك	—	وصف البيان لجعفر بن يحيى
—	من إساءات أبي نواس	—	الكلام البليغ
٢٢٥	مذاهب الشعراء في افتتاح القصائد		باب الإيجاز
٢٢٦	العادة أن يذكر الشاعر المفاوز والركاب ونحو ذلك قبل أن يذكر المديح	٢٥٠	حد الإيجاز
٢٢٨	ربما ذكر الشاعر أنه بلغ ممدوحه ماشيا	—	المساواة
٢٢٩	المتنبي يذكر الخيل ويؤثرها على الإبل	—	مثال من اعتدال الوزن
٢٣٠	من شعر مؤلف الكتاب	٢٥١	الاكتفاء (مجاز الحذف)
٢٣١	من الشعراء من لا يجعل لشعره بسطا من النسب	٢٥٢	أمثلة للإيجاز من الشعر
٢٣٢	طريق أبي نواس في ابتداء قصائده	٢٥٣	أمثلة للإيجاز من القرآن والحديث

ص	الموضوع	ص	الموضوع
٢٥٣	بعض ما يظن من الحذف وليس منه	٢٧٤	السرفى استعارتهم لفظ الشيء لغيره
	باب البيان	—	أمثلة من الاستعارة المختارة
٢٥٤	حد البيان	٢٧٥	أمثلة للاستعارة من القرآن والحديث
٢٥٥	أمثلة من البيان للوجز	٢٧٦	أمثلة للاستعارة من الشعر
	باب النظم		باب التمثيل
٢٥٧	أجود الشعر	٢٧٧	حد التمثيل ، وأول من ابتكره
٢٥٨	مثل من مزوجة الألفاظ	٢٧٨	أمثلة من جيد التمثيل
٢٥٩	في القرآن ألفاظ لا تكاد تفرق	٢٧٩	الإيغال (التبليغ)
٢٦٠	عيب التقديم والتأخير في الكلام	٢٨٠	الفرق بين الاستعارة والتشبيه والتمثيل
٢٦١	عيب تقارب الحروف وتكررها	٢٨١	باب المثل السائر
	— التشبيح	٢٨٠	أفضل المثل
	— قيام كل بيت بنفسه	٢٨١	الأمثال الطوال والقصار
	باب المخترع والبديع	٢٨٢	لم نظم المثل ؟ وأمثلة من المثل المنظومة
٢٦٢	حد المخترع	٢٨٦	ما اشتهر به جماعة من المحدثين
٢٦٣	التوليد	٢٨٧	باب التشبيه
٢٦٥	الفرق بين الاختراع والإبداع	٢٨٦	حد التشبيه
	— اشتقاق الاختراع	٢٨٧	فائدة التشبيه
	— البديع	—	أنواع التشبيه
	— أنواع البديع عند ابن المعتز	٢٨٩	أفضل التشبيه
	باب المجاز	٢٩٠	سبيل التشبيه
٢٦٥	منزلة المجاز	—	أصل التشبيه
٢٦٦	معنى المجاز	—	تشبيه شيئين بشيئين
—	المجاز أبلغ من الحقيقة ، وأمثلة منه	٢٩٢	تشبيه ثلاثة بثلاثة
٢٦٨	التشبيه من المجاز	٢٩٣	تشبيه أربعة بأربعة
—	الكناية	٢٩٤	تشبيه خمسة بخمسة
	باب الاستعارة	—	التشبيه بغير أداة
٢٦٨	منزلة الاستعارة ، وأمثلة منها	—	أمثلة من ملبس التشبيه
٢٧٠	من معيب الاستعارة	٢٩٥	تشبيه المختلفين والضدين
—	حدود مختلفة للاستعارة ، وأمثلة منها	٢٩٦	التشبيهات المعقمة
٢٧١	ما يجنبه المحدثون من الاستعارة		

ص	الموضوع	ص	الموضوع
	باب التجنيس	٢٩٩	تشبيهات للقدامى تركها المولدون
٣٢١	المائلة ضرب من التجنيس ، وأمثلة لها		باب الإشارة
٣٢٣	التجنيس المحقق	٣٠٢	منزلة الإشارة
٣٢٥	من التجنيس نوع يسمى المضارعة	٣٠٣	مما جاء من الإشارة على معنى التشبيه
٣٢٦	الرماني يسميه المشاكلة	—	التفخيم والإيماء
٣٢٧	أمثلة من المضارعة بالتصحييف ونقص الحروف	—	التعريض
٣٢٨	التجانس المنفصل	٣٠٤	التلويح
٣٢٩	إذا وقع في القافية جاء كالإيطاء الذي هو عيب من عيوب القافية	٣٠٥	الكناية والتمثيل
٣٣٠	مما يعده قوم من المضارعة	—	الرمز
—	التجنيس المضاف (المزاج)	٣٠٦	من الإشارات اللمحة
٣٣١	أمثلة يظن أنها من المزاج	٣٠٧	من خفى الإشارات للفرز
—	مق كانت تسمية التجنيس تجنيسا ؟	—	ومنها اللحن
—	من أمثلة هذا الباب	٣٠٩	ومنها التعمية
٣٣٢	التجنيس ، والطباق	—	من الإشارات مصحوبة
—	باب التريد	٣١٠	من الإشارات اخدف
٣٣٣	حد التريد ، وذكر أمثلة له	٣١١	من أنواع الإشارة التورية
٣٣٥	ولع المتنبى بهذا النوع	٣١٣	الكناية عند المبرد على ثلاثة أضرب
			باب التبيين
		٣١٣	حد التبيين ، وأمثلة له
		٣٢٠	مما يحتمل أن يكون تنبيعا وألا يكون

تمت - بحمد الله واهب القوى والقدر - فهرست الموضوعات الواردة في الجزء الأول
من كتاب «العمدة» في صناعة الشعر ونقده لابن رشيق القيرواني، مفصلة غاية التفصيل
والحمد لله رب العالمين ، وصلاته وسلامه على إمام المتقين ، سيدنا محمد خاتم المرسلين ، وعلى
آله وصحبه أجمعين .